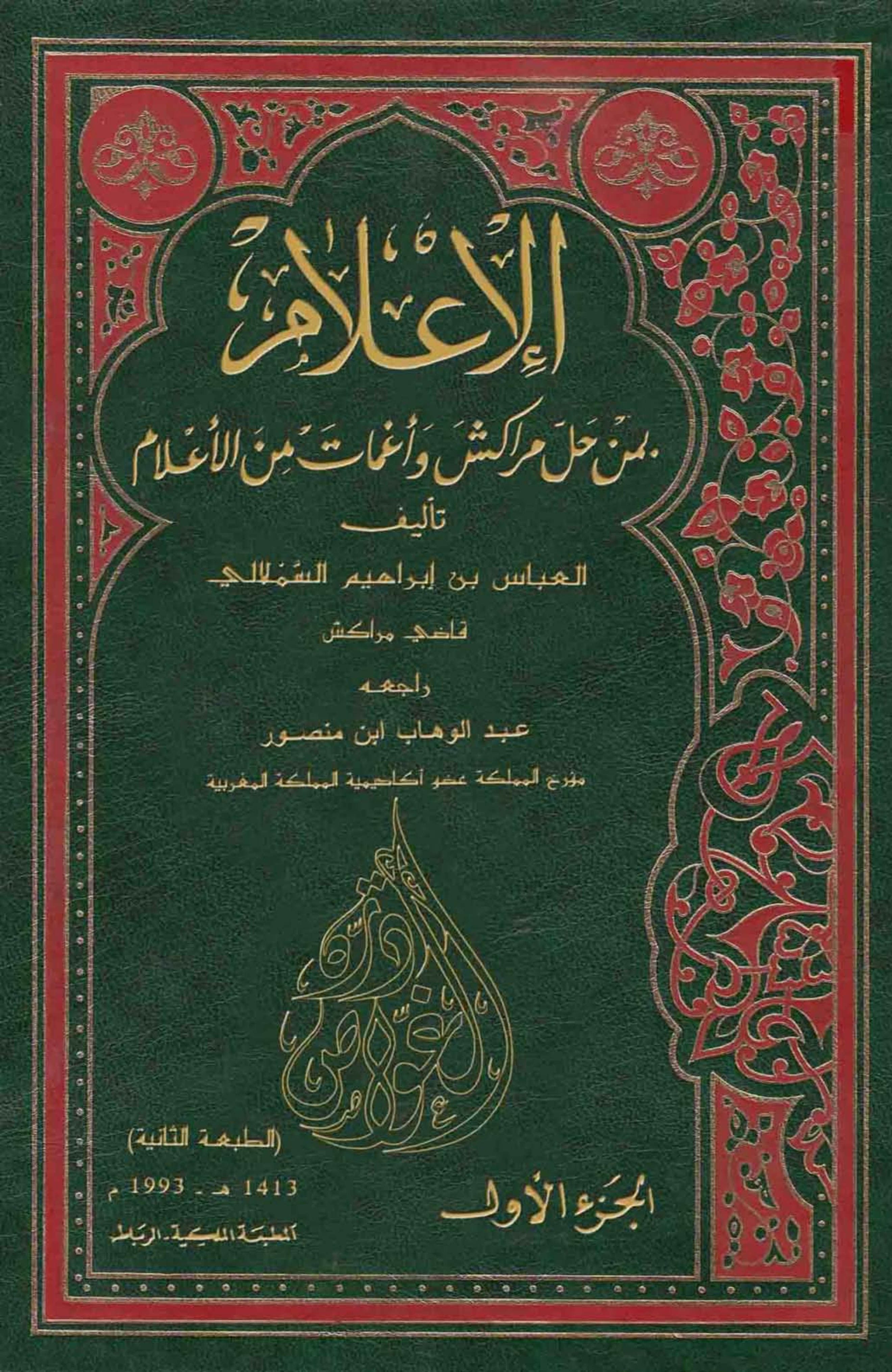


الإعلام
بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
تأليف
العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش
راجعه
عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية
(الطبعة الثانية)
1413 هـ - 1993 م
المطبعة الملكية - الرباط
الجزء الأول

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العباس بن إبراهيم السملالي

قاضي مراكش

راجعه

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية

الجزء الأول

(الطبعة الثانية)

1413 هـ - 1993 م

المطبعة الملكية - الرباط





كلما أمسكت القلم لتقديم واحد من هذه الكتب التاريخية والأدبيـة التى أعنى بتحريرها وأشرف على طبعها أجدنى أرفع العقيرة بالشكوى من إهمال المغاربة للتاريخ ، وتقاعس هممهم عن التعريف بدولهم ورجالهم ومدنهم وقراهم وشؤون مجتمعهم ، وأردد ما قاله المؤرخون والأدباء قبلى فـى هذا المعنى واستشهد به .

وعندما أعود الى نفسى بعد استراحتها من عناء الأعمال ، وأراجـع ما خطه قلمى لتقديم أي كتاب بعد طبعه أجد ان ما اندفعت إليه من النقـد والشكاة لم يكن إلا أمراً طبيعياً ، فان المرء بعد أن يقضي الشهور ويمضي السنين فى تحرير كتب من أخطائها وعلاجها من عللها وأدوائها ، ويكابد فى ذلك المشاق ويعانى الصعاب ، لأنه لا يجد بين يديه من الأصول الصحيحة ، والمستندات الوثيقة ، ما يعينه على تقويم فقرات معوجة ، وتكميل عبارات ناقصة ، والتعريف بشخصية مرموقة فى وقتها ، وتحديد موقع مكان بدقة ، وإثبات تاريخ أغفل ، وترجيح رواية على أخرى تناقضها – لابد أن يجد نفسه فى نهاية العمل مضطراً إلـى الجهر بالشكوى المريرة من إهمال الأقدميـن والانحاء عليهـم باللوم القاسى والعتاب العنيف وان أحس على ذلـك بلذة تخطّي العراقـل وتذليل الصعاب ، وشعر فـى قرارة نفسه وعمق ضميره بارتياح لنفض الغبار عن أثارة من تراث أمته الثقافي وإخراجه إلى عالم النور من زوايا الاهمال والنسيان التى قضى فيها القرون حبيساً .

وأحسب أن المغاربة لكثرة ما اهتموا بالعلوم الدينية والفنون اللغوية صاروا لا يأبهون بما عداها من العلوم والفنون ويستخفون بمتعاطيها من مؤلفين وقراء ويجهدون أنفسهم فى إبلاء جديدها وتمزيق أديمها والتخلص منها بطريقة من الطرف ، والا فبم نعلل كثرة ما ألفوا فى الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والنحو والصرف وما إليها ، وقلة ما ألفوا فى التاريخ والسياسة ودونوا فى الأدب والفلسفة وكتبوا فى الرياضيات والطبيعيات ؟ وكيف نفسر بقاء الكتب الأولى على الأيام وصمودها أمام العواصف والأعاصير رغم تفاهة بعضها وخلوه من أي فائدة أو جدوى ترجى دنيا أو أخرى واندراس معالم الثانية واختفاءها رغم ما فيها من إمتاع للنفوس وتنشيط للأبدان ورياضة للعقول ؟

ومن المُزري المُبكي أن تخلد أراجيز فى الفرائض وتأويل الأحلام ولا يبقى أثر ولا عين لدواوين فحول الشعراء من أمثال الجراوى وابن حبوس وابن خبازة ومالك ابن المرحل ، وأن يقع التعريف بالمشعوذين والممخرقين ويخص بالتآليف المجاذيب والمجانين وتبنى على قبورهم الأضرحة وتشد إليهم الرحال وتحبس الأوقاف وتقام المواسم ويهمل إهمالا شنيعاً ملوك عظام ووزراء محنكون وقادة شجعان وأدباء مجيدون وعلماء ممتازون وساسة مبرزون أسدوا لشعوبهم وأوطانهم وللمجتمع الانسانى خيراً كثيراً .

أين تاريخ الأدارسة لابن الودون ؟ وأين تاريخ فاس لابن جنون ؟ وأين تاريخ المرابطين لابن الصيرفى ؟ وأين تاريخ فاس لابن الوراق ؟ وأين تواريخ سجلماسة والبصرة ونكور للرقيق ، وأين المقباس لابن حماده ؟ وأين المستفاد لابن الكتانى ؟ وأين نظم الجمان لابن القطان ؟ وأين المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ؟ وأين ذيل الصلة لابن فرتون ؟ وأين البستان لابن أبى زرع ؟ وأين الاشادة للعزفى ؟ وأين الفنون الستة للقاضى عياض ؟ وأين الكواكب الوقادة للحضرمى ؟ بل مَن هو ابن الودون وابن جنون ؟ ومَن هو ابن غالب والوراق ؟ ومن هو البرنسى وابن حماده وابن صاحب الصلاة وابن القطان؟ ومن هو عبد الواحد المراكشي والحضرمي والبيذق وابن أبى زرع ؟ مَن كان يعرف عنهم غير الاشارات العابرة والفروض والاحتمالات فليخبرنى !

وهذه مراكش ... حاضرة المغرب الثانية وعاصمة ثلاث من دوله الكبرى ... المدينة التى كانت خلال قرون ملء الأسماع والأبصار ، والقبلة التى تتجه اليها الأفكار والأنظار ، والمركز الذى تصدر منه الأوامر فتنفذ بحدود مصر وقلب إسپانيا وعلى ضفاف نهري النجير والسنيغال ، هذه البلدة المجيدة التى جبيت الى بيوت مالها الأموال ، وسطعت فى أفقها شمس الخلافة ، وأمَّها التجار بأنفس البضائع وأثمن السلع ، وقصدها الفلاسفة والأطباء والأدباء والعلماء للعمل فى قصورها ودواوينها والتعليم فى مدارسها ومعاهدها والاكتساب من أموالها وأرزاقها ... هذه البلدة الطيبة التى أدركت كل هذا المجد ، وجمعت جميع هذا الفضل والفخر ، شاهدُ صدق وبرهانُ حق على ما نقول ؛ فقد قلت العناية بها قديماً وحديثا من أهلها والطارئين عليها ، ولم تخصَّ كعاصمة بالتأليف الوفير والتصنيف الكثير كما خصت العواصم غيرها والحواضر سواها ، حتى ليكاد ما ألف عنها يساوى أو يقل عما ألف عن مدن متوسطة أو قرى صغيرة تقل أهميتها عن أهمية مراكش بكثير .

فباستقراء كتب التاريخ والأنساب ، واستقصاء ما كتب فى الوصف والتراجم والطبقات نجد أن ما ألف عن مراكش : خططها ومآثرها ، وأنساب شرفائها وعوامها ، وتراجم صلحائها وأعيانها ، وعادات أهلها وأعراف مجتمعها لا يعدو بضعة كتب أكثرها مفقود أو ناقص غير تام (1) ، ولا يدخل بالطبع فى هذا التعميم ما ألف عن سير الدول والملوك (2) فالكتب التى اعتنت بهذا

---

1) مثل تاريخ من قدم مراكش من العلماء لأحمد بن محمد ابن بيرة (الذيل والتكملة 1 : 467 ع 700) ، ودرر الحجال ، فى مناقب سبعة رجال لمحمد الصغير بن محمد اليفرنى المتوفى سنة 1150 وهو كتاب لا نعرف منه الا مقدمته ، والكواكب السيارة ، فى البحث والحث على الزيارة تاليف المكى بن مريدة المراكشى ، لم يكمل ، وليس فيه جميع أعيانها ولا من دخلها من غيرهم ، والارتجال ، فى مناقب ومشاهد سبعة رجال ، ومن اشتهر فى مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال ، لمحمد الأمين بن عبد الله الصحراوى المراكشى المتوفى سنة 1296 وتاريخ مراكش لمحمد بن أحمد الكنسوس ؛ والتعريف بالحضرة المراكشية للحاج الحسن الغسال .

2) مثل **الأنوار الجليلة** ليحيى ابن الصيرفى ، **وتاريخ دولة الموحدين** لعبد الرحمان السهيلى ، **وتاريخ المرابطين والموحدين** لأبى عبيدة المراكشى ، **وتاريخ الموحدين** ليوسف بن عمر الاشبيلى ، **وتاريخ دولة عبد المومن وحزبه** لأحمد بن محمد الفهرى الاشبيلى ، **وتاريخ المغرب ومن تولاه من اتباع ابن تومرت** لعلى بن يوسف القفطى ؛ **وتاريخ الموحدين** لابن سميرة . (الذيل والتكملة 1 : 390) .

الموضوع ليستْ خاصة بمراكش ، بل هي شاملة لها ولغيرها ، على أنها هي أيضاً أخنى عليها ما أخنى على سواها ، إذ جلها مفقود أو لا تعرف منه إلا نبذ (3) ، ولم يسلم منها من التلف إلا مؤلف واحد (4)حفظه الزمان وان كان عفى على اسم مَن ألفه .

وقد تفطن في بداية هذا القرن لهذا الاهمال الفظيع ، والتفريط الشنيع ابنٌ من أبناء مراكش الغير وجهبذٌ من علمائها المعتنين ، هو القاضي المرحوم السيد العباس ابن ابراهيم السملالي، فهبَّ لسد هذه الثُلمة وأوقف عمره لملىء هذا الفراغ بتأليف كتاب حافل جامع يعرف فيه بمراكش وشقيقتها أغمات ، ويذكر أخبار من درج بها من الملوك والوزراء ، والقادة والعلماء والصلحاء ، والفلاسفه والأدباء والأطباء ، ويسجل نبذاً من نثارهم ، ومقطعات من نظامهم ، ويثبت نماذج من نظرياتهم ومناظراتهم .

ولكن قبل أن نمضي قدماً في ذكر قصة تأليف الكتاب ونلم ببعض جوانبه ولو باختصار لابد من وقفة قصيرة نُعرف فيها بالرجل الذى ألفه ، وبذل في جمعه وترتيبه عمره وصحته وأفنى ماله ، مخافة أن تتوالى الأيام وتتعاقب السنون فيُنسى كما نسي قبله مئات من القضاة ومن المؤلفين .

التعريف بالمؤلف :

مؤلف (الاعلام) هو الفقيه القاضي عباس بن محمد بن محمد ابن إبراهيم بن الحسن بن مَحمد السملالي المراكشي ، يُعرف بيته بمراكش ببيت بني إبراهيم نسبة الى جد أبيه ، ويعرف بنوه حديثاً ببني العباس نسبة إليه ، وقد اختار منهم من اختار (التعارجي) نسباً لأسرته لدى تسجيلها في دفاتر الحالة المدنية الجديدة ، وهي نسبة لم يشتهر بها والدهم

3) مثل كتاب الأنساب في معرفة الاصحاب لأبى بكر الصنهاجى المكنى بالبيذق ، واخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين له ايضاً ؛ ولقط الجمان لابن القطان ؛ والمن بالامامة لابن صاحب الصلاة .

4) هو الحلل الموشية ، في ذكر الأخبار المراكشية الذى نسب خطأ لابن الخطيب السلماني ؛ ونسب لابن السماك ؛ ولا يعرف مؤلفه حتى الآن معرفة قطعية .

فى حياته ، وكان خليقاً بهم أن يتمسكوا بالنسب الذى اشتهر به بعد مماته ، أو ينتسبوا الى القبيلة الماجدة سملالة أصل القعدود ، ومنتمى الآباء والجدود.

ولد بمراكش عام 1294 هـ ونشأ بها بادي النباهة ، ظاهر النجابة ، ولا غرو فبيته بيت علم وحسب ، وقد اشتهر من سلفه الفقهاء والعلماء والقضاة ، ولما حذق القرآن شرع يطلب العلوم والفنون التى كان يلقنها شيوخ مراكش وعلماؤها بمساجدها ومدارسها ، فاتقنها وبرع فيها ، ومن أشهر شيوخه الفقيه محمد أزنيط ، والعلامة محمد بن ابراهيم السباعي ، والقاضي العربي بن علال البربوشي الرحماني ، والفقيه عبد الرحمان ابن القرشي ، ونال منهم ـ باستثناء الأول ـ الاجازة التى كانت يومئذ تقوم مقام الشهادات العلمية فى الوقت الراهن ، كما أجازه فيما بعد جماعة من كبار علماء المغرب والمشرق ، كالشيخ ماء العنيين الشنكيطي والشيخ أحمد ابن الخياط ، والشيخ مَحمد القادري ، والشيخ أحمد ابن الجيلالي ، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني ، والشيخ عبد الكبير الكتاني والشيخ الصوفي أحمد الشريف السنوسي ، ومن علماء مصر الشيخ محمد حسين ، والشيخ يوسف الدجوى ، وسواهم .

وفى سنة 1319 هـ (1901 م) لما بلغ المؤلف الخامسة والعشرين من عمره أذن له فى التدريس ، ومنح كرسي مسجد رياض العروس لمباشرة التعليم ، وفى السنة التالية (1320 ـ 1902) رُتب فى المرتبة الثالثة فى هيأة العلماء بمراكش ، وفى خلال تلك السنين بدأت ميول المؤلف التاريخية تتأكد ، والاهتمام بالتعريف بمراكش ورجالها ولاسيما صلحاءها السبعة ـ يشغل باله ، وشرع فى نظم قصيدته الرائية التى سماها (تنظيم درر الجمال، فى مناقب أولياء مراكش سبعة رجال) ، وهي القصيدة التى وضع عليها عام 1325 هـ شرحاً سماه (إظهار الكمال ، فى تتميم مناقب سبعة رجال ، المشار اليها فى تنظيم درر الجمال) دون أن يصرفه هذا الاهتمام عن التدريس والتعليم ، أو يضعف ملكته فى العلوم الفقهية واللغوية التى كان علماً من أعلامها .

ولما ثار الأمير عبد الحفيظ بن الحسن الخليفة السلطاني بمراكش سنة 1325 هـ (1907 م) على أخيه السلطان عبد العزيز تألق نجم المؤلف فى الميدانين العلمي والاداري ببلده ، فعين كاتباً بالبنيقة الأولى التى تعنى فى الاصطلاح الاداري الحديث ديوان الوزير الأول ، ورقي فى السنة التالية الى المرتبة الأولى فى الهيأة العلمية المراكشية ، ولما خرج الخليفة الثائر من مراكش متوجهاً إلى فاس يريد الاستيلاء على العاصمة واقصاء أخيه عن الملك عين المؤلف قاضياً لمحلته ، وقد تكللت الحركة الحفيظية بالنجاح ، إذ استطاع مولاي عبد الحفيظ أن يهزم أخاه مولاي عبد العزيز ، فاحتمى هذا بمعسكرات الجيش الفرنسي بمنطقة الشاوية المحتلة ، واغذ ذاك السير الى فاس فاستولى عليها واستقر بقصورها واعترف به سلطاناً .

وخلال المدة التى قضاها السلطان الجديد فى الملك أقام المؤلف فى العاصمة يخدمه ، ويتصل بمن كانت تزخر بـه يومئذ من علماء وأدباء وقادة وسياسيين ، ويحضر مجالسهم وندواتهم ، ويشارك فى مناظراتهم ومذاكراتهم التى كان السلطان يرأسها بنفسه تارة ، وتجرى بأمره تارة أخرى تحت رئاسة واحد من كبار العلماء، ويُمكن أن تُعَدَّ هذه المدةُ من أخصب سني حياة المؤلف ، لأنه استطاع خلالها أن ينمي معارفه ويظهر مواهبه ويلفت اليه الأنظار ويطلع على الوان من الحياة وأوجه من المدنية لم يتح له أن يطلع عليها قبل الاستقرار بفاس ، كما استطاع أن يُقويَ مركزه الاجتماعي بمصاهرة بني الفاسي الفهريين ، من أشهر أسر فاس العريقة ، وبيوتها النابهة المجيدة .

ولما انتهى أمر السلطان مولاي عبد الحفيظ الى ما انتهى اليه وخرج من فاس مغاضباً الى الرباط فى صيف سنة 1912 (1330) عاد المؤلف الى مراكش ليشتغل بالتدريس ويحترف الافتاء والتوثيق ، فذاع صيته وحمدت طريقته ، فاستدعته الحكومة الى الرباط وعينته قاضياً بمجلس الاستئناف الشرعي سنة 1915 (1333) وبعد ثلاثة أعوام (1918 ـ 1336) نقل الى سطات قاضياً بمحكمتها ، ورئيساً لاستئناف أحكام قضاة دائرتها ، ثم نقل الى قضاء الجديدة فلم يمارسه الا ستة أشهر ، ثم عين قاضياً بمحكمة المنشية بمراكش سنة 1348 هـ فاستمر

يمارسه معروف الفضل ، بادي النباهة ، مقصود المحل ، معظماً من الخاصة والعامة ، مقبلا على تربية أبنائه وتأليف كتبه ، وطبع تاريخه ، إلى أن أحيل على التقاعد بضعة أشهر قبل وفاته يوم الأربعاء 20 شوال عام 1378 هـ (29 أبريل سنة 1959 م) (5) .

مـؤلفاتـه

وقد خلف القاضي عباس ابن ابراهيم مجموعة من الكتب النفيسة ، بعضها فى الفقه والحديث والأصول ، وبعضها فى الأدب والسياسة والتاريخ ، وقد استطعنا أن نتعرف منها الى كتابة هذا التقديم على عشرة نثبت أسماءها فيما يلي :

1) الأجوبة الفقهية مع الأحكام المسجلة ، فى أربعة أجزاء

2) اظهار الكمال ، فى تتميم مناقب سبعة رجال . وهو شرح لمنظومته المسماة (تنظيم درر الجمال ، فى مناقب أولياء مراكش سبعة رجال) طبع نصفه الأول بفاس طبعة حجرية .

3) الالماس ، فيمن اسمه العباس

4) الامتاع ، بحكم الاقطاع

5) الاعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ، وهو هذا الكتاب الذى نقدمه ، وسنتحدث عنه فى الفقرات التالية

6) تاريخ ثورة الشيخ أحمد الهبة بن الشيخ محمد مصطفى ماء العينين ، توجد منه نسخة محفوظة بمكتبة القصر الملكى بالرباط تحت رقم

7) حاشية على صحيح مسلم لم تخرج من مسودتها

5) أقبر بضريح سيدى محمد بن سليمان الجزولى بمراكش .

8) ديوان شعر

9) القضاء على الاسلام بيد أبنائه

10) شرح منظومة السلطان مولاي عبد الحفيظ العلوي لجمع الجوامع

الاعلام ، بمَن حلّ مراكش واغمات من الأعلام

هو أهم مؤلفاته وأشهرها ، والاسم الذى أثبتناه هو واحد من أسماء عشرة ترك المؤلف الخيار للقارىء أن يسمي الكتاب بأحدها (6) .

موضوعه كما يفهم بديهة من عنوانه : تراجم من حل مراكش وأغمات من الرجال النابهين ، سواء كانوا من أهلهما أو من غيرهم ، مع التمهيد لهذه التراجم بوصف المدينتين وبيان فضلهما وما خصتا به من المزايا كما يقتضيه المنطق وجرت به عادة من دونوا فى التراجم من المغاربة وغيرهم قبل المؤلف .

ولتأليف كتاب الاعلام قصة أشار اليها المؤلف فى مقدمته ، خلاصتها أنه كان وضع سنة 1325 هـ (1907 م) على منظومته الرائية التى سماها درر الجمال شرحاً فى مجلد ضخم سماه إظهار الكمال استوعب فيه مناقب الصلحاء السبعة (سبعة رجال) المشهورين بمراكش وأطنب فيما يتعلق بالتوسل والزيارة ، ولما عرض الشرح المذكور على العلماء والأدباء للتنويه والاشادة كان من بين مقرظيه محدث المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني الذى اقترح على المؤلف أن يشفعه بثان ، يملأه مثله بالجواهر والأفنان ، لأنه رأى منه عناية بهذا الشأن ، حاثاً إياه على ذلك ببعض الأثار المنسوبة الى الرسول عليه السلام ، مثل (من ورخ مومناً فكأنما أحياه ، ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره، ومن زاره استوجب رضوان الله . وحق على المزور أن يكرم زائره) ، وهو أثر يدل لفظه على وضعه وان كان معقولا ومقبولا جداً من جهة المعنى ، فاستصعب المؤلف الاقتراح واستعظمه ، لأن من سبقوه لم يتيسر لهم ذلك ، ولأن التآليف

---

6) انظر صفحة 28 من هذا الجزء .

المختصة بمراكش قليلة جداً ، يضاف الى ذلك أنه كان يومئذ (سنة 1327 هـ 1909 م) كان يقيم بفاس بعيداً عن كتبه وأوراقه التى تركها بمراكش ، ثـم لم يسعْه فى الأخير إلا أن يستجيب لداعي الشيخ عبد الحي ويعمل باشارته ، لأنه رأى أن عزمات الرجال تظهر نتائجها بكثرة الأشغال ، والهِمَم تجـود بمداومة العمل ، وتقصر عند سلوك طرق الاهمال والمَلَل (7) .

ومن ذلك الحين عكف المؤلف على جمع مواد الاعلام ، واستمـر يجمعها ويدونها ويرتبها ويضيف إليها خمسين عاماً ، مطالعاً كل ما يقع بين يديه من الكتب والأوراق والظهائر والرسوم لينتقي منها كل ما يمت بسبب وثيق أو واه الى مراكش وأغمات ومن ولد بهما أو زارهما من الملوك والوزراء والعلماء والأدباء والأولياء والصلحاء وحتى الحمقى والمجاذيب ، وقد يسمع بكتاب أو مستند فيه ذكر لهما أولهم فيرحل لرؤيته ونسخ ما يهمه منه ، سواء كانت الرحلة داخل المغرب أو خارجه ، زائراً لتحقيق غرضه كل سنة عواصم الاستشراق الأوربية مثل پاريس ولندن وليدن ومدريد عـلى جهله باللغات العجمية ، مستعيناً بقلمه المطواع وذاكرته القوية التى لا تكاد عينه تقع على مكتوب حتى يرسخ فيها ما فيه ، ومفنياً ماله لبلوغ هذا المرام الذى ملك لبه وسحر عقله وأصبح همه الوحيد ومطمحه الفريد حتى استوفى تأليفه فى هذه المجلدات الضخام ومات وهو يقول هل من مزيد ؟

ومن الانصاف للرجل والاقرار بالحقيقة أن عملا مثل هذا لا يطيق الاضطلاع به والاقتدار عليه الا الصابرون المتجلدون الذين يحتسبون المشقة أجراً وإجهاد النفس عبادة ، سيما وان المراجع التى استخرج منها هذا التاليف الذى يعد بحق موسوعة ذات أهمية مراجع يكلف النظر فيها واقتطاف ما يهم منها عناء ويرهق النفس عسراً ، إذ أكثرها مخطوط غير مطبوع أفسدته الرطوبة وعاثت فيه الأرضة وتماحت كتابته وتآكلت أطرافه وانبترت أوراقه لطـول الزمن وقلة العناية ، كما أنها متفرقة متوزعة فى أكثر من مدينة وقطر مما يعذر الالمام بجميـع جوانب حياة من يراد ترجمتهـم ويجعل وضع قائمة كاملـة

7) ص 23

باسمائهم أمراً مستحيلا ، وهذا هو الذى سبب كثرة الاضافات الى التراجم المكتوبة والزيادات المتلاحقة فى عدد التى لم تكتب ، ولو أن المؤلف تأخـرت حياته الى يومنا هذا لتضاعف العدد وتلاحق المدد وجاء كتابه فى عشرين مجلداً لا فى عشر مجلدات .

يشتمل كتاب الاعلام على مقدمة وأربعة فصول عدى التراجم ، وان جارينا المؤلف فى منطقه فان كتابه يشتمل على تصدير ثم مقدمة ذات فصول أربعة تسبق قسم التراجم ، أما التصدير فقد خصصه للحمد والتصلية وبيان الداعي إلـى تأليف الكتاب ، ومن أعجب ما فـى هذا التصدير إقحامه فيـه التقاريظ التى عملها العلماء والأدباء لكتابه (إظهار الكمال) وكان من حقه أن يثبتها فيه لا فى (الاعلام) . ولو اقتصر منها فيه على اثبات التقريظ التى كتبه الشيخ عبد الحي الكتاني لكان ذلك مستساغاً . لأن الشيـخ الكتاني اقترح عليه فيه تأليف كتاب جامع عن مراكش فكان اقتراحه هذا سبب انبعاثه للعمل وانصرافه للتصنيف ، فالمناسبة ظاهرة والعذر مقبول ، وأما المقدمة ذات الفصول المهمة على حد قوله فالفصل الأول منها يتضمن ذكر مراكش وتاريخ بنائها وبيان مؤسسها وجوامعها وبساتينها (أجنتها) وبركها وما كان لها من ضخامة الشان ، وشيد فيها من القصور العظيمة البنيان ، وفى هـذا الفصل يستعرض المؤلف ما كتبه الجغرافيون والمؤرخون القدماء عن مراكش فى كتبهم مثل الاستبصار فى عجائب الامصار ، والأنيس المطـرب بروض القرطاس ، والمعجب ، ومعجم البلدان ، ونزهة المشتاق ، والحلل الموشية ، وتقويم البلدان ، والذخيرة السنية الخ وقد يقف المؤلف بعض وقوف خلال هذه النقول لتحقيق تاريخ أو ضبط كلمة ، أو توضيح معنى ، معتمداً عـلى بعض كتب اللغة كقاموس الفير'وزابادي ، أو حتى على كتب الفقه والحديث كشرح الزرقاني لمختصر خليـل ، وشرح الأبى لصحيح مسلم ، وشـرح القسطلاني لصحيح البخاري ، ويختم المؤلف هذا الفصل بسرد أسماء مساجد مراكش ، وبيان عدد من فيها من المدرسين والواعظين والخطباء والعلماء ، والفصل الثاني خصصه المؤلف لأغمات ، وذكر ما لها من الخيرات والبركات، ناقلا ما كتبه فى ذلك الجغرافيون والمؤرخون المشار إليهم سابقا وغيرهم ،

سالكا نفس الطريقة فى ضبط الألفاظ وتوضيح المعاني ، والفصل الثالث سرد فيه أسماء الكتب المؤلفة فى البلاد والأقطار مرتبة على حروف المعجم ، وقد تصفح المؤلف لوضع هذه القائمة كتاب كشف الظنون من فاتحته الى خاتمته ، ولخص منه ما ذكره على وجه الاقتضاب ، وإضاف اليه ما ليس عنده مما حضرته حين التأليف أسماؤه مما يندرج فيه ويعد من جنسه ، وهــذه القائمة يفيد الاطلاع عليها المهتمين بعلمي التاريخ والأدب ، اذ سيجدون فيها أسماء عدد من الكتب التى تعنيهم فيما هم بصدده من البحث والتصنيف ، تلك الكتب التى فقد جلها وغاب عــن الأنظار معظمها ، والتى قد يهديهم وقــوع أبصارهم عليها الى صرف الهمة واعمال الحيلة فى التنقيب عنها ثم العثور عليها ، ولا يخلو هذا الفصل أيضا من استطرادات ، خصوصا صفحاته الأخيرة التى انتقل فيها المؤلف فجاة من سرد أسماء الكتب الى التكلم فى اللغــة وسوق نمادج من مواضيع علم البلاغة ، أما الفصل الرابع من المقدمة ، فقد بين فيه ما يندرج فى علم التاريخ من العلوم الشرعية ، مع إيراد مــا يناسب ذلك من فرائد الفوائد ، وفى هذا الفصل نقل أيضاً ما كتبه الأقدمون فى الانتصار للتاريخ والرد على من ذم الاشتغال به ، وذكر شروط المؤرخ، وبيان بعض اصطلاحات المؤرخين ، وفيه أيضاً استطرادات كثيرة لا علاقة بينها وبين عنوانه ، ومن أهم هذه الاستطرادات الاستطراد المتعلق بنسب البربر وتشعب قبائل المصامدة . وبانتهائه ينتهى التصدير والمقدمة ذات الفصول الأربعة التى سماها (الطالعة الزهراء ، فى فضائل أغمات ومراكش الحمراء ، وما يناسب ذلك من فرائد الفوائد الغراء) ، وكان الفراغ من كتابتها يوم 18 رمضان عام 1329 هـ ، وقــد شغل كل ذلك 159 صفحة مــن الطبعة القديمة ، و146 من الطبعة الجديدة .

وتجدر الاشارة الى أن الاستطرادات والخرجات التى حشي بهــا جوف هذه المقدمة حشواً ، والتى لا تستسيغها عقول المتمرسين بالأساليب الكتابية الحديثة التى تلتزم الدقة وتتقيد بوحدة الموضوع لا تخلو من فوائد عديدة لولاها لما بعثت من مراقدها أو لضاعت فضاع بضياعها علم كثير ، فكم اشتملت على أشعار وترســلات وعناوين كتب وأسماء رجال وتواريــخ

وأعلام جغرافية تفيد الباحثين والمنقبين عن تاريخ الأمة المغربية والساعين في إظهار عظمتها وتبيين ما أسدته عبر القرون للمجتمع الانساني من خير وفير عميم .

وبعد المقدمة يأتي قسم التراجم الذى أردد فيه ما قاله الأقدمون فى كل أمر عظيم مثله : حدثْ بما شئتَ عن بحر ولا حرج ! فقد حشر فيه أسماء جميع من وقف فى المراجع القديمة والحديثة على أنهم حلوا بمراكش وأغمات من عظماء الرجال سواء اشتهروا فى ميادين السياسة والحرب أو برزوا فى مجالات العلم والأدب ، أو بسقت دوحاتهم فى جنات التقوى والصلاح، مضيفاً إليهم حتى الذين لم يقف على دخولهم إياهما صراحة ، وإنما خدمتهم للملوك تقضي ذلك على اعتبار أن مراكش كانت عاصمة لثلاث من دول المغرب المجيدة ، ناقلا جميع النصوص المتعلقة بهم ، ومورداً أكثر ما وقف عليه من اشعارهم وأخبارهم وآثارهم نقلا عفوياً يخلو فى غالب الأحيان من المقارنة والتحقيق ، وحتى البتور والخروم التى يجدها فى الأصول التى ينقل منها أو الكلمات التى تعسر عليه قراءتها يترك بياضاً بقدرها فى كتابه كما يرى ذلك فى النصوص التى نقلها من كتاب (الذيل والتكملة) لمحمد ابن عبد الملك المراكشي . مرتباً ذلك كله ترتيب الألفبائية المغربية مقدماً الأحمدين والمحمدين على من عداهم تعظيماً لقدر الرسول الأمجد سيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفاقاً لتاج الدين ابن السبكي فى طبقاته الكبرى ، ولابن الأبار فى التكملة ، وابن الخطيب فى الاحاطة ، وابن فرحون فى الديباج ، وابن القاضي فى جذوة الاقتباس فى الأحمدين خاصة ، جامعاً بين أهلها والغرباء فى كل حرف من غير أفراد طبقة عن طبقة ، مورداً الأسماء المبدوءة بكل حرف فيه من غير مراعاة لترتيب الحروف الا فى الحرف الأول ، مقدماً الأقدم وفاة فى الأسماء المتعددة المتشابهة ، مرتباً الأسماء التى أصلها كنى فى الحرف الذى يلي الصدر ، فأبو بكر ينظر فى حرف الياء وأبو العباس فى حرف العين ، وأبو يعزى فى حرف الياء ، ذاكراً النساء فى آخر حروفهن من التراجم ، وهو فى كل اختياراته يقتدى بواحد أو أكثر ممن تقدمه من المؤرخين والمترجمين والنسابين مشارقة ومغاربة .

وقد استغرقت تراجم الكتاب أجزاءه العشرة باضافة مقدمته (الطالعة الزهراء) ، طبع المؤلف منها فى حياته الأجزاء الخمسة الأولى التى تتضمن المقدمة وتراجم الأحمديـن والمحمدين بالمطبعـة الجديدة بفاس ما بيـن سنتي 36 ـ 1938 م وبقيت الأجزاء الخمسة الأخيرة التى تتضمن سائر التراجم بدون طبع .

ولا أستطيع فى هذه العجالة أن أدعي أنني قمت بجرد شامل لجميع ما اشتمل عليه الكاتب فلا أستطيع بالتالي تحليله تحليلا علميا يستند الى الشواهد المقابلة والنصوص المقارنة ، لأن قراءة كتاب مثل الاعلام ، سيما أجزاءه الخمسة الأخيرة التى سأصفها فيما بعد تتطلب التفرغ لها الشهور ذوات العدد ، وكل ما أستطيع أن أقول عنه من خلال الارتسامات التى علقت بذهني أثناء تصفح أوراقه ومراجعة بعض تراجمه انه كتاب جمع عن مراكش وأهلها فأوعى ، ضمنه مؤلفه كل ما عثر عليه من أخبارها وأخبارهم بأسلوب فقهاء العصر الوسيط .

ولا يعنى هذا قدحاً فى حق المؤلف أو حطاً من قدره ، وانما أقصد أن همته همة مؤرخ وقلمه قلم فقيه ، ومهما كـانت المؤاخذات التى يؤاخـذه بها الناقد العصري المتقيد بقواعد النقد الحديثة فانه لا يستطيع أن ينال من فضله أو يقلل من أهمية كتابه ، ولو لـم يكن له من المزية الا إمضـاؤه نصف قرن فى جمع شوارده وتقييد أوابده وافناؤه الطارف والتالد وإنهاك القوة البدنية والتضحية بحقوق العيال لأجل ذلك لكفاه مجداً وفخرا بهذا الأثر الخالد الذى سيبقى من أهمّ مراجع التاريـخ المغربي وان طالت السنـون وتعاقبت القرون .

تحقيق الكتاب :

بدأ المؤلف طبع كتابه فى حياته ، واتفق مع طباع بفاس عنى الطبع ، فكانت نماذج المطبوع تبعث إليـه بمراكش للتصحيح ، ثم تعاد الى فـاس للاصلاح والطبع ، وكان يساعده فى مقابلـة أصله المخطوط بنماذج فرعـه

المطبوع أبناؤه ، ولاسيما ابنه السفير الوزير السيد البشير ، وقد ظهر جزؤه الأول سنة 1936 م وتوالى الطبع حتى بلغ عـدد الأجزاء المطبوعة خمسـاً سنة 1938 ، ثم اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية فحالت دون طبع بقية الأجزاء .

ومما يجدر ذكره هنا وهو يدل على تمام المروءة أن المؤلف والطباع اتفقا على أجر معلوم لقاء الطبع ، ولما بدأ الكتاب يطبع ارتفعت أسعار المواد فجأة بسبب البوادر التى كانت تدل على قرب اندلاع الحرب ، فطلب المؤلف التعاقد مع الطباع على أجر جديد مناسب قائلا إننى لا أريد أن أفقر الرجل على حساب كتابي .

وبمجرد ظهور جزئه الأول لفت الكتاب إليه أنظار الباحثين والمؤرخين، وتنافسوا فى اقتنائه ودل بعضهم البعض عليه ، وكم كانت حسرتهم كبيرة على توقف طبعه بعد ذلك وبقوا متلهفين لرؤية الأجزاء الباقية منه .

وتوالت الأحداث ... واستقل المغرب وتوفي المؤلف ، فلم يبخـل أبناؤه ـ وما منهم الا عالم أريب ـ على أحد به ، وأذنوا بنسخه وتصويـره وحتى طبعه لمن أراد ، وحفظ بالمكتبة العامة بالرباط مدة فنُمِّرت أوراقه وصورت صحفه ، ثم طلبت إعارته للخزانة الملكية فنقل اليها ، وأخيراً التمس من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني سفيره ووزيره الدكتور يوسف ابن المؤلف أن ينعم بطبعه بالمطبعة الملكية ، ولما بينت لجلالته أهمية الكتاب بالنسبة لتاريخ مراكش خصوصاً وتاريخ المغرب والأندلس عموماً أذن بطبعه وعهد إلي أن أشرف على ذلك بنفسي .

كان أول عمل قمت به أننى ألقيت نظرة فاحصة على أجزائه الخمسة الأخيرة التى تتضمن سائر التراجم عدى الأحمدين والمحمدين الذين تضمنت أسماءهم الأجزاء الخمسة الأولى المطبوعة ، فأذهلتنى هذه الكثرة الكاثرة من أسماء الرجال الذين منهم مَن أعرف ومنهم من أجهل ، وقدرت المصاعب التى ستعترضني لتنفيذ الأمر الملكى نظراً للخرجات التى ملئت بها هوامش جل صفحات الأجزاء المخطوطة ، فقد كان المؤلف يكتب الترجمة ثم لا يفتأ يضيف

إليها ويزيد عليها كلما عثر على شيء جديد يتعلق بصاحبها ، شارحاً لفظه أو منبهاً على خطأ ، وقد يعيد كتابة الترجمة بحواشيها وذيولها ثم يضيف الى الاضافة إضافة ويزيد على الزيادة زيادة ، وهو شيء يحدث لجل المؤلفين فيفهمونه هم ولا يفهمه غيرهم إلا بعد تحريره وكتبه بصفة نهائية ، فرأيت أن أبدأ برقن (1) الأجزاء الباقية ليمكن وضع خطة لتحقيق الكتاب قبل دفعه الى المطبعة ، وأبدت الكاتبة وهي ترقنه صبر أيوب لصعوبة الخط وتعدد الخرجات والجهل بالأعلام القديمة والاصطلاحات العلمية التى أصبحت لا يفهمها الجيل الجديد الذى يفهم أعلام عصره واصطلاحاته وأساليبه الكتابية .

ومن الحق أن هذا الرقن سهل العمل الى حد بعيد ، إذ صار من السهل أن تقارن النصوص المنقولة فيه بأصولها المخطوطة والمطبوعة ، أو يقارن الموضوع اذا لم يكن ما كتب فيه منقولا بما كتب غير المؤلف فيه ليحقق أعلاما ويضبط تواريخ ويصحح أخطاء ويشرح ما انبهم من المعاني والألفاظ ، ولفت نظرى أن المؤلف بعدما انتهى من طبع الأجزاء الخمسة الأولى التى تضمنت أسماء الأحمدين ثم المحمدين عاد فألحق بأول الجزء السادس أسماء أحمدين آخرين عثر عليهم بعد الطبع ونبه على أسماء محمدين جدد يريد إلحاقهم أيضاً ، كما لفت نظري أنه قد يترجم الرجل مرتين أو أكثر مرة مع اسمه ومرة مع كنيته ومرة مع لقبه أو نسبه ، ولم استسغ ترتيب الكنى فى الحروف التى تبدأ بها صدورها وهي طريقة جرى عليها عدد من الأندلسيين والمغاربة والمشارقة ،ولا يجري عليها ولا يستسيغها المحدثون الذين يفضلون عليها الطريقة الانسيكلوپيدية الجديدة التى تقتضي أن يرتب الاسم فىالمكان الذى يضعه فيه رسمه والنطق به بغض النظر عن صدره وعجزه أو أنه مجرد أو مزيد ، كما لم أستسغ ترتيب بعض التراجم التى اشتهر أصحابها بكناهم مع الأسماء التى لم يشتهروا بها ، فقلٌ من الناس مَن يبحث عن أبي العباس السبتي فى اسمه أحمد ، أو عن أبي يعزى فى اسمه يلنور ، فلهذا رأيت أن طبع الكتاب من بدايته وترتيبه ترتيباً جديدا أمرانْ مستحسنان

---

1) الرقن : الضرب على الآلة الكاتبة .

يجيزهما المؤلف رحمه الله لو بقي حياً ويجيزهما أبناؤه الذين ضربوا فى الثقافتين بسهم مصيب . وعدا هذا لم أتصرف فى الكتاب بزيادة ولا نقص الا حذف الكنى التى لا فائدة فى اثباتها ، اذ من المعلوم أن كل علي أبو الحسن ، وكل داوود أبو سليمان .

وكنت فكرت أن أضيف طائفة من تراجم الرجال الذين دخلوا مراكش أو ولدوا بها قديماً وحديثاً ممن غابت أسماؤهم عن المؤلف أو تأخر زمانهم عن زمانه تتميماً للفائدة ، ولكنى رأيت أن هذا العمل سيخرج كتاب الاعلام عن شكله الحقيقي فعدلت عن الفكرة وفضلت عليها أن يلحق به فى النهاية جزء مكمل له أضعه أو يضعه غيرى .

وعلى هذه الأسس وبكل هذه الاعتبارات قدم الكتاب للطبع .

وبعد فيسعدني أن أقدم هذا الأثر النفيس من آثار الوطن العزيز الذي يسجل طبعه منقبة من مناقب الملك العالم المثقف صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، ويخلد ذكر مؤلفه الذى لا يفي بشكره لسان ولا بتقدير عمله قلم ، وينير السبل أمام الباحثين والدارسين فى كل مكان ولاسيما جيل المغرب الصاعد الذى يعنيه كثيراً رفع الحجب المسدلة على مآثر وطنه المجيد .

الرباط ـ يوم الأربعاء { 23 شعبان 1394 / 11 شتنبر 1974 }

عبد الوهاب بن منصور





صورة المؤلف

العباس ابن ابراهيم السملالي فى شيخوخته

فى كتابي أثبتت صورة رسمى ... ليرى الناظرون رسمي جليـــا

صورتي رسم حليتي وتآلـــــ ... ـيفي بها صرت بالحياة حفيـا

آل مراكش فدونكم التــــــا ... ريخ روض الزهور أضحى جنيا

وهو ذوب النضار يبهر نـوراً ... لاتنوا فى اقتنائكم جوهريـــا

راغباً من مولاي عفواً ولطفـــا ... لم أكن بدعاء ربي شقيـــــا

شعر للمؤلف





صورة المؤلف

القاضي عباس ابن ابراهيم السملالي فى كهولته





بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه

الحمد لله الذى جعل للخلائق فى الأرض مساكن وأمصاراً ، وجعل لكل مصر مزية يمتاز بها مع أقطاره ترغيباً لأهله فيه ليكون لهم قراراً ، وفجر لهم ينابيع تنهمر انهماراً ، وأجرى فيها أودية وأنهاراً ، وأنزل من السماء غيثاً مدراراً ، وفتق الأرض بأنواع النباتات فأزهرت إزهاراً ، فهي بذلك تبتهج ابتهاجاً وتزدهر ازدهاراً .

شعر

تأمل فى نبات الأرض وانظر إلى ءاثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

ءاخر

وفى كل شيء له ءاية تدل على أنه واحد (I)

وأطلع لهم من الأشجار فواكه كثيرة وثماراً ، وأودع فى أصناف النباتات أدوية ومنافع تبصرة لمن استبصر واعتباراً ، وجعل لهم فيها رواسي شامخات كانت للأرض أوتاداً تمنعها من التحرك منة منه لكي يعتمروها اعتماراً، وهداهم فيها إلى زرع ما به قوام البنية اقتياتاً وادخاراً ، وأنبت النخل باسقات

I) راجع حاشية التفسير للعارف الفاسى عند قوله تعالى (وشاهد ومشهود) .

لها طلع نضيد رزقاً للعباد ، وجعل الأرض كفاتاً للأحياء والأموات ومنها إليه سبحانه يكون المعاد ، فحمداً وشكراً له سبحانه بديع السماوات والأرض حيث قال (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) . جعل سبحانه الناس طبقات ، وخلقهم بنين وبنات ، وشعوباً وقبائل ، الأواخر بعد الأوائل . وبعث فيهم رحمة منه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين ، فمن كتب سبحانه لهم السعادة أجابوا دعوتهم فرحين مستبشرين ، ومن حكم عليهم سبحانه بالشقاوة كذبوا واستكبروا ظلماً لأنفسهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وخصَّ مكة المشرفة أم القرى بأن بعث منها سيدنا محمداً سيد الأولين والآخرين ، وجعله خاتم النبيئين وأفضل المرسلين، عليه وعليهم أزكى صلاة وسلام الى يوم الدين ، فقام عليه السلام داعياً الى الله باذنه مبشراً ونذيراً لجميع العوالم ، وجعل مهاجره المدينة المنورة طيبة الطيبة المفضلة على سائر مدن الأقاليم ، وءاتاه جوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، وجعل أمته الهادين المهتدين أفضل الأمم . صلى الله تعالى عليه وسلم ، عدد جواهر المخلوقات وأعراضها فى ءافاق السماوات والأرضين ، وما فيهما من مساكن وقرى وأمصار وبحار وملائكة وإنس وجن وسائر المخلوقات مما لا يحصيه إلا خالقه رب العالمين ، فى كل لحظة وحين ، وعلى ءاله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ما تليت مناقبهم على صفحات الأعصار فكانت على احتوائهم على مجمع المفاخر برهاناً منيراً ، وعلى أصحابه الذين هاجروا فى نصرته ونصروه فى هجرته فنعم المهاجرون ونعم الأنصار ، ومحى الله تعالى بسيوفهم الشرك وجاهدوا فى الله حق جهاده وفتحوا الأقاليم والأمصار، فكانت مآثرهم أجلا من شمس الظهيرة ، ومقاماتهم فى الدين وتأييده وإذلال الشرك فخيمة شهيرة ، فدونت طبقاتهم ، وأدرجت فيها أحوالهم الشامخة ووفياتهم ، وروى منهم لنا فى الصحيح أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة ، ولما قدم أصيل الغفارى رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قبل أن يضرب الحجاب ، فقالت له عائشة رضي الله عنها كيف

تركت مكة ؟ قال اخضرت أجنابها وابيضت بطحاؤها ، وأعذق اذخرها ، وانتشر سلمها ، الحديث ، وفيه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك يا أصيل ، لا تحزنا ، أورده الخطابى فى غريب الحديث ، وهو عند أبى موسى المدينى فى الذيل من وجه ءاخر ، قال قدم أصيل فذكر نحوه باختصار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ويهاً يا أصيل ، تدع القلوب تقر ، وذكره الجاحظ فى كتاب البيان كما فى الاصابة ، وهو فى صحيفة 78 من ج 2 من البيان والتبيين ونحوه فى الاستيعاب وذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة عند ذكر حديث حب الوطن من الايمان الذى قال فيه إنه لم يقف عليه قائلا بعده ومعناه صحيح فى كتاب المجالسة للدينورى (I) من طريق الأصمعى سمعت أعرابياً يقول اذا أردت تعرف الرجل فانظر كيف تحننه الى أوطانه وتشوقه الى إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه ، ومن طريق الأصمعى أيضاً قال قالت الهند ثلاث خصال من الحيوان الابل تحن الى أوطانها وان كان عهدها بها بعيداً ، والطير الى وكره وان كان موضعه مجدباً ، والانسان الى وطنه وان كان غيره أكثر نفعاً . انتهى كلام المقاصد الحسنة ، واقتصر السيوطى فى الدرر المنتثرة بعد إيراد الحديث المذكور على أنه لم يقف عليه ، وذكر مجتهد الفقهاء والمحدثين والمفسرين الامام أبو جعفر الطبرى فى تفسير ءاية (ان الذى فرض عليك القرءان لرادك الى معاد) أي إلى مكة عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو فى التفسير من صحيح البخارى وتفسير سنن النسائى ، وروي عن مجاهد إلى مولده بمكة ، وقال السخاوى : ولما اشتاق صلى الله عليه وسلم الى مكة محل مولده ومنشئه أنزل الله عليه (ان الذى فرض عليك القرءان لرادك إلى معاد) أي الى مكة ، انتهى ، وراجع تفسير الامام ابن كثير ، ولله در سيدنا بلال اذ يقول

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة	بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة	وهل يبدون لى شامة وطفيل

I) فى الميزان أحمد بن مروان الدينورى المالكى صاحب المجالسة اتهمه الدارقطنى ومشاه غيره .

وقيل إن هذين البيتين اللذين أنشدهما بلال رضي الله عنه ليسا له ، بل هما لبكر بن غالب بن عامر بن الحارث ابن مضاض الجرهمى أنشدهما عندما نفتهم خزاعة من مكة شرفها الله ، وقيل لغيره كما فى عمدة القارى وقال بعض الأعراب

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... وأهلى معا بالمأزمين حلول
وهل أبصرنّ العيس تنفخ فى الثرى ... لها بمنى بالمحرمين ذميل
منازل كنا أهلها فأزالنا ... زمان به بالصالحين خذول

وقال ابن عنين المتوفى فى سنة 630

حنين الى الأوطان ليس يزول ... وقلب عن الأشواق ليس يحول
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... وظلك يا مقرى علي ظليل
دمشق فبى شوق اليك مبرح ... وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها ... عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصح نسيم الروض وهو عليل
وفى كبدى من قاسيون حرارة ... تزول رواسيه وليس تزول
ووالله ما فارقتها عن ملالة ... سواي عن العهد القديم يحول
ولكن أبت أن تحمل الضيم همتى ... ونفس لها فوق السماك حلول
فان الفتى يلقى المنايا مكرما ... ويكره طول العمر وهو ضليل

وهذه قصيدة مدح بها سيف الاسلام الملك العزيز ضغتكين أخ صلاح الدين الأيوبى رحل إليه إلى اليمن لما نفاه صلاح الدين لهجوه الناس ، وهو مترجم فى الوفيات والشذرات وغيرهما .

وأنشد أبو عبد الله العبدرى الحاحى فى رحلته عند ذكر مكة المشرفة :

الا ليت شعرى هل يساعدنى الوقت ... وتدنى لي الأيام ما نحوه تقت
وهل لى الى تلك المعاهد عودة ... بسكنى مغان قربها كل ما اشتقت
مغان حدانى الشوق والوجد نحوها ... مقيماً فاعطيت القيادَ وانسقت
وكنت على أن لا أفارقَ ربعها ... ولكننى من شُؤم ذنبيَ عُوقبْت

كأن لم يكن لى فى المحصب منـزل ... به من ضنى جسمى وقلبى افرقت
ولم يصف عيشى بالصعود على الصفا ... ولا اننى من صفو حال بها ذقـت
ولا رحت كالنشوان من طربى بـه ... ومن غير كاسات الهوى ما تروقت
أبارى غصون البان إما تمايلـت ... لان صرت مجموعا وكنت تفرقت
أطالع مـن ذالك الجمال مطالعـاً ... بها طال فى جنح الدجا ما تأرقـت
وكنت كغصن قد ذوى من صدى به ... فلمـا حللناها رويت وأورقـت

وقال الشاعر جميل

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلـة ... بـوادى القرى إنى إذاً لسعيـد
اذا قلت ما بـى يا بثينة قاتلـى ... مـن الحب قالت ثابت ويزيـد
وان قلت ردى بعض عقلى أعش به ... مـع الناس قالت ذاك منك بعيـد
فلا أنـا مردود بما جئت طالبـا ... ولا حبهـا فـيما يبيـد يبيـد
يـموت الهوى منى اذا ما لقيتهـا ... ويـحيى اذا فـارقتها فيعـود

وراجع صحيفة 161 من ج 2 من نهاية الأرب للنويرى .

ووردت رامة بنت الحسين بن المنقذ بن الطماح الكوفة فاستوبلتها، فقالت كما فى معجم البلدان :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلـة ... وبينى وبين الـكوفة النهـران
فان ينجنى منها الذى ساقنى لهـا ... فـلابد مـن عمـر ومن شنئـان

وفى المشرع الروى ، فى منـاقب بنى باعلوى للعارف بالله تعـالى سيدى محمد بن أبى بـكر باعلوى بعد أن ذكـر بيتي سيدنا بلال بن ربـاح ما نصه : وقد أخذ هذين البيتين السيد الجليل عمر بن عبد الرحمان صاحب الحمراء وغيرها بقوله

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلـة ... بـواد وحـولى عشرق ونخيـل
وهل أنظرن يوما قبوراً لسـادة ... وتبدو لعينى خيلة وسحيـل

وقال قـاضى قرطبة أبو عبد الـرحمن معاوية بن صالح الـحضرمى الحمصى شيخ الليث بن سعد يتشوق الى معاهده بالشام :

أيهـا الـراكب الـميمم أرضـى　　إِقر من بعضيٍ السلامَ لبعضـى
إن جسمى كـما علمتَ بـأرض　　وفـؤادى ومالكيه بـأرض

وقال الامام أبو بكر بن العربى المعافرى نزيل مراكش :

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلـة　　مـن الدهر لا أخشى ولا أترقـب
وبـى ظمأ بـرح الى ورد منهـل　　يطيب بـه صرف المياه ويعـذب
بمشرعة الكرخ التى لم نزل بهـا　　يلذُّ لنا شرخ الشباب ويعجـب
وكم شارب للماء فى غير أرضـه　　وقـد غبت عنه ماء عينى أشـرب

وهي قصيدة طنانة ذكـر منها جملة صالحة فى بغية الملتمس فـى تاريخ رجال أهل الأندلس أبو العباس الضبى نزيل مراكش فراجعها فى ترجمة قائلهـا ·

وقال أحمد بـن عبد ربه صاحب العقد الفريد المترجم فـى البغية المـذكورة :

الجسم فى بلد والروح فى بلـد　　يا وحشةَ الروح بل يا غربةَ الجسد
إن تبك عيناك لى يا مَن كلفتُ بـه　　من رحمة فهما سهماك فى كـبدى

وهما من شعره السائر .

وقال أبو تمام :

بالشام قومى وبغداد الهوى وأنـا　　بالرقمتين وبالفسطاط جيرانـى
وما أظن الهوى يلقى مراسيَـبهُ　　حتى يُبلغَ بـى أقصى خراسان

وقال النور الأسعردى

أقـول لقلبى حين جدَّ به الأسـى　　لك الله من قلب صبور على الوجـد
أفى حلب جسمى وقلبى بجلّـقٍ　　وصحبى ببغداد وأهلى بأسعـرد

وقال شمس الدين بن يوسف الجزرى مجيزاً ابن رشيد الفهرى :

أرى صدرى وقلبى ليس يقضـى　　عـلى شمليهما غيـر افتـراق
ففـى مغنى الجزيرة لى خليـل　　وفـى مصر وءاخـر بالعـراق
وخـدن بـالشئام بـأي مغنـى　　أقـمت به أحـن الى البواقـى

يــؤنسني ويؤيـــسني حبيـب ... وأنـظر فـى اللقـاء الى الفـراق
فـأشجى للــدنو وللتنــائـى ... وأبــكى للــوداع وللتــلاقـى
فـجفنى لا يــزال طليـق دمــع ... ولا ينفـكُ قـلبى فـى وثـــاق
ومفترقــان لى قــلب وصــدر ... ومتفقـــان دمعـــى والأمــاقـى
وقــد زعموا الـهوى حلو ومــرٌّ ... وعندى كـــله مرُّ المـــذاق

وقال أبـو عبد الله أحمد بن الخياط الـشاعر المشهور المعـروف بابن سنا الدولة الطرابلسى المتوفى فى رمضان سنة 517 بدمشق :

وبالجزع حيٌّ كلما عنَّ ذكرهـــم ... أمات الـهوى منى فؤاداً وأحيـــاه
تمنَّيتُهُم بالرقمتَيْن ودارهـــم ... بوادى الغضا يا بُعدَ ما أتمنـــاه

وقال الحاكم الفاضل موفق الدين عبد الله بن عمر المعروف بالورل المتوفى سنة 677 :

يذكرنى نشرُ الحمى بهبوبـــــه ... زماناً عرفنا كـــل طيب بطيبـــه
ليال سرقناها من الدهر خلســـة ... وقـــد أمنت عيناي عينَ رقيبـــه
فمن لى بذاك العيش لو عاش وانقضى ... ليســكن قلبى ساعة من وجيبـــه
ألا إن لى شوقاً الى ساكن الغضـــا ... أعيذُ الغضا من حره ولهيبـــــه

وقال أبو حيان النحوى

يا فرقة أبدلتنى بالسرور أســـى ... وأسهرت ناظرى قد طالما نعســـا
أنى يـكون اجتماع بين مفتـــرق ... جسم بمصر وقلب حل أندلســـا

ورأيت فى ديوان علامـة الأعصار والامصار ، أبى علي الحسن بـن مسعود اليوسى نزيل مراكش بجمع ولده العالم المشارك أبى عبد الله محمـد نزيلها أيضاً ما نصه : وقال أيضاً وقد جرى يوماً ذكر البيتين اللذين أنشدهما سيدنا بلال رضى الله عنه فهاج لـه الى الأوطان اشتياق ، فقال على نحو هـذا المساق ، وهو إذ ذاك بمراكش أعوام التسعين والألف :

الا ليت شعرى هــل أبيتن ليلــــة بسهب الشنيّن أو بسهب بنى ورا
وهل تعبرنْ نهرَ العبيد ركائبــى وهــل تتركن دايا وأدواءهـــا ورا
وهل أردن عسلوج يوماً فاشربن مياهاً بــه تحكى رحيقا وكـــوثرا
وهــل تمرحن خيلى بذروة أمنـــا وبطنانها من قبل أن يحفر الثـــرا
وهل أكحلن يوماً جفونى بنظـــرة إلى الأرزات الفــارعات فتبصـــرا
وهل أدفعنْ جيش الهموم ببسطــة مع الحيّ فى تلك الديار فتقصـــرا

نهر العبيد هو واد العبيد ، ودايْ هي معروفة قرب الصومعة بتادلــة وكلتاهما قرب قصبة بنى ملال ، وهي كــثيرة الأمراض والــوخم ، وعسلوج والذروة أماكن ببلاده بملوية ، والأرزات الفارعات شجر معروف بتلك الجبال أعنى فازاز، وكذلك سهب الشنين وسهب بنى ورا الكل معروف ببلاد النخيل، وذكر أيضاً أنه قال لما كان بمراكش سنة أربع وتسعين وألف يذكر وطنه :

تــمزق قلبى فى البلاد فقسمــــة بمراكــش منه عــلى رجل طائـــر
وأخــرى بخلفون وأخرى مقيمــــة بمكناسة الزيتون حول الدفاتــــر
وأخرى بــفازاز وأخرى تجـــزأت بـــملوية الأنــهار بين العشائـــر
وأخرى بذاك الغرب بين أحبتــــى بـأهل البوادى منهم والحواضـــر
فــيارب فاجمعها فانـــك قـــادر عــليها ومــا غيــر الالــه بقـــادر
ويـــارب فاجعلها بأوطانها فمـــا عــبيدك للــبين المشت بصابـــر

وبعدها ستة أبيات راجعها فى الديوان المذكور .

وفيه ما نصه :

وقال أيضاً أيامَ مُقامه بمراكش يحِنُّ إلى وطنه ، وذلك سنة أربع وتسعين وألف :

فأسأله ان يجمع الشمل والمنــى هناك بمن أهوى سريعا كما أهوى
فقد طال ما بينى وبين معاهـــدى وما أستطيع الصبرَ عنها وما أقوى
فــلله أرض لم يسئونى هواؤهـــا ولا ماؤها الأصفى لذى الصدفى الأروا
ولا عيشها الرغد المريء ، ولا تقس به المنّ فى ذكر النعيم ولا السلوى
ويحسب قوم أن سنألف أرضهـــم وهل رأوا الظلمان تألفهـــا الأروى

وهل رأوا الطير المقفص ساليـــاً ... وضب الكدى يوما مع النون فى مأوى
نعم قد رضينا ما قضى الله والرضى ... من العبد عنوان المبرة والتقـــوى

وقد سبقه الى هذا الوزن والقافية رجل من الأزد حيث يقول :

وهل أردنّ الزهر روضة سربـخ ... وهل أرعينْ ذودى بمخصبها الأحوى

وروضة سربخ ببلاد اليمن .

وأنشد أبو زيد فى ابتهاج القلوب لسيدى العربى الفاسى لـما تغرب عن وطنه :

وظمئان حران الجوانح من أســى ... يـساق إلى الورد الـزلال فيابـى
ينـــكب عن عذب الفرات لأنـــه ... يرى كلّ مادون الرضابِ سرابـا
وأي بـلاد غير فـــاس تروقـــه ... وقد شبّ فى أحضان فاس وشابا
يرى كل ترب دون تربتها قـــذى ... ويحسب مـا فوق التراب ترابـــا

وقلت فى معارضة هذه الأبيات :

دعانيّ من فاس فان عقابـــــــه ... عـقاب وليست فى العقاب عقابـــا
بمراكش الحمراءِ مسقطِ هامتـى ... أهـــيم وألـفى ما سواها ترابـــا

فالعقاب الأول جمع عقبة ، والعقاب الثانى مصدر ، والعقاب الثالث بمعنى الأول ، وعُقاب فى قافية البيت اسم طائر معروف .

وفى بجاية يقول بعضهم من مخلع البسيط :

بـــجايـة كـــلها عـقـــاب ... الـــمشيْ فـــى أرضها عقـــاب
يـــخفق فـى طـــرقها فـــؤاد ... كـــخرنق صـــاده عـــــقاب

وهو من تـوارد الخواطر ، فاننى ما وقفت عليها إلا بـعد أن نظمت البيتين السابقين بمدة ، ثم وقفت عـلى قول أبى جـعفر بن عبد النور أستاذ مالقـــة :

بـــطريق أيـلة أجـبل وعقـــاب ... لا يـــرتجى فيها النجاةَ عقـــاب
فـــكأنما الماشى عـليها مذنـــب ... وكأنـــما تلك الـــعقاب عقـــاب

وعلى قول الخطابى :

سلكـــنا عقاباً فى طريق كأنهـــا — صياصي ديـوك أو أكف عـــقاب
ومـا ذاك إلا أن ذنبى أحاط بـــى — فــكان عقابى فى سلوك عقـــاب

وقال أبو العباس أحمد بن صالح السينكى :

بـــلادى وان جارت علي عزيـــزة — ولو أنــنى أعرى بـها وأجـــوع
وما أنا إلا المسك فى غير أرضكم — يـضوع ، وأما عندكم فيضيـــع

ولعالم أهل البيت وشاعرهم مولاى محمد بن مولانا أمير المومنيـن سيدنا إسماعيل العلوى صدر قصيدة طنانة يمدح بها شيخه العلامة أبا عبد الله محمد بن أحمد القسنطينى وأجابه عنها بنظيرتها ، نص المقصود من الأولى وهي على رويّ قصيدة اليوسى المتقدمة ووزنها :

ألا ليت شعرى هل أسرح ناظرى — ولـلانس إقبال بوادى الجواهـــر
أمـــتع طرفى فى رياض أنيقـــة — وأقطف أزهاراً بـــها كالزواهـــر
بحيث نرى أسدَ العرين صريعـــة — وقد فتكتْ فيها ظباءُ المقاصـــر
وحيث نرى غلب الحدائق سلسلت — حديثاً صحيحاً عن نسيم الأزاهـــر
وقد نسجت كف النسيم عشيـــة — دروع مياه بـــين تـلك النواعـــر
وأصبحت الأطيارُ فوق غصونهـــا — فصاحاً تقص فوق خضر المنابـــر
ســقى الله أدواحاً بفاس عهدتهـــا — تـغازل أنـداء الغيوث المواطـــر
ولا بـــرحتْ عينٌ تراها قريـــرة — وان قذفت بـالقلب جمرة حايـــر
لــك الله من إلف بدرعة جسمـــه — وقـلب بفاس فـــى قدامة طائـــر
تراوحه الأشواق فـــى كل ليلـــة — فــما بين مـزور هواه وزائـــر
ولـــو أنه يعطى عـلى قدر قـــدره — لـكان له ما بـــين بسر وباســـر
فـــمن مبلغ عنى رسالة شيـــق — الى عالم الأعلام صدر الأكابـــر

ولبعضهم كما فى رياض الورد لقاضى مراكش العدل أبى الفتح محمد الطالب ابن أبى الفيض حمدون بن الحاج :

فاس لعمرى هي الدنيا بأجمعهـــا   لو لم يك القلب فيها ضيقا حرجـا
من حل ساحتها لم ينج من كـــدر   كـــأنما هـــمها بمائها مزجـــا

ونسبهما عالم مراكش تلميذه أبو عبد الله محمد بن معطى السرغينى فى فهرسته حدائق الأزهار . فى ذكر معتمدى من الأخيار . لابن الـخطيب السلمانى ، وهما أدون نفساً من شعر ابن الخطيب بكثير ، وخمسهما مَن قال:

أمتعتُ فكريً فى الدنيا وبهجتهـا   وثـقت آن لفاس حسن شكلتهـــا
وقلت إذ ولعت نفسى بجولتهـــا   فاس لعمرى هي الدنيا بأجمعهـــا
لو لم يك القلب فيها ضَيِّقاً حرِجا
فـكن لطبعتها يا صاح في حـــذر   وجزْبها سكناً واحتل على سفـــر
قد قيل فى وصفها فى سالف الأثر   مَن حلَّ ساحتَها لم ينجُ من كدر
كأنـما همُّها بمائها مُزِجــــا

وسبب ذلك أمران : كثرة التوسعات وتوغلها فى الجبال الباردة . راجع مقدمة الواعية النقادة أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون نزيل مراكش .

ورأيت فى ديوان الوزير الأصعد، الفقيه الامجد، أبى عبد الله محمد بن ادريس الزمورى الفاسى نزيل مراكش بجمع ولده الرئيس الأسعد الفقيه أبى العـلاء ادريس صاحب تحفة العزيز نزيلها أيضاً ما نصه : وله رحمه الله يتشوق الى مراكـش :

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلـــة   بـمراكش حيث الغريبُ عزيـــز
وهل أردنْ من واد صبرة منهـــلا   وهل يـبدونْ لى رمـرم وجليـــز

قلت الذى أنشدنيه بعض الأدباء بدل ما أنشده جامع الديوان مـن قـولـه :

وهل أردنْ من واد صبرة منهـــلا   وهـــل أردنْ يوماً مياهَ غديـــره

ومراده والله أعلم بغديره البركة التى يجتمع فيها ماء سيول المطر خارجَ باب الرب أحد أبواب مراكـش المعروفة اليوم بصهريج البقَر ، وهي

من مصانع أمير المومنين عبد المومن بن علي الموحدى ، وكان يأمر الأطفال الذين يجمعهم للتأديب والتربية والقراءة بالعوم فيها وأن يجروا فيها الزوارق .

(تنبيه) كليز المتقدم هو جبل" مطل" على مراكش ، ورمرم بقربه ، ويقال فى جليز ايجليز ، وقد تصحف على صاحب معجم البلدان وصاحب القاموس فذكرا أنه بالنون إيجليسن ووقع لهما الوهم فى ذلك من ظنهما أن إيجلين الذى ببلاد هرغة من المصامدة هو إيجليز المطل على مراكش مع أن الأول ذكر الموضعين ونصه إيجليسن بفتح الجيم وكسر اللام ونون قلعة حصينة فى بلاد المصامدة من البربر بالمغرب فى جبل درن ، منها كان مخرج أبى عبد الله محمد بن تومرت المصمودى الملقب بالمهدى صاحب عبد المومن بن علي سلطان المغرب ، ثم قال إيجلين جيمه تشبه القاف والكاف وياء ساكنة ولام مكسورة وياء أخرى ونون جبل مشرف على مدينة مراكش ولا أدرى لعله إيجلين المذكور قبل هذا والله أعلم ، قلت أما ماترجاه فليس الأمر كذلك ، فان الأول ببلاد هرغة ، قال المحقق ابن خلدون فى تاريخه صحيفة 227 من ج 6 عند ذكر ترجمة المهدى المذكور ما نصه : ثم ارتحل المهدى عنهم يعنى عن هنتاتة الى إيكيلين من بلاد هرغة ، فنزل على قومه وذلك سنة 515 وبنى رابطة للعبادة فاجتمعت اليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة فى التوحيد باللسان البربرى هـ . فقد تصحف على ياقوت إيكليز الجبل المطال على مراكش الذى هو بالزاي بايجلين بالنون الذى هو من بلاد هرغة ، صار يترجى أنهما واحد مع أنه ذكر اختلاف حقيقتيهما ، فالأول قلعة حصينة فى جبل درن ، والثانى جبل مشرف على مراكش منقطع عن جبل درن منه ، والراقى عليه ينظر مدينة مراكش وبسيطها المديد الفسيح ، وهو الذى نزله الشيخ الأكبر أبو العباس السبتى رضى الله عنه لما أتى الى مراكش ووجدها فى الحصار كما سياتي فى ترجمته إن شاء الله ، وخلوته ما زالت به الى الآن فى قنته ، وهو من منتزهات أهل مراكش فى وقت الربيع تكون فيه وفى سفحه أنواع الأزهار ، وتخضر حوله إذ ذاك الزروع وأفنان الاشجار ، وتغرد بنغماتها فيه الأطيار ، يفد إليه الناس فرادى وأزواجا ، ويتملون به سروراً وابتهاجا ، وقد حدثنى بعض الفضلاء الراحلين الى الحجاز ممن رءا جبل إيكليز أن ارتفاعه يكون قدر ارتفاع جبل

عرفة ، كما أخبرني فاضل ءاخر أن مدينة مراكش كثيرة الشبه بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام في كثرة نخيلها واحمرار تربة سورها وكونها في مُستو من الأرض .

وذكر العبدري في رحلته أن ببلاد الصحراء مدينة يقال لها تادمكة أي هذه مكة أي مشبهتها كما وصف المدينة المنورة بالأوصاف التي قدمنا وقد تبع ياقوت على هذا التصحيف كما قدمنا صاحب القاموس ، وقد كنا نبهنا في إظهار الكمال على غلط صاحب القاموس في ذلك والعذرُ لهما أنهما ليسا من أهل البلاد ، والعجب من محشي القاموس العلامة ابن الطيب حيث سكت على ذلك في حاشيته مع أنه مغربي ، وتبعه على سكوته تلميذه الشيخ مرتضى ، وأقول كما قال الراوية المحدث الواعية . النقادة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن مسعود العبدري الحاحي نزيل مراكش في رحلته لما ذكر أغلاطاً وقعت في البلدان ، وصدرت من أهل الاتقان ، ما نصه : وذلك غير مستنكر فان من لم يشاهد الشيء يصعب عليه وصفه ، فقلما يسلم فيه من الغلط والله تعالى أعلم . وسياتي التصريح عن الادريسي بأن إيجليز هو جبل صغير حول مراكش وليس حولها شيء من الجبال غيره .

وأنشدني بعض الأدباء للوزير ابن ادريس أيضاً يتشوق الى فاس :

الا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة	بفاسٍ وحولي من مُناي َ ثلاث
مغان بها أغنى وأهل وجلة	أجل بهم بين الورى وأغاث
وهل أردنْ واد الجواهر جهرة	وهل يبدونْ لي زالغ وتغاث

وهذه الأبيات الثلاثة ليست في الديوان المذكور أيضاً ، وقد اعتذر جامعه في أوله بأن شعر والده تفرق شذر مذر ، ولم يجمع إلا ما بقي في بطون الأوراق ، وصدور أهل الأذواق ، والوزير ابن ادريس رحمه الله تبع الجوهري وغيره في أن المُراد بشامة وطفيل جبلان ، فلذلك ذكر جبلي فاس وجبلي مراكش ولم يات في النسج على منوال بيتي سيدنا بلال برويٌ الأم مع أن الخطابي قال كنت أحسب أنهما جبلان حتى أنبئت أنهما عينان ، فلذلك قلت

ءاتياً بحرف اللام روياً . ملقياً دلوى فى المساجلة بين هؤلاء الشعراء الفضلاء وان لم أفر فريا :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلـــة بـمراكـــش إنـــى اذاً لنبيـــل
وهــل أردنْ يوماً معين عيونهـــا وحـــولـيّ جنات بــها ونخيـــل

ومياه مجنة قال أبو الفتح يحتمل أن تسمى ببساتين تتصل بها وهي الجنان ، فقوله (وحولى أذخر بها وجليل) أتيت فى مقابلته بقولى : (وحوليّ جنات بها ونخيل) .

وقوله :

وهــل أردن يــوما مياهَ مجنـــــة وهــل يبدونْ لى شامة وطفيـــل
أشرت إليه فى قولى (وهل أردن يوماً معين عيونها) فأحسنت فى الأخذ واستوفيت المساق .

وقلت أيضاً

بمراكــش الحمراء قــلبى معلـــق وجسمى بــفاس بالبِعادِ يُمــزّق
وفى فـــاس الـــعليا غزال عيونــــه رمت أسهماً تصمى فؤادى وتخرق
فيا هل ترى أسرى يحل وثاقــــه ويــجمع شمــلى ثــم لا يتفـــرق
توالت علي غربة البين حقبـــــة فيا ليتنى بالبَيْـن لــم أكُ احــرق
مضى زمن بالوصل يحلو اذكـــاره وهذا زمـــان قد أظـــل مفـــــرق
خليلي أما العين فهي سخيـــــــة بدمع ، وأما النوم فهي تـــــــؤرق
فما رأيكم لا خيَّب الله سعيكـــم أفيدوا الكئيب ما لديكم يحقـــق

وما الطف قول المتنبى :

الا ليت شعرى هل أقول قصيـــدة فـــلا أشتكـــى فيهـــا ولا أتعتـــب

راجع 115 من ج 1 من شرح ديوان المتنبى للعكبرى .

وقال أبو محمد عبد المنعم الحرانى المتوفى سنة 601 المترجم فـــى الشذرات :

وأشتاقكم يا أهل ودى وبيننـــــا كما زعم البين المشت فراســـخ
فأما الكرى عن ناظرى فمشـــرد وأما هواكم فى فؤادى فراســـخ

وما أحلى ما أنشده الفقيه النظار ، أبـو إسحاق الشاطبى فى كتابه الافادات والانشادات عن الفقيه أبى عبد الله الشريشى ، عن الحاج أبى عبـد الله محمد بن عبد الواحد الرباطى من رباط تازى ، عن تقي الدين لنفسه فـى معنى رقيق حجازى :

اذا كنت فى نجد وطيب نسيمـه تذكرت أهلى باللواء فمحمـــرى
وان كنت فيهم زدت شوقاً ولوعـة الى ساكنى نجد وعيل تصبـــرى
فقد طال ما بين الفريقين موقفـى فمَن لى بنجد بين أهلى ومعشـرى

وما أحسنَ قولَ مَن قال بعد أربعة أبيات أنشدها فى المشرع الروي:

إن البقـاع إذا نظـرت رأيتهـــا تشقى كما تشقى الرجال وتسعـد

وأنشدنى صديقنا فارس ميدان الفصاحة والبراعة ، ومرعف أسنـة أقلام اليراعة ، العلامة المشارك الوجيه ، المؤلف الناظم الناثر النبيل ، شاعر المغرب وكاتبه الوحيد ، الرئيس المتفنن الجحجاح الصنديد ، أبـو العباس السيد أحمد بن قاضى مراكش العلامة الكاتب الابرع ، البليغ النابغة المصقع ، السيد عبد الواحد بن السيد محمد الشهير بابن المواز لنفسه ونقلته من خطه :

ولما رأيت الشيقين لأرضهـــــم يبثون حزناً من نواهم مبالغـــا
عذرتهم عذراً وزدت تشوقــــا لمسقط رآسى لم أكن عنه زائغـا
ألا ليت شعرى هل أدوم ممتعـاً به عن رضى أرعى تغاث وزالغـــا

وهو رعاه الله أحد مقرظى كتاب إظهار الكمال بنثر يفوق كمائم الزهر ، ونصه

الحمد لله الذى يسر كـلا لما خلق له ، وأبرز بقـدرته ما خصصـه بارادته وعدله ، وألهم الهمم الهائمـة الى استمطار الديم الدائمة ، والعزائـم

الطامحة الى استحصال المتاجر الرابحة ، وخص من وفقهم بانتهاج مناهج ذوى الخصوصيات والولاية ، والترقى الى معارج أهل الكرامات والعناية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من اهتدى ، وقدوة من اقتدي به واقتدى ، الذى كانت كرامات الأولياء تأييداً لمعجزاته وتصرفاتهم فى العناصر الكونية من دلائل ءاياته ، والرضى عن ءاله وأصحابه ، الحافظين لأسرار حقائق عرفانه ، والصادعين بأحكام شريعته وبيانه ، وبعد فيقول عبد ربه ، ورهين كسبه ، أحمد بن عبد الواحد ابن المواز السليمانى نسباً الفاسى منشئاً وداراً ، قد سرحت سوام النظر فى تأليف محبنا الخير الدين ، الفقيه العام المتحلى بمحاسن الشمائل ، المقتطف لثمار العلوم من يانع الأفنان وملتف الخمائل ، الكاتب البارع ، السيد عباس بن إبراهيم المراكشى ، فوجدته روضة أخذت زخرفها وازينت ، وتبصرة تشاكلت فروعها وتبينت ، جعله فى مناقب ساداتنا سبعة رجال ، المشهورين بكمال المقامات والأحوال ، تأليفاً يود الذهن أن يدوم له أنيسا ، والنفس أن تجعله لتعقلاتها عقداً نفيسا ، ألم فيه بما تفرق فى عدد كثير من التآليف ، وحرر فيه التحليات والتواريخ والكرامات والتعريف ، وأتى من ميراث النوادر الأدبية وتعصيبات الفوائد العلمية بالتالد والطريف ، فوفى للعزائم برغائبها ، وأكرع هيم الهمم فى مشاربها ، جالت منه فى ءاجام الخصائص أنامل حاطب ، وقابل مقبولات ءاثارها المحررة بهمة خاطب ، لم يترك نقلا إلا أسنده ، ولا احتجاجا الا أيده ، وسلك فى شرح قصيدته الرائية ، مسلكا جامعاً بين الاشارات والفنون الآلية ، وختم بجوامع الابتهالات والأدعية ، والتوسلات المرضية ، وذيل بما فيه للأرواح تصفية ، وللخواطر تسلية ، فكان تأليفاً فى موضوعه كافياً ، وبمواعد العناية والاعتبار وافياً ، نسئل الله تعلى أن ينفعه ببركات أولائك الأقطاب ، ويلبسنا وإياهم من أسرار كراماتهم أفضل لباس وخير جلباب ، وأن يداركنا سبحانه بعنايته ومحبة خير خليقته ، مدراكة تسلخ الطبائع من غواشيها ، وتطهر الهمم من الالتفاتات لعوارض تلاشيها ، حتى نغترف من موارد صفائهم ، ونستظل بمديد أفيائهم ، ونتعالج بسؤر أذواقهم ، والتخلق بأخلاقهم ، فباب عناية الله للمخلصين مفتوح ، وعزم المومن لتلقيات المواهب اللدنية بواسطة الأنوار

المحمدية طموح ، كمل الله الرجاء المبني على صدق النية والتسليم ، ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ الى صراط مستقيم ، وقد تذكرت بهذا تاليفاً في مناقب هؤلاء الأقطاب الكمل ، كان ألفه والدنا رحمه الله عام سبعة وتسعين حين ولايته القضاء بمراكش ، وهو بالخزانة الملوكية هنا بفاس من عهد مولانا الامام المقدس مولانا الحسن نعمه الله ، ونسئل الله تعلى أن يتجلى بالطافه على هذه الرعية الاسلامية ، ويؤيد مولانا أمير المومنين بتأييدات ربانية ، ويصلح به وعلى يديه ، إنه ولي ذلك والقدير عليه ، والحمد لله رب العالمين . وفي ثاني وعشري رجب عام 1326 هـ .

وبعد فيقول عبد ربه، الوجل من سوء كسبه، عباس بن محمد ابن الفقيه أبى عبد الله محمد ابن الأستاذ أبى إسحاق ابراهيم المشهور بالنسبة اليه ابن القاضى أبى علي الحسن بن محمد فتحا المراكشى الدار والقرار ان علماء التاريخ استوعبوا الأخبار ، وبينوا ما فى الأرض من القرى والأمصار ، وجزائر البحار، بحيث لم تبق بلدة ولا دولة ولا صاحب مذهب وجماعة ، ولا علم وصناعة ، وفن وطريقة الا اختص بتاريخ كامل ، وكتاب لأحوال ذلك شامل ، مثل تاريخ المدينة ، ومكة ، والطائف ، ووج ، واليمن ، وزبيد ، وصنعاء ، والشام ، ودمشق ، والقدس ، والخليل ، وحلب ، وأنطاكية ، وحمص ، وصفد ، وقنسرين ، ومدينة السوس ، والعراق ، وبغداد ، والبصرة ، وسامرا والكوفة ، وواسط ، والجزيرة ، والأنبار ، وميافارقين ، ومصر ، والقاهرة ، والروضة ، والصعيد ، والاسكندرية ، وأسوان ، وأرض الحبشة ، وخلاط ، والمراغة ، وحران ، والموصل ، والأهواز ، وشيراز ، وأرمينية ، وأربل وهمذان ، وقزوين ، وري ، واصبهان ، وطبرستان ، واستراباذ ، وجرجان ، وخراسان ، ونيسابور ، ونسا ، وهراة ، ومرو ، وخوارزم ، ودنيسر ، وبخارى ، ونسف ، وكش ، وسمرقند ، وأبيورد ، وقسطنطينية ، والأندلس، وغرناطة ، وقرطبة ، ومرسية ، وبلنسية ، ومالقة ، وبطليوس ، وأفريقية ، والقيروان ، وتلمسان ، وسبتة ، وفاس ، ومراكش ، ومكناسة ، وسلا ، وغيرها ، وطبقات الخلفاء والسلاطين ، والملوك والوزراء والصحابة والتابعين، والمجتهدين والمفسرين والمحدثين ، والقضاة ، والمالكية والحنفية

والشافعيــة والحنبلية ، والصوفية ، والأوليــاء ، والنساء ، والمتكلميــن ، والنحاة واللغويين ، والبيانيين والعلماء والفرسان والفرضيين ، والأطبــاء والحكماء ، والمعبرين والأصوليين والحفاظ ، والراوين والأدباء ، والــكتاب والنسابين والقراء ، والخطاطين والخواص ، والمعبرين والشعراء والمعتزلة ، وطبقات الأمم من الغابرين ، وغير ذلك مما لا يحصى ولا يستقصى ، وقد كنــت وضعت عام خمســة وعشرين وثلاثمئة وألف شرحاً على منظومتــى الرائيــة المسماة بتنظيم درر الجمال ، فى مناقب أولياء مراكش سبعة رجال ، سميتــه إظهار الــكمال ، فى تتميم مناقب سبعة رجال ، المشار اليها فى تنظيــم درر الجمــال ، واستوعبت فيه مناقبهــم رضي الله عنهم ، وأطنبت فيمــا يتعلــق بالتوسل والــزيارة ، فجاء فى مجلد ضخــم ، وقرظهجماعة من جلــة العلماء وفضلاء الأدباء ورؤساء الــكتاب ، وأشار مسنــد العصر ، ومحدث المصــر ، الــواعية النقاد ، الحافظ اللافظ ، المحدث الــراوية ، عيبه الاسنــاد ، ذو التئآليف العديدة التى سارت مسير النيرين ، وشهد بفضلها أفاضل المشرقين والمغربين ، السري السني ، أبو الاسعاد سيدى محمد عبد الحي بن الشيخ العارف سيدى عبد الكبير الادريسى الكتانى الحسنى علي بأن أضع تاريخــاً كبيراً لمراكش يحيط بمن حلها من الأعــلام ، كما نبه على ذلك فــى تقريظه التأليف المذكور ، ونصه :

الحمد لله الذى يحي الأرض بــعد موتها ، ووعدنا فى أصدق الذكــر بقوله (ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منهــا أو مثلها) ، والصــلاة والسلام على سيدنا محمد قائد جيش المرسلين ، والمبعوث رحمة للعالميــن ، وعلى إخوته من النبيئين ، وصحابِه وءاله وكلٌ المتقين ، أما بعد فــقد سر خاطرى ، وقــر ناظرى ، بهذا المجمــوع الفريد ، الذى ما عــلى حسن سبكــه من مزيد ، وجمعه لكل نقل غريب ، وكرامة لامام فريد ، وناهيك بموضوعــه الأشرف الأجلا الأحلى الأغلى الذى هو ذكر ءاثار مــن مضى من السلــف ، وما ينبغى أن ينهج على سبيله من وفق من الخلف، وتالله إن هذا المسلك والشغل لَفيه ينبغى أن يصــرف ما فى العمر ، من قــول وفعل ، كيف لا وذكر أهــل

الصلاح والتعلق به هو أرجى ما نرجوه ، ونحترم بجاهه فى كل وقت ونردده ونتلوه .

ان كانوا قد رحلوا عنى وقد بعدوا	فليس عن حبهم قلبى بمرتحـــل
فى حبهم أنا موقوف على رشـــد	لأنهم سلكوا فى أوضح السبـــل
أميل وجداً بهم مهما ذكرتهـــم	ميل الغصون وميل الشارب الثمل

ونقل مفتى اليمن البـدل السيد عبد الرحمن بـن سليمان الأهـدل الزبيدى عن خط أبيه عن بعض رسائل مسند مـكة الشيخ حسن العجيمى أن من ورخ مومناً من أهل الفضل والكمال فهو فى شفاعته ، ورحم الله مَن قال :

أرخهـمْ تـظفر بأجـر وافـــر	فبذكرهم يجلى عن القلب الصـدا

وفى كتاب الدرر السنية ، فـى أخبار السلالة الادريسية ، ومـا فى حكمها من السادات العلوية ، ممن له ولاية ودولة فى الأقطار المغربية ، لشيخ شيوخنا الفقيه الحافظ المحدث المسند العارف محمد بـن علي السنـوسى المكى ما نصه ؛ قال جار الله (1) يعنى ابن فهد فى تحقيق الصفا ، فى تراجم بنى الوفا ، ما نصه : وقد ورد فى الأثر ، عن سيد البشر ، أنه قال مـن ورخ مومناً فـكانما أحياه ، ومن قرأ تاريخه فـكانما زاره ، ومـن زاره استوجـب رضوان الله ، وحق على المزور أن يكرم زائره وفى كتاب الجواهر المضيئـة أن ذكر فضائل العلماء تعرض لنفحات الوهب من الله (2) فان ذكرهم بالفضائل ذكر لله بالانعام والافضال ، وثمرة ذكر الله طمانينة القلب كما نطق به الكتاب المبين ، الذى لا ياتيه الباطلُ من بين يديْه ولا من خلفه ، فنطلب الله تعالى الجواد المفضال الذى يعطى كـل غال بلا سؤال ولا مطال ، أن يوفق مـؤلفه الماجد الأفضل البارع الأجمـل المعتنى بـالدرر ، المنتقى للغرر ، العـالم

1) هو محمد بن عبد العزيز بن فهد المكي الهاشمى الشافعى المتوفى سنة 704 وجمـع فيه الوفائية والشاذلية ورتبهم على الحروف .

2) تمام التسمية فى طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر بن أبى الوفاء محمد القرشى المصرى المتوفى سنة 770 وقد طبعت بالهند سنة 1332 فى مجلدين .

المشارك ، سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى لتعزيزه بثان . يملؤه كهذا بالجواهر والأفنان ، فانى رأيت منه بهذا الشأن عناية جعله الله مرجع أهـل الدراية والرواية ، قالـه وكتبه مستعجلا خادم الحديث محمد عبد الحي بـن الشيخ عبد الكبير الكتانى الحسنى الادريسى خار تعالى له ووفقه ، في أواخر جمدى الثانية عام ستة وعشرين بعد ثلاثمئة وألف بفاس ، حرسها الله وسائر مدن الاسلام ءامين هـ .

فـاستصعبت هـذا الـمقام ، لـكون مـن قبلـى لـم يتيسـر لـه هذا المرام ، سيما وقد دخلها أيام كـانت كرسيَّ الملك المغربى مَـن لا يضبطهم عد ، ولا يحيط بهم حد ، مـن أيمة الاسلام ولقلة اعتناء المغاربـة بالتاريخ لم يصنف فيها أحد بخصوصها كتاباً يضم شمل أعيانها ، ويحلى بهم زينة الدهر ، فقد درج فيها من رجال القلم والسيف الذين بهم انتظام حـال العباد ، وصلاحُ أمرهم فى المعاش والمعاد، من الملوك وحملة الشريعة وأماثل اللغويين والنحويين وأركان الشعر ، وأعلام الكتاب والأدباء من كانوا شموس العصر ، والتصانيف المصنفة فى تـاريخها المختص بـها أو برجالها قليلة جداً ، منها (الحلل الموشية ، فى الاخبار المراكشية) لابن السماك العامرى المنسوبة اليه فى أول كتاب البدور الضاوية فى مناقب أهل الـزاوية الدلائية للعلامة المؤرخ النسابة سيدى سليمان الحـوات ، وقد ترجم لسان الـدين ابن الخطيب فى ريحانة الكتـاب ونجعة المنتاب لأبـى العلاء بن السمـاك ، و (درر الحجال، فى مناقب سبعة رجال) ، للعلامة الصغير الأفرانى المراكشى ، و (الكواكب السيارة، فى البحث والحثّ على الزيادة) ، للعلامه سيدى المكى بن مريدة المراكشى، و (الارتجال، في مناقب ومشاهد سبعة رجال، ومَن اشتهر فى مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال) ، للعلامة الأمين الصحـراوى المراكشى ، أما الأول فانه خاص بملوكها ، وأمـا الثانى فلـم أقف منه إلا على مقدمته فى مبيضة مؤلفها بخط يده ، وحدثت أنـه لم يكمل ، وأما الثالث فليس فيـه جميع أعيانها ولا من دخلها من غيرهـم ، ولم يكمل أيضاً ، ومقصد الكتب الأخيرة الثلاثة لا مزيد فيـه على ما احتوى عليه كتـابى إظهار الـكمال المتقدم الذكر ، فقد أدرجت فيـه ما لم يكن عندهما ، وأحاط بزبدة ما لديهما،

فلله الحمد والمنة ، وجرى فى اظهار الكمال المذكور ذكر نحو المئتين ممن حل بمراكش وبعض أعمالها بترجمة وبغير ترجمة ، وهو الأكثر ، وأما (التشوف الى رجال التصوف) فانه وإن كان القصد منه ذكر مَن كان بحضرة مراكش من الصالحين ومن قدمها من أكابر الفضلاء وأضاف الى ذلك مَن كان من أعمالها وما اتصل بها من أهل هذه العدوة الدنيا ، كما ذكر فى ديباجة كتابه ، إلا أنه مختص كما ترى بالصوفية ، وقد نبه على تقصير المغاربة فى التاريخ الامام الأوحد أبو حامد العربى الفاسى فى ديباجة مرءاته بما لفظه : (وقد وسموا المغاربة بالاهمال ، ودفنهم فضلاءهم فى قبري تراب واخمال ، فكم فيه من فاضل نبيه ، طوى ذكره عدم التنبيه ، فصار اسمه مهجوراً ، كان لم يكن مذكوراً) ، وانى لأتعجب من أهل مراكش بالخصوص فهذه الخصلة هي التى كانت سبباً لدفن سابقهم ولاحقهم ، وغمط رفيع قدر عالمهم وفاضلهم وشاعرهم وسائر أكابرهم ولهذا أهملهم المصنفون فى التاريخ كمن يترجم لأهل قرن من القرون أو عصر من العصور ، وان ذكروا النادر منهم لأن الذين ينقلون أحوال الشخص إلى غيره هم معارفه وأهل بلده ، فاذا أهملوه أهمله غيرهم وجهلوا أمره كما قال الشوكانى فى (البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع) فى حق الزيدية .

ولما كانت عزمات الرجال تظهر نتائجها بكثرة الأشغال ، وتجود الهمة فى مداومة العمل ، وتقصر عند ارتكاب طرق الاهمال والملل ، اقتفيت إشارته راجياً حصول المطلوب على وفق الأمل ، مرتباً له على حروف المعجم ، ليسهل به كشف ما أعجم مقدماً الأحمدين ثم المحمدين (1) ، وفاقاً لتاج الدين ابن السبكى فى طبقاته الكبرى ، ووفاقاً لصاحب التكملة لكتاب الصلة ، ولصاحب الاحاطة ، ولصاحب الديباج ، ولصاحب الجذوة فى الأحمدين وان كانوا أخروا الى حرف الميم المحمدين ، والضبى والسيوطى فى بغيتهما فى المحمدين وان كانا قدماهم على الأحمدين ، جامعاً للعلماء من أهلها والغرباء والملوك فى ترجمة من غير إفراد الطبقتين الأخيرتين عن الأولى وفاقاً لصاحب بغية

(1) لم نتقيد بهذا الترتيب فى هذه الطبعة للأسباب المذكورة فى كلمة التقديم .

الملتمس فى تاريخ رجال أهـل الأندلس ، ولصاحب الاحاطة بما تيسر مـن تاريخ غرناطة ، مورداً أسماء كل حرف فيه مـن غير مراعاة لترتيب الحروف فى غير الحرف الأول من الكلمة وفاقاً لصاحب التكملة ومَن سلك من المغاربة عـلى هذا المنهج غير ملتزم للترتيب فـى بقية أحرف الكلمـة وما بعدهـا كما التزمه السيوطى ومن عـلى ذلك المنهج انتهج ملتزماً مراعاة الأحرف فـى تقديم الأسماء على بعضها بعضاً ، فأقدم مثلا فـى حرف الميم مـن اسمه مالك على من اسمه مبارك وهكذا ، نعم لا ألتزم مراعاة الأحرف فى أفراد مَن يُسمَّى بذلك الاسم ونحوه مع بعضها كمن يسمى مثلا بعبد الله حيث تعددوا وانـما أراعى الأقدم تاريخا ، فالذى يليه مدرجا لكنى كل حرف ءاخره باعتبـار أول حرف بعد الصدر بحيث أجعل كل كُنية ءاخر حرفها (I)، فأضع مثلا أبا العباس بعد من اسمه عباس ، وأبا عبد الله بعد من اسمه عبد الله وهكذا ، ولا أجعل للكنى بعد إتمام أسماء ذلـك الحرف كلهـا وفاقاً لابن الفرضى ولصاحـب التكملة ، وكذلك من اشتهر بابن فلان ولم أقف له على اسم ولا لقب ولا نسب، واضعاً اللقب أو النسب موضع الاسم إن لم أقف للمترجم على اسم ، مضيفـاً رجال أغمات لرجال مراكش ، لكون الأولى صارت من أعمال الثانية ، بعد أن كانت قبل اختطاطها قاعدة مـن قواعد المغرب ذات محاسن فـاشية ، ذاكـراً للنساء ءاخر حروفهن من تراجم الكتاب (2)،ولا أؤخرهن إلى تمامه وفقاً لصاحب الجذوة ، منبئاً بكل من وجدت فى الكتب منسوبا لمراكش وان لم أقف على دخوله لها وولد بغيرها وانما نسب إليهـا لكون أصله منها متبرعاً بذكر مـن وصف بالجولان فى بلاد المغـرب لشمول ذلك العموم لـها شمولا واضحاً ، ودخولها فيه دخولا أولوياً راجحا ، وبذكر مَن توجه اليها وإن كان ربما عاقه عـن الوصول اليها عائق اعتباراً بقصده حيث سلك فى ذلك أقوم الطرائـق ، وآخذاً بأدنى العلائق ، وبذكر كتاب ملوكها وخلفائهم ومَن له تعلق بهم ممَّن يعلم أنه ملازم لركـابهم حضراً وسفراً لغنى ذلك عن التنصيص عـلى دخوله

I) لم نتقيد بهذا فى هذه الطبعة ، فأبو بكر ينظر فى حرف الهمزة لا حرف الباء ، وابو العباس حرف الهمزة لا حرف العين .

لم نتقيد بهذا فى هذه الطبعة ، بل جعلنا اسم كل امرأة فى المكان الذى يجب له الالفبائى .

لمراكش إذ علم بمستقر العادة ، وربما أذكر بعض من فى أعمالها غير أغمات تبعاً لصاحب الاحاطة إذا كانت له شهرة" توجب فى الاعلام انخراطه ، ويتبين النزيل من الأصيل فى داخل الترجمة ومن حل أغمات أو غيرها من الأعمال ممن حل مراكش فيها بما يكشف مبهمه ، وكذلك يتعين فيها المنصوص على دخوله من المحتمل بما لا يبقى فيه لبس للمتأمل ، وذكرهم على الاحتمال أفيد من حذفهم تكميلا للفائدة ، مبينا من اشتهرت كمالاته ، وخفقت على رؤوس الأعلام راياته ، مظهراً لشأنه بأحسن تنبيه ، منوهاً لقدره بأرفع تنويه ، مصرحا ءاخر الترجمة بمَن ذكره جامعاً لما لديهم فى ترجمته من الفصول المحررة ، مترجماً لمن درج ممن تأخر عصره على حسب ما تلقيته أو نقلته أو رأيته من الأعيان راجياً ما ينضم الى ذلك من دعوة صالحة بهمة ناجحة لمن ذكرت ترجمته وأبديت معرفته بين الأقران ، مفسراً للأسماء المنسوبة أو غيرها إن توقف عليه الحال ، منبهاً على ما يعرض أثناء ذلك من نقد أو إبطال ، غير مدع فى ذلك الاحاطة والكمال والاستقصاء ، اذ لا يحاط بمن درج من العلماء والصلحاء فى مراكش الحمراء ، وانما ذكرت ما وقفت عليه منهم فى الكتب التى وصلت إلي أو وقفت على اسمه ضمن التواريخ والفهرسات وغيرها الحاصلة لدي ولا وصمة على من جاد بما فى يديه :

على قدر الكساء مددت رجلى ... ولو طال الكساء لها لطالت

ءاخر

ولا تجود يد الا بما تجد

لاسيما وأننى يومئذ عام سبعة وعشرين وثلاثمئة وألف عن مراكش مسقط رأسى بعيد غريب ،مقيم بفاس طهرها الله من الأرجاس وعن أهلى وكتبى التى ألفت مطالعتها ومراجعتها جنيب :

يا عين فيضى بدمع منك تسكابا ... وابكى أخاك اذا جاورت اجنابا

فلذلك أقول

سلام عليكم أهل مراكش الحمراء ... سلام شذاه نم فى حيكم عطرا
اليكم يحن القلب فى كل لحظة ... ويشتاقكم كيما يرى الطلعة الزهرا

وما ألطف قول ابن زهر

أحن الى الحمراء فى كل ساعـــة   حنين مشوق للعناق وللضـــــم
وما ذاك إلا أن جسمى رضيعهـــا   ولابد من شوق الرضيع الـى الأم

ونسبهما فى نفح الطيب لابن أبـى روح الجزيرى لما تغرب بالمشرق (أحن إلى الخضراء) .

ولله در الوزير ابن ادريس اذ يقول :

بمراكش حط الرواحلَ ولتهـــدِ   لساكنها أزكى التحية والحمـــد
وخص بها أهلَ الولاية والتقـــى   وأعلامَ خير قد تواصوا على الرشد
وهل لى من الأحيا ضيافة معتـــر   فهم شفعاء القائمين ذوى اللحـــد

وقال أيضاً رحمه الله متشوقاً الى داره الـتى بناها بروضه بمراكش وقد أزعجه عنها الحركة مع الركاب السعيد حين ظهر تعدى النصارى لحدود وجدة عام 1260 :

دار الرياض سقاك الرائح الغادى   ولا أصابك كيدُ الخائن العـــادى
أهوى حماك وفى القلب الحنين له   فى كل حين ودمعى رائح غـــادى
ما إن ذكرتُك الا هزنى طـــرب   شوقاً لتلك القباب الشم فى النادى
ولا سرى ليَّ من ذلك الجناب صبا   إلا شممت عبير المسك والجـادى
سقيـاً ورعياً لأيام السرور بـــها   فتلك غرةُ أزمانى وأعيـــــادى
منازل راقت العليا منازهُهـــــا   وقابلتْها باقبال وإسعـــــــاد
وعاقنا عنك سيرٌ فى سبيل هدى   وأرتجى فى جنان الخلد إيـــرادى
قد مرَّ عمرى ولا زاداً أقدمـــــه   وذا الجهد لعمرى أفضل الـــزاد

وقال أيضاً رحمه الله

بمراكش عرج على دارة السعـــد   وحي به حياً لميةَ أو دعـــــد
وقفْ وقفةَ المشتاقِ فى عرصاتهم   وذكرهمُ ودى وما مرَّ من عهـــد
فانى وان شطتْ بيَّ الدارُ عنهمُ   أخو شغف فى حاليْ القرب والبعد

تطيل الليالى مطلَ وعدى بقربهم ... وشوقي لهم شوقي ووجْدى لهم وجْدى
سقى الحوزَ هتان" يروق أرضَه ... وحيَّى الحيا عهدَ المحبة والود
بسارية للبرق فيها تبسم" ... اذا ما بكتْ ريعتْ لقهقهة الرعد

وله رحمه الله

أخلايَ بالحمراء هلْ شفكم بعدى ... وهل شاقكم ذكر المعاهد من بعدى
وهل عهدكم باقٍ كما قد عهدته ... فانى لعمرى الله باقٍ على العهد
وهل عهدكم صافى المناهل سلسل ... جميل صفات الود مستحكم العقد
فانى وان شطتْ بيَّ الدارُ عنكم ... لأكثرهم شوقاً ووجداً بذى ود
فان تدعوا فى الشوق أبعدَ غايةٍ ... فأضعافُ ما تعنون عندكم عندى
سلوا الليلعن وجدى بكم وصبابتى ... وبزل المطايا عن حنينى وعن وجدى
أكنُّ الجوى والدمع بين سرائرى ... فلله ربى ما أكن وما يبدى
عسى نفحة أو لمحة من جنابكم ... تعلل صبّاً مستهاماً على بعد

وقال أيضاً رحمه الله

قلبى بحبى لأهل الخير مرتهن ... وسرهم فى سواد القلب مؤتمن
كتمتُه فوشى واشى الفؤاد به ... حتى تساوى لديَّ السرُّ والعلَن
يا أهلَ مراكشٍ لله دركم ... من جيرة حبهم باد ومختزن
ملكتم القلب بالألطاف وانجزمت ... لجمع أنسكم الأكدارُ والحزن
ألفتكم إلفةَ الأخيار بلدتكم ... فما يُشوقُنى أهل ولا وطن
الله يعلم منى ان فرقتكم ... كما يفارق كرهاً روحَه البدن

وقال من قصيدة يمدح بها مولانا عبد الرحمن مطلعها

أدام الله أيامَ التهانى ... وبلَّغنا بمهجتنا الأمانى
وأسدل من عوارفه ستورا ... مُوطدةَ القواعدِ والمبانى
وأبقى دولةَ الأشرافِ فينا ... موطدةَ القواعدِ والمبانى
وبارك فى الامام العدل منهم ... أبا زيد ضيا عين الزمانْ

الى ان قال

لى أن حلّ مراكشاً إمـــــام بسيف العدل جان كل جـــان

ثم قال

فان تفخر بفاس فان فخـــرى بمراكش على الدنيا كفانـــى
بـلاد أسست للملك قدمـــا وفاقت فى الجوار وفى المكـــان
بها ما شئتَ من دين ودنيـــا وإخـــوان الخلاعة والقيـــان
وأحيـــاء وأمـوات كـــرام وأعلامٍ وأعيان المعانـــى

ووسمته حين رسمته ، بـ (الأعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، وملوك الاسلام) . ولك أن تترجمه بحلل الزراكش . فى تاريخ أغمات ومراكش، ولك أن تعلمه بالابتهال والاهتمام، بذكر من حل أغمات ومراكش من الاعلام ، وملوك الاسلام، ولك أن تنعته بالترجمان المعرب، بمن حل من الأعيان مراكش وأغمات من عواصم المغرب . أو بالمجلى المغرب ، فى أخبار من حل من الأعيان مراكش واغمات من قواعد المغرب . أو بالروض الخصيب المعجب ، فـيمن حل من الأعيان أغمات ومراكش مـن مدن المغرب ، أو بقلائد الجوهر المنظمات ، فى أخبار مَن حل من الأخيار والفضلاء مراكـش وأغمات . أو الزبرجدة الخضراء ، فـى تاريخ أغمات ومراكش الحمراء . أو يواقيت الأخبار، فى مَن كان بأغمات ومراكش من الفضلاء الأخيار . أو اللؤلؤ والمرجان ، فيمن كان بأغمات ومراكش مـن الأعيان . ولا أكون للاستطراد مورداً . إلا أن يحسن ويعذب مورداً ، ومهما ذكـرت قلت فهو من مقـولى الا أن يصرفـه السيـاق أو اللحاق لغيرى ، وقد لا أذكره اتكالا عـلى وضوح المقام الموذن بكونـه من تنبيهاتى وفوائدى ، وانما ذكرت اصطلاحى ائتساء بـما فى فتـح البارى ان عادة المصنفين أن يضمنوا الخطب اصطلاحهم فـى مذاهبهم واختياراتهم .

(تنبيه) قد لا أجد فى ذكر الـمترجم ممَّن تقدم زمانه أو تـأخر إلا سطراً أو نحوه ، ثم إننى أذكر فى ترجمته الورقة فأزيد وأستخرج ذلـك من تأليف له إن وجدته ، وقـد لا أجد له ترجمة ثم أستخرجها له من كـلامه

اقتداء بما قاله العارف شيخ الاسلام أحمد القليوبى فى كتابه تحفة الراغب ونقله صاحب لباب المعانى ونصه : ولا يخفى عليك أن المؤرخين من الأدباء والعلماء ورجال الطبقة على قسمين ، الأول منهم وهم الأدباء قسم صرف همته لسرد حوادث الملوك والحروب والوقائع مع درج اللطائف الأدبية والفكاهات الشعرية ، فأهمل حقوق مثل هذا السيد الجليل يعنى سيدى أحمد الرفاعى ، واختصر ترجمته ، فقال وفى سنة كذا مات فلان وتكلف كل التكلف ، فكتب بشأنه سطراً أو سطرين ورجع إلى ما هو عليه من طريقته التى ذكرناها ، والثانى وهم العلماء فهم على الغالب متى أتوا بذكر شيخ من الزهاد والصوفية أعيتهم الحيل وحاروا ، فتارة يمدحون وتارة يعترضون ويريدون الاطالة ويمنعهم التعصب لمذهبهم ومشربهم ، واذا اقتصروا سدوا باب الفائدة ، فترى تراجم الشيوخ الكاملين مذكورة فى التواريخ والطبقات، ولكن كأنها لم تذكر بسبب هاتين العلتين الباردتين، ولذلك ما بَقِيَ للوقوف على حقائق أنسابهم وأحسابهم ومذاهبهم ومشاربهم إلا مطالعة كتبهم وءاثارهم والكتب التى ألفها بشأنهم جماعة من كمل أتباعهم وأنصارهم هـ .

تتمة فى إيراد بقية تقاريظ إظهار الكمال : فمنها تقريظ العلامة الناسك التقي النقي ، الحافظ اللافظ المطلع الجامع لمحاسن الأخلاق السني ، سيدى إبراهيم ابن القطب الواضح الولي الصالح سيدى محمد بن عبد الحفيظ الدباغ الحسنى ونصه :

الحمد لله الوهاب الفتاح ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى لكل خير مفتاح ، وعلى ءاله وصحبه وعلماء أمته الذين هم لرزق الأرواح مفتاح ، أما بعد فقد طالعت بعض هذا التأليف المسمى اظهار الكمال فى تتميم مناقب سبعة رجال . للعالم الفاضل ، الحاوى لسني المفاخر والفضائل ، الفقيه العلامة سيدى العباس بن إبراهيم المراكشي شكر الله مسعاه ، وزاد فى حسه ومعناه ، فوجدته مشتملا على مناقب أولياء الله الأبرار، ومستوهباً من الله الكريم الأسرار، بالخوض فى البحر الزخار، ففى الحلية أفضل ما تعبد به المتعبدون التحبب الى أولياء الله تعالى، ومن التحبب اليهم ذكر مناقبهم

ونشر فضائلهم ، وعن الطبرى مات غريب عندنـا وجلسنا لاصـلاح دفنه . فاستـوى جالساً قلنا له أليـس قـد مت ؟ قال بـلى ولكن رجعت لأحدثكـم وأبشركم أنفع ما عندنا محبة الصالحين وموالاتهم ، ثم رجع ميتاً ، ومن محبتهم ذكر وفياتهم ومناقبهم اذ هم القداة والهداة ، وليـس فى كون بـعض الناس لم يهتد بهم ما يخرجهم عـن الهدى ، فالشمس شمس وان لم يرها الضرير ، والعسل عسل وان لم يجـد طعمه الممرور ، فالخيبة كل الخيبـة لمن عطش والبحر زاخر ، وبقي فى الظلمة والبدر زاهر ، وخبث والطيب حاضر ، وذوى والروض ناضر، نسأله سبحانه أن يخلص لديه الأعمال،ويصلح بفضله الأحوال، ويصحب بركتهم المؤلف ومَن له نية صالحة ، إنه على ما يشاء قدير . وكتبه العبد الفقير ، المعترف بالعجـز والتقصير ، إبراهيم بن محمد الدبـاغ . أوصله الله بجميع المباغ ، بمنـه ومحض كرمه ءاميـن . وفى رابـع رجب الفرد الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف .

ومنها تقريظ صديقنا الشريف الفقيه العلامة مفتـى فاس ، ومحـرر نوازل الفقيه المالكى بلا التباس ، ذى التاليف العديدة ، والأبحاث الرائقـة المفيدة ، سيدى المهدى الـوزانى ونصه :

الحمد لله ، وصـلى الله على سيدنا محمد وءاله ، وبعد فيقول كاتبـه وفقه الله طالعت بعض هذا التأليف فـى مناقب الأولياء ، وخصوصاً سبعـة رجال ، تـأليف العلامة الأديب . الفاضـل المشارك الأريب ، أبـى الفضل سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى حفظه الله المسمى باظهار الكمال . فـى مناقب سبعـة رجال ، فاذا هو كتاب فائق رفيع ، وشكل عجيب رائق بديع ، نظم من الفوائد دررها ، وأبدى مـن وجوه المحاسن غررها ، ووصل الى ما لا يدرك إلا بالفتح الربانى ، ولا يوصل اليـه إلا بالالهام الصمدانى ، فهو جدير بان تصرف اليه الأذهان ، وتلقى اليه مقاليـد الاذعان ، وشاهد لمؤلفه برسوخ القدم فى النبل ، واحراز الغاية القصوى فى الفضل ، نفعنا الله واياه بالعلـم وحمله ، ونظمنا جميعاً فى سلك أهلـه وحزبه ، بجاه النبـي وءاله ، طالبـاً منه أن لا ينسانى فى صالح دعواته ، فى خلواته وجلواته .

تــذكر أخـــاك ولا تنســـــــه فليس بنـــاسيك مهمـا دعـــــــا

والسلام قاله وكتبه المهدى بن محمد الوزانى العمرانى لطف الله به .

ومنها تقريظ ودنا مفتى فاس الفقيه العلامة ، المتدرع من العلوم بالدرع واللامة ، محلي الطروس ببراعة لسانه ، وراقم وشي بـرودها بيراعة بنانــه ، البليــغ المصقع الناظم الناثر الكــوكب الوقاد ، الــدراكة الفهامة البحــاث النقاد ، كريم المائدة ، جليل الفائدة ، أبى عطية سمينا السيــد العبــاس بن أحمد التازى ، ونصه :

نحمدك يا مَن منح أصفياءه طـرق الوسائل ، وفتح على يد أوليائــه أنواع الفضائل ، والصــلاة والسلام على الواسطــة فى إظهار الكمال ، ومَــن على يده تضاءلت لهم زواهر الجمال ، حتى ان من احتمى بهم انتصر ، ومــن حاد عن طريقهم انكسر ، ومَن تمسك بأذيالهم أفلح وافتخر ، ومَن رامهــم بالاعتراض انقطع وانزجر ، وبعد فقد أوقفنى الفقيــه الأجل ، العالم العــلامة المشارك الأمثل ، عيــن أعيــان الصدور ، والغرة فــى جبين الدهور ، أحــد أعيان علماء مراكش الحمراء ، والحامــل لهم عند التقدم الراية واللواء ، مَن تفيض علومه عند المذاكـرة ، وتتلاطم أمواجُه عند المخابرة ، حـامل بنود الشريعة على الكاهل ، وحســام قاطع لكل معانــد مناضل ، الناثر الشاعر ، والكاتب الباهر ، والمثل السائر ، سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى على كتابه المسمى باظهار الكمال الخ فاذا هو كتاب غـريب ، ومجموع عجيب ، لا ينكر فضله ، ولا يختلف اثنان أنه ما ألف مثله ، محتو عــلى نخب حقائــق بعض العارفين ، وزبد كنز الواصلين ، قد توجه مؤلفه باظهار الكمــال ، وتمم محاسنه بتتميم محاسن أولئــك الرجال ، فلله دره مــن مؤلف جل مقداره ، وطفحت بالفوائد أسراره ، وهمعت من سحائب الفضل أمطاره ، ولاحت فــى سماء السيادة شموسه وأقماره ، فجزى الله تعالى مؤلفه أفضل الجزاء ، ونشر علومه عــلى أهل الدراية والصفاء ، جعله الله علماً للمهتدين ، وقدوة للسالكين ، وبحراً يغترف من علومه ظماء المسترشدين ، ونوراً يستضيء بنوره طلاب اليقين ، ولما فاح أرجُ الختام ، وازدهت محاسنه بالطبع واشرفت على التمام ، قلــت :

بَعْد بُعْد ووحشة وتنـــاس ... وسهـــاد أصبحت ذا إينـــاس
حيث أبدت ذات المحاسن وصـلا ... وتبدت بـــقدها الميـــاس
أخجلت من جمالها حورَ عيــنٍ ... يالَحُسن طابتْ به أنفاســـى
فكـأن البهاء حين تبـــدى ... من سناهـا قوافـي العبـــاس
سـيد فاضل عليـم أديـــب ... شامـخ المجد طيب الأغـــراس
دوحة المجد والفضائل يـــم ... فـى فنون العلوم والأطـــراس
قد تبدت للحب منكم شـــروح ... شيدت لعلاك أعلا الكراســـى
أطرب السامعين منها صنيـــع ... وفــروع محفوظة الألبـــاس
حيــث أودعته شمائل قـــوم ... نورهم قد سما على النبـــراس
هم شموس الوجود أهل المعالـى ... هم بدور الهدى ذوو الالتمـــاس
يا سميِّى سموتَ عزاً وفخـــراً ... وابتهاجاً عـلى جميع النـــاس
حيث أظهرت للكمال تمامـــا ... فى قريض مرصع بالجنـــاس
صانه الله مـن حسود غيـــور ... وشرور الوسواس والخنـــاس
بالنبيء الـرسول أفضل هــاد ... وشـفيع يجير فـى الأرمـــاس
فعليـــه من الاله صـــلاة ... وسـلام مـا فاح عـــرف الآس

العباس بن أحمد التازى كان الله له بمنه امين

ومنها تقريط الفقيه العلامـة الناسك ، الأصولى المعقولى المنقولى ، المشارك السيد عبد العزيز بنانـى ونصه :

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبّينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم يامَن أمدنا بنعمتيْ الايجاد والامداد ، ويسر مَن شاء لما شاء من العباد ، ليلتقي كل ما قدر له من الواردات تـكرما منه جل ثناؤه وتفضيلا ، وتقريـراً لصادق وعده فى جنات عدن يسقون فيها كأساً كان مزاجُها زنجبيلا ، ومـن حكمه أودع فى خواص خلقه مزايا ليزداد بها على غيره تشريفاً ، ولولا لطفُه العجيب لم يجعلْ له فى هذا الوجود تعريفا ، حكمة غني لا غرض له ولا تعليلا، مـا ان برحوا ان عملوا اقدام الـرجاء الى محال نوافله فوجدوها مفتحـة لهم الأبواب ، مسلوكة السُبل ليس دون ما يستمنحون من الكمالات حراس ولا

حجاب حقا عليه أن لا يردهم عما سألوه الا ردا جميلا ، فـكم سهروا الليالى ، فى طلـب المعالى ، وكم دوخوا الأعمـار ، فى اقتنـاص بنات الأفكار ، أفـلا يستشفى بأخبارهم ولولاهم ما عرفنا للحق سبيلا ، سبحـانك من إلاه قيض لتقييد رصد سعود تلك المطالع احباراً مهدوا كيف كان انصداع ذلك الفجر الساطـع وكيف اطلع مـن مدارج النباهة عـلى كاهل المسامرات فاكرم بـه للمسترشدين دليلا اللهم انا نحمـدك فانك الهادى الى سـواء السبيل ونتوجه اليك توجه عاجز لائذ برب جليل ونستخلص بـك صحائف قلوبنا مـن شرك الشبهات والشكوك والاوهام . ونستمد مـن حضرة قربـك . ما يزيحنا عـن مداحض يوم تزل الاقدام ويطمعنـا فى اللحـوق بعبـادك الصالحين والتأدب بئاداب أوليائك المفلحين لا الاه انت الله الذى خضعت لـكبريائه أهل الأرض والسماوات ، وعكف على سلوك الجادة الى معرفته ذوو المجاهدات والمناجاة ، فشاهدوا من عجائب صنعه . ما اعجز أفكارهم . وعاينوا من عوالم ملكـه ما أدهش أنظارهم فاصبحوا يرتعون فى ميادين رضوانه . ويتنقلون عـلى موائد احسانه . فهم والله القوم الذين لا يشقى جليسهم . ولا يستوحش انيسهم .

هم الرجال وعار أن يقال لمـــن لم يتصف بمعانى وصفهم رجـــل

ونـصلى ونسلم على أكمل عبيدك المبعـوث لتتميم مكارم الاخـلاق المحلى بمقام ان ربى أدبنى فأحســن تأديبى على العموم والاستغراق . مرءاة ظهور تجلياتك الالهية ومركز تنزلات مـواهبك الرحمانية وءايتـك المهداة الى جميع الانام . وطبيبك الأكبر . الذى طهرت به القلوب من الادران والاسقـام . صلاة وسلام تتحلى بهما الأفواه والمسامع وتسفل لاشراق نورهما البـدور الطوالع ، وتتواجد لهديلهما أرواح الأرواح ، وتصدع بشكرهما أطيار البشائر على منابر الأدواح . وعلى ءاله الحائزيـن قصب السبـق فى مضمار الفخـار وأصحابه الفائزين بمشاهدة طلعته التى هي أبهى مـن شمس النهار وعـلى من اقتفى ءاثارهم الى يوم التناد ، وانتحل صميم مجدهم من الزهاد والعباد ، وبعد فقد وقف العبدُ على هذا الموشى ، الذى تغشى من الجمال ما تغشى ، بـل التعريف المرصع بجواهر التشريف بل اظهار الكمال فى تتميم منـاقب سبعة

رجال ، تصنيف العالم الأوحد ، والكوكب الأسعد ، الآخذ من شفوف المحامد بالطارف والتالد ، المتلفع من مروط الصيانة والعفاف بكل سابد ولابد ، أبى الفضل سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى . فاذا هو كتاب جم المحاسن وروض أدب تفجر بماء غير ءاسن مملوء من مناقب الصلحاء محشو من ملاحة كتب البلغاء قد ألم فيه ببعض مئاثر رجال مراكش السبعة وأفرغ فى التعريف بعليّ مقامهم وسعه ، وكيف لا والتودد اليهم سعادة ، والانحياش إليهم مجادة والتملق على اعتابهم فخار وسيادة والتحلى بذكرهم يوجب الحسنى وزيادة، قال الشيخ القطب عبد القادر الجيلانى قدس سره فى عينيته:

فشمر ولذ بالأولياء فانهم ... لهم من كتاب الله تلك الوقائع
هم الذخر للملهوف والكنز للرجا ... ومنهم ينال الصب ما هو ساطع

وعلى الجملة فهو كتاب تكثر فائدته . وتنفع عائدته فجزى الله مؤلفه أحسن ما يجزى به الصالحين . وأثابه على نيته أفضل ما ينيل عباده المقربين فلا جرم ان صاحبه قد انتقى فيه من النقل ما صح لديه وأودع به من قواعد المعقول ما لا مزيد عليه وازداد رونقه بما وشح به غرته من الاسماط الشعرية والنكت البيانية . فجاء عمدة للقاصدين ومقباس نور للمستهدين . واذ تمليت من تلك الشمائل . وطفت ما بين هاتيك الخمائل انتضيت اليراعة انتضاء الصارم الصقيل ، ورقمت بها فى صفاح الطروس من عَروض الطويل :

ذريني ما اسلو بسلمى ولا هند ... ولا روضة غنا مفتحة الورد
تعاهدها عفو السعود فامرعت ... طرائف أزهار المكارم والمجد
وألبسها الوسميُ ديباج سندس ... غداة سقاها الطل بالجوهر الفرد
هناك خطيب الروض قد قام ضارعا ... فلبت له الأغصانُ بالشكر والحمد
فتنظر للأدواح ما بين سجد ... يعفر فى ذاك النقا طاهر الخد
وذى خجل أوداه زاجر وعظه ... وما بين مصغ فيه أو رافع الأيدى
ومن ياسمين لابس ثوب واجل ... كلون محب يشتكى حرق البعد
فما غلَ ذا لبى وما بى صبابة ... الى جيد ريم فيه طالعة النهد
تميس بقد السمهري وقد سرى ... أريجُ سراها فانتشى كل ذى وجد

وفى كل قلب من سهام لحاظهـــا مواقع تفنى المستهام على عمـــد
اذا ابتسمت عن أقحوان رأيت من ثناياها ما يغنى عن الدر والنقـــد
وأبصرت إدلالا ولطف اشـــارة وحسن خطاب دون ذاك جنا الشهد
وأبصرت من معنى الكمال مظاهـرا بطلعتها تربو على الحصر والعـــد
ولكننـــى أصبحت أتلو شمائـــلا وأنشق خلقاً طيب العرف والنـد
وأهصر أزهار العناية والمنـــى وأسبح فى بحر الهداية والرشـد
وأشرب من تلك المحبة أكئوســاً وصرف معين منها مستعذب الورد
بتصنيف إظهار الكمال فما لـــه مثيل لما قد حاز من رتب السعـد
وتتميم أوصاف الألى غرر الـورى وسادة أهل الأرض فى البدء والعود
لقد فخرت مراكش بأيمـــــة فكانت بهم عذراء واسطة العقـــد
هم السبعةُ الأقطاب والأنجم التى بها يستضا من حالك الجهل والجحد
على أنهم قد أحرزوا كل غايـــة من القرب اذ جدوا على مهيع الجـد
فخُصوا من المولى بعين رعايـــة وبَوّأهم من فضله صادقَ الوعـد
وإنا بهم نستكشفُ الضر والعنـا ونستمنح التوفيق فى كل ما يجدى
وعار يحل الضيم سوح مجيرهـم وأحشاؤه ملأى من الحب والـــود
فلست بمحص ما لهم من مئاثـــر ومن غلط إحصاء مسترسل الجود
فدونك هاتيك الخمائل فاجتنـــى مناقبَ أقوام تجل عن الحـــــد
لخاتمة النقاد والألحب الـــذى تغذى أفاويقَ النباهة فى المهـــد
وأبدى من التحقيق كل عروبـــة أبادت ضياء الشمس والحور فى الخلد
وأسفر عن بحر من العلم مغـــدق وعن حسن تقرير برىء من الـرد
مجلي حلبات السباق إلى العـــلا بأنفس ما يشفى الفؤاد وما يهدى
ليهنك أيُ عباس فضلا وســؤددا تقاصر عنه القوم فى سالف العهد
ولا زلت فى أوج المعارف ترتقى وبُلغت من رب الورى منتهى القصد

قاله العبد الفقير الجانى ، عبد العزيز بن محمد بنانى ، كان الله له ووفقه لما فيه رضاه بمنه .

ومنها تقريظ حِبنا الشريف الفقيه العلامة شاعر العصر ، ونابغـة المصر ، ذى التآليف الرائقة ، والأبحاث الفائقة ، الشريف الوجيـه قـاضى

الصويرة والعرائش سابقاً ، النبيل النبيه سيدى أحمد بن المامون البلغيثى ونـصـه :

الحمد لله .

بعد حمد من رفع مراتب أوليائه ، وأسبغ عليهم سوابغ آلائه ، وأنزل عند ذكرهم الرحمات ، وأجمل بالتعلق بهم الخلاص من الأزمات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كنز المعارف ، وامام كل ولي وعارف ، وعلى ءاله وأصحابه ، وكل من انتمى لرحيب رحابه ، فقد أطلعنى الفقيه الأديب ، النبيه الأريب ، الكاتب البارع المصقع ، المحي رسوم ابن المقفع ، العلامة السيد العباس بن إبراهيم ، لازال شهير الفضل فى كل الأقاليم ، على مصنفه (إظهار الكمال ، في تتميم مناقب سبعة رجال) ، فوجدته موضوعاً يضيق عن مدحه الطوق ، لما جمع من تراجم السادات العارفين أهل الشوق والذوق ، وحيث كان قصده رعاه الله باطلاعى عليه ، قدحَ زند الفكر لتقريظ يستقرُ منى لديه ، وددت أن لو كان لى فى الأدب يدان ، وفى البلاغة لسان ، ومن طوارق الزمان دعة ، وفى مكان التسلى سعة ، عسى أؤدى بعض الواجب من حقه ، وأعرف كيفية السلوك فى طرقه ، فبقيت مدة واقفاً عن ذلك الغرض الذى ألم لصوارف من الدهر تعوق حتى عن امساك القلم ، مع عجز بادى ، وحجر متمادى ، والذى يأتينى فى ذلك لا يرضينى ، و الذى يرضينى لا يأتينى، ثم إنه رعاه الله لحسن ظنه ، ومحبة أهل فنه ، كرر الطلب فى ذلك الغرض ، ورأى اجابته من الأمر المفترض ، فلم يزدنى ذلك الا تقاصراً ، وفى نفسى تحاقراً ، حتى بلغنى أن جماعة من الأدباء والعلماء والكتاب قرضوه ، وبمدحهم نالوه وعوضوه ، فزادنى ذلك حياء من التقصير ، ولم أجد للقيام فيه غير الله من نصير ، فكتبت له هذه الأحرف لمجرد الاعتذار ، بعروض الأعذار ، وان لم ءاتِ بمحصول، فالعذر عند الكرام مقبول ، والا فأين الثمد من البحر ، وأين السهى من البدر ، وأين دويّ الزنبور ، من نغم الزبور ؟ غير انه اذا وقع الاغضا ، ارتضيَ ما لا يرضى، وقد يدرك بالزجاج ما لا يدرك باليواقيت ، وكل أديب يعرف ان حسن القول لا يدرك فى كل المواقيت ، وبالجملة فالكتاب المذكور ، غاية فى بابه ، ضالة منشودة لطلابه ، جزى الله مؤلفه على صنعه الجميل ، بالعطاء الكامل والفضل الجزيل :

باظهار الكمال بدا الكمال ... لحبر ما له فينا مثال
أتت ءاياته تتلو علينا ... مآثر مَن هم السبع الرجال
بصنع معجب ولطيف وضع ... ونقل بالوثوق له جمال
على عالى معالمه اهتدينا ... لآثار الذين سموا ونالوا
هم القوم الذين بهم ينادى ... لدى الأهوال ان خيف الوبال
وهم من سرهم سار وباد ... وهم من يرتجى بهم المنال
رضي الله عنهم كل حين ... بما فعلوه من خير وقالوا
وجازى من أفاد بهم ووفى ... جزاء لايكون له زوال
بجاه المصطفى مسدى المزايا ... لكل فتى له فينا كمال
عليه وآله والصحب طرا ... صلاة بالدوام لها اتصال

كتبه عبد ربه أحمد بن المامون الحسنى العلوى البلغيثى الله وليه ومولاه .

ومنها تقريظ صاحبنا فارس المنابر ، وخطيب الحضرة الشريفة أعزها الله وسليل الأكابر ، قاضى الجماعة بفاس البيضاء حينه ، ونائب وزير الخارجية سابقاً ، الفقيه العالم المشارك المذاكر المؤلف الناظم الناثر ، رضيع المجد وحليفه ، ومرصع الطروس بما يجيده ترصيفه ، السيد عبد الله الفاسى ، ونصه :

الحمد لله الذى منح من شاء قربه واجتباه ، وفتح له أبواب التيسير بفضله وحباه ، وأكرم بولايته أهل محبته ووداده ، ونور بصائرهم باشراق هدايته ورشاده ، فهو الله الذى لا اله الا هو مؤتى الفضل من يشاء ، ومجرى الأقلام بباهر الترصيعات وحميد الانشاء ، أرسل رسوله محمداً بدراً لامعا ، على جبهة الدهور والاعصار لائحاً وساطعاً ، وجعل المستمدين من كمالاته على درجات ومراتب ومقامات ، فالكل منه واليه بدءاً وتماماً ، سابقة ازلية اكراماً واعظاماً :

لا تقس بالنبيء فى الفضل خلقا ... فهو البحر والأنام اضاء

صلى الله وسلم عليه وعلى من انتمى بسبب أو نسب إليه . وبعد فقد وقف العبد الفقير على هذا المؤلف الذى ألفه جهبذ عصره . ووحيد دهره . لسان البراعة . والمستعمل فى تحصيل العلوم بنانه ويراعه . الفقيه العالم الأديب السميدع الكاتب الأريب أبو الفضل السيد عباس بن إبراهيم المراكشى . فى ذكر مناقب السادات الاجلة . السبعة البدور الأهلة . من استنارت بقبابهم الحضرة المراكشية . وازدهت على غيرها بمحاسنهم العديدة الفاشية ، نفعنا الله بهم ، وأمدنا من فيوض مددهم ، فوجده قد احتوى على درر ويواقيت ، قل من يتفطن لها فى سائر المواقيت ، كفيلا بالمراد فى موضوعه الشهير موفيا به بحسن عبارة وتقرير ، وضم إليه من الفوائد العلمية ، ما فيه للطالب غاية القصد والأمنية ، فجزى الله مؤلفه خيراً وأولاه مثوبة وأجرا . وكثر أمثاله . وأناله اماله . وقد قلت مشفعاً ، وبجاه مَن ألف فيه متشفعاً :

لأفضل من نقر الغوانى الكواعب	وأشهى من الروض العظيم السواكب
وأحلى من الوصل اللذيذ صبابة	ومن رشف ذات الخال بين الصواحب
أعز إذاً من ذاك كله نفحة	تهبُ بتعداد الحلى والمناقب
وسرد حديث الصالحين وذكرهم	ففى ذكرهم نيل المنى والمطالب
هنيئاً لمن أضحى رهين زمانه	بأحوالهم أعظم بها من مراتب
كمثل أبى الفضل الذى حاز شهرة	بنشر علوم بثَّها للحبائب
سمي بعباس فأحرز للعلى	ونال ذكاء فهمه فهم صائب
به جادت الأيام تحت إمارة	لها يخدمُ التأييدُ من كل جانب
لسيدنا عبد الحفيظ مثاثر	فكم من مزايا أقبلت ومواهب
ليهنك هذا الشهم خدمة سادة	حماة وأبطال بدور الغياهب
هم السبعة الأقطاب نور مراكش	وبهجتها أهل العلا والمناصب
فشنفت أسماعا بذكر مثاثر	لهم تنتمى والله مُوتى الرغائب
بحسن مساق واقتباس دلائل	وكم من علوم قد حوى ومذاهب
يتيمة هذا العصر تاليف فاضل	فدونكَهُ فهو المراد لطالب
جزيت جزاء لا يقاوم عزة	ودامت لك العلياء أعظم صاحب

بجاه رسول الله خيرة خلقـــــه محمدنا المحمود بحر المواهـــب
عليه صلاةُ الله ثم سلامُـــــه وءال وأصحاب ليوث الكتائـــب
يدومان ما حبر تبدى منـــــاره فغار لـــه بدر وكل الكواكـــب
وما مسعف قد قال طالبا الرضـى لأفضل من نقر الغوانى الكواعـب

وكتب مـع استعجال ، وزيادة شغل البال ، الفقير الى رحمة مولاه ، عبـد الله الفاسى كان له مولاه وتولاه . وفـى ثانى شعبان الأبرك عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف .

ومنها تقريظ صديقنا العلامة الناظم الناثر ، سليل بنى الجد ووارث المجد كـابراً عن كابر ، نافث الـدرر من فيه ، ومحلي جيد القراطيس بنثـره وقوافيه ، السيد عبد الحفيظ الفاسى ونصه :

الحمد لله أحمـده واستعينه وأستغفره وأسأله التوبـة والمعونة ، وأصلي على نبيه أبى القاسم محمد بن عبد الله وءاله ، قـال أحَدُ الحكماء : تاريخ العظماء عمر ءاخر للناظرين يبث فـى القلوب عاطفة الخير والخضوع لصوت الواجب ، إن سبعـة رجال ، الشهيرة بمراكـش بالتعظيم والاجلال ، كانوا من أعظـم أكابر هذه الأمة علماً وفضلا ، واتباعاً لما كان عليـه المتبوع صلى الله عليه وءاله قولا وعملا ، ومناقبهم ومئاثرهم طارت بـها الركبان فـى جميع الأنحاء ، وتعطرت بنفحاتها الأرجاء ، خلد لهم التاريخ فـى قراطيسه من المئاثر ما يشهد لـكمال فضلهم وارتفاع قدرهم ، وأبقى لهم ذكراً حسناً عـلى ممر السنيـن ، وجعل لهـم لسان صدق فـى الآخِرين ، بيد أن ذاك كـان مُفرقا ، مع كونه مُحققاً ، فوفـِّق الى ترتيب ذلك وجمعـه ، وضم كل أصـل مع فرعه ، جناب العالم العلامة الماهـر ، الأديب الكـاتب الناثر ، السيـد عباس بن ابراهيم ، حفظه المولى الحكيـم ، فى كتابـه إظهار الكمـال . فـى تتميم مناقب سبعة رجـال ، أطلعت على هذا المؤلف ، واستقريت مسـائله ، إلا ما شذ ، وسبرت وسائله ، فاذا هو فى معناه فذ ، جمع من مناقبهم الكثير ، وروى السامعين والناظرين مـن بحرهم الغزير ، ووشحه بصحيح الأنقـال ، وتـرشح لحمل أعباء تلـك الأثقال ، ورصعـه بحكايات أنيقة ، وتنبيهـات

رشيقة فجاء نزهــة للناظرين ، وروضة رياحين ، كل ذلك لا محالة شاهــد باتساع عارضة الواضع، وعائد عليــه بحسن الذكر فى معارضة تلك المواضع، فلا فُضَّ فوه ، ولاسعِد من يجفوه ، العبــد المستغفر عبــد الحفيظ بــن أبى الجمال محمــد الطاهر الفهرى نسباً الفاسى داراً ولقبا كــان الله له . فــى 29 جمادى 2 عام 1326 هـ .

ومنها تقريظ أديب مراكش ونابغتها الفقيه النحوى اللغوى ونادرتها المتصرف فى ميادين الانشاء ، كيفما شاء ، مستخرج الــدرر من مكــامنهــا ، الناظم الناثر ناحت المعانى مــن معادنها ، السيد أحمــد بن محمد المراكشى ونصــه :

الحمد لله الذى شرف نوع الانسان ، وزانــه بالادراك وسحر البيان ، وقسم مشارب المعارف تقسيماً ، ليهدي اليــه من شاء منهم صراطاً مستقيما ، فقوم دلهم فــى ادراك فضله على العمل بالمجاهدة والمكابــدة ، وءاخرون بقرع أبــواب كرمه مــن طريق أهــل الخصوصية والمشاهدة ، الى غيــر ذلك من مشارع الحقائق ، وان لله طرائقَ على عدد أنفاس الخلائق . اللهم صل وسلــم على سيدنا محمد بحر الأنوار ، ومعدن الأسرار ، وعلى ءاله صلاة وسلاماً تؤدى بهمــا عنا حقه العظيم ، ثم ان مــمن ألهمهم الله تعالى التوصل لنيل الفضــل بالتوسل بخدمة بابه ، واستفرغ فى ذلك جهد لبه وجماع لبابه ، أخانــا فــى الله الزكى الاتقى ، العلامة المدرك المشارك ، الجــامع ذا اللسانين ، وقلــم الطرفين ، سيدى العباس بن إبراهيم المراكشى ، فانه أطلعنى عــلى كتابــه الذى ألفه وحرره فى شرح رائيته المتضمنة ذكر الأفراد السبعة مــن مشاهير رجال مراكش ذوى المقامات الشامخة ، والكمالات الباذخة ، رضى الله عنهم ، فأمتعت طرف النظر ، فى أفانين حدائقه ، وارتعت طرف الفكر ، فى بساتيــن رقائقه ، فاذا هــو مجموع اشتمل عــلى أزاهر الحظائــر وزواهر الأفــلاك ، وازدهى بما فاق به فى بهاءِ تنضيده يواقيت العقود ولئلالىء الأسلاك ، وقسماً بغرابة ذلك الصنيع ، ونضارة خمائل روضه المريع ، إن ما سدد اللهُ إليــه الأخ المذكور فــى ذلك لعبودية سنية هيأه اللهلها . لينال بركتها ، ويحــرز

خيرها وفضلها ، سبحان مَن يلهم عبده جميلا ، ويجزيه عنه جزاء جزيلا ، والكل منه واليه ، اللهم لك الحمد ولك الشكر على جميع إحسانك ، فلله درُّه فارساً كم قنص فيه من شوارد الخير ، وأورد فيه من موارد البر ، أحكم الجمع فيه بثاياته ، وبرهن على مصداق تقدمه فى الصناعة ببالغ معجزاته ، ولله شنشنته الصالحة وما أودع الله فيها من سر التعلق باسباب النجاح فى الدين والتدين بنشر كمالات أولياء الله المهتدين ، حتى تيسر له السير فى صنيع مجموعه المبارك هذا على حسب ما نعته به فى ديباجته ووصفه وشحنه بتلخيص فهرسته وفهارس القادة من مشايخه كما رصفه ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ، ونسألك اللهم بما سألك به أكرم الخلق عليك مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحرر المقاصد منا فى تحريرها على شوائب الأغيار ، وتجعلنا بك لك فى أحوال هذه الدار وتلك الدار ، وتقطع هممنا إليك قطعاً محمديا الى أن ياتيها اليقين ءامين ، كما نسألك اللهم عز كمالك أن تديم إشراق شمس السعادة الأبدية على العالمين فى ظل راية مَن نسخت بمحكمات ءاياته أباطل الباطل وأنرت بوجوده منار الحق وأسست بنيان أمره على أساس التقوى والرضى وجلالة الدين وغزارة العلم والاصابة فى الاجتهاد ، اللهم زين أيام الدنيا بمحاسن عدله وأنم البرية فى ظلال عزته وأقر عين الاسلام بدوام سعادته ، وكن اللهم فضلا منك لهذه الأمة المحمدية بلطفك الخفي وعفوك القديم وسترك الجميل ، فانك أكرم الأكرمين ءامين ، وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وفى 29 رجب الحرام عام 1326 كتبه إجابة لاقتراح المؤلف أحمد بن محمد الأزموري المراكشي لطف الله به ءامين .

ومنها تقريظ أديب فاس ، الفقيه العلامة المدراس ، المؤلف الناظم الناثر ، السيد أحمد سكيرج طيب الأخلاق والأنفاس ، ونصه :

بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وءاله وصحبه ، نحمدك يا مَن وفق أهل الخصوصية لحمده وشكره فقاموا على ساق الجد فى طاعته امتثالا لأمره . وكان تأييده لهم عونا على

الوفاء بـما كلفهم بـه فعبدوه مخلصين فـي العبادة مقرين بالعبودية التـي لا تسلب عنهم بعدما اصطفاهم وأوجدهم بجوده في الوجود ، وصيرهم عباده فارتاحت نفوسهم بـما غشيها من أنوار عنايته أتـمَّ ارتياح ، وأفاض عليهـم من حضرة قدسه ما انشرحت به صدورهم أتمَّ انشراح ، فدخلوا مـن باب الفضل والجود ، الى مقام الشهود ، وجلسوا على كراسي الجـلال ، متوجيـن بتاج الجمال ، في بساط الأنس به يتنعمون بواردات الالهام التي هي أكـرم في الاكرام مع الراحة التامة من بسط موائد الانـعام وأداروا كؤوس الـراح على الراح ، فثملت بها أرواحهم حتى رقصت بها الأشبـاح ، ولم يلتفتوا الـى غير مشهودهم في ذلك البساط ولم يحصل لهم الا به ذلك الانبساط :

قوم قد انبسطوا بذكر مولاهـــم ... بما لهم من كمال الفضل أولاهـــم
لا يجنحون الى سواه من ولـــــه ... به لذاك على الأكوان ولاهـــــم

فهم السلاطين على الحقيقـة ، بين سائر الخليقة ، يتصرفـون فـي الوجود ببسط أيديهم بحكم الخلافة فيه ، بما سبق لهم من عنايته بهم من غير شيء منهم يوافيه ، فهم لركن العبودية منحاشون على الـدوام ، وبالعبادة لـه قائمون بين الأنام ، حتى صحَّتْ عبودتُهم التي هي أصل الفتوحات، فكان كل واحد منهم كما قال الشيخ الأكبر في الفتوحات :

اذا صحت عبودةُ كـــل عبـــد ... تـصحُّ له السيادة في الوجـــود
فيحـــكم مثلَ سيده وتبـــــدو ... عليـــه بذاك أعلام المزيـــــد

ولم ينالوا شيئاً من ذلك الا على يد الواسطة الأعظم الذي لولاه ما تم الوجود لمن وجد ولم يجد الغريق في أوحال التوحيد من منجح ولا منجد :

مفتـــاح كـــل سعـــــادة ... وطريـــق كـــل عنايــــــة
مـــن جوده عـــم الـــورى ... ببـــدايـــــة ونهـــايــــة
خيـــر الأنـــام محمـــــد ... مَـــن هـــو أعظـم ءايــــة

صلى الله وسلم على هذا النبي الرسول ، الذي به كمال المنى وبلـوغ كل ســول ، صلاة وسلاما يعمان الآل والصحابة والتابعين ، ويشملان أهـل

الخصوصية من أمته ومن اقتدى بهم الى يوم الدين ، أما بعد فقد أطلعت فـي سعد السعود . على ما أطلعته السعادة مـن مطالع السعود ، فـي سماء سطور هذا الكتاب الموسوم باظهار الكمال ، في تتميم مناقب سبعة رجـال ، لأديب العصر ، ووحيد المصر ، الراقى بهمته العالية للمقامات المنيفة كاتب الحضرة الحفيظية الشريفة ، مَن :

إذا أقـر عـلى رقٍّ أنامله أقرَّ بالرق كتابُ الأنـام لـه

العـلامة الفـاضل أبـي العـلاء والـمكارم ، الـسيد عبـاس بـن إبراهيـم المراكشي ، دام محفوظاً ، وبعين العناية ملحوظاً ، فشاهدت سماءه المزدهـرة سطورها دون جحود ، قـد صعد فيها مؤلفه الى كمال مراتب الصعود ، ولـم أشاهد بشهادة الله فيه إلا ما تقر به العيون ، وتنجـلى به عن القلوب جميـع الغيـون ، قد تأنق فيه ، بما نظمه ببنانه ونثره مـن فيه ، فنثر الـجواهر الحسان ، ونظم منها عقود الجمان ، وقلائد عقيان غالية الأثمان ، وأبرز مـن مكنون خزائن العلوم فـي هذا التأليف ما يبهر عقول ذوى الانصاف ، فـي حسن ترصيع وتصنيف باستطرادات مناسبة لمركبات نظمه المتناسبة ، وأتى بالسحر الحلال ، في مناقب هؤلاء الرجال ، وجال حفظه الله في تراجمهـم فـي أوسع مجال ، ماجاراه فيه غيره من فحول الرجال ، فجزاه الله عن هذا السعي المحمود ببلوغ السول ، وكما المقصود ، ءامين . هذا وقـد اجتليت غواني مغانيه ، ترمى لناظرها در معانيه ، وهي ترفل في أذيال دلالها ، وتسبى عقول الرجال بـكمال جمالهـا ، وجلست فـي رياض الأنس بها أمتـع في تلـك المحاسن عين البصر والبصيرة ، ويدى عن فتح تلك القصور قصيرة ، وبينما أنا كذلك ، حيران الفكر في الوصول لما هنالك ، إذ :

وافت مهفهفة الأطراف تسقينـي راحاً به من جراح الطرف تشفيني
وأقبلت في بساط الأنس رافلـة تجر ذيـل دلال كاد يفنينـي
جادت عليَّ وما ضنَّت بما وعـدت لما درت أنها بالوصل تحيينـي
جاءت على وفق ما أهواه مرغمـة أنف العذول الذى باللوم يؤذينـي
من لؤمه قد غدا يغرني زمنـا ومـا درى انه باللوم يغرينـي

يريد أن أتخلى عن هواي لهـــا ... وإنني في الهوى يزيد تمكينـــي

يزداد حبي لها والحب حرقتـــه ... من قبل تكوين نفسي فيه تكويني

ما ملت في عمري عنها الى حسـن ... الا لمن بسناه اليوم يسبينـــي

أديب مراكش من نفسه ابتهجت ... فصـار بهجة أصحاب الدواويـن

ضحاك وجه لمن أضحى كفيل هدى ... عباس قلب لمن عاداه في الديـن

عباس المرتضى من حل مرتبـة ... تجل بين السراة والسلاطيـن

له التقدم في أهل الكمال عـلى ... سواه رغماً على أنف الشياطيـن

أضحى يرى في الأمام وهو بينهـم ... أمامهم والسوى بين الأساطيـن

في كل علم وفن نال دون مـرا ... كشف الحقائق حقاً دون تخميـن

وكم له في مجال سر حكمتـه ... في درسه من مجالس لتلقيـن

يجيد فيما يفيد من لطائف مـن ... طرائف العلم في اتقان تبييـن

أما ترى منه اظهار الكمال بـدا ... للعالمين ينيل الفتح في الحيـن

في السادة الأصفيا السبع الرجال أتى ... بـه فنال بهم كمال تحصيـن

هم الرجال الذين جل قدرهـم ... وطار صيتهم في الغرب للصيـن

لهم مراتب في العليا قد ارتفعـت ... وفي العلا رسخت بكل تمكيـن

غدت مقاماتهم للقاصدين حمـى ... من حله حل في أمن وتأميـن

من جاءهم بسكينة ومسكنـة ... يذبـح عداه بهم بغير سكيـن

فـالله أكرمهم بـكل مكرمـة ... وخصهـم بكرامات بتلويـن

لهم مناقب لا تحصى لكثرتهـا ... هيهات تحصر في عدى بتعييـن

أثني عليهم بما خصوا به ولهـم ... فضل يجل بأن يجليه تبيينـي

ولي وحقهم فيهم وكل ولـي ... محبة عرفهـا مازال يحيينـي

أرتاح عند سماع ذكرهم طربـاً ... رغماً على أنف من فيهم يعادينـي

والحب مني لهم لله ليس يـرى ... لعلـة أبداً وذاك يكفينـي

ولي اغتباط بأهل الله قاطبـة ... فـي حبهم وأنا والله تجينـي

شيخي التجاني وعنـه لا أحيد الى ... سواه في نيل أمداد وتلقيـن

والحب للأولياء فـي طريقتـه ... ركن عظيم عليه الشيخ يوصينـي

هذا اعتقادي الذي ألقى الالاه بـه ... غداً وحبي لهم أعد من دينـي

وان حبي لهم يرضى الالاه بـــه — عني ومن سائر الأسواء يحميني

فالزم محبتهم وقم بواجبها — واخدمهم فهم خير السلاطين

لله در فتى قد قام يخدمهم — بصدق عزم بامداح وتدوين

ذاك الأديب الرضى العباس من شهدت — له بفضل ذوو العلياء والدين

وافى الينا باظهار الكمال وقد — وفى بمدح بأرجح الموازين

أكرم به من كتاب لست أبلغ ما — قد استحقّ بتقريظي وتأبيني

وكيف أقدر يوماً أن أوفيه — وفاء مدحي له والعجز يثنيني

لكنني أسئل الرحمان يمنحه — من فضله كل ما يرجوه في الحين

وان يتوجه تاج القبول على — رغم الحسود ويعطى سر تحصين

وان يؤمنه دنيا وءاخرة — مع المحبين في كمال تأمين

وكتبه العبد الذى لايزال على فضل ربه يعرج، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج ، كان الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما وإليه ، مع سائر المحبين ، والحمد لله رب العالمين .

ومنها تقريظ لسان الفصاحة والبراعة ذى القريحة المدرارة ، ومقلد أجياد البلاغة قلائد جواهره المختارة ، الفقيه الحيي الكاتب الشاعر ، صاحب السمت الحسن والسنن المستحسن والنظم المتكاثر ، السيد مُحمد ابن الفقيه السيد المفضل غريط ونصه :

الحمد لله مانح التوفيق والهداية ، ملهم من أمده بامداد العناية الى قرع أبواب أهل القرب والولاية ، ميسر أسباب النجح ، لمن استمطر من سماء فضلهم شآبيب الربح ، مفرج ضيق الكرب عمن تشبث باذيال خصوصيتهم الحقيقة ، وتعرض لنفحات عطفاتهم الرقيقة، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد قطب دائرة العرفان والأسرار، الممد لكل مغترف من بحر جوده بلامع الأنوار، وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار بدور الهداية التى لا يلحقها نقص ولا يعتريها سرار اما بعد فقد طالعت هذا الكتاب النافع الحائز قصب السبق فى مضمار التحرير من غير مدافع المسمى اظهار الكمال فى تتميم مناقب سبعة رجال تأليف الفقيه العالم، ذى الفهم الثاقب والصدر السالم، الكاتب البارع المنشى ،

السيد عباس بن إبراهيم المراكشي، حفظه الله تعالى وأسعده، وشدء بنيان مجده وشيده فاذا هو در مكنون وروض فنون يسرح الناظر فى بدائع معارفه ، ويرتاح الخاطر للطائفه وظرائفه ، فلله دره من مؤلف أتى بما يشهد له بكثرة الاطلاع ، وطول الباع ، حقق ودقق ، وجمع ما تفرق ، من مناقب ينابيع الأفضال ، سادتنا الأخيار سبعة رجال ففى مثل مناقبهم تستن جياد الأقلام ، وتتحلى أجياد الطروس بلئالىء النثار والنظام ، وفى ذكر أولائك الأعلام يحسن الاطناب ، وتعمل عوامل الألباب ، اذ هم العروة التى لا تنفصم ، والأطواد التى ينجو من بها يتصم ، السيوف القواصم ، لظهر كل باغ وظالم ، فهنيئاً لمن بقربهم يعتنى ولثمار مدحهم يجتنى ، نفعنا الله بهم ، ونظمنا فى سلك حزبهم ، وحقق لهذا المؤلف رجاءه ، وجعل العناية والرضى جزاءه ، ءامين وقد قلت مادحاً لهذا الكتاب ، وان كنت ممن يغلب خطؤه على الصواب :

ليس اشتياقى لذات الخد والجيد — مثل اشتياقى لأهل الجد والجود
ولا انعطافى إلى لحن يردده — جورى لخظ يحاكى رنة العود
يناوب الصوت ذات السجع مزدهياً — بوجنة كسيت بوشْي توريد
سقته كف الصبا صرفا معتقة — واحتل فى خلد بالهجر موقود
ولا انثنائى إلى روض مؤنقة — مثل انعطافى لذكر السادة الصيد
هم الكرام الأولى جمت مناقبهم — هم الهداة لمن يعنى بتسديد
هم البدور التى تجلى أشعتها — لَيل الردى والأذى عن كل موجود
هم الحماة فمن يحلل بساحتهم — يلق النجاة ولم يقصد بتهديد
هم الرجال الأولى ترجى عواطفهم — لدفع ضنك وانجاز لموعود
وهم ليوث الشرى تصمى اذا زئرت — وهم غيوث الورى فى الأزمن السود
القاهرون لمن بالظلم ذو كلف — والمسعفون لذى ضيم وتسهيد
فما قصدت حمى الأفضال ذا أمل — الا وأبت بنيل خير مقصود
ان العناية ان حفت أخا أدب — لم يخش غياً ولم يعبأ بمنكود
كالعالم المرتضى العباس من شهدت — له القداة بتحرير وتجويد
لله ما جمعت يمناه من نخب — غر منظمة كالعقد فى الجيد
مجموع علم وءاداب ومعرفة — يغنى الأديب به عن كل تقييد

بدائع لو عنى بنسج بردتهـــــا أبو الوليد سلا ولادة الغيــــــد
مناقب من غدا معنى بحرمتهــــا يلق الزيادة فى رشد وتعضيـــد
مواهب لمنار الزهد رافعــــة لا يهتدى لسناها غيرُ مسعـــود
زهر يرق بها قلبُ الأريب ومـــا يعيبُها غيرُ قاسى القلب جلمـود
قد همت لما ومقت حسن طلعتـه كأن ظفرت بوجدان لمفقـــود
فاهنا أبا الفضل ما قد نلت من قرب عم ومن نعم مخضرة العـــود
أبقيتَ ذكراً حميداً لم يزل نضـراً مدى الدهور يجرُّ ذيلَ تجديـــد
إن يحسدوك على عقل ومنزلـــة أي امرىء فى المعالى غير محسـود
واعذر أبا الفضل ان الخطوذو قصر واقبل فديتُك منى بذلَ مجهـــود
لازلتَ فى ذروة الاجلال معتليـــا ترنو إليك الورى بعين مـــودود
حتى ترى ألسُنَ الأقلام حامـــدة محاسناً منك لم تدرك بتحديـــد
بحقِّ مَن عظمت بالخلق رحمتـــه محمد المصطفى المختار محمـــود
عليه أزكى صلاة الله ما صدحـــت ورقاءُ روض بتلحين وتغريـــد
وءاله وجميع الصحب ما ختمـــت بمسك ذكرهم أقوالُ تمجيـــد

كتبه العبد الفقير الى رحمة مولاه محمد غريط وفقه الله فى 19 رجب عام 1326 .

ومنها تقريظ الفاضل الأديب ،المتحلى مـن العلوم بأوفـر نصيب صاحب التوليدات الشعريـة العجيبة ، ونوادرها الارتجالية الغريبة ، فحـل الشعر الذى لا يقرع أنفه ، ونافث النثر الذى تبهرك منه نتفه ، الكاتب البارع رب القوافى الروائع ، الشريف سيدى عبد السلام ابن المحب العلـوى ونصه:

الحمد لله الذى تتنزل الرحمـات بذكر أوليائه . والصلاة والسـلام عـلى سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه، وعلى ءاله وأصحابه الأخيـار والمعتلين بعليائه . أما بعد فقد وقفت عـلى هذا الكتاب الذى لايشك المنصف فى فضـل مؤلفه ولا يرتاب ، الفقيه العالم الأديب ، الكاتب النبيل ، الأريب ، أبو الفضل السيـد عباس بن إبراهيم المـراكشى فوجدته حقاً قد أظهـر الكمال أعظم الاظهار ، باتمام مناقب سبعة رجـال الأطهار ، فلله ما أجمله مـن تصنيف جم الفوائد ، كثير الصلات والعوائد ، قد دل لمؤلفه على سعة الاطلاع ، وقوة

الاضطلاع ، واخلاص النية ، وحسن الطوية ، من الاهتمام بأحوال مثل هـؤلاء السادات الذين بذكرهم ينجلى عن القلوب الران ، وتتطهر من الأدران ، وتبلغ الآمال ، وترفع الأعمال، وقد قلت مقرضاً، راجياً أن ينظر ذلك بعيـن قبول ورضـى .

أخود أم ظبي' عـــاط	حسنا أم الروض عاطـر
والروض بالنـــور زاه	غضا وبالنوء زاهــــر
لم يخش من هجو هـاج	ولم يخف هجر هاجــر
أم راح من راح كـــأس	ما سامها قط كاســـر
بل ذا مؤلف بـــــاه	لمن له الفضل باهـــر
عباس أنجب نـــاش	فـى العلم للطي ناشـر
للعلم أعشق صـــاب	للصد والهجر صابـــر
من حل أرفع نـــاد	فى الفضل والعلم نـادر
فى سادة كـــل واف	منهم له البحر وافـــر
يقضى بهم كل حـــاج	يقصى بهم كل حاجــر
يـشفى بهم كـــل داء	ممن عليهم دائـــــر
مـا أمهم قط شـــاك	الا غدا وهو شاكـــر
فاقبل عجالة قـــاص	عـن بعض وصفك قاصر
بقيت أجمل حـــاظ	لـم يخش للحظ حاظـر
ولتسكنن كل عـــام	بيتاً من الحسن عامـر

كـتبه عبد السلام بـن محمد المحب العلوى الحسنى كان الله لـه فى 23 رجب عام 1326 هـ .

ومنهـا تقريظ الأديب اللبيب ، الشـاب النجيب ، الهـلال الذى سيصير بدراً ، النظام الناثر ، النافث فى سطور الطروس درا ، حسن الخلق ، جميل الخلق ، أنس المجالس وبهجة المجالس ، السيد محمد بـن مصطفى (بوجندار) الرباطى ونصه :

الحمد لله الذى جعل العلم للنفس أكمل حلية ، وللعقل أشرف زينة ، والشكر له سبحانه على ما أسدى من نعمه الجليلة المتينة . والصلاة والسلام على عين الرحمة وشفيع الأمة ، سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين الذى استعار منه الفضل الفضلاء من الأولياء والصالحين . وعلى ءاله الكرام ، وأصحابه الجهابذة الأعلام ، والتابعين لهم باحسان الى يوم النشر والقيام . أما بعد فلما من الله تعالى وجل جلالا علي بمطالعتى وتصفحى هذا الكتاب النافع المفيد ، الجامع من النكات والرقائق ما يسر المستفيد :

من كل معنى يكاد الميت يفهمه حسناً وتعشقه من حسنه الصور

المسمى باظهار الكمال ، فى تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال ، ألفيته جواهر نظمت فى سلوك العقيان وفوائد منضدة غالية الأثمان ، فياله من مؤلف ، جمع فرائد وشوارد الزوائد وما عنها تخلف :

كأنه روضة غناء نمقها كف الربيع فجاءت نزهة الحدق

فحقه ان يكتب بنور الأبصار ، على صفحات الأنوار ، وان تكتحل بعجيب إثمده الأعين ، وترتضعَ كلَّ وقت من ثدي عباراته الأفواهُ والألسن ، وبالجملة فهو شفاء العليل وبرد الغليل ، وكيف لا يكون الأمر كما وصف ، ومؤلفه الامام بأعلى الشيم متصف ، الا وهو الفقيه العلامة ، المشارك الدراكة الفهامة ، مقيد أوابد العلوم ، ومالك أزمة المنطوق منها والمفهوم ، الجهبذ العالم الفاضل ، الممتاز بين الأقران بالرفعة كالفاعل ، تاج البلغاء ، وسحبان الأدباء ، ونخبة النبلاء والألباء ، أبو الفضل السيد عباس بن إبراهيم المراكشى كان الله له ولياً ، وبه حفياً :

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

وقلت مادحا لهذا الكتاب الفريد المستطاب ، الجامع لما افترق فى غيره من العلوم والآداب محبة فيه وفى صاحبه ، وقياماً من حقه ببعض واجبه .

هذا سنا روض المحاسن راق متلألئاً فيه منى المشتاق
أم ذا الجمان أم الجواهر نظمت بعقود نحْر الغيد ذى الاشراق

بل انه شرح عجيب أفقـــــــــه يـــزهو بنور الفهم فـــى الأذواق

شرح زها بمديح أهل الفضل سا دتنا الكرام نفائس الأعـــــــلاق

هم سبعة فخرت بهم مراكـــــش أقطابهـــا حقاً ذوو التريـــــــاق

وأكرع اذا رمت المناقب جمـــــة تروى بشرح فاتح الأغــــــلاق

فيه تجمعت المحاسن كلهـــــــا من لؤلؤ وزبرجد الأطـــــــواق

قد صاغه الحبر الكريم المنتقـــى من فضله قد شاع فى الآفــــــاق

الجهبذ الفردُ الفريدُ المرتضـّــى بحر المعارف طيب الأخـــــلاق

هو سيدى العباس من ملك العــلى فخـــر الأماثل كعبة الحــــــذاق

أبــقاه ربى فى المفاخر والعلــــو م بجاه خير الخلق بالأطبـــــاق

صلى عليه الله ما هبت صبــــــا وثنت قدود الغصـــن ذى الأوراق

والآل والأصحاب ما شادٍ شــــدا هذا سنا روض المحاســـن راق

وكتبه مــع استعجال ، وزيادة ضعف البـــال العبد الفقير الخاطـى محمد بن الحاج المصطفى بوجندار الرباطى سامحــه الله وكان لــه وتولاه بذى القعدة الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف .

ومنها تقريظ الأديب الأريب ، الحائز من الفصاحة والبلاغة السهم المصنيب ، صاحب الموشحات الرائقة، والأذواق الفائقة، الفقيه الكاتب البارع الباهر ، صاحب المجد الباذخ الناظم الناثر ، السيد الهاشمى بن عبد الوهاب طوبى السلوى ونصه :

حمداً لمــن خلع علينا مــن الايمان أحسن لباس ، وجعلنا من خيــر أمــة أخرجت للناس ، وطهرنا من الشرك والاشراك والأدناس ، وسقانــا من شراب وداده بأوفر كأس ، ممزوجاً برحيق مختوم عاطر الأنفاس ، ونصــلى ونسلم على عروس مملكته وصاحب حضرته سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام ومسك الختام وسراج أفقه ، وصفيه من خلقــه ، وعلى ءاله الأطهار وصحابتــه الأخيار من المهاجرين والأنصار الذين شيدوا مباني الدين ، وقاموا بشريعة سيد المرسلين وعن التابعين ومن تبعهم باحسان فــى كل عصر وأوان ، مــا انهل وابل ، وطلع آفل ، هذا وقد أتحفنى مَن له المنةُ علي والفضل ، وان

كنت لست لذلك بأهــل محبنا الفقيه العلامة الجليل ، الصدر النبيــل ، ذو التحقيق والتحصيــل ، والسعي الجميل ، من أصبح فــي وجه الــزمان غرة ، ومن لكل قلب به مسرة ، الأديب الالمعى ، الحبر الكاتب ، البارع اللوذعــى المتحلى بحلية أهل الفضل والكمال ، الحائز لأشرف الخصال ، مَن أشرق نور بــدره كالنبراس في الليل البهيــم أبو الفتوح السيد العباس بــن إبراهيم المراكشي بمطالعة مصنفه الجامع البديع وما أودع فيه مــن حسن الصنيع من الأشعار الفائقة ، والنقول الرائقة الذى ضمنه مناقب سبعة رجال ، من أهــل الفضل والــكمال ، المقتدى بهم فى الأقوال والأفعال ، وسائر الأحوال مــن طبقت مئــاثرهم الآفاق ونالوا مــن أسنى الحظوظ ما أوجــب لهم التقــدم والسباق ، وما خصهم الله به مــن الكرامات ، وخوارق العادات ، والتصــرف فى الحياة وبــعد الممات ، مما لا تفى به عبارة ، ولا تحويه إشــارة ، المشهورين ببهجة مراكش الحمراء المنيرة الغراء ، ذات البهاء والشأن ، ومحط رجــال الصالحين والأمراء منذ أزمان ، لازالت بعز مؤبد ، وهناء مسرمد ، فسقى الله ثراهم شئابيب الرحمات والغفران ، وبواهم أعلى فراديس الجنان ، وسقانــا من مددهم العاطر ، ومنحنا مــن فيضهم المتكاثر فرأيت فيما طالعت من نــبذ غرره وفرائد درره كما قيل :

رأيت به ما يملأ العين قـــــــرة ويسلى عن الأوطان كل غريـــــب

وبالجملة فما هو الا جنة ذات بهجة أطيارها صادحة بصدق اللهجة لوائح الاقبال عليــه لائحة ، ونواسم الأعطار مــن شذاه نافحة ، غاص عن درره فى البحار السبعة وانتقــى منها ما يصلح للقنيــة والمتعة كما قيل :

من كل معنى تكاد الراح تعشقـــه لفظاً ويحسده القرطاس والقلـــم

من تأمله علم أنه وهب وفتح، وفيض لا رشْح، حقق الله رجاء قصده، وخوله سوابغ رفده ، وأشادمنار سعده ، ومتعنا بطالع محياه ، ولا حجب عنا عزيز رؤياه ، بجاه من له الجاه سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعــلى

كل مـن والاه ، ولما أسكرني نظمه ، وءانقني رقمه ، قلت مرتجـلا ، وعلى الله متوكلا ، من بحر الوافر ، الذى ينفى الهمّ عن الخواطر :

لقد طربَ الفؤاد وما شربنــــا ... ودام الانس واستولى مكينـــاً
وأنــهلني وعللني شـــذاه ... فصرت لبعد هجرهم أمينـــاً
وزال الغيم فانكشفت بـــدور ... تتيه على البدور مدى السنينـــا
لمطلعهـــا حجاه وقد تبـــدت ... لديه وحـــازها حوزاً مبينـــاً
بـــلى والحب للأسياد طــــرا ... خصوصاً سبعة من صادقينـــا
ثووا بالبهجة الحمراء دهـــراً ... جوارهم لها حصناً حصينـــا
هـم الأوتاد والأطواد حقـــاً ... ومعقلهم امام الخائفينـــا
لمجد جنابهم حق امتداحـــى ... وما مدحى لهم فى المادحينـــا
سوى أني أروم بـــه انخراطـــاً ... بسلكهم وعقدهم الثمينـــا
يطيب بذكرهم عيشى ويسلـــو ... بمدح حلاهم قلبى الحزينـــا
أعـــد عنى مديحهم وشنـــف ... بـــه أسماعنا حيناً فحينـــا
فيـــالله ما أحـــلى وأشهـــى ... حديثاً جرَّ ذكرَ الصالحينـــا
فأولهم عـلى الترتيب يُدعَـــى ... بيوسف مَن سما فى الواصلينـــا
إمـام صادع بالحـــق داع ... لسبل الرشد يهدى المرشدينـــا
فيا ذا الغار نَجْلَ علي قصدنـــا ... حماك وأنت ذخرُ المرتجينـــا
ودارِكْ بالعناية حالَ مَن قـــد ... يؤمُّ جنابكم فى السائلينـــا
فجدْ بالفضل للمضطرِّ عزمـــاً ... وحاشا أن تكون به ضنينـــا
وعياض بن موسى اليحصُبى مَن ... تفجَّر بحـــره عذبا مَعينـــا
إمامُ الجمع قدوة كل شيـــخ ... سرتْ أسراره للعالَمينـــا
بـــهمَّتِـه أرجِّى ربٌّ عـــزا ... وفتحـــا عاجلا يأتى مُبينـــا
وسلطانٌ لحضرتها عمـــادٌ ... أبو العباس قطبُ العارفينـــا
هـو الشهم الامام اللذْ تسمَّـــى ... بأحمد مَن سما فى الحامدينـــا
أنجـــلَ جعفر ينمى عـــلاه ... لأنصـــار وصحب فائزينـــا
فأنت الخزرجيُّ الأصل حقـــاً ... عريقُ المجد نجل الأكرمينـــا
حنانك أيها السبتيُّ عمَّـــن ... لجـا فاحم حما للاجئينـــا
بجاهك سيدى أرجو صلا حـــا ... ونجحا فى الأهالى والبنينـــا

ويسهل ما أحاول من مـــرام بمامول المنى دنيا ودينـــا
كذا نجل سليمان يسمَّـــى محمداً ابن خير المرسلينـــا
هـو الشيخ الجزولى مَن تصـدى بـهمته لرد الشاردينـــا
بجمع دلائل الخيرات أدلـــى بـأهليةٍ وكان به قمينـــا
فكم أهدى وأرشد مَن ضليـــل به بعد الكتاب المستبينـــا
تحفُّ به الملائكُ حين يتـــلى فيهنى الذاكريـــن الخاشعينـا
بقدرك عند مَن أولاك مجـــدا يقينا الشامتينـا الحاسدينـا
ويلهمنا لنهج الرشـــد حتـــى نـرى فى العاملين المخلصينـا
ووارثك ابن عبد الحق عبد الـــ عزيز أمـــان روع الخائفينـا
هو الصدر المبجل حيث يُدعَـى بتّباع مضى فى التابعينـــا
فحـــررْ أيها الحرار رقـــى فقد أصبحت فى عمل رهينـــا
ترفق بالغريم فقد دهاه الـــز مانُ ولم يجدْ خِلاً معينـــا
فراحتك الكريمة سيف بحـــر مددت لنيلها الكفَّ اليمينـــا
كذا المولى عبيد الله قطـــب المشايخ ليثُ غابهم العرينـــا
مهيب مرتدى ثوب افتخـــار جليل القدر كهف الزائرينـــا
فيا لكَ نجل أحمد من ولــــيٍّ همـــام معتن بالقاصدينـــا
فبالغزوانيِّ الشهْم اطْلُبَنْ مـا تشا والله خير الرازقينـــا
فنفس عـــن عليل بل كئيـــب تـكنف جسمَه داء دفينـــا
وخاتم دورهم بَدْرُ المعالـــى أبـــو زيد إمام المقتدينـــا
بجاهك عابد الرحمان أكفـــى وأنجو من تعدى الظالمينـــا
ويسهل يا سُهَيْـلِى ما أعانـــى ويجرى سابقى فى السابقينـــا
كفى إذ قمت حبر ببعض حـــق لـكي ترضى إلاه العالمينـــا
بروض زاهر أُنُفٍ عبيـــق به طابت أنوفُ الناشقينـــا
حوى من سيرة المختار ما قـــد به قرتْ عيونُ الناظرينـــا
أجرنى واحمنى من كلِّ شـــرٍّ وضرٍّ يا ضرير المعتدينـــا
رجوتـــك والكريم له وفـــاء بحق السائلين الراغبينـــا
بجاههم الـــعظيم إليك ربـــى تـــولَّ أمرنـــا والمسلمينـا
وحُطنا بالرعايـــة منك وانظـــر لمـــا قد حلَّ من خطب وقينـــا
وعم الربع بالألطاف واجبـــر سفينتنا وكُفَّ الجائـرينـــا

وعجلْ بالاعانة منـــك وانصـــر ... لمولانا أميـــر المومنينـــــــا
ولا تُسلمْ عُبَيْدَكَ للدواهـــي ... بحق الراكعين الساجدينـــــا
إذا ضاق الخناق بنـــا فزعنـــا ... لحيهم فـــنكفى المرجفينـــا
فجاد ثراهم صوبُ الغــــوادى ... يعمهم وكـــل المنتمينــــا
وواصل للمؤلف كل خيــــــر ... وكـــن براً بــــه حفيا معينـــا
فـقد أهدى لنا منحاً توالــــت ... بما أسدى لجمع الحاضرينـــا
هو الحبر المجيد بكل فـــــنٍّ ... يساعد سعيه رفقا ولينـــــا
فتى غرس المحامد واجتنـــاهـــا ... وليداً قد حوى علماً ودينـــا
أبــو الفتح الذى حاز التسمـــى ... بعباس ابـــن إبراهيم فينـــا
لقد جمع الشواردَ وانتقاهــــا ... بتضمين بـــه ساد القرينـــا
عليه طلائعُ الاقبال لاحــــت ... بتوقيع الكرام الشاهدينـــا
جرى قلمُ السعادة فيـــه يُمـــلى ... مئاثرَ مَنْ مضَوْا فى الغابرينـا
ظفرت عـــلى قران السعد فيـــه ... بما يهدى عقول الحائرينـــا
فيامَن لم أزل أحظَى لديــــه ... بحسن رعاية فـــى الكاتبينـــا
بقيت ممدحـــا فى كــــل نـــاد ... مـــدائح كـــلها حقاً يقينـــا
ولا عدمتْ قريحتُك اتّقـــادا ... وتحصيلا يسرُّ المنصفينـــا
فحطه بـــالرعاية يا إلاهـــــى ... من الأسوا ومكر الماكرينـــا
وخلص سره من كل شــــوب ... وصُنْهُ من بُغاة جائرينـــا
وصل عـــلى حبيبك ثـــم سلـــم ... بعدّ الخلق طراً أجمعينـــــا
محمد سيد الأرسال قطعـــــاً ... مبيد الجاحدين الكافرينـــا
وءال ثم صحب مَن جمـــــوه ... وأنصـــار وكـــل التابعينـــا

وكتب قصير البـاع والاطلاع ، محمـد الهاشمي بن عبد الوهـاب طوبى السلاوى متطفلا كان الله له .

ومنها تقريظ صاحبنا الماجـد الأصيل ، العالـم النبيل ، شعلـة الذكاء وشاعر الرباط الأسمى الأرفع ، سليل الصالحين ، وبهجـة الناطقين ، الفحل الذى لا يقرع أنفه ، السيد محمد ابن اليمنى الناصرى ونصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

أنثيرَ در أم حبابَ الكـــــاس أم ازاهرَ الروض الأريض الكاسى
أم تاجَ مائسة القوام وقد بـــدت تذكى الغرام بعطفها الميـــــاس
هيفاء أسكرها الدلال فأسكـــرت غررَ العقول بطرفها النعـــــاس
وافتْ عـلى وفق الهوى ووفتْ على رغم النوى فأستْ جروحَ الآســى
وزها بساطُ البسبط اذ نلت اللقا وظفرت بعد البعد بالاينـــــاس
أحببْ بها ما ملت عن حبى لهـــا إلا إلى بدر الهدى العبــــــاس
بدر تكامل فى سمـــاء سيـــادة وسعادة تغنى عـــن المقبـــاس
دوح المعارف من غدت أفنانُـــــه تحوى فنونَ العلم والاطـــراس
ريحانة الأدبـــاء مَن مِن طيبـــه جاد الصَّبا بنفائسِ الأنفـــاس
أشعاره نفحات أسحار حـــوت نفحات أسحار تلين القاســــــى
ولكم أفاد وكم أجاد وجاد حــــ ـــتَّى ألبس الأطراسَ خيرَ لباس
يكفيك إظهار الكمال فقد بـــدا فيه الكمال له بلا إلبـــــاس
يفترُّ عــن درر وعن غرر وعـــن زَهَر وعن زُهر وعن ألمـــاس
لـم لا وقد أبدى مناقب ســـادة حـــلى مديحهم حـــلى القرطـاس
هــم بين أهل الله سبعةُ أبحـــر قد فاض فيضُ نداهم فى الكـاس
وهم لنـــا الغوث المغيث من الردى والغيث للتطهير من ارجـــاس
لله درك من فتى أضحى بهـــم مستمسكا فنجا من الافـــلاس
لازلتَ يا دوحَ الفكاهة يانعــــاَ غضٌ الفواكه طيبَ الأغـــراس
بمحمد سر الختام الخاتم الـــــ ـفتاح أحمد أكمل الأجنـــاس
صـــلى عليه الله ما هبتْ صَبَـا والآل والأصحاب والأجـــراس

قاله بفمه ، وكتبه عن عجل بقلمه ، أقل الخليقة ، ومن لا يعد شيئاً فى الحقيقة ، عبد ربه المذنب الخاطى ، محمد بن اليمنى الناصرى الجعفـرى الزينبى الرباطى لطف الله به .

خاتمة

لما كملت من طبع اظهار الكمال اثنتان وثلاثون ملزمة بفاس . حرسها الله من كل باس عام 1326 وجهت منه نسخة لشيخنا الفقيه العلامة البركة شيخ الجماعة سيدى محمد بن إبراهيم السباعى أطال الله تعلى بقاءه ، فأجابني بمانص المقصود منه :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وعلى الأخ فى محبة الله ومحل ولد الصلب ، وهو ولد القلب ، الفقيه النجيب ، الأديب الناشىء فى طاعة مولاه ، السيد العباس بن إبراهيم المراكشى ، أزكى السلام وأنماه ، يعطر الكون نشره ورياه ، ورحمت الله تعالى وبركاته عن خير مولانا أدامه الله ، وبعد فقد بلغتنى كراريس تأليفك الذى مبناه السبعة الرجال . وطالعته فقلت كما قال سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : لا أدرى بأيهما أنا أسر هل بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ والعبيد لايدرى بأي هاذين هو أسر ؟ هل بنجابتك أم بعلو همتك حين انفردت عنا وعن أبناء الجنس بالتفادى من البطالة فى زمن اقتضى حتماً البطالة حفظك الله وحفظ نجابتك .

وانما ذكرت هذه التقاريظ لما تضمنته من الثناء على سبعة رجال الذين شغلت تراجمهم من هذا التاريخ الاعلام نحو ثمنه فالسبتي شغلت ترجمته من المجلد الأول نحو أربع كراريس ، والجزولى شغلت من المجلد الثانى نحو ثلاث كراريس ، والسهيلى من الخامس نحو كراس واحد ، والغزوانى شغلت من السادس نحو كراسين ، وشيخه التباع شغلت منه نحو كراس واحد ، والقاضى عياض نحو أربع كراريس من المجلد السابع ، وسيدى يوسف بن علي شغلت ترجمته وما يتبعها من المجلد الثامن نحو أربع كراريس ونصف ، وقد جمع الامام القطب سيدى المعطى بن الصالح الشرقى تقاريظ المغاربة فقط لكتاب الذخيرة له فى مجلد ، كما جمع الشيخ مرتضى تقاريظ شرحه للقاموس فى مجلد ، الأول عندى ، والثانى ذكره تلميذه الامام ابن عبد السلام الناصرى نزيل مراكش فى رحلته لدى ترجمته منها ونقدم المقصود .

مقدمــة

تشتمل على فصول مهمة

المقدمة فى ذكر مراكش وأغمات وسرد أسماء التصانيف فى البلدان وذكر ما يندرج من علم التاريخ فــى العلوم الشرعية وما يناسب ذلك من فرائد الفوائد بأوضح بيان ، وينحصر ذلك فى فصول ، بمجموعها يظهر المقصود ويحصل السئول .

الفصل الأول

فــى ذكر مراكش وتاريخ بنائها وبيان مؤسسها وجوامعها وأجنتهــا وبركها وما كان لها من ضخامة الشان ، وما شيد فيها من القصور العظيمــة الهياكــل الفخيمة البنيــان وغير ذلك مما يحصل بــذكره ارتياح لــلأرواح والأبدان .

فأقول مستمداً مــن الله تبارك وتعلى العون والتسديد فــى حصول المامول : إن مراكش قد ذكرها غير واحد ممن صنف فــى البلدان وحلوها بالأوصاف الجميلة ، والمنافع المستحسنة ، الكافلة لساكنها بنيل المنى مما يتم به العمران ، منهم صاحب (الاستبصار فى عجائب الأمصار) (1) الذى نقل منه ابن أبى زرع فــى قرطاسه قال : مدينة مراكش كلأها الله هي اليوم حاضرة بلاد المغرب ودار مملكتها ، وهي مدينة عظيمة فــى بسيط مــن الأرض ، أسسها يوسف بــن تاشفين سنة تسع وخمسين وأربعمئة ، وأول ما بنى فيها دار لحرمه هي الآن معلومة بها ، ثم اختط سورها ولده علي سنة

•

1) طبع بالاسكندرية سنة 1948 .

أربع عشرة وخمسمئة ، وفتحها الخليفة أمير المومنين رضى الله عنه يـوم السبت بعد صلاة الظهر الثامن عشر من شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمئة، وعلى ثلاثة أميال منها وادى تانسيفت منبعه مـن بلد هيلانة ويصب فيه وادى وريكة ووادى نفيس وأودية كثيرة ومصبه فـى ساحل رباط جـوز ويدخله الشابل الكثير الطيب، وهي مدينة صليبة' التربة كأنها غطا من حجر على حجر ، عذب ماؤها قريب على قامة أو قامتين ، وبساتينها كلها تسقى مـن ءابار ينفذ بعضها لبعض حتى تخرج علـى وجه الأرض ، وبينها وبين درن نحو العشرين ميلا ، وهي كثيرة الزرع والضرع ، محرثها دكالة ، وجنتها نفيس ، وحولها مـن البساتين والجنات التى يسمونها البحائر لعظمها ما لا يحصـى كثرة ، وإنما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة مَن يعمره ، وكان خروج هذه الشرذمة الصحراوية لقتال برغواطة الكفار المرتدين عـن ديانـة الاسلام وكان إسلام قبائل الصحراء سنة خمس وثلاثين وأربعمئة ، وخروجهم سنة خمسين أو نحوها ، فقتل زعيمهم الذى أخرجهم ببلد برغواطة بموضـع يسمى كريفلة (I)، وبُني على قبره مسجد، وولي بعده أبو بكر بن عمر اللمتونى المحمدى ، وبقى الى سنة سبع وخمسين فرءا أن ينخلع ويولي يوسف بـن تاشفين ويطلق زوجته زينب بنت إبراهيم النفزاوى ، ولـم يكن فـى زمانها أجمل منها ولا أعقل ولا أظرف ، فتزوجها بعده يوسف وبنى لـها مراكش ، وسار أبو بكر بن عمـر الى الصحـراء ، فقاتل السودان فرشقه سهم فمـات ، ومدينة مراكش اليوم مـن أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالا بـما زاد فيها الخليفة الامام عبد المومن وخليفته يوسف وخليفتُهما يعقوب رضى الله عنهم ، فان الخليفة الامام بنى فيها جامعا عظيما ثم زاد فيـه مثله أو أكثر فـى قبلته كـان قصرا ورفع بينهما المنار العظيم الذى لم يتشيد فـى الاسلام مثله أكمله ابنه وخليفته يوسف رضى الله عنـه ، وجلب الخليفة الامام المياه مـن أودية درن وغرس بحيرة عظيمة بغربي المدينة قبل نفيس دورها ستة أميـال ، وبنى فيها وخارجهـا صهريجين عظيمين كنا فـى تلك المدة نعـوم فيهما ، فـلا يكاد

I) ضريح عبد الله بن ياسين معروف بكريفلة من ارض قبيلة زعير حوز الرباط .

القوي منا يقطع الصهريج الا عن مشقة ، وكنا نتفاخر بذلك ، وأحدث الخليفة بعده ابنه يوسف رضى الله عنه بحائر مثلها فى الغرس بل أجمل ، وجلب لها المياه وأصدرها فى صهريج أعظم من المتقدمين ، وزاد فى قبلة المدينة حصنا أنفذه الآن ابنه الامام الخليفة يعقوب رضى الله عنه وزاد عليه مدينه أخرى تقارب الأولى فى قبليها ، وكانت بحائر عظيمة فبناها قصورا وجامعا وأسواقا وفنادق وجلب التجار الى قيسارية عظيمة لم يبن فى مدن الاسلام أعظم منها ، وأمر بعمارتها أول سنة خمس وثمانين وخمسمئة ، ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعنابا وفواكه وجميع الثمرات ، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء، وأكثر شجرها الزيتون ، وفى مراكش اليوم من الزيتون والزيت ما تستغنى به عن غيرها من البلاد وتمير بلاداً كثيرة ، وكان زيتها قبل اليوم دهن من الهرجان (1) لأنه بتلك البلاد كثير جداً ، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة ، وزيتها أرخص ، وربما أطيب ، ومما شرف به سيدنا ومولانا أمير المومنين يعقوب رضى الله عنه حضرته الملكية أن أرسل فى وسط المدينة ساقية طاهرة ماؤها ماء قصره المكرم تشق المدينة من القبلة إلى الجوف وعليها السقايات لسقي الخيل والدواب واستقاء الناس ، وهي اليوم أشرف مدن الدنيا وأعدلها هواء ، ومن بركاته وضع دار الفرج فى شرقي الجامع المكرم ، وهو مرستان المرضى يدخل العليل إليه فيعاين ما أعد فيه من المنازل والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوهة، ويستطعمها ويسيغها ، فتنعشه من حينه بقدرة الله تعالى ، وكان فى سنة خمس وثمانين قد استدعى العلماء ورواة الحديث وأمر بتدريس حديث النبي صلى الله عليه وسلم هـ .

وكان شروعه فى ادخال الساقية المذكورة لمراكش سنة 585 كما فى القرطاس ، والمارستان قال فيه فى المعجب صحيفة 190 عند ذكر يعقوب المنصور الموحدى ما نصه : وبنى بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن

(1) تعريب كلمة اركان البربرية ، وهو نوع من الزيتون البرى يوجد بكثرة فى تلك الجهات ، وقد وقع التعريف بـه والاشارة اليه فى مواضع كثيرة من هذا الجزء .

أن فى الدنيا مثله ، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع فـى البلد ، وأمر البنائين باتقانه عـلى أحسن الوجوه فأتقنوا فيه مـن النقوش البديعـة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح ، وأمـر أن يغرس فيه مع ذلك مـن جميع الأشجار المشمومات والمأكولات ، وأجرى فيه مياهاً كثيرة تدور عـلى جميع البيوت زيادة عـلى أربع برك فـى وسطه إحداها رخام أبيض ، ثم أمر له مـن الفرش النفيسة مـن أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيـره بما يزيد عـلى الوصف ، ويأتى فوق النعت ، وأجرى له ثلاثين ديناراً فـى كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجاً عما جلب اليه مـن الأدوية، وأقام فيه مـن الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال ، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم مـن جهاز الصيف والشتاء ، فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل ، وان كـان غنياً دفع له ماله وتركته وسببه ، ولم يقصره عـلى الفقراء دون الأغنياء ، بـل مـن مرض بمراكش مـن غريب حمل اليه وعولج الى أن يستريح أو يموت ، وكان فـى كل جمعة بعد صلاته يـركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عـن أهل بيت يقول كيف حالكم وكيف القومة عليكم الى غير ذلك مـن السؤال ، ثم يخرج ، لـم يزل مستمراً عـلى هذا الى أن مات رحمه الله هـ .

ومنهم ياقوت فـى معجم البلدان فـى الجزء الثامن مـن ءاخر أجزائه قال : مراكش بالفتح ثـم التشديد وضم الكاف وشين معجمة أعظم مدينـة بالمغرب وأجلها ، وبها سرير ملك بنى عبد المومن ، وهي فـى البر الأعظم منها بينها وبين البحر عشرة أيام فـى وسط بلاد البربر ، وكان أول مـن اختطها يوسف بن تاشفين مـن الملثمين الملقب بأمير المومنين فـى حدود سنة 470، وبينها وبين جبل درن الذى ظهر منه ابن تـومرت المسمى بالمهدى ثلاثـة فراسخ ، وهو فـى جنوبيها ، وكـان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطـع فـيها اللصوص عـلى القوافل ، كـانت اذا انتهت القوافل اليه قـالوا معناه بالبربرية أسرع المشي ، وبقيت مدة يشرب أهلها من الآبار حتى جلب إليها ماء يسير مـن ناحية أغمات يسقى بساتين لـها ، وكان أول مـن اتخذ بـها البساتين عبد المومن بن علي ، يقولون ان بستانا منها طوله ثلاثة فراسخ هـ

قلت أمــا ضبْطُه مراكش بما ذكر فهو الذى مازال ينطق بــه أهلها الآن غير أن البعض صار يفتح الكاف ، وضبطها بعضهم بضم الميم وكسر الـكاف كما سياني ، وقوله بينها وبين البحر عشرة أيام ليس كما قــال ، بل بينــها وبين البحر نحو ثلاثة أيــام ، وسيأتى فــى أغمات نقلا عنه أن مــن وراء أغمات إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل ، وقوله فــى حـدود سنة 470 تقدم أن تأسيسها كان سنة 459 وسياتى عــن غيره أن تأسيسهــا سنة 452 وما فــى المعجم يوافقه ما يأتى عــن نزهة المشتاق ، وعــن سيدى الصغير الافــرانى سنة 480 اللهم الا ان يريد ما سياتى عــن الأزمــورى أن يوسف بــن تاشفين شرع فــى بناء ما بنى منهــا سنة 475 غير أن قــوله الاختطاط صريح فــى التأسيس ، وفــى الحلل أن بناء حصن قصر الحجر كان سنة 463 برحبة مراكش وحصنه تحت سور وأبواب كما ذكر قبل أن الانتقال الى فحص مراكش كان مــن الأمير أبى بكر بن عمر لما عظم الخلق وكثر الازدحام بأغمات ، وقوله ماء يسير مــن ناحية أغمات ينبغى أن يـقرأ فعلا مضارعــا لا اسما أي يأتى مــن ناحية أغمات ، وهي الســاقية العظيمة المعروفــة بتسلطانت كما سياتى ، وقوله ان بستانا منها الخ هــو بستان المسرة الذى أنشأه عبد المومن بــن علي وجدده المنصور الذهبى كما سياتى ، وقوله عن البستان ان طوله ثلاثة فراسخ تقدم أن دوره كله ستة أميال ، وقد اطلق السيد محمد أمين الخانجى بمنجم العمران فــى المستدرك عــلى معجم البلدان لفظ مراكش عــلى المملكة كلها ، وتكلم عليها فــى نحو ورقتين ، ثم ذكر مدينــة مراكش ءاخراً فراجعه ، قلت وما ذكره سبقه اليه الشيخ الجليل محمد بيــرم الخامس التونسى فقد تكلم عــلى سلطنة مراكش فــى الفصل الموفى أربعين من صفوة الاعتبار . بمستودع الاقطار والأمصار ، فى حدود سنة 1297 .

ومنهم الشريف الادريسى قال فى نزهة المشتاق فى ص 67 من الجزء المطبوع منها فى افريقيا والأندلس ما نصه : وعلى 12 ميلا منها أي من اغمات مدينة بناها يوسف بن تاشفين فــى صدر سنة 470 بعد أن اشترى أرضها مــن أهل أغمات بجملة أموال واختطها له ولبنى عمه ، هي فــى وطاء مــن الأرض ليس حولها شيء مــن التجبل الا جبل صغير يسمى ايجليز ومنه قطع الحجر الــذى

بنى منه قصر أمير المسلمين علي بـن يوسف بـن تاشفين وهـو المعروف بدار الحجر وليس فـي موضع مدينة مراكش حجر البتة إلا ما كان مـن هذا الجبل ، وانما بناؤها بالطين والطوب والطوابى المقامة بالتراب ، وماؤها الذى تسقى به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة ، استخرج ذلك عبيد الله ابن يونس المهندس ، وسبب ذلـك أن ماءهم ليس ببعيد الغور موجود إذا احتفر قريباً من وجه الأرض ، وذلك أن هذا الرجل المذكور وهو عبيد الله ابن يونس جاء الى مراكش فـي صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبى الفضل مولى أمير المسلمين المقدم ذكره ، فقصد إلى أعلى الأرض مما يلى الـبستان ؛ فاحتفر فيه بيرا مربعة كبيرة التربيع ، ثـم احتفر منها ساقية متصلة الحفـر على وجه الأرض ، ومر يحفر بتدريج مـن أرفع إلى أخفض متدرجاً إلى أسفلـه بميزان حتى وصل الماء الى البستان وهو منسكب مع وجه الأرض يصب فيه، فهو جار مع الأيام لايفتر، واذا نظر الناظرُ الى مسطح الأرض لم يربها كبيرَ ارتفاع يوجب خروج الماء مـن قعرها الى وجهها ، وانما يميز ذلك عالم بالسبب الذى بـه استخرج ذلك الماء ، والسبب هـو الوزن للأرض ، فاستحسن ذلك أمير المسلمين مـن فعل عبيد الله ابن يونس المهندس وأعطاه مالا وأثوابا وأكرم مثـواه مدة بقائه عنده ، ثم ان الـناس نظروا الى ذلك ولـم يزالوا يحفرون الأرض ويستخرجون مياهها الى البساتين حتى كـثرت البساتين والجنـات ، واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها ومنظرها ، ومدينة مراكش فـي هذا الوقت مـن أكبر مدن المغرب الأقصى ، لأنهـا كانت دار امارة لمتونـة ومدار ملكهم وسلك جميعهم، وكان بـها أعداد قصور لكثير مـن الأمراء والقواد وخدام الدولة ، وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقهـا مختلفة وسلعها نافقة ، وكان بها جامع بناه أميرها يوسف بـن تاشفين فلمـا كان فـي هذا الوقت وتغلب عليهـا المصامدة وصار الملك لهم تركوا ذلـك الجامع عطلا مغلق الأبواب ولا يرون الصلاة فيه وبنوا لأنفسهم مسجداً جامعـاً يصلون فيه بـعد أن نهبوا الأموال وسفكوا الدماء وباعوا الحرم ، كـل ذلك بمذهب لهم يرون ذلك فيـه حلالا ، وشرب أهل مراكش مـن الآبـار ، ومياهها كلها عذبة ، وآبارهم قريبة معينة ، وكان علي بن يوسف قد جلب إلى مراكش

ماء مـن عين بينها وبين المدينة أميال ، ولم يستتم ذلك ، فلما تغلب المصامدة على الملك وصار لهم وبأيديهم تمموا جلب الماء الى داخل المدينة وصنعوا به سقايات بقرب دار الحجر وهي الحظيرة التى فيها القصر منفرداً متحيزاً بذاته ، والمدينة بخارج هذا القصر ، وطول المدينة أكثر مـن ميل وعرضها قرب ذلك ، وعلى 3 أميال مـن مراكش نهر لهـا يسمى تانسيفت وليس بالكبير لكنه دائم الجري ، واذا كان زمن الشتاء حمـل بسيل كبير لا يبقى ولا يذر ، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بنى على هذا النهر قنطرة عجيبة البناء متقنة الصنع بعد أن جلب إلى عملها صناعَ الأندلس وجملا مـن أهل المعرفة بالبناء ، فشيدوها وأتقنوا بنيانها حتى كملت ثم لم تلبث غير أعـوام يسيرة حتى أتى عليها السيل فاحتمل أكثرها وأفلت عقدها وهدمها ورمى بـها فـى البحر الزخار ، وهـذا الوادى ياتى اليه الماء من عيون ومياه منبعثة مـن جبل درن مـن ناحية مدينة أغمات ايلان هـ .

ومنهم السلطان المؤيد ملك حماة أبو الفداء إسماعيل بن الملك الأفضل الأيوبى المتولد عام 672 المتوفى عام 732 عـن 60 سنة ممدوح ابـن نباتة وصاحب المختصر فـى التاريخ قال فـى كتابه تقويم البلدان الذى جمع فيه بيـن ضبط أسماء البلدان وذكـر أطوالها وعروضها ووضـع لذلك جـداول (المنقول عنه) (طول عرض) ق (الاقليم الحقيقى) العرفى مراكـش – ابن سعيد يا 7ق كـط 7 من الثالث مـن المغرب الأقصى مركش‌اكش بفتح الميم وتشديد الراء وفتحها وألف ساكـنة ثم كاف ثم شين بعده ، وعن ابن سعيد مراكش محدثة بناها يوسف بـن تاشفين فـى أرض صحراوية وجلب اليها المياه وأكـثر الناس فيها البساتين ، فـكثر وخمها ، ولا يكاد الغريب يسلم فيها من الحمى ، وجنوبي مملكة مراكش جبـل درن وشماليها مملكـة سلا وغربيها البحر المحيط وشرقيها الجهات التى بيـن سجلماسة وفاس ومراكش سبعة أميال ، ولها سبعة عشر باباً وحرها شديـد وهي فـى شمال أغمات بميلة يسيرة الى الغرب ، وبينهما نحو خمسـة عشر ميلا ، قلـت قوله فـى العرض كط 7 يعنى تسعة وعشرين درجة وسبـع دقائق ، وقـد ذكر ابن خلدون فـى 99 من ج 6 أن عرض الأسكندرية لأعـلى

مثل مراكش وأغمات هـ يعني واحداً وثلاثين درجة ، والذى عليه عمل موقتيها اليوم أن عرضها إحدى وثلاثون درجة وثمانية وعشرون دقيقة ، وابـن سعيد المنقول عنه ستاتى ترجمتُه إن شاء الله فى حرف العين ، وقوله ولها سبعة عشر باباً قد كان لها ذلك قبل أن يغلق بعضها ». وقال مؤرخ الدولتين الموحدية والحفصية محمد ابن إبراهيم المنتهى فى تاريخه الى حوادث 882 وهو ممن أخذ عن تلامذة أبى مهدى عيسى الغبرينى ما نصه : وتوفي فى خلال ذلك علي بن يوسف صاحب مراكش فى ثالث رجب سنة سبع وثلاثين ، وهو الذى أحدث مراكش فى سنة 520 وأدار سورها وبنى سقايتها وجامعها وقصر امارتها وجعل دروها سبعة أميال ، وكانت قبل ذلك قفراء يسكنها البربر ،فاشتراها أبوه يوسف بن تاشفين منهم بسبعين درهما ، وبنى فيها مسجدا بالطوب وأمر البربر بسكناها فعملوا فيها خوصا وسكنوها الى زمن بنائها ، قلت ولا يخفاك ما فى بعض كلامه من التدافع ، فان الجم الغفير من المؤرخين ذكروا أن مؤسسها ومحدثها هو يوسف ابن تاشفين سنة اثنين وخمسين وأربعمئة .

وذكر فى الحلل الموشية عن جماعة من علماء التاريخ كما سياتى أن الذى اسسها فى التاريخ المذكور هو عمه أبو بكر بن عمر ، وقوله أن علي بن يوسف بنى قصر إمارتها الذى عند غيره كما يأتى أن الذى بناه هو والده أيضاً عام 454 وقوله انه أدار سورها سنة 520 سياتى عن غيره أن ذلك وقع سنة 526 أو سنة 522 بعد شروع والده سنة 475 ثم ان والده انما بنى منها سور الحجر .

وقال فى مراكش أبو العباس السبتى رضى الله عنه انها مدينة العلم والخير والصلاح كما نقله فى المعزى فى ترجمته ، وسياتى ان شاء الله فيها أيضاً ولفظ بعض من الف فى مناقبه ممن لقى أصحابه رضى الله عنه بزيادة والدين بين الخير والصلاح ، وقال فى جامعها سيدى سعيد بن عبد النعيم وسيدى أبو عمر المراكشى رضى الله عنهما ما نقله العارف الحلفاوى والعارف الزروالى .

(تنبيــه) شهر من الجوامــع بعدما ورد فــي ذلك عن الشــارع صلى الله عليه وسلم ما غرب طالع جامع الأزهر بمصر وجامع القروييــن بفــاس وجامع علي بن يــوسف اللمتونى بمراكــش ، وقد جــرى على ألسنــة الفحول الأمجــاد الثناء عــلى أفضلية المساجد كل عــلى حسب ما رءاه لها مــن الفوائد ، حتى قيل فــي جامع علي بــن يوسف لولا جامع علي بن يوسف ما ذكر مراكش ، وحكي عن بعض السادات وهو سيدى سعيد بن عبد النعيم انه قال عجبت لمن يقول مراكــش لغير جامع علي بــن يوسف ، وجاء رجل مــن أكابر أهل مدينة فاس لزيارة الشيخ سيدى أبى عمر فالتقى به فــي ملأ من الناس ، فاستحضر الزائر معه مــن الأدب ما يستحضر الأكياس ، فسأله الشيخ عــن البلد وسكانها ، فقال له هذا الزائر المقيم مــن أقصى قلبه بالعقد الصميم على جهة التعجب والتعظيم : الله الله إن جامع القرويين يكاد ينبع العلم من حيطانه ، فقال لــه الشيخ أعد الأخبار كيف أخبرت بها عــن هذا المسجد المسرار ، بذلــك اللفظ المختار ، فأعاد عليه اللفظة بمبانيها ، فقال له الشيخ القسطالى بعد ان زادت على أنواره أنوار ، كلام جاء من بساط حضرة القهار ، الله الله ان جامع علي بن يوسف يكاد السر ينبع من حيطانه ، فانقطع كلام المتكلم حين ظهر له ما بين السر والعلم ، فقلت فى معنى ذلك :

شتان بين اكتحال العين وضعا وما ... بين كحولتها فى الحسن والصــور

والفرع ما دام أصله له أمــــــل ... والأصل ان ضاع لا فرع بمعتبـــر

ومسجد سكن السر حجارتهــــا ... أهلا بمن عرفت بالسر فى الحجر

ببقعــــة لقبت بعد اضافتهــــا ... بمسجد مــن رياض الخلد منتشر

يغشى الفتى فرح عند الدخول لها ... فينتفى كل ما فى القلب من كــدر

لا يطرق الهم والحزن بساحتهــا ... ولا البعوض كذا قد جاء فى السير

حراس أبوابها من الهموم لهــــم ... نصر على نفي همٍّ غير مزدجــــر

لــها فناء ان يفنى القلب حسنهمـا ... كان صدرهما شطر من القمـــــر

وسطه خصة ترمى الزلال عــــلى ... سبائك من لجين غير منكســـر

وشجرتــان تشيرٰان بوصفهمــــا ... فى ءاخر البيت بالتوحيد والنظــر

وعند زهرهما يعبقُ مسكُهمــــا ... يكاد ورقهما يخفى من الزهـــــر

بينهما خصة يزينها صلـــــة … بين التى فوقها كالشفر للبصـــر
تبارك الله من حسن يلوح بهـــا … والحسن فى يوسف قد جاء فى الخبر
طابــق جانس معناها قوالبهـــا … تنبيك أسماؤها عن حسن مدخـــر
فى مصر قد فتح الزهر وفى فاس قد … قرأ قوم علوم الذكر والسيــــر
وقد علا يوسف فى الحسن حتى علت … بالحسن مراكش الحمراء بالعبــر
بيضاء محمرة االأسوار مخضرة الأقـ … ـــطار معدومة الأنظار للفكـــر
ليس لها بعد مكة وطيبتهـــا … مثل وشبهتها بمنتهى نظـــر
هيفاء محمرة الخدين علكومـــة … الردفين مكحولة العينين والشعــر
كفاها من شرف ما فيها من عارف … لله معتبر بـــالله منتصـــر
أحبهم وأحب كل معتـــرف … بفضلهم بغرام غير منحصـــر
تحصى النجوم ولا تحصر سادتها … ناهيك من شرف فيها بمعتبـــر
بمسجد شاع فـى الأقطار رونقها … تثنى عليها جميع ألسن البشـــر
عديمة المثل يحسب منارتهـــا … من حسن اتقانها مفروغة الصـــور
مقر سادتنا مأوى تعبدهـــم … لاح عليها دموع الشوق والفكـــر
تبارك الله ما أحلى مديحهـــم … وكل قول عليهم حل فى العبـــر
أسماؤهم حلوة اذكارهم سلـــوة … تنبيك أوجههم عن كل مستتـــر
ولو رأيت امام الوقت خاتمهـــم … لكنت تقسم بالأملاك والقمـــر
بـــأنه لا يرى مثل له أبـــدا … ولا يرى بعده فى البدو والحضــر
رب وان لم نكن أهلا لحضرتـــه … فهو أهل لكل خير مدخـــر
بـــه توسلنا يارب إليك عســـى … نفنى به فيه عن مصنوعة البشـــر
ثم الصلاة على خير الورى أبـــدا … وءاله وعـــلى أصحابه الغـــرر

انتهت من الكتابين المذكورين .

وفيها قال شاعر ملوك بنى مرين عبد العزيز الملزوزى لـما أصابته حمى بمراكش فدخل الأمير عبد الواحد بن يعقوب المرينى فى رمضان عام 669 وقد وجد راحة من حماه فقال له الأمير كيف أنت يا عبد العزيز من مرضك ؟ وكيف رأيت مراكش ؟ فأنشأ يقول :

لمراكش فضل على كل بلـــــدة ... وما أبصرت عين لها من مشابـــه
وما هي إلا جنة قد تزخرفـــت ... ولكنها حفت لنا بالمكـــــاره

ذكره فـي **الذخيرة السنية فـي تاريخ الدولة المرينية** الشيخ عبـد اللطيف بن بركات العربى (1) وأنشدهما العشماوى فى كتاب الأنساب هكذا :

لمراكش فضل على كل بلـــــدة ... ولم أر قط مثلها من مشابـــــه
وما هي إلا جنة قد تزخرفـــت ... ولـــكنها محفوفة بالمكـــــاره

وفى ضد هذا قال شيخ القراء بالمدينة المنورة الأديب عـبد العزيز ابن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربى المكناسى المالكى فى دمشق :

قالـــوا دمشق جنة زخرفـــت ... من كل ما تهوى نفوس البشـــر
أما ترى الأنهار من تحتهـــــا ... تجرى فقل مجاوبا بل سقـــر
لأنهـــا حفت بما تشتهـــــى ... فهي اذا نار كما فى الخبـــــر

وتوفي بالمدينة المنورة سنة 964 كما فى شذرات الذهب .

وقال ابـن سعيد وأنا أقول كلاماً فيه كفاية منذ خرجت مـن جزيرة الأندلس وطفت فى بر العدوة ورأيت مدنها العظيمة كـمراكش وفاس وسـلا وسبتة ثم طفت فى أفريقية وما جاورها مـن المغرب الأوسط فرأيت بجايـة وتونس ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الأسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الأنـدلس فى مياهها وأشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى ومدينة دمشـق بالشام وفى حماة مسحة أندلسية ، ولم أر ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييـد والتصنيع إلا ما شيد فـى مراكش فـى دولة بنى عبد المومن ، وبعض أماكن فـى تونس ، وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالأسكندرية ، ولكن الأسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأبدع ، ومبانى حلب داخلة فـى مبانى ما يستحسن لأنها مـن حجارة صلبة وفـى وضعها وترتيبها إتقان ونقل فـى

1) هل يكون هو اسم مؤلف الذخيرة السنية ؟

124 مـن ج 2 مـن نفح الطيب عنه ما نصه ويكفى فـى الانصاف أن أقول ان حضرة مراكش هـي بغداد المغرب وهي أعظم ما فـى بر العدوة وأكثر مصانعها ومبـانيها الجليلة وبساتينها انما ظهرت فـى مدة بنى عبد المومن وكـانوا يجلبـون لها صناع الأندلس مـن جزيرتهم وذلك مشهور معلـوم الى الآن ، ومدينة تونس قـد انتقلت اليها السعادة التى كانت فـى مراكـش بسلطان أفريقية أبى زكرياء .

وقال الأبى فـى شرح مسلـم ولم يزل الشيوخ يحكون عـن كثرة ما كان بتونس مـن الخيرات انه بقي دينار بأحد حوالى الجامع وغالب ظنـى انه بطرق العطارين مدة لم يرفعه أحد ثم بعد ذلك لم يوجد فقال الناس اليوم دخـل لبلدنا غريب ، وحين كـانت قاعدة مملكة الموحدين مراكش وكـان القضاة انما ياتون لتونس منها فاتفق ان قدم اليها قاض من مراكش فبقـي أياما لا ياتيه أحد من الخصوم فظن أن الناس لم يرضوا به ، ثم تقدم يومـا اليه خصمان من أهل سوق الجبة فقال أحدهما أصلحك الله إن هذا شريكى وقد باع جبة من العرب وأنا لا أستحل دراهم العرب ، فحينئذ علم القاضى أن عدم إتيان الخصوم اليه انما هو لتناصفهم واتباعهم الحق هـ ونقله فـى الاختصار عند قول المختصر فـى اللقطة والاكره .

ومن نظم ابن الخطيب قوله لما أشرف عـلى الحضرة المراكشيـة حاطها الله تـعالى :

ماذا أحدث عن بحر سبحت بـــه	من البحار فلا إثم ولا حـــــرج
دحاه مبتدع الأشياء مستويـــا	ما إن به درك كـــــلاً ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنـــا	صحت' ابشرى يامطايا جاءك الفرج
قربت من عامر داراً ومنزلـــة	والشاهد العدل هذا الطيب والأرج

وقال رحمه الله تعلى عند وقوفه على مراكش واعتباره بما صار اليـه أمـرهـا :

بلد قد غزاه صرف' الليـــالى	وأباح المصون منه مبيـــح
فالذى خرَّ من بناه قتيـــل	والذى خرَّ منه بعض جريـــح

وكأنَّ الذى يزور طبيب — قد تأتى له بها التشريح
أعجمتْ منه أربع ورسوم — كان قدماً بها اللسانُ الفصيح
كم معان غابت بتلك المغاني — وجمال أخفاه ذاك الضريح
وملوك تعبدوا الدهرَ لما — أصبح الدهرُ وهو عبد صريح
دوخوا نازحَ البسيطة حتى — قال ما شاء ذابلٌ وصفيح
حين شبَّتْ لهم من البأس نار — ثم هبَّتْ لهم من النصر ريح
أثر يندب المؤثر لما — طال بعد الدنو منها النزوح
ساكنُ الدار روحُها كيف يبقى — جسدٌ بعد ما تولى الروح ؟

وسيأتى فى ترجمة إدريس المكنى بأبى دبوس ما قيل فى هذا الخراب وسببه والجواب عنه .

وذكر العلامة اليوسى فى محاضراته ما تشرف به الأماكن ، منها نسبة المعروف إليها وكونها منبتا للعشب ومزرعة وسهلة ومعدنا ومنبعا للماء ومحلا للخير نبوة أو علماً أو زهداً أو عبادة أو ملكاً أو جوداً أو نجدة أو جمالا أو خلقا حسنا ورخاء العيش وصحة الهواء ، ولم تخل بقعة من بقاع الأرض من فضل يتعلل به عمارها حتى لا يتركوها ولله در القائل :

وما عرف الأرجاء إلا رجالها — والا فلا فضل لترب على ترب

وجل هذا الفضائل حازتها الحضرة المراكشية بفضل الله ، ويرحم الله القائل فى قصر البديع :

كل قصر بعد البديع يُذَمُّ — فيه طاب الجنى وطاب المشمُّ
منظر رائق وماء نمير — وثرى عاطر وقصر أشمُّ
إن مراكشاً به قد تباهتْ — مفخراً فهي للعلا الدهر تسمو

وأصل هذه الأبيات قول ابن عمار

كل قصر بعد الدمشق (1) يذم — فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير — وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والنجم عندى — عنبر أشهب ومسك أحم

1) الدمشق قصر بقرطبة ، راجع ص 314 ج 1 من نفح الطيب (مؤلف) .

والأحم بالحاء الأسود من كل شيء كما فـي القاموس .

وقال فـي مناهل الصفا كـان السبب الحامـل للمنصور عـلى بناء البديـع وانفاقه فيه جلائل الأمـوال ونفائس الذخائر هو انه أراد أن تـكون لأهل البيت بـه مأثرة وشفوف عـلى دولة البربـر وغيرهم مـن المرابطيـن والموحدين ومَن بعدهم من بنى مرين ، فان كلا من أهل تلك الدول ابتنى بناء يحيى به ذكره ، ولم يكن لأهل البيت فـي ذلك المعنى شيء تزداد به حظوتهم مع أنهم أحقُّ الناس بالمجد الأصيل ، والسؤدد الأثيل ، فتصدى لبنائه بقصد تشريف أهل البيت ، لأن البناء كما قيل فى فوائده :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرهـــــا	من بعدهم فبألسن البنيـــــــان
إن البناءَ إذا تعاظم شـــأنُـــــه	أضحى يدلُّ على عظيم الشـــــان

ولما عزم عـلى الشروع فيـه أحضر أهل العلم ومن يتهم بالصـلاح فتحينوا أوان الابتداء ووقت الشروع فيه ،. فكان ابتداء الشروع فى تأسيسه فـي شوال خامس الأشهر مـن خلافته عام ستة وثمانين وتسعمئة ، واتصل العمل فيـه الى عام اثنين وألف ، ولم يتخلل ذلك فترة ، وحشد لـه الصناع حتى من بـلاد الأفرنجة ، فكان يجتمع كل يوم مـن أرباب الصنائع ومهـرة الحكماء خلق عظيم ، حتى كـان ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهـم ونفائس أعلاقهم وجلب لـه الرخام من بلاد الروم ، فكان يشتريه منهم بالسكر وزناً بوزن على ما قيل ، وكان المنصور قد اتخذ معاصر للسـكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره الفشتالى فـي مناهل الصفا ، وأما جبسـه وجيره وباقى أنقاضه فانها جمعت من كل ناحية حتى انه وجدت بطاقة فيهـا أن فلانا دفع صاعا من جيار حمله من تنبكتُ وظف عليه فى غمار الناس ، وكان المنصور مع ذلك يحسن للأجراء غايةَ الاحسان ، ويجزل صلة المعلمين العارفين بالبناء ويوسع عليهم فـي العطاء ويقوم بمئون أولادهم كي لا تتشوف نفوسهم وتتشعب أنظارهم ، وهذا البديع دار مربعة الشكل وفـي كل جهـة منها قبة رائقة الهيأة ، واحتف بها مصانع أخرى من قباب وقصور وديار، فعظم

بذلك بناؤه وطالت مسافته ولاشك ان هذا البديع من أحسن المبانى وأعظم المصانع يقصر عنه شعب بوان وينسي ذكر غمدان ويبخس الزهراء والزاهرة، ويزرى بقباب الشام وأهرام القاهرة وفيه من الرخام المجزع والمرمر الأبيض المفضض والأسود ، وكل رخامة طلي رأسها بالذهب الذائب وموه بالنضار الصافى وفرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافى البشرة فى أضعاف دلك الزليج المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل الزهر أو برد موشى، وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطليت الجدرات به مع بريق النقش ورائق الرقم بخالص الجبس فتكاملت فيه المحاسن وأجرى فى فنائه ماء غير ءاسن وبالجملة فان هذا البديع من المبانى المتناهية البناء والاشراق المباهية لزوراء العراق ومن المصانع التى هي جنة الدنيا وفتنة المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف وفيه من الأشعار المرقومة فى الاستار والأبيات المنقوشة فى الخشب والزليج والجبس ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهر العقول وعلى كل قبة ما يناسبها وفى بعض القباب مفاخرة على لسانها لمقابلتها وتتبع ذلك يطول ، لكن لا بأس ان نلم هنا بثمالة من ذلك الحوض ونخوض فى بحار تلك البدائع بعض الخوض اذ فى ذلك عبرة لمن اعتبر وترويح القلب بكيفية فعل الدهر لمن غبر ، فمن ذلك ما نقش خارج القبة الخمسينية (1) من إنشاء الكاتب البليغ عبد العزيز الفشتالى على لسان تلك القبة المذكورة :

سموت فخر البدر دوني وانحطا ... وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
وصغت من الاكليل تاجاً لمفرقى ... ونيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا
ولاحت بأطواقى الثريا كأنها ... نثير جمان قد تتبعته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لأننى ... جعلت على كيوان رجلي منحطا
وأجريت من فيض السماحة والندا ... خليجاً على نهر المجرة قد غطا

1) قال فى نفح الطيب صحيفة 432 من ج 3 منه وانما سميت بالخمسينية لأن فيها خمسين ذراعاً بالعمل .

عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت إليه وفود البحر تصرف ما أعطا

تنضنض ما بين الغروس كأنه وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا

حواليه من دوح الرياض خرائد وغيد تجر من خمائلها مرطا

اذا أرسلت لون الفروع وفتحت جنا الزهر لاح فى ذوائبها وخطا

يرنحها مر النسيم اذا سرى كما مال نشوان تشرب اسفنطا

يشق رياضاً جادها الجود والندى سواء لديها الغيث أسكب أم أبطا

وسالت بسلسال اللجين حياضها بحاراً غدا عرض البسيط لها شطا

تطلع منها وسط وسطاه ديمة هي الشمس لاتخشى كسوفا ولا غمطا

حكت وقباب الماء فى جنباتها سنا البدر يبدو من نجوم السما وسطا

اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها على جسمها الفضي نهراً بها لطا

توسمت فيها من صفاء أديمها نقوشاً كأن المسكَ ينقطها نقطا

اذا اتسقت بيض القباب قلادة فانى لها فى الحسن درتها الوسطا

تكنفنى بيض الدما فكأنها عذارى نضت عنها القلائد والريطا

قدود" ولكن زادها الحسنَ عريُها وأجمل فى تنعيمها النحت والخرطا

نمت صعداً تيجانها فتكسرت قوارير أفلاك السماح بها ضغطا

فيالك شأواً بالسعادة اهلا بأكنافه رحل العلا والهدى حطا

وكعبة مجد شادها العز فانبرت تطوف بمغناها أمانى الورى شوطا

ومسرح غزلان الصريم كناسها حنايا القباب لا الكثيب ولا السقطا

فلكن به ما طاب لا الاثل والخمطا ووسدن فيه الوشى لا السدر والارطا

ثراه من المسك الفتيت مدبرا اذا مزجته السحب عاد بها خلطا

وان باكرته نسمة لسرى بها الى كل أنف عرف عنبره قسطا

أقرتْ له الزهراءُ والخلدُ وانثنت أواوين كسرى الفرس تغبطه غبطا

جناب رواق المجد فيه مطنب على خير من يعزى لخير الورى سبطا

إمام يسير الدهر تحت لوائه وترسى سفار للعلا حيث ما حطا

وفتاح أقطار البلاد بفيلق يفلق هامات العدا بالظبى خطا

تطلع من خرصانه الشهب فانثنت ذوائب أرض الزنج من ضوئها شمطا

كتائب نصر إن جرت لملمة جرت قبلها الأقدار تسبقها فرطا

اذا ما عقدن راية علوية جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا

فما للسنا تلك الاهلة انما سنابكها أبقت مثالا بها خطا

يطاوع أيدى المعلوات عنانهـــــا   فيعتاض من فيض الزمان بها بسطا
يـــد لأمير المومنين بكفهـــــا   زمام يقود الروم والفرس والقبطـا
أدار جداراً للعلا وسرادقــــــا   يحوط جهات الأرض من رعيه حوطا

وقال أيضاً مما كتب بداخل القبة المذكورة :

جمال بدائعى سحر العيونـــــا   وورنق منظرى بهر الجفونـــــا
وقد حسنت نقوشى واستطـارت   سنى يعشى عيون الناظرينـــــا
وأطلع سمكيَّ الأعلى نجومـــــا   ثواقب لا تغور الدهر حينـــــا
وجوى من دخان الند ألقـــــى   على أرضى الغياهب والدجونـــا
علوت دوائر الأفلاك سبعــــــا   لذاك الدهر ما ألفت سكونـــــا
فصغت من الاهلة والحنايــــــا   أساور والخلاخل والبرينـــــا
تـــكنفنى حياض مائحــــــات   أمامى والشمائل واليمينــــــا
يقيد حسنها الطرف انفساحــــا   ويجرى الفلك فيها والسفينـــا
تدافع نهرُها نحوى فلمَّـــــــا   تلاقى البحر فيَّ جرى دفينـــــا
ترى شهب السماء بهن غرقَـــــى   فتحسبها بِها الدر المصونـــــا
وقد نشر الحباب على سماهـــــا   للألىءَ تزدرى العقد الثمينـــــا
فخرتُ وحق لى لما اجتبانـــــى   لمجلسه أميـــرُ المومنينــــــا
هو المنصور حائز خصل سبـــق   وبانـــى المجد بنيانا مكينـــــا
وليث وغى اذا زأر امتعاضـــــا   يـــروع زئيره هنداً وصينـــــا
إذا أمـــت كـتائبه الأعـــــادى   بعثـــن بـــرعبه جيشاً كمينـــا
يدير عليهم من كل حــــــرب   تدقهـــم رحـــى أو منجنونـــــا
إمام بالمغارب لاح شمســــــا   به الشرقُ اكتسى نوراً مبينـــا
بقيت بذى القصور الغر بــــدراً   تلوح بأفقهن مدى السنينـــــا
تحف بكم عواكف عند بابــــى   ملائكة" كرام" كاتبونـــــــا
لــك البشرى أمير المومنيـــن اد   خلوها مـــع سلام ءامنينـــــا

وقال أيضاً مما كُتب ببهوها بمرمر أسود فى بياض :

لله بـــهو عـــز منه نظيـــــر   لما زها كالروض وهو نضيـــر

رصفت نقوش حلاه رصفَ قلائـد … قد نضدتها فى النحور الحـور

فكأنها والتبر سال خلالهـا … وشي وفضة تربها كافـور

وكأنَّ أرض قراره ديباجـة … قد زان حسن طرازها تشجيـر

واذا تصعد نـده نوءاً ففـى … أنـماطه نـور بـه معطـور

شأو القصور قصورها عن وصفـه … سيان فيه خورنق وسديـر

فاذا أجلت اللحظَ فـى جنباتـه … يرتدُّ وهو بحسنه محسـور

وكأن موج البركتين أمامـه … حركات سجف صافحته دبـور

صفت بصفتها تماثـل فضـة … ملك النفوس بحسنها تصويـر

فتدير من وصف الزلال معتقـا … يسرى إلى الأرواح منه سـرور

ما بين ءاساد يهيج زئيرهـا … وأساود يسلى لهن صفيـر

ودحت مـن الأنهار أرض زجاجـة … وأظلَّها فلـك يضيء منيـر

راقت فمن حصبائها وفواقـع … يـطفو عليها اللؤلؤ المنثـور

يا حسنه مـن مصنع فبهـاؤه … باهى نجوم الأفق وهي تنـور

وكأنما زهر الرياض بجنبـه … حيث التفتَّ كواكب وبـدور

ولدسته الأسما تخير وصفـه … فخر الورى وإمامها المنصـور

ملك أناف على الفراقد رتبـة … وأقلَّهُ فوق السماك سريـر

قطب الخلافة تاج مفرق دولـة … رميت بمحفلها اللهام الكـور

وجرى إلى أقصا العراق لرعبهـا … جيش على جسر الفرات عَبـور

نجل النبيِّ ابن الوصيِّ سليل مَن … حقن الدماء وعف وهو قديـر

بـحر النـدا لكنه متمـوج … سيـف العـلا لكنه مطـرور

طود يخف لحمله ووقـاره … ولجيشه يوم النـزال ثبيـر

دامـت معالية ودام ومجـده … طوقٌ على جيد العلا مـزرور

وتعاهدته من الفتوح بشـائـر … يغدو عليه بها المسـا وبكـور

ما دام منزل سعده يرتـاده … نصر يرف لواؤه المنشـور

ومشت به مرحاً جياد مسـرة … وأدار كـأس الأنسِ فيه سميـر

وقال أيضاً وكتب فى بعض المبانى البديعة ونصه :

معانى الحسنَ تظهر فى المغانـى … ظهورَ السحر فى حدق الحسـان

مشابه فى صفات الحسن أضحت تـمنّ بها المغانى للغوانـى
فكل عمود صبح من لجيـن تكوّنَ فى استقامة خوط بـان
مفصلة القدود مثلثـات مواصلة العناق من التدانـى
تردت سابريً الحسن يـزرى بحسن السابريّ الخسروانـى
وتعطو الخيزرانة من دماهـا بسالفة القطيـع البرهمانـى
لمجدك تنتمى لـكن نماهـا الى صنعاء مـا صنع اليـدان
يدين لك ابن ذى يزن ويعنـو لها غمدان فـى أرض اليمـان
غدت حرماً ولكن حلّ فيهـا لوفدكم الأمان مـع الأمانـى
مبـان بالخلافـة اهـلات بها يتلو الهدى السبع المثانـى
هـي الدنيا وساكنها إمـام لأهل الأرض من قـاص ودان
قصور ما لها فى الأرض شبـه وما فى المجد للمنصور ثـان

وقال أيضاً مما كُتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من البديع ، وكان إنشاؤها عام خمسة وتسعين وتسعمئة :

باكر لديّ من السرور كئوسـا وارض النديم أهلة وشموسـا
واعرج على غرفى المنيف سماؤها تلـق الفراقد فى حمايَ جلوسـا
وإذا طلعت بأوجها قمر العـلا لا ترتضى غير النجوم جليسـا
شرق القصور بريقها لما اجتلـت منى على بسط الرياض عروسـا
واعتضتُ بالمنصور أحمد ضيغماً وردا تحيز من بديع خيسـا
ملكا أرى كل الملوك ممالكـا لعلاه والدنيـا عليه حبيسـا
دامت وفود السعد وهي عواكـف تـصل المقيل لديه والتعريسـا
وهَناك ياشرفَ الخلافةِ دولـة" تلقى برايتها طلائع عيسـى

وقال بعض الكتاب مما طرزت به الأستار المذهبة المحكمة الصنعة لتستر بها النواحى الأربع من القبة الخمسينية ، وتسمى هذه الأستار عند أهل المغرب بالحائطى .

ففى الجهة الأولى :

متع جفونك فى بديع لبـاس وأدرْ على حسن حميا الكـاس
هذى الربا والروض من جرعائهـا ما أغتذى بالعارض البجـاس

انـي لروض أن يروق بهـــاؤه مثلي وأن يجرى على مقيـــاس
فالروض تغشاه السوام وانمـــا تأوى الى كنفى ظباء كنـــاس

وفى الجهة الثانية

من كل حسنا كالقضيب إذا انثنى تزرى بغصن البانة الميـــاس
ولقد نشرتُ على السماك ذوائبـي ونظرتُ من شزر الى الكنـــاس
وجررتُ ذيلي بالمجرة عابثـــاً فخراً بمخترعى أبى العبـــاس
ما نيط مثلي فى القباب ولا ازدهت بفتى سواه مراتب وكـــراس

وفى الجهة الثالثة

ملك تقاصرت الملوك لعـــزه ورماهم بالـــذل والاتعـــاس
غيث المواهب بحر كل فضيلـة ليث الحروب مسعر الأوطـــاس
فرد المحاسن والمفاخر كلهـــا قطب الجمال أخو الندى والبـاس
ملـك إذا وافى البلاد تأرجـــت منه الوهـــاد بعاطر الأنفـــاس

وفى الجهة الرابعة

وإذا تطلع بدره من هالـــة يعشى سناه نواظر الجـــلاس
أيامه غـــرر تجلت كلهـــا أبهى من الأعياد والأعـــراس
لا زال للمجد السنيّ يشيـــده ويقيمُ مبناه على الآســـاس
ما مال بالغصن النسيم وحببـت درر الندى فى جيده الميـــاس

وقال بعض الكتاب مما نقش بعضادتيْ باب من الأبواب :

يا ناظرى بالله قفْ وتأملَـــنْ وانظر الى الحسن البديع الأكمـل
وإذا نظرت إلى الحقيقة فلتقـل : السرُّ فـي السكان لا فى المنزل

وقال الكاتب البليغ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالى ممـا نقش فى بعض الأبواب :

هذى وفودُ السعد نحوى تنتمـى وطلائع البشرى لبابى ترتمـــى

وسمـت الى عرفان عرفك مثل مـا   يسمو الحجيج الى سقاية زمـزم
خصت بمصراع السعود بشائـر   لاحت على الشرفاء مثل الانجـم
أولى بصنع ان تقول ولا تبـل   فبديع أحمد جنة المتنعـم

قال الفشتالى لما عرضتها عليـه استحسنها إلا أنه كره لفظه الجنـة وتغير عليها كثيراً .

وكان الفراغ من بناء البديع عام اثنين وألف ، وفى تاريخه يـقول الوزير الفقيه الأديب القائد علي بن منصور الشيظمى وهو مما نقش فى باب الرخام أحد أبواب البديع .

الحسن لفظ وهذا القصر معنـاه   يـا مـا أميلح مرءاه وأبهـاه
فهو البديع الذى راقتْ بدائعُـه   وطابق اسم له فيه مسمـاه
صـرح أقيمت على التقوى قوائمـه   ودل منه على التاريخ معنـاه
ولاح أيضاً وعين الحفظ تكلـؤه   تاريخه من تمام قل هـو الله

وقال الوزير المذكور أيضاً فيما نقش على أحد أبواب البديع :

باب أتى كبراعة استهـلال   وكانما القصر المشيد التـالى
ولذاك سُمي بالبديع وجاء بـ   ـالاعراب والتحسين والايغـال
وأتى التمام فقلت من تاريخـه   بيتا بـلا عقد ولا إشكـال
صرح على التقوى من الله ابتنـى   فـى طالع للسعد والاقبـال

وقال أيضاً فيما كتب بنباح قبة الزجاج :

ان شئت تاريخ إكمال البديع فقل   ديوان أحمد ديوان السعـادات

وقال أيضاً فى تمام البديع مبيناً له :

يا مليكا ملكه فيمن ملـك   كطلوع الفجر من بعد الحلـك
تم هذا القصر فاسكنه عـلى   حسـن حال بدوام الملك لـك

قال في نفح الطيب : اخترع المنصور من المصانـع ثلاثة أشياء ، فجاءت غريبة الشكل بديعة الحسن ، وهي البديع ، والمسرة ، والمشتهى .

ومما قال المنصور في ذلك موريا

بستان حسنك أبدعت زهراتـــه ولكم نهيت القلب عنه فما انتهـى
وقوام غصنك بالمسرة ينثنـــى يـا حسنه رمانة للمشتهـــى

والذى ذكر صاحب البيان المعرب عن أخبار المغرب وهو الشيـخ أبو عبد الله بن عذارى الأندلسى حسبما رأيته فى السفر الثانى منه أن أول مَن أنشأ المسرة التى بظاهر جنان الصالحة عبد المومن بن على كبير الموحدين، قال وهو بستان عظيم طوله ثلاثة أميال ، وعرضه قريب منها ، فيه كل فاكهة تشتهى ، وجلب اليه الماء من أغمات ، واستنبط له عيونا كثيرة .

قال ابن اليسع وما خرجت أنا من مراكش فى سنة ثلاث وأربعيـن وخمسمئة الا وهذا البستان الذى غرسه يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مومنية بحسب رخص الفاكهة بمراكش ، ولعل المنصور جدد معالـم المسرة بعد اندراسها وأفاض سجال الحياة على ميت أغراسها وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا وبنوه كذلك وفى ذلك يقول عبد العزيز الفشتالى .

هذا البديع يعز شبه بدائـــع أبدعتهن به فجاء غريبـــا
أضنى الغزالة حسنه حسداً لـــه أبدى عليها للأصيل شحوبـــا
شيدتهن مصانعا وصنائعـــا أنجزن وعدك للعلى المرقوبـــا
وجريت فى كل الفخار لغايـــة أدركتهن وما مسست لغوبـــا
فانعم بملكك فيه دام مؤبـــدا تجنى به فنن النعيم رطيبـــا

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ مـن تنميق بردته وتطريز حلتـه صنع مهرجاناً عظيماً ودعا الأعيان والأكابر ، فقدم لهم مـن ضروب الأطعمـة وصنوف الموائد وأفرغ عليهم مـن العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم يعهـد منه قبل ، وكان ممن دخل فى غمار الناس رجل من البهاليل ممن كانت لـه

شهرة في الوقت ، فقال له المنصور عابثا به كيف رأيت دارنا هذه يافلان ؟ فقال لـه اذا هدمت كانت كدية كبيرة مـن التراب فوجم لـها المنصور وتطير منها وقد ظهر مصداق ذلك عـلى يـد السلطان المظفر مولانا إسماعيل بـن الشريف فانه أمر بنسْفه عام تسعة ومئة وألف لموجب يطول شرحه ، فهدت معالمه وبدلت مراسمه وغيرت محاسنه وفرق جموع حسنه وعاد حصيدا كـان لـم يغن بالأمس حتى صار مرعى للمواشي ومقيلا للكلاب ووكرا للبـوم والصيد وحق على الله ما رفع شيء من الدنيا الا وضعه ! ومن العجائب انه لم يَبق بلد بالمغرب الا ودخله شيء من انقاض البديع ، ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخي الأندلس ان الزاهرة التي بناها المنصور بـن أبي عامر وهـي مـن عجائب الدنيا فـي اتقان البنيان مر عليها فـي أيام المنصور بـن أبي عامر بعض أهل البصائر وهي فـي غاية العمران والازدهار بساكنيها فقال يا دار فيك مـن كل دار فجعل الله منك فـي كل دار قال فضرب الدهر ضربانه وسلط عليها أيدي العدوان فهدمت وغيرت وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض أنقاضها للعراق هـ .

ولمـا دخلت البديع مقبلـى من الرحلـة ورأيت مـا هالنى قـرأت عليه أبياتا أنشأها محيى الدين بن عربى فـي كتاب المسامرات لما دخـل الزاهرة فوجدها متهدمة :

ديار بأكناف الملاعب تلمـــع — وما ان بها من ساكن وهي بلقـع
ينوح عليها الطير من كل جانــب — فتصمت أحيانا وحينا ترجــع
فخاطبت منها طائراً متفـــرداً — له شجن في القلب وهو مـــروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكـــي — فقال على دهر مضى ليس يرجـع

وأنشدت ما أنشده ابن الأبار في تحفة القادم :

قلت يوما لدار قوم تفانـــوا — أيـــن سكانك الكرام علينـــا
فأجابت هنا أقاموا قليـــلا — ثم ساروا ولست أعلم أينـــا

وأنشدت أيضاً قول الشاعر :

وقفت بالزهراء مستبصـــرأ معتبراً أندب أشتاتـــا
فقلت يا زهرا الا فارجعـــي قالت وهل يرجعُ مَن فاتـــا
كانما ءاثار من قد مضـــي نـــوادب يندبـن أمواتـــا

تأملت لفظ البديع فوجدت عـدد نقط حروفه بحساب الجمـل مئة وسبعة عشر وهذا القدر هو الذى بقي فيه البديع قائماً عامراً فانه فرغ منـه عام اثنين وألف وشرع فـي هدمه عام تسعة عشر ومئة وألف فمدة بـقائه بعد تـمام بنائه مئة وسبعة عشر سنة على عدد اسمه وذلك مـن غريب الاتفـاق والبقاء والـدوام والملك التام لله الملك الديان (لا يُسأل عما يفعل ، وهـم يسألون) ذكره فى النزهة ، وقال فى 100 من ج 2 من نفح الطيب عـن تاج الدين بـن حمويه السرخسى الذى أدرك أبـا العباس السبتى رضى الله عنهما حاكيا عن أمير المومنين يعقوب المنصور الموحدى ما نصه وقال لى يوماً كيـف ترى هذه البلاد وأين هي مـن بلادك الشامية فقلت لـه يا سيدنا بلادكم حسنة أنيفة مجملة مكملة وفيها عيب واحد فقال مـا هو فقال انها تنسى الأوطـان فتبسم وظهر اعجابه بالجواب وأمر لى من غد بزيادة رتبة هـ .

وقال العلامة ابن بطوطة فى ص 188 من ج 2 من رحلته ما نصه :

فوصلت الى مدينـة مراكش وهـي مـن أجمـل المـدن ، فسيحـة الأرجـاء ، متسعـة الأقطار ، كثيـرة الخيرات ، بهـا المساجد الضخمـة ، كمسجـدها الأعظـم المعروف بمسجـد الكتبيين وبهـا الصومعة الهائلـة العجيبـة صعدتها وظهر لـي جميع البلد منها وقـد استولى عليه الخـراب فما شبهته الا ببغداد الا أن أسواق بغداد أحسن وبمراكش الـمدرسة العجيبة التى تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة ، وهي مـن بناء الامام مولانا أمير المومنين أبـى الحسن رضوان الله عليه .

وقال ابن جزي فـى مراكش يقول قاضيها التاريخى محمد بـن عبد الملك الأوسى (بسيط)

لله مراكش الحمراء من بلـــــــد | وحبذا أهلها السادات من سكـــن
إن حلَّها نازح الأوطان مغتـــرب | أسلوه بالأنس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها أو العيان لهــــا | ينشا التحاسد بين العيــن والأذن

وقال ابن الخطيب فى مقامات البلدان (1) :

قلـت' فمدينة مراكش قال فتنفس الصعــداء ، وأسمع البعــداء ، وقــال درج الحلي ، وبرج النيــر الجلي ، وتربة الـــولي ، وحضرة المــلك الأولــى ، وسرح الناصر الولي ، ذات المقــاصر والقصور ، وغابة الأســد الهصــور ، وســدة الناصر والمنصــور ، بعــدت' مــن المــركز دارتُهــا ، وجرت عــلى قطب السياسة إدارتها ، وسحــرت العيون شارتها ، وتعبــد الأبــاة إشارتُها ، وخاضت البحرَ الخضمَّ قرارتُها وبشارتُها ، اقتعــدت' البسيط المديد ، واستظهرت بتشييد الأسوار وأبراج الحديد ، وبكى الجبل من خشيتها بعيون العيون ، فسالت المذانب كصفاح القيون ، وقيدت' طرفَ الناظر المفتون ، أدواح' الشجر بها وغابات' الزيتون ، فما شئت من انفساح السكك ، وسبوغ الشكــك ، وانحلال التكــك ! وامتداد الباع ، فــى ميدان الانطبــاع ، وتجويد فنون المجون بالمد والاشباع ، زيتها الزمن يعصــر ، وخيرها يمــد ولا يقصر ، وفواكهها لا تُحصَى ولا تحصر ، فــاذا تناصف الحــر والبرد ، وتَبَسَّم الزهر' وخجِل الــورد ، وكسى غدرانها الحائرة الحلــق السرد ، قلت أنجــز للمتقين من الجنة الــوعد ، وساعد السعــد ، وما قلت الا بالذى علمت سعد ، ومنارهــا العلم فــى الفلاة ، ومنزلته فــى المئاذن منزلة والى الولاة ، إلا أن هواءها محكم فى الجباه والجنوب ، يحمى عليــه بكير الجنوب ، وحمياتــها كلفة بالجسوم ، طالبة ديونها بالــرسوم ، وعقاربها كثيرة الدبيب، منغصة مضاجعة الحبيب، وخرابها موحش" هائل، وبعد الأقطار عن كثير مــن الأوطار حائل ، وعدوها ينتهب فــى الفتن أقواتها ، وجرذان المقابر تأكل أمواتها ، وكانت أولى المنازل بالاغياء ، لو أنها اليــوم معدودة" فى الأحياء .

1) هى معيار الاختيار ، فى ذكر المعاهد والديار .

وقد قال هذا رحمه الله في رحلته الى مراكش وأعمالها ، وزيارته لأوليائها ورجالها ، والوقوف على ءاثار الاقدمين بها ، والتطارح على أوليائها، والمثول بأعتابها ، في الدولة المرينية وقت انتقال كرسي الملك عنها الى حضرة فاس ، وتوالى الفتن عليها حتى تغيرت محاسنها العطرة الأنفاس ، وسيأتي بقية ما قيل في ذمها في ترجمة سيدى محمد الفاطمى الصقلى وترجمة أبى الحسن بن الامام الغرناطى في حرف الحاء وفي ترجمة عبد الرحمن الشفشاونى ، والجواب عن ذلك .

وباني مراكش هو أول من تسمى بأمير المسلمين ، قال في الجذوة في ترجمته ما نصه واشترى موضع مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة فسكن الموضع بخيام الشعر وبنى به مسجداً للصلاة وقصبة صغيرة لخزن أمواله وسلاحه ولم يبن على ذلك سوراً وكان لما بنى المسجد يعمل فيه بيده ويحمل الطين والحجر للفعلة تواضعاً منه غفر الله تعالى له بمنه والذى بناه يوسف منها هو الموضع المعروف بسور الحجر جوفا من جامع الكتبيين ، ولم تزل كذلك لا سور لها إلى أن ولِيَ أمرها ولده فبنى سورها في ثمانية أشهر وذلك في سنة ست وعشرين وخمسمئة وتوفي يوسف المذكور رحمه الله سنة خمسمئة هـ .

وأصله لابن خلدون فى 185 من ج 6 من تاريخه ، وقبلهما ابن أبي زرع في القرطاس ، وكان الانفاق على بناء سور مراكش سبعين ألف دينار ، وبنى علي بن يوسف أيضاً الجامع الأعظم المنسوب إليه الى اليوم والمنار الذى عليه وأنفق عليه ستين ألف دينار أخرى وهذا المسجد لم يزل على حاله الى أن جدده أمير المومنين مولانا سليمان رضي الله عنه وبناه بناء ضخما وأزال منارته التى كانت به قديماً وشيد المنار الذى به الآن ، وهو بديع الحسن رائق الصنعة ، ومازال موضع المنار القديم مع السور الذى كان دائراً بالمسجد ومن رءاه عرف ما نقص من المسجد .

وموضعُ مراكش قيل إنه كان ملكاً لعجوز من المصامدة ، وقيل مزرعة لأهل نفيس ، فاشتراه يوسف منهم بماله الذى خرج به من الصحراء

وهذا الموضوع كان يسمى بذلك الاسم ومعناه بلغة المصامدة إمش مسرعاً ، وكان ذلك الموضع مكمنا للصوص ، فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم تلك الكلمة فعرف الموضع بها ، وضبط هذه الكلمة صاحب كشف الظنون عند ذكر الأجوبة المحبرة عن الأسئلة المحيرة للقاضي عياض بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الألف كاف مكسورة ثم شين معجمة وتقدم عن تقويم البلدان ضبط ءاخر ويقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة وهي في مرج فسيح وحولها جبال على فراسخ منها وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو يعدل مزاجها وحرها واتخذها يوسف رحمه الله لنزول عسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن اذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا ولما جاءت دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذكر اعتنى بمدينة مراكش واحتفل في تشييدها وبالغ في تنميق مساجدها وتنجيد مصانعها ومعاهدها وكان رحمه الله لما عزم على المسير الى الأندلس بقصد الجهاد أوصى الى نوابه ووكلائه ببناء قصبة مراكش والاعتناء بتشييد قصورها فمن ءاثاره الباقية بها الى الآن الباب المعروف بباب أكناو لا مزيد على ضخامته وارتفاعه وأمرهم ببناء الجامع الأعظم بها المنسوب اليه الى اليوم وتشييد مناره ومنار جامع الكتبيين المضروب به المثل في الارتفاع وعظم الهيكل قال ابن سعيد طول صومعة الكتبيين بمراكش مئة ذراع وعشرة أذرع ، ولما اجتاز المنصور في سفره هذا بأرض سلا أمر أيضاً ببناء مدينة رباط الفتح، فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة ، وأكمل سورها ، وركبت أبوابها، وأمر ببناء المسجد الأعظم بطالعة سلا ، ومدرسته الجوفية منه ، وكان يعمل في بنائه ونقل حجارته وتوابعه سبعمئة أسير من أسارى الفرنج في قيودها ، وأمر ببناء جامع حسان ومناره الأعظم المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنعة ، قالوا ولم يتم بناؤه ، ولما فرغ المنصور من وقعة الأرك واحتل بمدينة اشبيلية أخذ في بناء جامعها الأعظم وتشييد مناره المشاكل للمنارين المتقدمين ولما رجع المنصور الى مراكش وجد كل ما أمر

به مـن البناءات قـد تم عـلى أكمل حـال وأحسنه مثل القصبة والقصـور والجامع والصوامع وأنفق عـلى ذلك كله مـن أخماس الغنائم وكان قد تغيـر عـلى الوكلاء والصناع الذين تولوا بناء ذلك لأنه سعى اليه أنـهم احتجنوا (I) الأموال وصنعوا للجامع سبعة أبواب عـلى عدد أبواب جهنم فلما دخله المنصور وتطوف بـه أعجبه فسأل عـن عدد أبوابه فقيل أنها سبعة أبواب والثامن هـو الذى يدخل منه أمير المومنين فقال المنصور عند ذلك لا بأس بالغالى اذا قيل حسن واتخذ المنصور رحمه الله فـى جامعه هـذا لمصلاه مقصورة عجيبة كانت بحيـل هندسية بحيث تنصب اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه منهـا وتختفى اذا انفصلوا عنها فقال ابـن مجير اسمـه يحيى بـن عبد الجليل بـن مجير الفهرى أبو بكر توفي بمراكش 588 مـن قصيدة أولها :

أعلمتى ألقى عصى التسيـار فـى بلدة ليست بدار قـرار

الى أن قال :

طوراً تكون بمن حوته محيطـة فكأنها سور من الأسـوار
وتكون حيناً عنهم مخبـوءة فكأنها سـر من الأسـرار
وكأنها علمت مقادير الـورى فتعرفت لـهم على مقـدار
فاذا أحست بالامام يزورهـا فـى قومه قامت الى الـزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعـده كتكون الهالات للأقمـار

وذكـر صاحب الحلل الموشية فـى ذكر الأخبار المراكشية ، مـا يخالف هـذا قال : قال ابن صاحب الصلاة لما تـم لعبد المومن فتـح مراكش ودخلها رجع لمحلته وجعل الأمناء على أبوابها مدة من شهرين ، فاجتمع مـا فيها مـن الأموال فقسمه عـلى الموحدين وقسم ديـارها عليهم وبـيع عيال مراكـش وأموالهم بيع العبيد الا زينب بنت عـلي بن يوسف فاحترمت مـن البيع لمكان زوجها الأمير عيسى بن إسحاق المعروف بوندمان لكـونه ترك

I) قال فى الاساس : واحتجنت الشيء اجتذبته بالمحجن ومن المجاز : احتجن فلان مالي.

قبياه ودخل فى دولة عبد المومن ، فاحترمت داره من الفيء ، واستولى عـبد المومن عـلى ذخائر عـلي بن يوسف وذخائر لمتونة مما يقصر عـن وصفه اللسان ولا يأتى على شرحه البيان ، وبقيت مراكش لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج ولا الموحدون دخلوها لأن المهدي كـان يقول لا تدخلوها حتى تطهروها فسأل الموحدون الفقهاء عـن ذلك فقالوا لهـم تبنون أنـتم مسجداً ءاخر ، فكان كذلك ، فبنى الخليفة عبـد المومن بقصر الحجر مسجداً جمـع فيه الجمعة وهدم الجامـع الذى بنـى علي بن يوسف ، ولمـا أكمل عبـد المومن بناءه صنع فيه صابات (I) يدخل من القصر إليها ومنها الى الجامع لا يطلع عليه أحد ، ونقل إليه منبراً عظيما كان قد صنع بالأندلس فـى غاية مـن الاتقان قطعاته عود صندل أحمر وصفائحه مـن الذهب والفضة وصنع مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر مـن ألف رجل وكـان تولى صنعتهـا رجل مـن أهل مالقة يقال له الحاج يعيش الذى تولى النظر فـى بناء جبـل الفتح عـلى حسب ما ذكره وكيفية هـذه المقصورة انه وضعها عـلى حركات هندسية ترفع بهـا لخروجه وتنخفض لدخوله ، وذلك أنه صنع عـن يمين المحراب باباً داخله المنبر وعن يساره باب داخله دار بها حركات المقصورة والمنبر وكان دخول عـبد المومن وخروجه منهـا فكأن اذا قـرب وقت الرواح الى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد رفع البسط عـن موضع المقصورة فتطلع الأضلاع فـى زمان واحد ولا يفـوت بعضها بعضاً بدقيقة وكـان باب المنبر مسدوداً فاذا قام الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخـرج المنبر فـى دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسمع لها حس ولا يرى تدبير، وفيها يقول الكاتب أبو بكر بن مجير الفهرى من قصيدة طويلة (طوراً تكون بمن حوته محيطة) الأبيات . ثم إن الخليفة عبد المؤمن غرس خارج مراكش المسرة التى بظاهـر جنان الصالحة وهـو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قـريب منها فيه كـل فاكهة تشتهيها الأنفس وجلب إليه الماء مـن أغمات واستنبط له عيوناً كثيرة قال ابن اليسع وما خرجت أنا مـن مراكش فـى سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة

I) أصل الكلمة ساباط ، والعوام يحسبونه جمعاً مفرده صابة ، وهو سقيف بين جدارين كالذى يكون بالدروب .

الا وهذا البستان الذى غرسه يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثـلاثين ألف دينار مومنية على رخص الفواكه بمراكش . انتهى كلام صاحب الحلل بزيادة ألفاظ من غيــره .

وحكاية المقصورة ساقها الامام المقْرى فى نفح الطيب ونقلها عــن الشريف الغرناطى شارح المقصورة وقــال المقرى فــى ءاخر الحكاية وقــد بطلت حركات هــذه المقصورة الآن وبقيت ءاثــارها حسبما شاهدته سنــة عشر وألف والله تعالى وارث الأرض ومن عليها .

ونظير هــدا الاختراع العجيــب الساعة الــتى كانت عند سلطــان تلمسان أبــى حمّو قال فــى نفح الطيب فــى وصفها لهــا أبواب مجوفــة عــلى عدد ساعات الليــل الزمانية مهمــا مضت ساعــة وقع النقر بقــدر حسابها وفتــح عند ذلك باب مــن أبوابها وبرزت منــه جارية صورت فــى أحسن صورة وفــى يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعــة بــاسمها مسطورة فتضعها بيــن يديْ السلطــان بلطافة ، ويسراها عــلى فمهــا كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة هـ وراجــع صحيفة 602 من المجلــد السابع والعشرين من الهلال ، فقد ذكر فى هذا المعنى مقالة لأحمد تيمور ، وقد ذكــر هذه المجانة أيضاً الحافظ محمد التنَسي التلمسانى فــى كتابه (راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمّو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على سبيل الاقتراح) وما ذكر ابن الخطيب رحمه الله أن روضــة الشيخ أبــى العباس بباب تاغزوت أحد أبواب مراكش غيــر حافلة البناء كان ذلك فى الدولة المرينية فى المئة الثامنة وقت مجيئه لمراكش ، وقــد ذكر صاحب (النزهة) أن السلطان عبد الله بن المنصور الذهبى ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريخ الشيخ العارف أبى العباس السبتى وشيَّد مناره وشحن الخزانة التى بقبلي المسجد الجامع المذكور بنفائس الدفاتر ومنتخب الكتب، كل ذلك رجاء أن تعود عليه بركة ذلك الولي بالبرء من علة مس الجن الــذى كان به هـ .

وفــى دولة أميــر المومنين سيــدى محمد بن عبــد الله جدد هــذا الضريح ومسجده ومدرسته على الهيأة التى هو عليها الآن ، وقد جدد الضريح

فـي هذا التاريخ الـذى هو عـام 1324 عـلى ما ينبغى ، وجعل بحائطه عـلى أربعة أركان من الزليج المتنوع الألوان مايحسبه الناظر خمائل الزهر مع ما فى السقف مـن بديع النقش ورائق الرقم ، فتكاملت فيه المحاسن مـع البهاء والاشـراق .

وقال أبو العباس الحضيكى فـي بعض تقاييده : ومدينة مراكـش محفوظة محروسة كثيرة البركات مشحونة بالصالحين والأولياء العارفيـن وأرباب الأحـوال القدسية والأنفاس الزكيـة والأنوار الزاهرة والأسـرار الكاملـة هـ .

وقال فـي الاستقصا وفضل مراكش أشهر مـن أن يذكر لا سيمـا مـا اشتملت عليه مـن مزارات الأولياء ومدافـن الصلحـاء الكبار والايمـة الأخيـار هـ .

وقال الامام السخاوى فى كتاب (تحفة الأحباب وبغية الطلاب) واعلم أن قـبور الصالحين لا تخلو مـن بركة ، وأن زائرها والمسلم عليهـا وعلى أهلها والقارىء عندها والداعي فيها لاينقلب الا بخير ولا يرجع الا بأجر ، وقـد يجد لذلك أمارة تبدو له أو بشارة تنكشف له ، فمما روي عن يحيى بن سعيد عـن شعبة بـن الحجاج قال فتن الناس بقبر عـبد الله بـن غـالب رضي الله عنه فأخذت مـن ترابه فاذا هو مسك أو تحته مسك وقصة هـذا القبر مشهورة ولما خيف على الناس منه الفتنة سوي ، وذكر ابن إسحاق قال حدثنى يزيد بن مروان عـن عائشة أم المومنين رضي الله تبارك وتعالى عنها قالت لمـا مات النجاشى كان يتحدث أنه لا يزال عـلى قبره نور وقد روى عنه عليـه الصلاة والسلام أنه قال ان الميت ليتأذى بالجار السوء كما يتأذى به الحي هـ وقال ابن عبد العظيم الأزمورى فى تأليف (كرامات الشرفاء بنى أمغار) ما نصه قال صاحب (أنس العارفين) حدثونا أن أمير المومنين علي بن يوسف بن تاشفين رحمه الله أمير المغرب كان لا يأخذ فـي عمل مهم حتى يستشير أهـل الفضل والدين فلما أراد أن يشرع فـي بنيان سور مراكش بـعد شروع والده يوسف ابن تاشفين رحـمه الله سنة خمـس وسبعين وأربعمئة فشاور مـن حضر

هنالك مـن الفقهاء والصالحين قال بعضهم لا تقدر عـلى بنيانه لأنك تفنى فيه بـيت مال المسلمين ولا تتمه اذ لا يقوم بذلك مـن المال الا مـا لا يحصى والمجابى ضعيفة وكان المشاور فى ذلك الفقيه أبو الوليد بـن رشد رحمه الله وكـان بعث إليـه أن يأتي مـن قرطبة ، فأتـاه الى حضرة مراكش ، فقـال يا أمير المومنين لا يحل لك سـكنى بهذه المدينة بغير سور ، فبقي متردداً فى ذلك ، فـكتب كتاباً باشارة الفقيه ابـن رشد للشيخ الفقيه الشـريف الـولي الـقدوة الناسـك محمد بـن إسماعيل أمغـار الشريف الحسنـى مستشيـراً له فى ذلـك وملتمساً منه صالـح دعائه أن يـوفقه الله تعـالى ويعينه ، فأشـار ببنيانه ، ودعـا لـه وبعث لـه شيئاً مـن مالـه الحـلال الخالص المحض ، وقال له اجعله فى صندوق إنفاق البنيان ، ويتولى ذلـك مَن يوثق بـه فـى الفضل والدين ولا يتولاه غيره ولا يـشاركه فيه ، ثـم شرع الملك فـى بنيان السور وذلك سنة اثنتين وعشرين وخمسمئة ، فأعانه عليه وسهل عليه الانفاق حتى أتمه ببركة دعوة الشيخ محمد نفعنا الله ببركاته وبركة أمثاله .

وذكر الشيخ العالم الباحث المحقق عبد الملك بـن موسى الوراق فـى كتابـه الذى صنـف فى أخبـار المغرب أن الانفـاق بلـغ فى سـور مراكش نـحو السبعين ألف دينار ذهباً ، وفى جامعه الأعظم نـحو الستيـن الف دينار ، وكانت قبل هذه مبنية بالطوب رحمه الله تعالى .

انتهى كلام الزمورى بلفظه وحروفه ونقله فى الاستقصا مختصراً بعد أن ذكر أن مدة البناء كانت عندما نبع محمد بن تومرت مهدى الموحدين بجبال المصامدة هـ .

وقال الزيانى ما نصه وهو يعنى يوسف الذى أسس مدينة مراكش : لمـا سافر أبو بكر بـن عمر للصحراء عـام اثنتين وخمسين وأربعمئة شيـد قصره ومسجده عام أربعة وخمسين وأربعمئة .

ورأيت فـى الحلل أن الذى أسسها هـو ابن عمه المذكور عـام 452 دون تسوير ونقله عـن جماعة مـن علماء التاريخ .

وقال فى (الاستقصا) فى ترجمة نقْل المصحف العثمانى من قرطبة الى مراكش وبناء جامع الكتبيين بها ما نصه :

وفى خلال هذه المدة أمر عبد المومن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تعالى ، فبدىء ببنيانه وتأسيس قِبلته فى العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة ، وكمل فى منتصف شعبان من السنة المذكورة على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأحكم البناء والنجارة ، وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما لو عمل فى السنين العديدة لاستغرب تمامه فكيف فى هذا الأمد اليسير الذى لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بنائه ، وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور هـ .

وقال اليفرنى : وفى عشرة السبعين وتسعمئة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الأشراف بحومة المواسين من مراكش والسقاية المتصلة به التى عليها مدار المدينة والمارستان الذى ظهر نفعه ووقف عليه أوقافاً عظيمة هـ وهذا المارستان هو الذى بحومة الطالعة قرب السجن ، وقد اتخذ اليوم سجناً للنساء والمجانين ، ومغتسل جنائز الغرباء والمساكين ، وهذا السلطان هو الذى جدد أيضاً بناء المدرسة التى بجوار جامع ابن يوسف اللمتونى ، وليس هو الذى أنشأها كما يعتقده كثير من الناس ، بل الذى أنشأها أولا هو السلطان أبو الحسن المرينى رحمه الله حسبما ذكره ابن بطوطة فى رحلته ، كما تقدم وشاع على الألسنة أن السلطان الغالب بالله توصل الى بنائها بصناعة الكيمياء وان الشيخ أحمد بن موسى السملالى علّمه إياها حين تلمذ له قال اليفرنى وهو كذب هـ وسياتى أن الذى بناها أولا هو جده يعقوب بن عبد الحق المرينى وكان بقصبة مراكش جماعة من أسارى النصارى من لدن أيام أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ ، فرأوا الجم الغفير من أعيان المسلمين وأهل الدولة يحضرون كل جمعة مع السلطان بجامع المنصور من القصبة المذكورة فحدثتهم نفسهم الشيطانية بأن يصنعوا

مكيدة يهلكون بها السلطان ومَن معه فحفروا في خفية تحت الجامع المذكور حفرة ملأوها من البارود ووضعوا فيها فتيلا تسرى فيه النار على مهل كي ينقلب الجامع بأهله وقت الصلاة فنفطت المينا وانهدمت بها القبة الواسعة من الجامع المذكور وانشق منارها شقاً كبيراً ومازال ماثلا به إلى الآن ، وكان ذلك مبلغ ضررهم ، وكفى الله المسلمين شر تلك المكيدة ، ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوا ، وكان ذلك سنة إحدى وثمانين وتسعمئة ، وكانت الحرة مسعودة أم المنصور بنت الشيخ الاجل أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورزازى أم المنصور السعدى من الصالحات حريصة على اقتناء المفاخر راغبة فى فعل الخيرات أنشأت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش ووقفت عليه أوقافاً عظيمة ، وكان ذلك سنة خمس وسبعين وتسعمئة ، وبنت جسر وادى أم الربيع وغير ذلك ، ولما جاءت دولة مولانا محمد بن عبد الله العلوى ردّ كرسيّ الملك لمراكش ، وبنى بها قصوره ومصانعه ، واستمرت كرسيا لمملكتهم الى الآن قبل الحماية ، فمنها عرصة النيل ومنها الدار البيضاء باكدال التى بناها السلطان مولاي الحسن قدسه الله ولما صفا للسلطان مولانا عبد الرحمن رحمه الله أمر المغرب شرع فى غرس أكدال السعيد غربي مراكش ، وهو بستان عظيم جداً يشتمل على جنات كثيرة معروفة بحدودها واسمائها وأكرتها (1) وتشتمل كل واحدة منها على نوع أو أنواع من الأشجار النفاعة من زيتون ورمان وتفاح وليمون وعنب وتين وجوز ولوز وغير ذلك وكل نوع منها يغل ألوفاً فى السنة بحيث ان غلة الليمون وحده تباع بخمسين ألفاً وأكثر إذا كانت صالحة وفى خلال هذه الجنات من قطع الأزهار والرياحين والبقول المختلفة اللون والطعم والرائحة والخاصية ما لا ياتى عليه الحصر حتى ان منها ما لا يعرفه جل المغرب ولا رأوه قط جلب من أقطار أخرى وفى وسطه برك عظام تسير فيها القوارب والفلك وتصب فيها العيون كأمثال الأنهار لسقي تلك الجنات وعليه من الارحاء شيء كثير، وتلك البرك منها ما ضلعها الواحد يكون مئتي خطوة

(1) الأكرة الحفرة يجتمع فيها الماء فيغرف صافيا كما فى القاموس وشرحه .

وأقل وأكثر ، وفي داخله أيضاً من المتنزهات الكسروية والقباب القيصرية والمقاعد المروانية ما يستوقف الطرف ويستغرق بحسنه وقبابه ومقاعده البهية على ذلك كله ، والحاصل أن هذا البستان جنة من جنات الدنيا يزرى بشعب بوان ، وينسى ذكر غمدان ، الى جنة المنارة والعافية وغير ذلك من منتزهات مراكش العجيبة ، التى انشأتها هذه الدولة الشريفة فى إبان الاقبال والشبيبة ، ولله در الوزير ابن إدريس اذ يقول فى وصف يوم قطعه فى الجنان المسمى بالمامونية وبالسهب احد جنات الجانب العالى بالله بمراكش .

ترقرق فى وجه الصباح صبوح	فبان به للهم عنه سروح
وعاودنى للأنس عيد مسرة	به لعهود الآنسات فتوح
ولم أر مثل المامونية معهدا	باكنافه تغدو المنى وتروح
هو السهب للشهب الزواهر مطلع	وللفضل فيه والجلال وضوح
قباب كأبراج السما ومنازل	خلال بروج قد علت وصروح
بها للظباء الكانسات ملاعب	سمت ولربات الجناح جنوح
وقد صفقت تحت الظلال مذانب	وساحت فصاحت فى الغصون صدوح
ظللنا بها والسحب ينثر دره	وللغصن فيه والاضاة طموح
تلون فيه الجو كالدهر بشره	يمازجه تحت الغمام كلوح
وللريح فى تلك الخمائل زفرة	كزفرة صب قد عراه نزوح
فلا زال مأوى للملوك وللعلا	تقرر فيه للسرور شروح

ولما شرع السلطان رحمه الله فى غرس هذا البستان جلب له العين الآتية من بلاد مسفيوة المسماة بتسلطانت ، وهي من أعذب العيون ماء وأخفها وأنفعها للبدن ، وكانت مسفيوة متغلبة على هذه العين من لدن دولة السلطان سيدى محمد بن عبد الله يعمدون إليها بالليل فيفرغونها سواقيَ على جناتهم ومزارعهم فكان ذلك دأبهم الى ان جاء السلطان المولى سليمان فأعياه أمرهم فيها فأقطعهم اياها على ألف مثقال يؤدونه كل سنة ، فلما جاء السلطان المولى عبد الرحمان انتزعها منهم رغماً عليهم وجاء بها تشق الوهاد والربى حتى ألقت جرانها بأكدال السعيد ، وعمَّ نفعها وريُّها القريب منه والبعيد ، وفى ذلك يقول الوزير ابن ادريس قصيدته البديعة التى منها قوله :

وردت وكان لها السعود مواجهـا ... والحسن مقصور على مواجهـا
طلعت طلائع بشرها من قبلهـا ... كالشمس طالعة لدى ابراجهـا
فرأيتها بين الاباطح والربـى ... ترمي فريد الدر من أمواجهـا
وتصوغ من صافى النضار سبائكا ... حلت بها الاعطاف من ثجاجهـا
هبطت اليك من الجبال وطالمـا ... تعبت ملوك الأرض فى اخراجهـا
وأتتك راغبة تجر ذيولهـا ... وتفيض غمر النيل فى أفواجهـا
تنساب مثل الأفعوان وتنثنـى ... كالغصن بين وهادها وفجاجهـا
خطب الملوك نكاحها فتمنعـت ... وأردت راغبة حلال زواجهـا
فلتهنك الخود الرفيعة منصبـا ... وليهنها ان صرت من أزواجهـا
حمـراء عبـاسية بدويـة ... نشرت ذوائبها على ديباجهـا
وافتك وافدة وقد صبغ الحيـا ... وجناتها وجرى على أدراجهـا
فكأنها بلقيس وافت صرحهـا ... لكنه صرح بغير زجاجهـا
حاكت لك السيف الصقيل مدرجا ... بدم العدا اذ أدميت للجاجهـا
فكانما ذبحوا بها زمرا فـذا ... قانى الدماء يسيل من أوداجهـا
علمت أناملَكَ الشريفة أبحـرا ... غرقت بحار الأرض فى عجاجهـا
فأتتك طالبة الأمان لنفسهـا ... لتنال بعض الطيب من ثجاجهـا
لبتك اذ سمعت بذاك واقبلـت ... مرهوبة تستنُّ من ازعاجهـا
ونزعتَها بالقهر من غُصَّابهـا ... والسابقون رضُوا ببعض خراجها
حليت مراكشاً بدرٍّ عقودهـا ... وفتحت مغلق نهرها وشراجهـا
وجلبت منها للرعية نفعهـا ... وحللتَ ما قد عزَّ من أرتاجهـا
كم من مزارع اخصبت وحدائـق ... حلتها بالأقراط من أزواجهـا
يعلى على الاسكندر استدراكهـا ... ويحار رسطاليس فى استخراجها
نالت من النيل المقدس شعبـة ... وزرى بطيب المسك طعم مزاجها
لو يعلم الحكماء ما فى مائهـا ... ما عالجوا المرضى بغير علاجهـا
فاق الرضاب حلاوة وعذوبـة ... وحكى لباب الشهد حلو مجاجهـا
لو مازجت ماء البحار بمائهـا ... غلبت عذوبة مائها لاجاجهـا
يغنى عن السكار طعم زلالهـا ... وعن الغناء ينوب صوت لجاجهـا
تنسى الغريض ومعبدا نغماتهـا ... ويحار ابراهيم فى أهزاجهـا
حلت لنا دار الهناء وخصصـت ... روض المسرة اذ أتته بتاجهـا

احيت نبات الأرض فى جنباتهـــا وأرتْ نجابة دوحها ونتاجهـــا
حيت حدائق شاكلت زهر السمـا فى زهرها الزاهى وفى أبراجهـا
نسجت زرابى فى الفلا مبثوثـــة من نورها كالمسك فى ءاراجهـا
حفتْ بها حلل الأعارب رغبـــة فى مائها وكلائها ونتاجهـــا
جعلتْ بساحتها ملاعبَ خيلهـا ومطالع الأقمار من أحراجهـا
وأسامت الأنعام حول فسيحهـا فنمت بنجم جمالها ونعاجهـا

انتهى المناسب ايراده منها هنا ، وراجع تمامها فى ديوانه وعدتها 55 بيتاً .

وفى يوم الخميس تاسع جمادى الأخيرة سنة أربعين وستمئة غـرق الرشيد فى البركة الـكبرى التى بدار الهناء من أكدال اليوم ، وكـان يقال لها البحر الأصغر ، لأن ملوك بنى عبد المومن الذين أنشأوها كانوا يرسلون فيها الزوارق الفلك الصغار بقصد النزهة والفرجة ، وعبد المومن كـان صنع بركة خـارج بستانه مربعة طول تربيعها نـحو ثلاثمئة بـاع ، وكان يأمـر الأطفال الذين جمعهم للتأديب والتربية والقراءة بالـعوم فيها وأن يجروا فيهـا الـزوارق .

وقال فـى (الحلل) عن مرتادى موضـع مدينة مراكش : نـفيس جنانها ، وبلاد دكالة فدانها ، وزمام جبل درن بيد أميرها هـ .

وذكر فى (يتيمة العقود الوسطى) أن سيدى محمد المعطى بن عبد الخالق كـان فى حجر والده فـى صغره بحضرة مدينة مراكـش التى ورد فـى بعض الآثار أن الولاية تنبع من حيطانها كما ينبع البقل من أرضها، وقال سيدى المكى الناصرى فى (الرحلة) ما نصه : قال (1) صاحب (مناهج الفكر ومباهج العبر) : مراكش مدينة بناها يوسف بن تاشفين اللمتونى الصنهاجى سنـة تسعين وأربعمئة ، لهـا نهر يأتيها مـن جبل درن ، ويصب فـى البحر ، ولما ملكها عبد المومن صارت مدينة الخلفاء مـن أهل بيته ، وصارت تضاهى بغداد فـى العظم بكثرة الرؤساء والعلماء والأدباء هـ وكتب الشيخ سيدى محمـد

1) هو محمد بن عبد الله الأنصارى (مؤلف) .

الصغير الافرانى على قوله سنة تسعين الخ فيه نظر ، بـل تاريخها مكـة سنة 480 هـ .

وفى (المجد الطارف والتالد) بعد ذكر سيدى يوسف بن تاشفين مانصه : أقول وكفاه منقبة هذه المدينة السعيدة التى بناها وكانت غيضـة للوحوش واللصوص فصارت عمـارة لأولياء الله تعالى الأخيار وتختاً لأبَّهـة ملوك المغرب مـن سنة خمس وخمسين وأربعمئة الى سنة تقييد هـذا سنة 1294 والله أعلم بما تكون عمارتها بـعد هذا هـ.

ثـم أعلم أن مساجد مراكش بلغت مئـة وستة وثلاثين مسجـداً ، الجوامع منها ثلاثة وعشرون وهاك بيانها :

1 ـ المسجد الكبير بهيلانة جامع الخطبة
2 ـ ضريح القاضى عياض
3 ـ ضريح مولاي علي الشريف
4 ـ مسجد درب الحمام
5 ـ مسجد درب القاضى
6 ـ مسجد سيدى محمد العربى
7 ـ جامع القائد منصور
8 ـ مسجد قايد راسو
9 ـ مسجد درب أغراب
10 ـ مسجد بوسكرى
11 ـ مسجد سيدى أيوب
12 ـ جامع سيدى محمد بن صالح
13 ـ ضريح سيدى محمد بن صالح
14 ـ مسجد أولاد بوعنان
15 ـ مسجد اسبتيين
16 ـ مسجد اسبسط
17 ـ مسجد شنباشة البرانى
18 ـ مسجد شنباشة الوسطى
19 ـ مسجد شنباشة الدخلانى
20 ـ مسجد الصحراوى ببناهض
21 ـ مسجد درب مجاط
22 ـ مسجد الثعالبى
23 ـ مسجد سيدى البغدادى
24 ـ مسجد درب سبعة رجال
25 ـ مسجد درب قشيش
26 ـ مسجد درب الكدية
27 ـ مسجد درب شقرون
28 ـ مسجد سيدى سوسان
29 ـ جامع سيدى يعقوب
30 ـ مسجد درب بابا على
31 ـ جامع حارة الصورة
32 ـ مسجد سيدى أبى حربة
33 ـ جامع علي بن يوسف

34 ـ مسجد المدرسة اليوسفية

35 ـ مسجد أسول

36 ـ مسجد الطيب

37 ـ مسجد سيدى وحلان

38 ـ ضريح القبة العباسية

39 ـ جامع الزاوية العباسية

40 ـ جامع سيدى غانم

41 ـ مسجد الدرب الجديد بالعباسية

42 ـ مسجد أدرار

43 ـ مسجد درب امنزات

44 ـ مسجد قاع المشرع

45 ـ مسجد الدور الجديد

46 ـ مسجد المدرسة العباسية

47 ـ مسجد باب الخميس

48 ـ مسجد بقعر اخليج بالجزولى

49 ـ مسجد القبة الجزولية

50 ـ جامع الجزولى

51 ـ مسجد سيدى أحمد السوسى

52 ـ مسجد سيدى ابن سعيد

53 ـ مسجد سيدى أبى ناقة

54 ـ مسجد درب الفيران بروض العروس

55 ـ مسجد درب الحمام

56 ـ جامع سيدى أبى عمرو

57 ـ جامع الزاوية الناصرية برياض العروس

58 ـ مسجد حومة الجزاء

59 ـ مسجد درب اصبان

60 ـ جامع الحارة

61 ـ جامع باب دكالة

62 ـ مسجد درب سيدى محمد بن الحاج

63 ـ مسجد درب الحلفاوى

64 ـ مسجد عرصة أوزال

65 ـ مسجد درب العظام

66 ـ مسجد درب زمران

67 ـ مسجد سيدى أحمد بن موسى

68 ـ مسجد درب الدقاق

69 ـ مسجد الدرب الجديد

70 ـ مسجد تزكارين

71 ـ مسجد درب الحجرة

72 ـ مسجد درب تدغة

73 ـ جامع الكتبية ، وبه منبر أحفل منابر المعمور صناعة كما قال الامام ابن مرزوق فى كتابه المسند الصحيح الحسن

74 ـ مسجد سيدى ميمون

75 ـ مسجد سيدى مبارك

76 ـ مسجد درب المنابهة

77 ـ مسجد درب هشتوكة

78 ـ مسجد القصيبة

79 ـ ضريح سيدى منصور

80 ـ مسجد درب اقبالة

81 ـ مسجد درب الرحالة

82 ـ مسجد درب الحربيلى

83 - مسجد صهريج كناوة
84 - مسجد قصيبة النحاس
85 - مسجد توارگة القصيبة
86 - مسجد المنبهي
87 - مسجد دار البديع
88 - مسجدالبغالة
89 - مسجد الحاج عبد الله
90 - جامع المنصور
91 - مسجد باب أحمر الفوقاني
92 - مسجد باب أحمر الوسطاني
93 - مسجد بو نوالة
94 - جامع بريمة
95 - مسجد توارگـة القصبة قـرب الصفصافة
96 - مسجد عرصة موسى
97 - مسجد العريفة بروض الزيتون
98 - جامع روض الزيتون القديم
99 - جامع روض الزيتون الجديد
100 - مسجد المرفوع
101 - مسجد قاع الحومة
102 - جامع جنان بنشقرة
103 - مسجد سيدى داود
104 - مسجد دوار گراوة
105 - مسجد درب الزعرى
106 - جامع القنارية
107 - ضريح سيدى أبى الفضائـل
108 - جامع ضبشى
109 - مسجد درب الجديد
110 مسجد درب مولاى عبد القادر
111 - مسجد القصابين
112 - مسجد السيدة عطفة
113 - مسجد درب اعرجان
114 - ضريح سيدى الرجراجى
115 - مسجد درب النخيل
116 - مسجد الجوطية
117 - ضريح سيدى إسحاق
118 - جامع سيدى إسحاق
119 - مسجد الحجامين
120 - مسجد السراجين
121 - مسجد سوق الحايك
122 - مسجد مولاى علي
123 - ضريح ابن العريف
124 - مسجد سوق الحناء
125 - جامع المواسين
126 - مسجد درب عبيد الله
127 - مسجد سيدى ياسين
128 - مسجد درب سنان
129 - مدرسة المواسين
130 - مسجد درب دفة وربع
131 مسجد الزكندرى
132 - مسجد الصحراوى بالقصور
133 مسجد القطة
134 - مسجد الدرج
135 - مسجد درب مولاي عبد الله بن حسين
136 - مسجد الفرجى بدرب الصابون

فيها من المدرسين والواعظين أربعة وأربعون ، ومـن الخطباء ثلاثـة وعشرون خطيباً ، ولكن فـي الحقيقة عدد الجميع فـي الأشخاص 48 لتعـدد الخطط فـي الواحد ، أما عدد المنخرطين فـي سلك الدرجة الأولى مـن أهل العلم بها فهم تسعة عشر عالما ، وفـي الدرجة الثانية عشرون ، وفـي الثالثة اثنا عشر .

ولما كـان ملوك الاسلام هـم أولى الناس معرفة بقدر الخاصة مـن سائر الأقطار وأحق بتعظيم العلماء ومعاملتهم بالتكرمة والوقار ، وملاحظتهـم لهم بمقتضى الاجلال والاكبار ، أجروا لهم المرتبات قديمـاً وحديثا عـلى مدى الأعصار ، ووسعوا عليهم بالعطاء الـذى يجل عـن المقدار ، إعانة لهم عـلى حفظ الشريعة واقامتها ، ورعاية لمنصبها العلي وسعيا فى إذاعتهـا ، ولذا كتب الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله كتاباً بعثه لأمير وقته يستعطفه فيه ويعرفه بما أوجب الله لأهـل العلم مـن التعظيم والاحترام والتوقيـر الشامل العام لـما أراد أن يقطع المرتبات فـي بعض الأيام ونصه بعد الحمدلة والصلاة والسلام عـلى رسول الله ولا تخفـى مراتب أهـل العلم وفضلهم وثنـاء الله عليهم وبيانه مرتبتهم عـلى غيرهم ، وأنهم ورثة الأنبياء صلوات الله وسلامـه عليهم ، فان الملائكة عليهم الصلاة والسلام تضع أجنحتها لهم ، ويستغفر لهم حتى الحوت فـي الماء ، واللائق بالجناب العلي إكرام هـذه الطائفة والاحسان اليهم ومعاضدتهم ورفـع المكروهات عنهم ، والنظر بما فيـه رفق بهم ، فقد ثبت فـي صحيح مسلم عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنـه قال : اللهـم مَن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به (1) وروى أبو عيسى الترمذى باسناده عن أبى سعيد الخذرى رضِي الله عنه أنه كان يقول لطلبة العلـم مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عيله وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجالا يأتونكم يتفقهون فاستوصوا بهم خيراً ، والمسؤول أن لا تغير هذه الطائفة شيئاً وتستجلب دعوتهم ، وقد ثبت فـي صحيح البخارى أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قـال هل تنصرون وتـرزقون إلا بضعفائكم ؟ وقـد أحاطت العلوم بما أجاب به الوزير نظام الملك حين أنكر عليه السلطان صرف

1) راجع ص 7 من ج 6 من صحيح مسلم (مؤلف) .

الأموال الكثيرة فـي جهة طلبة العلم ، فقال أقمت لك جنداً لاتـرد سهامهم بالأسحار ، فاستصوب فعله ، وساعده ، والله المسؤول أن يوفقَ الجناب دائماً لمرضاته والمسارعة الى طاعته هـ فأطلق لهـم المرتبات ، وأجزل لهـم العطايا والصلات .

وصوامعها الظاهرة اثنتان وأربعون أكبرها صومعة الكتبيين وفيهـا سبع قباب عظام ، وصومعة جامع علي بـن يوسف التى بناهـا المولى سليمان وقبابهـا خمس ، ومدارسهـا ست : مدرسة حومـة باب دكالة ، ومدرسـة القصبة ، ومدرسة ابـن صالح ، والمدرسة العباسية ، والمـرينية المشهورة باليوسفية ، وقد بناها أبو يوسف يعقوب المرينى وأبو الحسن المرينى قـال الحافظ ابـن مرزوق فى (المسند الصحيح الحسن) فمدرسة سبتة غايـة وأعجب منها مدرسة مراكش وتليها مدرسة مكناسة هـ وجدد مدرسة ابـن يوسف مولاي عبد الله السعدى .

وزواياها نحو الأربعين وقد تكلمنا على المساجد العظام فـى الرسالة المختصرة التى تكلمت فيها على تراجم أولياء مراكش أصحاب القباب الكبـار اقتصرت فيها على تاريخ الولادة والمدة والوفاة وسبب قدوم مَن قدم منهـم لمراكش وبيان المساجد العظام وتسمية مَن بناها ، ثم أتبعتها بذكر الزوايا التى بمراكش وأصحاب طرقها فراجعها هناك .

وحماماتها أربعة وعشرون حماماً ، وأفرانها ستة وستون فرنـاً ، وأسواقها كثيرة منظمة مجموعة فى وسط المدينة بحيث تغلق عليها أبوابها وتبقى وحدها منفردة مشتملة على الحرف المهمة والسلع التى تجبى اليها من كل قطر ، وفيها ما يشذ عن الحصر مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعيـن مـع رخص أسعارها .

وأبوابها باب أغمات ، وباب أيلان ، وباب الدبغ ، وباب الخميس ، وباب دكالة ، وباب الرب ، وباب القصيبة ، وباب يغلى ، وباب أحمر ، وكان أغلق باب الرخا قرب باب الرب ، وباب العرايس بين باب دكالة وباب الرب ، أما باب تاغزوت أي الغزو فقد كان من أبوابها قبل أن تضاف الزاوية العباسية إليها ويصير داخل المدينة .

وأوديتها منها وادى السيل عليه قناطر متعددة ، وواد تانسيفت وعليه قنطرة طولها نحو 400 متر وفى أسفلها واحد وعشرون قوساً مبنيـة بالآجر والجير بناها أولاد علي بن يوسف اللمتونى ، ثم رمى بها السيل فى البحر كما تقدم ، وبناها يوسف الموحدى سنة ست وستين وخمسمئة ، وجددها مولانا سليمان .

وعيونها ثمانية عشر : عين البركة ، والمزوضية ، والعباسية ، وعين السيد المامون ، وعين تالقضيت ، وعوينة بأحمد ، وعين رحاة بوستة ، وعين سيدى موسى ، وعين زمران ، وعين البرج ، وعين الرحية ، وعين الدار العلية، والعين الباردة الجديدة ، والعين الباردة القديمة ، وعين الزمزمية ، وعين الميلودية ، وعين العرفاوى ، وعين القبة .

وسقاياتُها تسع" وثمانون سقاية مفرقة على حومات المدينة المنقسمة الى ثمانية أقسام، كل قسم يعبر عنه بالعلم ، وسياتى بقية ما يتعلق بمراكش فى تراجم رجالها إن شاء الله تعالى .

ولنختم هذا الفصل بما قاله ابن سعيد ان كل قصر مـن قـصور مراكش مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك حتى ان الرئيس منهم يغلق بابه على جميع خوله وأقاربه وما يحتاج اليه ولا يخرج من بابه الى خارج داره لحاجة يحتاجها هـ نقله فى 161 من ج 5 من صبح الأعشى راجع تمامه فيه ، ولهذا قال ابن خلدون :

واسأل بذا مراكشاً وقصورهـــا فلقد تجيب رسومُها مَن يسأل

من قصيدته اللامية التى يمدح بها سلطان تونس أبا العباس المذكورة فى آخر تاريخه لدى ترجمته لنفسه ، وبما قاله بعضهم فى شأن قبور السعديين إنه لا يفكر الانسان أن يرى أكثر إتقاناً ولا أحسن ولا أعظم حسنا من سقوفها ذات الثريات المذهبة التى يرى تلألؤها ولا يمكن الانسان أن يرى أكثر إتقاناً من تلك الاثني عشر عموداً الرخامية أو الأقواس أو الكتابة أو التزويق البديع ذى الحبك السحرى الذى ينشد أشعاراً خالدة وان كل ما فى الهندسة العربية

من أشكال الزينة تجده ثمه متقناً ومتعدداً حتى ان هذه القبور تعد وتستحق أرفع عجائب مراكش والمغرب كله وان من لم يشاهد بعينه داخل هذه القبة التى هي أعجوبة من أعاجيب الدنيا لم يمكنه أن يدرك أي درجة من الـرقي وصلت المدنية الاسلامية .

الفصل الثانى

فى أغمات ، وما لها من الخيرات والبركات

ثم إن اغمات تطلق على أغمات وريكة ، وعلى أغمات ايلان ، والمراد عند الاطلاق الأولى ، قال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى فى كتابه المسالك والممالك ما نصه :

ذكر مدينة اغمات

وهي مدينتان سهليتان إحداهما تسمى أغمات ايلان ، والأخـرى اغمات وريكة وبها مسكن رئيسهم ، وبها ينزل التجار والغرباء ، وأغمات ايلان لا يسكنها غريب ، وبينهما ثمانية أميال ، ولها نهر لطيف جريته من القبلة الى الجوف ، ماؤه زعاق ، يقال له تاقيروت ، وحولها بساتين ونخل كثير، وهو بلد واسع يسكنه قبائل مصمودة فى قصور وأجشار ، وهو رخيص الأسعار كثير الخير يحمل اليه من مدينة نفيس تفاح جليل يباع منه وقر بغل بنصف درهم ، إلا أنه وخم الهواء ألوان سكانها مصفرة كثير العقارب القتالة التى لا يداوى سليمها ، وبها أسواق جامعة ، فسوق أغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مئة ثور وألف شاة وينفذ فى ذلك اليوم جميع ذلك ، وكانت إمرة أهل اغمات دولا بينهم ، يتولى الرجل سنة ثم يديلونه بآخر منهم عن تراض واتفاق كذلك ذكر محمد بن يوسف القيروانى ، وساحل أغمات رباط جوز على البحر المحيط وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج منه السفن صادرة الا فى زمان الأمطار وتكدر الهواء

واغبرار الجو ، فحينئذ تصدق لهم الرياح البرية ، فان تمادى ذلك لهم سلموا وان أصحى الجو وصفا الهواء هبت لهم الرياح البحرية من الغرب فيهيج عليهم البحر وقذفهم فى البرارى فقلّما يسلمون .

والطريق من مدينة أغمات الى رباط جوز

من وريكة الى نفيس خمسة وثلاثون ميلا ، ومن نفيس الى شفشاون ثلاثون ميلا ، ومنها الى مرامر ثلاثون ميلا ، ومنها الى رباط جوز خمسة وعشرون ميلا ، وذلك عشرون ومئة ميل :

وقال فى (الاستبصار فى عجائب الامصار) ما نصه :

مدينة أغمات

وأغمات هما مدينتان إحداهما تسمى أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة ، وبينهما نحو ثمانية أميال ، وباغمات وريكة يسكن الأعيان ، وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء ، وبها نهر جريته من القبلة الى الجوف يشق المدينة بعضه ، وعليه أرحاء ، وحوله بساتين كثيرة ، وهو بلد متسع كثير الرخاء والخصب ، إلا انه وخمُ الهواء ، ألوان أهله مصفرة والعقارب القتالة به كثيرة وبينه وبين البحر مسيرة أربعة أيام وأقرب المراسى اليه مرسى جوز هرتنانة (1) من بلد رجراجه ، وهو من آخر مراسى سواحل المغرب مما يقرب من البحر المحيط تنزل به السفن ولا تخرج منه الا بالرياح العاصفة فى زمن الشتاء عند تكدر الهواء واغبرار الجو فحينئذ تصدق هناك الرياح البرية فان اصطحب لهم الريح سلموا والا قذفهم البحر ، وبين أغمات ومدينة نفيس مرحلة هـ .

وسورها لا يزال محفوظاً وهي تبعد عن أسفى بنحو ثمانية وثلانين ألف متر .

وقال فى (نزهة المشتاق) :

1) يقال لها اليوم رتنانة بحذف الهاء ، بها زاوية سيدى حسين مولى الباب (مؤلف) .

ومـدينة أغمات وريكـة أسفل هـذا الجبـل مـن شماله فـي فحص أئيـح طيب التراب كثيـر النبـات والأعشـاب والميـاه تخترقـه يميناً وشمالا وتطرد بساحته ليلا ونهاراً وحولها جنات محدقة وبساتين وأشجار ملتفة ومكانها أحسن مكان من الأرض فرجة الأرجاء طيبة الثرى عذبة المـاء صحيحة الهواء ، وبها نهر ليس بالكبير يشق المدينة ويأتيها من جنوبهـا فيمر الى أن يخرج من شمالها ، وعليه أرحاؤهم التى يطحنون بها الحنطة ، وهذا النهر يدخل المدينة يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت والأحـد وباقى الجمعة يأخذونه لسقْي جناتهم وأرضيهم ويقطعونه عن البلد فلا يجرى منه اليها شيء ، ومدينة أغمات مدينة تكنفها جبل درن كما قلناه ، فاذا كان زمـنْ الشتاء تحللت الثلوج النازلة بجبل درن فيسيل ذوبانها الـى مدينة أغمات ، وربما جمد به النهر فى وسط المدينة حتـى يجتاز الأطفال عليه وهو جامد فلا يتكسر لشدة جموده ، وهذا شيء عايناه بها غير ما مرة ، ومدينة أغمات أهلها هوارة مـن قبائل البربر المتبربريـن بالمجاورة ، وهـم أملياء تجار مياسير، يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال مـن النحـاس الأحـمر والـملون والأكـسية وثيـاب الصـوف والعمائـم والمئـازر وصنوف النظم مـن الزجاج والأصـداف والأحجار وضروب مـن الأفاويه والعطر وءالات الحديد المصنوع ، وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله فـى قوافلهم المئة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة ، ولـم يكن فى دولة الملثم أحد" أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا ، وبأبواب منازلهم علامات تدل عـلى مقادير أموالهم ، وذلك أن الرجل منهم إذا ملـك أربعة آلاف دينار يمسكها مـع نفسه وأربعة آلاف يصرفها فـى تجارته أقـام عـلى يمين بابه وعن يساره عرصين (1) من الأرض إلى أعلى السقف، وبنيانُهم بالآجر والطوب والطين أكثر ، فاذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك العرص مـع الأبواب قائمة عدها فيعلم مـن عددها كم مبلغ مـال صاحب الدار ، لأنه قد يكون مـن هذه العرص خلف الباب أربـع وست مـع كل عضادة اثنتـان وثلاث ، وأما الآن فـى وقت تأليفنا لهذا الكتاب فقد أتى عـلى أكثر أموالهم المصامـدة ،

---

1) العرص بالفتح خشبة توضع على البيت عرضاً اذا ارادوا تسقيفه ، ثم تلقى عليها أطراف الخشب ، راجع ص 405 ج 4 من تاج العروس (مؤلف) ، قلت وتعرف عندنا بفأس بـالجـائـزة .

وغيرت ما كان بأيديهم من نعم الله ، ولكنهم مع هذا أملياء مياسير أغنياء ، لهم نخوة واعتزاز لا يتحولون عنه ، وبمدينة أغمات عقارب كثيرة ، وكثيراً ما تلسب الناس فتؤذيهم ، وربما مات من لسبتْه ، وبمدينة أغمات ضروب من الفواكه وأنواع من النعم ، وكل شيء بها من المأكول رخيص ممكن .

وذكر مدينتيْ أغمات في (معجم البلدان) في محل واحد قال : أغمات ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل ، ومن سجلماسة ثماني مراحل في بحر المغرب وليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثرُ ناحية ولا أوفر حظا ولا خصبا منها تجمع بين فواكه الصرود والجروم (1) وأهلها فرقتان يقال لاحداهما الموسوية من أصحاب ابن ورصند والغالب عليهم جفاء الطبع وعدم الرقة ، والفرقة الأخرى مالكية حشوية ، وبينهما القتال الدائم ، وكل فرقة تصلي في الجامع منفردة بعد صلاة الأخرى ، كذا ذكر ابن حوقل التاجر الموصلي في كتابه ، وكان شاهدها قديماً بعد الثلاثمئة من الهجرة ، ولا أدرى الآن كيف هي ، فقد تداولتْهم عدة دول منها دولة الملثمين وكان فيهم جد وصلابة في الدين ، ثم عبد المومن وبنوه ولهم ناموس يلتزمونه وسياسة يقيمونها لا يثبت معها مثل هذه الأخلاط والله أعلم ، وبين مدينة أغمات ومراكش ثلاثة فراسخ هي في سفح جبل هناك وهي للمصامدة يدبغ بها جلود تفوق جودة على جميع جلود الدنيا وتحمل منها إلى سائر بلاد المغرب ويتنافسون فيها ، وينسب إليها أبو هارون موسى بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد ابن سنان بن عطاء الأغماتي المغربي رحل الى المشرق وأوغل حتى بلغ سمر قند ، وكان فاضلا وله شعر حسن منه :

لعمر الهوى إني وإن شطت النوى ... لَذو كبد حرا وذو مدمع سكب
فان كنت في أقصى خراسان ثاوياً ... فجسميٌ في شرق وقلبيٌ في غرب

---

1) الصرود الأراضي المرتفعة الباردة ، ويقابلها الجروم الأراضي الشديدة الحر (مؤلف)

وقـال محمد بـن عيسى المعـروف بابن اللبانـة يذكر المعتمـد ابن عباد صاحب أشبيلية وكان لما أزيل أمره وانتزع منه ملكه حمل الى أغمات فحبس بـها :

انفض يَدَيْك من الدنيا وساكنها ... فالأرض قد أقفرتْ والناس قد ماتوا
وقال لعالمها الأرضيٍّ قد كتمت ... سريرة العالم العلويّ أغمـات

قلت ستاتى تراجم الأربعة المذكورين فـى محالها مـن هذا الكتاب إن شاء الله ، وسيأتى كـلام ابن حوقل فـى أغمات فـى ترجمته من هـذا الكتاب ، فانه أجمع مما نقله ياقوت .

وقال فى كتاب (تقويم البلدان) عند ذكر أغمات وريكة :

	طول عرض	الاقليم الحقيقى	العرفى
	دق ق		
أغمات قياس	يال كح ن	من الثالث	من المغرب الاقصى

من اللباب بفتح الألف وسكون الغين المعجمة وفتح الميم والألف وتاء مثناة مـن قوق فـى ءاخرها ، وعن ابـن سعيد ومدينة أغمات فـى شمال جبل درن ، وهي كانت حاضرة البلاد قبل بنيان مراكش ، وهي مـن أقصى المغرب ، قال ابن سعيد أيضاً كانت كرسيٍّ ملك أمير المومنين يوسف بـن تاشفين قبـل أن يختط مدينة مراكش وينبيها ، قال وهي مدينة قديمة ، ثـم نقل كلام الادريسى المتقدم مختصراً ونقلناه مطولا فيمـا تقدم ، ومـا أحسن قول عبد الله بـن يعقوب الأعمى المعروف بعبود كان فى أيام الحكم المستنصر الأمـوى بالأندلس :

لا تأسفن أبا العاصـى لفائتـــة ... فكل ما ليس من رزق الفتى فاتـا
كم من فتى وصل الأسفار مجتهداً ... من أرض دارين حتى حل أغماتـــا
لم يسعف الرزق بالأقدار بغيتـــه ... ولو أقام أتاه الرزق ميقاتـــــا
مولاي يكفيك فالزم بابَ رغبتـــه ... فقد كفى الناس أحياء وأمواتـــا
من يعتمدْ غيره يرجعْ بمحرمـــة ... كالمبتغى بالفلا الصحراء أقواتـــا

وأبو العاصى هو غالب بن أمية ابن غالب الموزورى (1) المترجم كل منهما فى (بغية الملتمس) .

(تنبيه) ذكر فى (كشف الظنون) أن كتاب (تقويم البلدان) احتوى على ستمئة وثلاثة وعشرين بلداً ، قلت الذى عددت فيه من نسخة فى غاية الضبط أزيد من ذلك وهو ستمئة واثنان وثمانون بلداً ، والاقليم العرفى كل ناحية أو مملكة تشتمل على عدة كثيرة من المساكن والبلاد ، مثل الشام والعراق وغيرهما ، وأول الأقاليم العرفية جزيرة العرب ، وثانيها ديار مصر وثالثها بلاد المغرب ، ورابعها جزيرة الأندلس ، وخامسها جزائر البحار الغربية وهو الأفريج والأتراك وغيرهم ، وسادسها بلاد الشام وسابعها الجزيرة بين دجلة والفرات ، وثامنها العراق ، وتاسعها خوزستان ، وعاشرها فارس ، وحادى عشرها كرمان ، والثانى عشر سجستان ، والثالث عشر السند ، والرابع عشر الهند ، والخامس عشر الصين ، والسادس عشر جزائر بحر الشرق ، والسابع عشر بلاد الروم ، والثامن عشر أرمينية وأران وأذربيجان ، والتاسع عشر بلاد الجبل وهي عراق العجم ، والعشرون الديلم والجيل وهو كيلان ، والحادى والعشرون طبرستان ومازندران وقومس ، والثاني والعشرون وتاليه ، والثالث والعشرون خراسان وما أضيف إليها من زابلستان والغور ، والرابع والعشرون طخارستان وبذخشان ، والخامس والعشرون خوارزم ، والسادس والعشرون ما وراء النهر وما أضيف إليه من بلاد تركستان ، والسابع والعشرون السودان ، والثامن والعشرون هو الجانب الشمالى من الأرض . وتشتمل على بلاد أمم مختلفة ، وهذه الأقاليم العرفية الثمانية والعشرون هي التى تكلم عليها فى كتاب تقويم البلدان كل اقليم منها تكلم على مدنه مجموعة فى محل واحد ولم يرتبه على حروف المعجم وتبع فى ذلك ابن حوقل وقال فى (الكشف) ثم ان المولى محمد بن علي الشهير بسياهى زاده المتوفى سنة 997 سبع وتسعين وتسعمئة رتبه يعنى (تقويم البلدان) على الحروف المعجمة ، وأضاف إليه ما التقطه من المصنفات

1) اسم مفعول من الوزر اسم لكورة بالأندلس تتصل اعمالها بأعمال قرمونة وهى عن قرطبة بين الغرب والقبلة كثيرة الزيتون والفواكه بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا واليها ينسب أمية بن غالب الشاعر الموزورى قاله ياقوت .

ليكون أخذه يسيراً ونفعه كثيراً وسماه (أوضح المسالك ، إلى معرفة البلدان والممالك) ، وأهداه الى السلطان مراد خان الثالث ، فرغ منه في رجب سنة 980 ثمانين وتسعمئة ، ثم نقله الى التركية بنوع اختصار وأهداه الى الوزير محمد باشا ، وذكر في الكشف أيضاً في علم جغرافيا أن بطليموس ذكر أن عدد المدن أربعة آلاف وخمسمئة وثلاثون مدينة في عصره ، وسماها مدينة مدينة ، ورأيت في تذكرة الشيخ داود ما نصه : اعلم أن ماذكر من عدد المدن في الأقاليم هو الأصل في تدوين العروض أولا ، وإلا فقد وقع التغيير نقصاً وزيادة حتى قيل ان صاحب طنجة ضبط المدن فكانت سبعة عشر ألفاً وأربعمئة ، فكان الذي خص الصين منها تسعة آلاف هـ .

وقال الادريسي في (نزهة المشتاق) صحيفة 69 وأغمات ايلان مدينة صغيرة في أسفل جبل درن المذكور ، وهي في الشرق من أغمات وريكة السابق ذكرها ، وبينهما 6 أميال ، وبهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد ، وهي مدينة حسنة كثيرة الخصب كاملة النعم ، وكانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف ولا تدخلها إلا نهاراً وتنصرف عنها عشية ، وليس دخولهم في النهار إليها الا لأمور له وخدم تختص به ، ومتى عثر على واحد منهم بات فيها استبيح ماله ودمه ، فكانوا ينافرون المبيت فيها حياطة على أموالهم وأنفسهم هـ ونقله في كتاب تقويم البلدان مختصرا.

والادريسي المذكور هو الشريف محمد بن محمد بن إدريس الادريسي الأندلسي السبتي المتولد بسبتة ، وهو من علية أهل فن الجغرافية في الاسلام ، قال العالم الفاضل شهاب الدين بن بهاء الدين سبحان بن عبد الكريم القزاني المرجاني في (وفية الأسلاف وتحية الأخلاف) مقدمة تاريخه الذي في نحو خمس مجلدات بعد أن ذكر علم الجغرافية وسمى كتاب نزهة المشتاق ما نصه : أورد فيه من أحوال مواقع من اقليم إفريقية مما لم يقف عليه أهل أوروبا الى الآن ، وترجمه بعض أفاضل الأفرنج الى لغة فرنسية سنة ستة اثنتين وخمسين ومئتين وألف وطبع ترجمته ونشره في بلاد أوربا ، وهذا الكتاب هو أساس هذه الصناعة ومعتبر عندهم ومحترم على الغاية هـ .

وذكر بعض هـذا أيضاً قبل ذلك عند ذكر علم الهندسة وتقدم النقل عنه أيضاً عند ذكر أغمات وريكة ، وسيأتى مزيد لهذا عند ذكر التصانيف المصنفة فى البلاد فى الفصل الذى بعد هذا .

وقال لسان الدين ابن الخطيب فى (نفاضة الجراب) بعد أن ذكر جوازه من جبل هنتاتة معقل الموحدين الى حدود أضدادهم الوريكيين (1) :

ثم أتينا مدينة أغمات فى بسيط سهل موطأ لا نشز فيه ، ينال جمعيه السقي الرغد ، وتركبه الخلجان ، وقد تموج به العشب ، وعافته الأيدى ، وغلبَتْ أيديَ فلاحيه الفتنة ، وهذه المدينة قد اختطت فى الفضاء الأفيح ، فبلغت الغاية من رحب الساحة وانفساح القورة ، مثلت قصبتها منها قبلة ، وسورها محمر الترب ، سجح الجلدة ، مندمل الخندق ، يخترقها واديان اثنان من ذوب الثلج، وسور الجبل ، قامت بضفتيْها الأرحاء واردة وصادرة مرفوعة الأسوار منيعة البناء ، يمر أحدهما بشرقي المسجد طامي العباب محكم الجسور، نظيف الحافة ، نزهة للأبصار، وعبرة لأعين النظار ، ومسجدها المذكور عتيق عادى كبير الساحة رحيب الكنف متجدد الألقاب ، ومأذنته لا نظير لها فى معمور الأرض ، أسسها أولوهم مربعة الشكل ، وما زالوا يبخسون الذرع ويجحدون العرض حتى صارت مجسما كاد يجتمع فى زاوية المخروط ، وأدير عليه فارز من الخشب يطيف ببناء لاط ، وقد أطل سامى جامورها فوقه ، فقبحت حتى ملحت ، واستحقت الشهرة والغرابة .

وأهل هذه البلدة ينسب اليهم نُوك" وغفلة،علتها إن صدقت الأخبار سلامة وسذاجة ، فتعمر بملحهم الأسمار وتتجمل بنوادر حكاياتهم الأخبار ، أخبرنى من يوثق به ممن ولي عملها قال مكثت أيام الشتوة بها وخديم دار الاشراف يرفع لى فى كل يوم رسم دار الدباغ أبيض ، فطال ذلك ، فقلت له حتى متى يطلع هذا الرسم أبيض ؟ فقال لى يا سيدى اصبر بعض أيام ولا ترى بعدى يوما أبيض فهذا من الغفلة والنوك ، ومنها أن ملك المغرب لما عجب من هذه المأذنة استأذنوه فى نقلها الى بلده على سبيل الهدية يجعلونها تحفة قدومه وطرفة وفادته .

1) أنظر ص 55 من القسم المطبوع من (نفاضة الجراب) .

وبازائها المسجد بينه وبين النهر المار بازائه قبة عظيمة القبو فخمة البنية ترقص فيها فوارة خرقاء في خصة من الحجر الأدكن مشطوبة الباطن رحيبة القطر قد تثلمت بعض جافاتها لمماسَّة الأيدى ومباشرة أجرام الخزف والفخار عند الاغتراف بما ينبىء عن قديم عهد وطول مدة .

وللسلطان بهذه المدينة دور حافلة تدل على همم ، ومعالى أمم ، واحتفال عوالم درجوا وأمم ، قد ركلها العفاء وجذب معاطفها الخراب ، فما شئت من خشب منقوشة ، وأطم مرقومة .

وبداخل هذه المدينة بساتين وجنات ، ولم يبلغ الخراب من مدينة ما بلغ من هذه الأيم المهتضمة ، فتشعثت محاسنها وأخلقت ملابسها وأوحش عمرانها لتتابع الفتن وعيث الشرار الذين لاتعبدهم الطاعة ولا تروعهم الشريعة، أنقذ الله من لهاة التبار فريستها ، واستدرك بمدافعته مسكتها .

وأطرفنى الخطيب بها بأخبار من اعتقل فيها من مخلوعى ملوك الأندلس وأمراء طوائفها ، كالمعتمد بن عباد ، وعبد الله بن بلقين بن باديس أمير وطننا غرناطة ، ووقفنى على تاريخ صدر عنه أيام اعتقاله يشرح الحادثة على ملكه فى أسلوب بليغ ختمه بمقطوعات من شعره تشهد بفضله (1) .

وزرت بخارجها قبر المعتمد على الله محمد بن عباد أمير حمص وقرطبة والجزيرة وما إلى ذلك الصقع الغربى رحمه الله ، وهو بالمقبرة القبلية عن يسار الخارج من البلد ، وقد توقل نشزاً غير سام ، وإلى جانبه قبر الحرة حظيته وسكن نفسه اعتماد إشراكاً لاسمها فى حروف لقبه المنسوبة الى رميك مولاها المتولعة بشأنه معها أخبار القصاص وحكايات الأسمار إلى أجداث من ولدهما فترحمنا عليه وأنشدته :

قد زرتُ قبرك عن طوع بأغمات ... رأيتُ ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا ... وياسراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطَّى الدهر مصرعه ... الى حياتى لجادت فيه أبياتى

---

1) طبعت بالقاهرة فى سلسلة ذخائر العرب التى تصدرها دار المعارف بعناية المستشرق ليفى بروفانصال .

أناف قبرك في هضب يميــــزه فتنتحيه حفيات التحيـــــات
كرمت حياً وميْتاً واشتهرت عــلا فأنت سلطان أحياء وأمـــوات
ماريء مثلك في ماض ومعتقـــدى أن لا يرى الدهر في حال ولا ءات

وزرت أجداثاً لأوليــاء وصالحين ختمتها بقرب الولي المتبرك بــه محمد الهزميرى .

وكــان الانصــراف عنهــا مــن الغــد ، فماشينــا أدواح الزيتــون شطر البريد لاتنال صفح ثراه الشمس ولا ترتاده الحرباء ، تتجاوب أصوات الحمام المطوق فــوق غصونه وقد اقتطعت ذلــك الجانبَ الخصيبَ أيــدى الوحشة وأخيفت من خلل غابه السابلة ، وسكن ربوعه الآهلة البوم ، فيهــا مــن مدينة غزر ماؤها ، وصح هواؤها ، وأينعت أرجاؤها ، وضفا عليها مــن المحاسن رداؤها . انتهى .

وقــال ابن الخطيب أيضاً في (معيار الاختيار ، في ذكــر المعاهد والديار) :

قلت فأغمات ؟ قال بلدة لحسنها الاشتهار ، وجنة تجرى من تحتها الأنهار ، وشمامــة تتضوع منها الأزهار ، متعددة البساتين ، طامية بحــار الزياتين ، كثيرة الفواكه والعنب والتين ، خارجها فسيح ، والمذانبُ فيــه تسيح ، وهواؤها صحيح ، وقبولها بالغريب شحيح ، وماؤها نمير ، وماء وردها مَمد للبلاد وممير ، إلا أن أهلها يوصفون بنــوك وذهول ، بين شباب وكهول ، وخرابها يهول ، وعدوها تضيق لكثرته السهول ، فأموالها لعدم المنعة في غير ضمان ، ونفوسها لاتعرف طعمَ أمان هـ (1) .

وقال سيدى المكى الناصرى في (الرحلة المراكشية) الواقعة عام 1149 هجرية ما نصه : مدينة أغمات وزيارة مــن ثوى بها مــن الصالحيــن رضوان الله عليهم فدخلناها قرب الظهر وقد دثر سورها وخرب غالب دورها ثم قال بعد أن نقل كلام البكرى فــى المسالك مختصراً وقد نقلناه مطولا وبعد

1) انــظر معيار الاختيار ص 109 من كتــاب مشاهدات لســان الدين ابــن الخطيب . الاسكنــدريــة 1958 .

أن نقل كلام الخريدة ما نصه : قلت لم يبق لما ذكره هؤلاء المؤرخون أثر ولا خبر إلا اسمها وإلا العقارب والسلام ولم أر بها من الشجر الا كثرة الزيتون وشجر التوت التى تطعمه دود الحرير ورحي واحدة ومسجد خرب نحو نصفه ومنارة خرب نصفها ولله عاقبة الأمور هـ .

قلت تقدم النقل عن صاحب الاستبصار عند ذكر مراكش وعلى ثلاثة أميال منها وادى تانسيفت منبعه من بلاد هيلانة ، ويصب فيه وادى وريكة ووادى نفيس وأودية كثيرة ، ومصبه فى ساحل رباط جوز ، ويدخله الشابل الكثير الطيب هـ .

وبلد هيلانة المذكورة هو بلد كلاوة اليوم ، والوادى الذى منبعه من بلد هيلانة هو المعروف بوادى سيدى رحال المسمى واد غدات ، وهو تصحيف عن وادى اغمات ، وهو أغمات هيلانة ، وهيلانة هي ايلان ، قال فى نزهة المشتاق من قبائل البربر وهم مصاميد هـ .

ومنبع وادى غدات عليه الآن قرية يقال لها أيموزار قرب أكدال افرا المستندة على مسفيوة ، وهو فوق تدارات التى هي الآن ممر السيارات بنحو خمسة آلاف متر عن يمين الذاهب ، وتقدم النقل عن نزهة المشتاق أن وادي تانسيفت يأتى إليه الماء من عيون وجبال منبعثة من جبل درن من ناحية مدينة أغمات ايلان هـ .

ووادى غدات المذكور انضاف اليه وادى غى المنضاف إليه وادى أسوال الملتقيين بنكموت ببلاد كلاوة وتلاقيا مع وادى غدات فى زرقطن ، ثم هبط الجميع لسيدى رحال ، ومنه تسقى بعض أراضى زمران أولاد بوشهبة وأولاد بنى زيد والعرقوب ، وهبط مع بلاد زمران حتى تلاقى مع رأس العين ببلاد الرحامنة ، وهبط الى القنطرة ويقال له عند رأس العين وادى تانسيفت .

وذكر الزيانى فى (الترجمانة الكبرى) أن قبائل المصامدة بنوا مدينة شيشاوة واغمات وريكة وأغمات ايلان هـ .

وقد زرت أغمات فى حدود الثلاثين وثلاثمئة وألف ، ثم إن السيارة اليوم تصلها إن لم يكن الوادى حاملا حيث ليس عليه قنطرة قربها .

الفصل الثالث

فى سرد أسماء التصانيف المصنفة فى البلاد والأقطار مرتبة على حروف المعجم تسهيلا للمراد وتنبيهاً على ما لأهل العلم من الاعتناء بالأخبار

ويصح أن يُدعَى هذا الفصل بتوثيق دعائم الأركان بتعليق أسماء تصانيف الأقطار والبلدان، فمنها إتحاف الورى، بأخبار أم القرى للشيخ نجم الدين عمر بن فهد المكى المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمئة، وءاثار البلاد، وأخبار العباد للشيخ زكرياء القزوينى صاحب عجائب المخلوقات جمع فيه ما عرف وسمع من خصائص البلاد والعباد ، ومنها أحاسن اللطائف ، فى محاسن الطائف لمجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس . والاحاطة ، فى تاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب قاله فى كشف الظنون ، قلت قد ذكر فى ديباجتها عدة كتب من تواريخ البلاد ، وقد طبع الأول والثانى منها (١) ، قال وأحسن التقاسيم ، فى معرفة الأقاليم فى مجلد للشيخ محمد بن أحمد المقدسى الحنفى ذكر فيه أحوال الربع المعمور وبلاده وبره وبحره وجبله ونهره وطرقه ومسالكه ومعادنه وخواصه بعد ما جال ودخل الأقاليم ، قلت قد طبع ، قال ومنها أحسن السلوك ، فى نظم مَن ولي مدينة زبيد من الملوك أرجوزة للشيخ عبد الرحمان المعروف بابن الديبع اليمنى المتوفى سنة خمس وعشرين وستمئة ، قلت ومنها الاحياء والانتعاش ، فى تراجم سادات زاوية ءايت عياش تأليف عبد الله بن عمر بن عبد الكريم بن أبى بكر العياشى ، قال وأخبار الزمان ، ومَن أباده الحدثان للمسعودى ، قدم القول بهيأة الأرض ومدنها وجبلها وأنهارها ومعادنها وأخبار الأبنية العظيمة وغير

---

١) وشرع فى طبعها طبعة محققة جديدة الأستاذ الكبير محمد عبد الله عنان ، وقد صدر الجزء الأول منها فى سلسلة (ذخائر العرب) التى تصدرها دار المعارف وهو الآن بصدد اصدار الأجزاء الباقية .

ذلك ، ثم أجمله فـي الأوسط ثم اختصر الأوسط بمروج الذهب ، وأخبار صلحاء الأندلس لقاسم القرطبي ، وأخبار الفقهاء المتأخرين مـن أهل قرطبة لأبـي بكر الزبيدى ، ومختصره الاحتفال لأبى عَمْر الزبيدى ومنها أخبـار القـرطبيين للقاضى عياض ، وأخبـار قضاة مصـر لغير واحد ، وأول مَـن جمعهم محمد بـن يوسف الكندى ، قلت قد طبع ، قـال وذيله ابـن زولاق والحافظ ابـن حجر برفـع الأصر ، واختصره سبطه ، وعلي بن عبـد اللطيف الشافعى ، وذيله السخاوى ، وممـن ألف فيهم ابـن الميسر ، وابـن الملقن، ومنها أخبار قضاة دمشق للذهبى وأخبار قضـاة بغداد لابـن الساعى وأخبار قضاة البصرة لأبـى عبيدة ، وأخبار قضاة قرطبة لابـن بشكوال ، وأخبـار القلاع للميدانى ، وأخبار القيروان لعبد العزيز الصنهاجى ، وأخبـار المدينة لابـن زبالة (1) محمد بـن الحسن من أصحاب الامام مالك ، وليحيى بـن بن جعفر العبيدى ، ولعمـر بن شبة (2) وأخبار مدينة السوس لابراهيم بـن وصيف شاه ، وأخبار مصـر لعبد اللطيف البغدادى ، قلت قـد طبع ، قال والأخبار المستفادة ، فيمَن ولي مكـة المكرمة مـن ءال قتادة لابن ظهيـرة المكى ، وأخبار الموصل لأبـى ركوة مـن الخالديين ، وأخبار اليمن لأبـى الحسن علي بـن الحسن الخزرجى ، وأسماء الأماكن للشيـخ الحسن بـن أحمد ألفه سنة ثمانية وعشرين وأربعمئة، قلت ومنها نشر أزاهر البستان فيمن أجازنى بالجزائر وتطوان (3) رحلة محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسى، قال وأسماء البلدان لأبى الفتح محمد الهمدانى ولأبى الفتح نصر الاسكندرى، والاشارات، إلى أماكن الزيارات لابـن الحورانى قلت وهـو مطبوع ، ومنها الاشارات لبعض ما بطرابلس الغرب مـن المزارات لسيدى عبد السلام الأسمر طبع عـام 1921م قـال واشتقاق أسماء المواضع والبلدان لحجـة الأفاضل علي الخوارزمى ، وأشرف الطرف للملك الأشرف ، ألفه له العلامة ابـن مرزوق ذكر فيه أن ممالك مصـر أفضل المعمورة ، وذكر فيه خصائص البلاد ، والأعلاق الخطيرة،

---

1) بالزاى كما فى مشتبه النسبة للذهبى

2) ذكره فى حرف العين فى مشتبه النسبة .

3) طبع اولا بالجزائر ، واعادت طبعه المطبعة الملكية بالرباط طبعة محققة سنة 1967 .

فى تاريخ الشام والجزيرة لابن شداد ، والاعلام بمن ولي مصر فى الاسلام للحافظ ابن حجر ، والاعلام بأعلام بلد الله الحرام لقطب الدين المكى ، قلت قد طبع ، والاعلام ، بفضائل الشام للشيخ برهان الدين الفزارى ، والاعلام بمن ختم به قطر الأندلس من الأعلام . للحافظ أحمد ابن الزبير ، والالمام، فيمن تأخر بأرض الحبشة من ملوك الاسلام لتقى الدين المقريزى ، قلت قد طبع قال وإنباء الغمر ، فى أبناء العمر للحافظ ابن حجر ، نقل فى خطط مصر علي باشا مبارك عن غيره أنه يخص مصر والشام ، قلت قد راجعت فاتحة إنباء الغمر فوجدته ذكر أنه فصل فى كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان ، ورأيته ذكر أهل المغرب وغيرهم ، ومنها الانتصار ، لواسطة عقد الامصار لصارم الدين ابن دقماق فى عشر مجلدات لخص منه الدرر المضيَّة ، فى فضل مصر والأسكندرية ، ومنها أنس الجليل ، بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلى ، قلت قد طبع . وأنموذج الزمان ، فى شعراء القيروان لأبى علي المهدوى ، قلت ومنها الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . لابن أبى زرع وقد طبع بفاس (1) ، والايضاح ، فيمن ذكر فى الأندلس بالصلاح لابن الحاج البلفيقى ، قال وإيقاظ المتغفل ، واتعاظ المتوسل فى أخبار مصر لتاج الدين ابن المتوج الزبيدى بيَّن فيه أحوال مصر وخططها ، وإيقاظ الوسنان ، فى فضيلة الشام لنصر الله التنوخى الحنفى فى ثلاث مجلدات ، قلت ومنها أرجوزة الناسك سيدى محمد المدرع المتوفى سنة 1147 التى اختصر بها روض ابن عيشون فى صلحاء فاس مع زيادة البعض . والاشراف ، على مَن بفاس من مشاهير الأشراف للعلامة السيد الطالب ابن الحاج ألفه عام 1260 فى نحو ثلاثة عشر كراسا من الرباعى والاستقصا ، فى أخبار المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصرى ، والارتجال ، فى مناقب ومشاهد سبعة رجال ومَن اشتهر فى مراكش أو دخلها من مشاهير صلحاء الرجال لمحمد الأمين الصحراوى المراكشى ، واظهار الكمال ، فى تتميم مناقب أولياء مراكش سبعة رجال

---

1) اربع مرات طبعات حجرية ، وطبعته لجنة النشر المغربية بسلا سنة 1937 طبعة ناقصة ، وطبعته دار المنصور بالرباط طبعة عصرية كاملة محققة .

المشار إليها فـي تنظيم درر الجمال لمؤلفه ، قال ومنها بدائع الزهور ، فـي وقائع الدهر ، وذكر مـا وقع فـي القرءان والحديث مـن فضائل مصر وما اشتملت عليه مـن العجائب ومَن نزلها ودخلها من الأنبياء عليهم السلام ومَن ملكها إلى الجراكسة ونشأ بها مـن الأعيان عـلى ترتيب الشهور والأعوام وانتهى فيه الى سنة ثمان وعشرين وتسعمئة قلت وقـد طبع، قال والبديع فـي الممالك الاسلامية لعبد الله بـن محمد بن أحمد البنا المقدسى ، وبغية الطلب ، فـي تاريخ حلب لكمال الدين ابـن العديم الحلبى فـي عشر مجلدات ، وهـو من نحو ثلاثين مجلداً ، ثم انتزع منـه كتاباً وسماه زبدة الحلب ، وذيله ابـن خطيب الناصرية ، ورتب الأعيان عـلى الحروف وسماه بالدر المنتخب فـي تاريخ حلب ، وهو مأخذ الزبد والضرب لابـن الحنبلى ، ثم ذيل عليه موفـق الدين أبو ذر الحلبى وسماه بكنوز الذهب ، فـي تاريخ حلب وضمنه ذكـر الأعيان والحوادث معاً ، ثم صنف الشيخ محمد بـن إبراهيم المعروف بابـن الحنبلى تاريخا موسوما بدر الحبب . فـي تاريخ أعيان حلب . ضمنه أعيان المئـة التاسعة ، ثم ذيله محمد بـن إبراهيم الحنفى المتوفـى سنة إحدى وسبعين وتسعمئة ، ومنها بغية العلماء والرواة فـي ذيل رفع الاصر ، عـن قضاة مصر لشمس الدين السخاوى ، وبغية المستفيد ، فـي أخبار زبيـد لابن الديبع فـي مجلد واختصره فـي العقد الباهر وذيل البغية بالأرجـوزة المتقدمة وبمختصر سماه الفضل المزيد ، عـلى بغية المستفيد ، ومنها بلبل الروضـة مقامة صنفها الجلال السيوطى فـي وصف روضة مصر ، وبهجـة الزمن ، فى أخبار اليمن لابن عبد عبد المجيد، وبهجة المهج ، فى بعض فضائل الطائف ووج . لأبى العباس العبدرى الأندلسى الميورقى فـي نصف كراسة ، والبيان والاعراب ، عما فـي أرض مصر مـن الأعراب لتقى الدين المقريزى قلـت وقـد طبـع ، ومنهـا بيـوتات فـاس للعلامـة عـبد الـرحمان بـن عبـد القـادر الفاسى فـي نحـو كـراس ولغيـره ، والبستان فـي ذكـر العلماء والأولياء بتلمسان . للعلامة محمد بـن محمد بن أحمـد الملقب بابن مريم الشريف المليتى المديونى التلمسانى ألفه عـام أحد عشر وألف وعدة تراجمه نحو مئة بالافراد وثنتين وخمسين، قال ومنها (تاريخ أبيورد ونسا) لأبى

المظفر محمد بـن أحمد الابيوردى المتوفى سنة سبـع وخمسمئة ، وتاريـخ اربـل لأبى البركات مبارك الاربلى فـى أربع مجلدات سمـاه نباهة البلـد الحامل ، بمن ورده مـن الأماثل ، وللحسن الاربلى وتاريخ استراباد لأبـى سعيد الادريسى ولحمزة السهمى ، وتاريخ اسكندرية لأبى المظفر منصـور الاسكنـدرى ، وتاريخ أسوان لابـن الزبير ، وتاريخ أصبهان لأبـى نعيم الأصبهانى ، ولابن منده ، وحمزة الأصبهانى ، وابن مردويه ، وابـن شهلان ، ولغيرهـم . وتاريخ أفريقية لأبـى محمد المالكى ، ومـن تواريخها الـدرة الفائقة ، فـى محاسن الأفارقة ، وعباد أفريقية وغير ذلك ، وتاريخ الأنبار لأبى البركات ابـن الأنبارى ، وتاريخ الأندلس لابـن الفرضى ، ولابن بشكوال ، وابـن الزبير ، والخشنى ، ولأحمد بـن موسى ، وللشيخ أحمد المغربـى المقرى نفح الطيب وشارح مقدمة ابن خلدون ، ومن تواريخ الأندلس أخبـار صلحاء الأندلس . وريحانة الأنفس ، ونور المقتبس ، وفرحة الأنفس ، فـى فضلاء العمي مـن أهل الأندلس . لابـن غالب ، والذخيرة . في محاسن أهـل الجزيرة ومختصر الذخيرة ، وتاريخ بلنسية ، وتاريخ مالقة ، وغير ذلـك . قلت سمى ابـن الفرضى مـن تواريخ الأندلس كتاب رجال أهل باجه لابراهيم ابن محمد الباجى ، وكتـاب الفقهاء بقرطبة لأحمد بن محمد بن عـبد البر ، ومؤلفات كثيرة فـى أخبار الأندلس لأحمد بـن محمد بن موسـى الرازى ، وكتاب أخبار الأندلس لاسحاق بـن سلمة القينى ، وكتـاب فقهاء ريه لـه ، وكتاب رجال أهـل استجه من الأندلس لاسماعيل ، وكتاب خالد بـن سعـد فى رجال الأندلس، وكتاب فقهاء رية لابن سعدان، وكتاب فقهاء الأندلس لعثمان بـن محمد بن يوسـف ، وأخبار الأندلس لابن عفير ، وكتاب الشعراء مـن الأندلس لقاسم بـن نصير بن وقاص بن أبـى الفتح ، وكتاب رجـال الأندلس لمحمد بـن الحرث الخشنى ، وكتاب شعراء البيرة لمطرف بـن عيسى بـن لبيت ، وكتـاب فقهـاء البيرة لمعارك النصيرى ، وسمى فـى بغية الملتمس من نواريخ الأندلس التاريخ الكبير فـى الأندلس وملوكها ليحيى بـن خلف بن حيان (1) وفقهاء قرطبة لأبى عبد الله محمد بن عبد البر ، وقضاة قرطبـة

---

1) ولد عام 377 هـ وتوفي عام 469 هـ واسم تاريخه المقتبس من انباء أهل الأندلس ، طبعت نبذة منه بباريس سنة 1937 م ونبذة أخرى ببيروت سنة 1965 وثالثة بالقاهرة سنة 1971م ويوجد منه سفر ضخم بالمكتبة الملكية بالرباط محفوظاً تحت نمرة 87 وهو يعد الآن للطبع .

له ، وتسمية أعيان الموالى بالأندلس لأحمد بـن محمد القنتورى ، وطبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة ، وصفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها لأحمد بـن محمد بن موسـى الرازى ، وكتاب طبقات الكتـاب بالأندلس لسكن بـن سعيد ، ومسالك الأندلس ومراسيهـا وأمهات مدنها وأجنادهـا الستـة وخـواص كـل بلد منهـا وما فيهـا مما ليس فـى غيـره لأحمـد بن محمد ، وسمي فـى تكملة ابن الابار منها تاريـخ علماء البيرة وأنسابهـم وأنبائهم لمحمد عبد الواحد بن حقل ، والبيان والواضح والملـم الفادح فـى تغلب الروم عـلى بلنسية قبـل الخمسمئة لمحمد بن الخلف بـن علقمة ، وصلة كتاب ابـن بشكوال فـى تاريخ الأندلس لأبى بكر التجيبى ، وصلحـاء اشبيلية لمحمد بـن عبد الله بـن قسوم ، وملوك الأنـدلس ، والاعيـان ، والشعراء لمحمد بـن يحيى بن ينق ، والمنهج الرضي فى الجمع بين كتابي ابـن بشكوال وابن الفرضـى بزيادة عـلى ذلك لعبد الله بـن قاسم الحرار وسمي فـى الكتب المذكورة مـن غير تواريخ الأندلس تاريخ المصريين لابـن يونس وتاريخ الأمصار لمروان بن عبد الملك بن الفخار ، وتاريخ المغاربـة لابن وهب وأخبار أيمة الأمصار ليوسف بـن عبد البر ، وأخبار البصـرة ، وتنس ، وتيهرت ، وسجلماسة ، ونكور ، ووهران لمحمد بن يوسف الوراق ، وأخبار بغداد لأحمد بـن أبى طاهر وتاريخ بخارى لمحمد البخـارى غنجار ، وتاريخ الحمصيين لأبى بكر أحمد بـن عيسى ، ومسالـك أفريقية وممالكهـا لمحمد بـن يوسف الوراق ، وأخبار مكـة لرزين ، وأخبار ملوك أفريقيـة وحروبهم والقائمين عليهم للوراق أيضاً ، وسمي فـى كتاب الصلة مـن تواريخ الأندلس كتاب أخبار شعـراء الأندلس لأبى الفرضي ، ومختصر أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة لأحمد بـن محمد بـن مريول وتاريخ أخبار الأندلس للرازى الأوسط ، وتاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها لأحمد بـن مظاهر ، وتاريخ فقهـاء قرطبة لأبى عبد الملك بن عبد البر ، وتاريخ قرطبة لحيان بن حيان ، وكتاب التنبيهات من أشعار أهل الأندلس لعلي بن محمد، وفقهاء قرطبة لأبى عمر بن عفيف، والمعارف فى أخبار كورة البيرة وأهلها وفوائدها وأقاليمها لمطـرف الغساني . انتهى ما أردنا تسميته من التواريخ المنقول عنها فى تاريخ الأندلس

قال فـي الكشف وتاريخ أهواز وتاريخ بخارى لأبـي عبد الله المعرف بغنجار، ولابن سليمان البخارى وتاريخ البدر ، فـي أوصاف أهل العصر للعينـي ابتدأ من أول الخلق ، وذكر البرّ والبحر وما فيهما من المدن والجزائر ، ناقلا مـن تقويم البلدان وجمع فيـه بين الحوادث والوفيات عـلى السنين ، وتاريخ البصرة لابن وهبان ، وتاريخ بطليوس من بلاد الأندلس للاعلم النحوى غير الأعلـم المشهـور ، وتاريـخ بغـداد لأحمـد بـن أبى طاهـر البغـدادى ، ولأبى بكر الخطيب جمع فيه رجالها ومـن ورد بهـا وضم إليه فوائد جمـة ، وهو أربع عشرة مجلدة بخطه ، قلت قـد طبع قال ولأبى سعيد السمعانى ذيله فـي خمسة عشر مجلداً ، ثـم العماد الكاتب الوزير جعل عـلى الذيل ذيـلا وسماه السيل عـلى الذيل ، وهو فـي ثلاث مجلدات وذيله ابـن الدبيثـي الواسطى ، ثم ابن القطيعي جعل صلة لهذا الذيل ولخـص الذهبى ذيل ابـن الدبيثى فى نصفه ، ولابـن النجار ذيل عـلى تاريخ الخطيب يقـال انه يتـم فـي ثلاثين مجلدة ، وذيـل ذيل ابن النجار لابـن رافع والذيل عليه أيضـاً لأبى بكر المارستانى ، والذيل عـلى ذيل المارستانى لابـن أنجب البغدادى ، واختصر تاريخ الخطيب أبـو اليمن البخارى وصنف أبـو سهل الكسـروى كتاباً حسنا فـي وصف بغداد وعـدد سككها وحماماتها وما يحتاج إليه فـي كل يوم من الأقوات والأموال ، ومـن تواريخ بغداد روضة الأريب ، سبـع وعشرون مجلدة قلت ومنها تاريخ بيروت لصـالح بـن يحيى بـن صالح بن الحسين بـن أمير الغرب البحترى مـن أهل القرن التـاسع طبع سنة 1898م، ومنها تاريخ بيروت وءاثارها للأب لويس شيخـو اليسوعى طبـع سنة 1925 ـ 1927 ، قال وتاريخ جرجان لعلي الادريسى ولأبـي القاسم حمزة السهمـي ، وتاريخ الجزيرة الخضراء مـن بلاد الأندلس لابـن حمديس ، وتاريخ المدينة لجمال الدين المطرى ، وتاريـخ الحجاز لأبى غالب ، وتاريخ حـران لعز الملك محمد المسيحى الحرانى ولحماد الحـرانى الذى ذيلـه أبو المحاسن بـن سلامة الحرانى ، وتاريـخ حلب تقدم منها عدة عنـد ذكر بغية الطلب فـي تاريخ حلـب ، ومنها حضرة النديم مـن تاريخ ابن العديـم لابن حبيب الحلبى، ومعادن الذهب لابن أبى طي وذيله له أيضاً ، ومعادن الذهب في الأعيان الذين

تشرفت بهم حلب لابن عمر ، وتاريخ حلب لأبى علي العظيمى ، وتاريخ ختلان وأحوال ملوكها للحافظ محمد بن علي ، وتاريخ حمص لأبى عيسى ولعبد الصمد بن سعيد ، وتواريخ خراسان منها تاريخ الأبيوردى ، وتاريخ الحاكم النيسابورى ، وتاريخ عباس بن مصعب ، وأخبار علماء خراسان لأبى نصر المروزى ، وتاريخ ولاتها لأبى الحسين السلامى ، ومنها تواريخ هراة ، وتاريخ خلاط لشرف الأنصارى ، وتواريخ خوارزم منها الكافى لابن القاضى ، وتاريخ ابن أرسلان العباسى بسط الكلام فى وصف خوارزم وأهلها حتى بلغ الى ثمانين مجلداً وقد اختصره الذهبي ، وتاريخ خوارزم لصدر الدين ، وتواريخ دمشق أعظمها تاريخ الامام أبى القاسم بن عساكر المتوفى سنة 571 احدى وسبعين وخمسمئة ، وهو فى نحو ثمانين مجلداً ذكر تراجم الاعيان والرواة ومروياتهم على نسق تاريخ الخطيب لكنه أعظم منه حجماً، قلت وقد وقفت على مجلد ضخم بخط اليد من تاريخ ابن عساكر فى خزانة السيد عبد الحي الكتانى اشتمل على حرف الشين والصاد والضاد والطاء وبعض الظاء ، وأخبرنى انه توجد الآن منه نسخة كاملة بالشام فى أربعين جزءاً كاملة يطلب مالكها الشيخ محمد الحفنى الشامى الدمشقى دكانه بجامع بنى أمية بالكتبيين مئة ليرة ، وقال أبو القاسم الزيانى فى جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان فى ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان، ان أبا الربيع مولانا سليمان سرد تاريخ ابن عساكر فى أربعة وعشرين سفرا هـ، ووقفت على نسخة منه كاملة بخط اليد فى الخزانة العباسية بمراكش الله أعلم بما صار إليه أمرها الآن ، ولهذا التاريخ أذيال ومختصرات ومنها تاريخ دنيسر لعمر بن اللمش ، وتاريخ ري لأبى منصور ، وتاريخ سامرا لابن أبى البركات ، وتاريخ سبتة للقاضى عياض سماه الفنون الستة فى أخبار سبتة ، قلت وهو بالفاء المروسة ونون بعدها ، كما فى الديباج المذهب وغيره ، وكما فى الكشف فى حرف الفاء ، وأما ما ذكره فى حرف العين هكذا العيون الستة ، فهو تصحيف وقد طبع طرف منه ، وتاريخ سمرقند لأبى العباس المستغفرى ومن تصانيفه تاريخ نسف وكش ولأبى سعيد الادريسى ، والذيل عليه المسمى بقند لأبى حفص النسفى ، ومنتخب

الضند لتلميذه محمد السمرقندى ، وتواريخ الشام منها البرق الشامى للعماد الكاتب الوزير الأصفهانى ، وتاريخ الشهود والحكام ببغداد لابن أنجب فى ثلاث مجلدات ، وتاريخ شيراز لهبة الله وللقصار ، وتواريخ الصعيد ، منها تاريخ علي بن عبد العزيز الكاتب ، والطالع السعيد الجامع لأسماء فضلاء الصعيد ، فى ذكر أعيانها ، قلت قد طبع ، قال والمفيد فى أخبار الصعيد لابن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة تسع وأربعين وستمئة ، والعقيد فى أخبار الصعيد ، وتاريخ صفد لقاضيها شمس الدين العثمانى ، وتاريخ صقلية لابن القطاع ولأبى زيد الغمرى ، وتاريخ صنعاء لابن جرير الصنعانى ، وتاريخ طبرستان للرويانى وللمرعشى ، وتواريخ العراق منها لابن قاطولى ولابن اسفنديار وللهيثم بن عدى ، وتاريخ فاس لابن عبد الكريم ، قلت ومنها تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، وذكر وقائع التكرور ، وعظائم الأمور ، وتفريق أنساب العبيد من الأحرار للقاضى محمود التنبكتى وهو مطبوع ، ومنها تاريخ فتح الأندلس لابن القوطية وقد طبع ، ومنها تاريخ الفيوم تأليف إبراهيم رمزى المطبوع سنة 1894 م ، قال وتواريخ القدس لغير واحد ، وتواريخ قرطبة منها أخبار فقهائها ومختصره المسمى بالاحتفال ، وتاريخها للزهراوى ، وأخبار القرطبيين ، والتبيين عن مناقب من عرف بقرطبة من التابعين للقاسم بن محمد القرطبى ، ومختصره قلت فى درة الحجال فى ترجمة عبد الله بن أحمد بن عبيد الله النفزى القرطبى المتوفى سنة 686 فى تعداد تئاليف شيخه القاسم بن محمد القرطبى المعروف بابن الطيلسان، أن اسم هذا التأليف التبيين عن مناقب من عرف قبره بقرطبة من الصحابة والتابعين ، والعلماء الزاهدين ، وقد طبع كتاب القضاة بقرطبة للحافظ محمد بن حارث الخشنى بمدريد سنة 1914 م ، قال وتواريخ قزوين منها الارشاد للخليلى ، والتدوين ، فى أخبار قزوين للرافعى ، وتاريخ ابن ماجه ، وتاريخ قسطنطينية ، قيل ان الروم وضعوا لهاتاريخاً قبل الفتح ، وأما بعده فلم يعرف تدوينه سوى تاريخ أياصوفية المنقول من الرومى ، والحال أنه ينبغى أن يكون لها تاريخ عظيم مشتمل على أخبار سورها وخططها ودورها ومافيها من الأبنية

العظيمـة والآثار القديمة ، قلت قـد صنف الشيخ سليمان الخليل كتـاب التحفة السنية فـى تاريخ القسطنطينية طبع فـى بيروت سنة 1887 بعـد أن ألفه سنة 1873 موافق سنة 1290 هـ ، صحائفه 182 ، وكتاب دليل الاستانة بقلم م . شكرى ، طبع بالأسكندرية سنة 1909 م فى صحائف 131 ، ودليل الإستانة بقلم محمد صفابك الحسنى طبع باستانبول سنة 1331 ، صحائفـه 343 ، قال وتاريخ قنسرين المسمى بتـاج النسرين ، وتواريخ القيروان لغير واحد قلت : منها بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، تأليف حسن حُسنى عبد الوهاب طبع، قال وتاريخ الكوفة لابن النجار الكوفى، ولابن مجالد ، وتاريخ مالقة من بلاد الأندلس لابن عسكر المالقى ، وتواريـخ المدينة منها أخبار المدينة لمحمد بـن حسن ، ويحيى العبيدى ، وعمر بـن شبة النميرى وللمرجانى ، ولعفيف الدين ، وللمطرى ، ولابـن ظهيرة ، والوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودى ، ومختصره المسمى بوفاء الوفا ، وملخصه خلاصة الوفا ، قلت : قد طبعا قال : والغاية فـى هذا الباب تاريخ السمهودى، وتاريخ المراغة لابـن المثنى ، وتاريخ مرسية مـن بلاد الأندلس لابـن الحاج، وتواريخ مرو ، ومنها تاريخ أبـى سعيد السمعانى فـى نحو عشرين مجلداً ، وللخرقى ، ولابـن سيار ، ولابـن فرحون ، ولصاحـب القاموس ، ولابـن أبى معدان ، وتواريخ مصـر ، منها أخبار خططها للكندى ، وللقضاعى ولغيرهما قلت : منها خطط مصـر لشهاب الدين بـن طوغان المتوفى سنـة 811 المترجم فى إنباء الغمر قـال : ومنها تاريخ ملوكها للمقريزى مقفى فى تراجم أهـل مصر والواردين إليها ، قلت قد طبـع كتابه السلوك لمعرفة دول الملـوك قـان ولغيـره ، قلت منهـا تاريخ مصـر لقطب الـدين الحلبى عبـد الكريم المتوفـى سنـة (1) فـى نحو خمسـة وثـلاثين مجلـداً نحا فيـه منحـى ابن عساكر ، وتاريخ قضاة مصـر لأبى محمد جمال الدين الشيشى المتوفـى سنة 820 ، المترجم فى إنباء الغمر ، قال وتواريخ المغرب منهـا المغرب ليسع بن حزم ، والمسهب فى أخبار أهل المغرب للحجارى ، والمغرب فى أخبار أهل المغرب ، ومدار الكنايات فـى أدباء المغرب للسان الدين بـن

---

1) كذا بالأصل .

الخطيب ، ومختار تاريخ المغرب لابن أبي طي ولغيرهم قلت : منها تاريخ المغرب لأبي محمد جمال الدين الشيشي المتقدم قال : وتاريخ تلمسان ، وتواريخ مكة شرفها الله ، منها تاريخ الازرقي قلت : قد طبع قال : ومختصره زبدة الأعمال ، وهو أول من صنف فيه ، وتاريخ الفاكهي ، وتقي الدين الفاسي في ثلاث مجلدات ومختصره ، ولغيرهم ، وتواريخ الموصل منها للأزدي ، وابن باطيش وغيرهما قلت : منها تاريخ الموصل لمؤلفه القس سليمان صائغ في جزءين مطبوع قال : وتاريخ ميافارقين لابن الأزرق الفارقي ، وتواريخ نيسابور ، منها تاريخ الحاكم ذكر فيه أشياخه وأشياخ أشياخه ، ومن ورد خراسان من الصحابة والتابعين ، ومن استوطنها واستقصى ذكر خبرهم وأنسابهم ، ثم أتباع التابعين ، ثم القرن الثالث ، والرابع جعل كل طبقة منهم الى ست طبقات ، فرتب قرن كل عصر على الحروف ، وذيله الفارسي ، واختصره الذهبي ، وتاريخ نيسابور للكعبي ، وتواريخ واسط ، منها تاريخ الدبيثي الواسطي ، والذيل عليه ، وتاريخ الجعفري وغيرهم ، وتواريخ هراة ، منها تاريخ البزار وغيره ، وتواريخ همذان ، منها تاريخ أبي شجاع الهمذاني وغيره ، وتواريخ اليمن منها ، تاريخ أبي محمد عمارة وغيره ، الى هنا ما ورد بلفظ التاريخ قلت : ومنها تاريخ زبيد لموفق الدين بن وهاس الزبيدي المتوفى سنة 812 ، المترجم في إنباء الغمر ، قال : ومنها تأسي أهل الايمان ، بما جرى على مدينة القيروان لابن سعدون ، والتبيان في أحوال البلدان لأحمد بن أبي عبد الله ، والتبيان في أخبار بغداد لأحمد البرقي الكاتب ، وتحفة الأنام ، في فضائل الشام لابن الامام ، وتحفة الكرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي وتحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج والطائف ، لابن فهد المكي ، وتحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي ، وتذكرة الأنام بمن تولى مصر والقاهرة في الاسلام للشيخ حسن العثماني ، وهي منظومة له شرحها قلت : ومنها تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ألفه مؤلفه المتولد سنة 1112 (المتوفى ؟) سنة 1164 وقد طبع وهو مرتب على حروف المعجم ولم يجد الا أحد عشر حرفاً ، ومنها تعطير البساط بذكر تراجم قضاة

الرباط لمحمد بوجندار المطبوع سنة 1335 في صحائف 51 ، وقد نقل عن كتابنا الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام في ترجمة قاضي مراكش محمد بن العربي عاشور ، والنقل في صحيفة 31 ، وتقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل ملك حماة ،. قلت قد طبع ، قال : وترتيبه المسمى أوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك لمحمد بن علي زاده ، ومنها تلخيص الآثار في عجائب الأقطار لعبد الرشيد بن صالح مختصر على ترتيب الأقاليم السبعة ، قلت ومنها تاج المفرق ، في تحلية علماء المشرق رحلة أبي البقاء خالد البلوى ، والتنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه في ثمانية أوراق من الرباعى لابن عيشون ذيل به الروض العاطر الأنفاس الآتي في حرف الراء ، وتحفة الاخوان في التعريف بساداتنا أهل وزان ، للشريف الطاهرى ، والتذكار ، فيمن ملك طرابلس أو كان بها من الأخيار لسيدى محمد ابن عقيل الطرابلسي الدار الدرني أصالة، والترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم براً وبحراً لأبي القاسم الزياني في مجلد ضخم ، وبعضهم يجعلها في جزأين ، والترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب له أيضاً ، وتحفة الملك العزيز بمملكة باريز للفقيه الكاتب الحاج إدريس ابن الوزير بن إدريس السفير إليها عام 1276 ، وتحفة الزائر ، في مناقب الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، لولده أبي عبد الله محمد في جزءين ، وتوفي الأمير عبد القادر عام 1300 ثلاثمئة وألف ، ومولده عام اثنين وعشرين ومئتين وألف ، وتعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوى بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدى إبراهيم الغول في جزءين في تراجم علماء البر الجزائرى وما يليه من الأقطار ألفه في أوائل هذه العشرة الثانية من القرن الرابع عشر قال ، وجدة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للامام الحافظ محمد بن أبي نصر فتوح الازدى الحميدى المتوفى سنة ثمانية وثمانين وأربعمئة ، وهو مجلد ذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه ، قلت قد طبع ، قال والجمع والبيان ، في تاريخ القيروان للصنهاجي ، وجنان الجنان ورياض الأذهان في شعراء مصر لأبي الحسين الزبيرى وجواهر البحور ، ووقائع الدهور ، في أخبار الدهور لابراهيم بن وصيف شاه ، والجوهرة

الثمينة ، فى فضل مكة والمدينة ، رسالة كالمقامة ، والجوهرة اليتيمة ، فى أخبار مصر القديمة ، قلت ومنها جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس (1) للعلامة ابن القاضى ، ومنها جغرافية مصر تأليف محمد أمين فكرى ، ومنها جنا زهرة الآس فى ذكر بناء مدينة فاس (2) لعلي الجزنائي قال ومنها الحجج المبينة ، فى التفضيل بين مكة والمدينة ، للسيوطى والحديقة فى شعراء الأندلس لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى ، وحسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للجلال السيوطى ذكر فيه ثمانية وعشرين كتاباً من الكتب المؤلفة فى أخبار مصر لخصها وأورد ملوكها ومن دخلها من الأنبياء عليهم السلام والحكماء ، ثم ذكر الأهرام والأسكندرية، ومن دخلها من الصحابة والتابعين ، ثم ذكر أعيانها من كل صنف ، ثم ملوك مصر ونوابها فى الدولة الاسلامية وعساكرهم وما فيها من الجوامع والمدارس ، والنيل وما قيل فيها من الأشعار قلت قد طبعت ، قال ومنها حكم أراضى مكة المكرمة للامام أبى جعفر الطحاوى ، وحلية السربين فى خواص الدنيسريين لأبى عمر بن اللمش التركى الطبيب الذى كان من سكان دنيسر قلت ومنها الحلل الموشية فى الأخبار المراكشية لابن السماك العامرى (3) والحادى المطرب فى رفع نسب شرفاء المغرب لأبى القاسم الزيانى قال وخريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردى المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمئة ، ذكر فيها الأقاليم والبلدان وغير ذلك وأورد فى أوله دائرة مشتملة على صور الأقاليم والبحار وهي غير مطابقة للواقع قلت قد طبعت ومنها خطط مصر صنفها غير واحد منهم تقي الدين المقريزى له الكتاب المفيد المشهور المتداول المسمى بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أحسن فيه وأجاد قلت قد طبعت ومنها الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة لجناب علي باشا مبارك ، طبعت عام 1306 فى خمس مجلدات وقد اشتملت على عشرين جزءاً ، قال ومنها خلق الدنيا وما فيها للكساءى، قلت ومنها خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام ، للشيخ أحمد دحلان ، وقد

---

1) طبع بفاس طبعة حجرية عام 1309 وتطبعه الآن دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط.

2) طبعته المطبعة الملكية بالرباط سنة 1967

3) طبع أولا بتونس منسوباً لمحمد ابن الخطيب السلماني ، ثم طبع بالرباط سنة 1936 غير منسوب لأحد ، والمؤلف ينسبه هنا لابن السماك العامرى ، فمن هو ؟

طبع ومنها خلاصة تاريخ تونس تأليف حسن حسني عبد الوهاب ، قال ومنها در الحبب في تاريخ أعيان حلب لابن الحنبلي ذكر فيه من عاصره من أهلها ومن دخلها على ترتيب الأسماء وذكر نبذا من الحوادث المستظرفة بطريق الاستطراد ، قلت ومنها الدر المنتخب في تاريخ مدينة حلب لأبي اليمن بن عبد الرحمان البتروني ، وهو مطبوع ، والدر النفيس في مدينة منفيس لسعادة أحمد بك كمال طبع عام 1327 ، وقال والدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار ، والدرة الخطيرة في أسماء الشام والجزيرة لعز الدين الكاتب الحلبي ، والدرة الخطيرة في المختار من شعر أهل الجزيرة لابن القطاع الصقلي ، والدرة الفائقة في محاسن الأفارقة لأبي العباس التيفاشي ، والدرر والغرر في شعراء الأندلس لرشيد الدين الوطواط ، قلت ومنها الدرة المضية في تاريخ الأسكندرية في مجلدات لابي الحسن حازم القرطاجني صاحب المقصورة والدرر المرصعة في صلحاء درعة ، في مجلد لأبي عبد الله محمد المكي الناصري نزيل مراكش، والدر السني ، فيمَن بفاس من النسب الحسني للعلامة مولاي عبد السلام القادري ، ودرر الحجال في مناقب سبعة رجال لمحمد الصغير الافراني المراكشي ، والدر النفيس . فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس للعلامة مولاي الوليد العراقي الحسيني في نحو ثلاثة عشر كراساً من الرباعي ، قال وذات العماد في أخبار البلاد لابن قضيب البان ، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، يعني الأندلس لأبي الحسن ابن بسام ، قلت ومنها الذهب الابريز في الرحلة إلى پاريز ، للشيخ رفاعة الطهطاوي والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (1) لابن عبد الملك المراكشي ، قال ومنها الرسالة في كتاب السر ، في ديوان مصر لابن فهد ، والرسالة في الهند وأوصافه ، والروض المعطار في أخبار الأقطار لأبي عبد الله الحميري جمع فيه بين كتب عديدة ، ورتبه على حروف المعجم ، فاحتوى على فنين ذكر الأقطاع وماشتملت عليه من النعوت والصفات وثانيها ذكر الأخبار والوقائع ذكر مؤلفه أن نزهة المشتاق ، انما عظم حجمها لما اشتملت عليه من قوله ،

---

1) طبع طرف من جزئه الأول في مجلدين ببيروت .وهو الجزء المحفوظ بالخزانة الملكية ، وطبع بقية السفر الرابع والسفر الخامس ببيروت أيضاً .

ومن كذا خمسون ميلا أو فرسخا ، أما الخبر عن الاصقاع بما يحسن إيراده فانما يوجد فى مواضع قليلة منه مع عسر وجدان الناظر فيه ، قلت ومنهـا الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون (1) للعلامة ابن غازى ، والـروض العـاطر الأنفاس ، فـى التعريـف بصلحاء فـاس ، المنسوب لمحمد ابـن عيشـون الملقب بالشـراط ، وهو فـى الحقيقة لمـولاي العربى القـادرى كما فى الزهـر الباسم فى مناقب الشيـخ سيدى قاسم لمؤلف نشر المثانى وتراجـم الروض زهاء تسعين ترجمة ، قـال منها روضات الجنات ، فـى أوصاف مدينة المزات لمعين الدين محمـد الهروى ، والروضة البهية الزاهرة، فـى خطط المعزية القاهرة لابـن عبد الظاهر ، ورياض النفوس فـى علماء أفريفية للفقيه أبى بكر عبد الله بن محمد ، وروضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، فى ذكر مَن لقيتُه من أعلام الحضرتيْن مراكش وفاس (2) للمقرى صاحب نفح الطيب ، وريحانة الأنـفس ، فى علماء الأندلس لابـن القات ، قلت ومنهـا رحلة العبدى (3) ورحلة ابن بطوطة، ورحلة العياشى ، وغيرهم، ورحلة الحذاق لمشاهدة البلدان والآفاق للزيانى ، قـال وزبدة كشف الممالـك ، فى بيان الطـرق والمسالك ، فـى فضائل مصر وأعمالهـا وتعظيم سلطانها وأمـرائها للفاضـل خليل ابن شاهين الظاهرى ، وزيارات الشام لعلي بـن أبى بكـر الهروى ، وزيارة الطائف لمحمد ابـن أبى الصيف اليمنى ، وسلك النظـام ، فـى تاريخ الشام أربع مجلدات لابـن أبى طي يحيى ابـن حميدة الحلبى ، وسمـط العلى للحضرة العليا ، تاريـخ كرمان لرئيس الكتّاب فـى ديوان التركمانى ناصـر الدين المنشى الكرمانى ، قلـت ومنها السلسل العـذب والمنهل الأحلى ، المرفوع للخلافـة العزيزية التـى لاتزال مناقبها عـلى مر الزمان تتـلى ، فى سلك من تحـلى سلكهم فـى الجيل جيل فـاس ومكناسـة وسـلا (4) للعـلامة محمـد بن أبى بـكر الحضـرمى . والسـر الظاهـر ،

1) طبعته المطبعـة الملكية بالرباط سنـة 1964 .

2) طبعته المطبعـة الملكية بالرباط سنـة 1964 .

3) طبعته جامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1968 .

4) نشرته مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

فيمـن أحرز بفـاس الشرف الباهر ، مـن أعقاب الشيخ عبـد القادر للعلامة سيـدى سليمـان الحـوات ، وسلـوة الأنفـاس ، ومحـادثـة الأكيـاس بمـن أقبر مـن العلمـاء والصلحاء بمدينـة فاس للعلامـة محمد بـن جعفر الكتانى فـى ثلاث مجلدات ، وقـد طبعا . قال وشفاء الغـرام ، تاريخ البلد الحرام لتقى الدين الفاسى ، والطرفة الغريبة ، فـى أخبـار حضر موت العجيبة لتقى الدين المقريزى ، وعجالة القرى ، للراغب فـى تاريخ أم القرى ، وهـو مختصر العقد الثمين ، فـى تاريخ البلد الأمين ، لتقي الدين الفاسـى ، وعجائـب البلدان ، لزكرياء القزوينى ، ذكـر فيه أكثر بلاد الدنيـا وبعض ما نسب إليها من العلماء ، ولابـن الجزار والعرف الآسى ، فـى العرف الفاسى لسيدى المهدى الفاسى شارح دلائل الخيرات ، والعرف العاطر ، فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبـد القادر ، للعلامة مولاي عبـد السلام القادرى ، قـال وعقد جواهر الأسفاط ، مـن أخبار مدينـة الفسطاط لتقي الدين المقريزى ، قلـت ومنها عقد الدر واللئال ، فـى شرفاء عقبة بنـى صوال لسيدى الطالب بـن الحاج ، ومنها العقد الثمين ، فـى فضائل البلد الأمين تأليف سيدى أحمـد بن الشيخ محمد الخضراوى ، طبع عام 1290 قال وعقـود النظام ، فيمن ولـي مصر مـن الحكام للأديب محمد بـن دانيال الموصـلى ، والعقيد ، فى تاريـخ الصعيد لأبى سعيد بـن يونس الصوفى المصرى ، وعنوان الدراية ، فـى تاريخ بجاية (1) قلت بل تمـام التسمية فيمن عرف مـن العلماء فـى المئة السابعـة ببجاية ، وهي لأحمـد الغبرينى المتوفى سنة أربع وسبعمئـة ، وقـد عـرف بـه وبأولاده فـى توشيـح الـديباج ، كمـا عـرف بـه فـى درة الحجال ، وصاحب تعريف الخلف لـم يقف على ترجمته والعذر لـه ان الكتابين المـذكورين ليسا فى الكتب الخمسـة عشر التى وقف عليها فـى التاريخ وسمـاها فى أول كتابه المذكور ، ولا فى الكتب الثمانية التى سمـاها فـى أول الجزء الثانى منه ، وقـد غلط صاحب كشف الظنون فـى بجايـة فجعلها عند ذكر الأحكام الصغرى فـى الحديث لعبد الحق مـن مدن الأندلس

---

1) طبع بالجزائر للمرة الأولى سنة 1910 ونشر ببيروت للمرة الثانية سنة 1969 ثم نشر فى الجزائر للمرة الثالثة سنة 1972 .

وليس الأمر كذلك ، وانما هي من مدن أفريقية كما في تقويم البلدان ورحلة العبدرى وغيرهما ، وقد طبعت ، قال وفتوح أرمينية لأبي عبيدة ، وفتوح الأمصار وفتوح الشام للواقدى ، وفتوح بيت المقدس لأبي حنيفة إسحاق بن بشر ، وفتوح الحرميْن وفتوح مصر والمغرب لأبي القاسم بن عبد الحكم وفرط الغرام ، الى ساكنى الشام . لأبى سعيد السمعانى ، وفضائل البصرة في جملة مجلدات لعمر بن شبة أبي زيد النميرى ، وفضائل بغداد وأخبارها لأبى العباس السرخسى ، وفضائل بيت المقدس للشريف حمزة الحسيني ، وفضائل الحرم لأبى محمد بن عساكر ، وفضائل الشام لأبي الحسن الربعى المالكى ، وفضائل غرناطة لابن السراج ، وفضائل القدس لأبى المعالى المقدسى ، وفضائل المدينة لأبى محمد ابن عساكر ، وفضائل مكة المكرمة لمحمد بن أبى بكر اللباد المالكى الأفريقي ، ولغيره ، وفضائل اليمن وأهله لابن أبى الصيف ، وفضل بيت المقدس لعبد الله بن عساكر ، وفضل تمر المدينة وترابها لجمال الدين بن حمزة العمرى ، والفيح القسى ، فى الفتح القدسى للعماد الكاتب الأصبهانى ، قلت قد طبع ، قال وكتاب التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة لأبى عبد الله المطرى ، وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشرى ، قلت قد طبع ، قال وكتاب شعراء الأندلس لعبد الله بن محمد ابن الفرضى ، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف مسماه فى الأماكن والبلدان المشتبهة فى الخط للحازمى ، والكتاب المبين فى تاريخ الأندلس فى ستين مجلداً لأبى مروان بن خلف المتوفى سنة تسع وستين وأربعمئة ، وكتاب مدينة النحاس ، وكتاب النواحى فى أخبار البلدان لابن الأنبارى ، وكشف الممالك فى بيان الطرق والمسالك فى ملك مصر وسلطانها لابن شاهين الظاهرى فى مجلدين ، قلت ومنها الكواكب الوقادة ، فى ذكر من دفن بسبتة من العلماء والصلحاء القادة ، قال ولطائف الأخبار الأول ، فيمن تصرف فى مصر من الدول لمحمد بن عبد المعطى قلت قد طبع ، ومنها اللؤلؤ المكنون ، فى اختصار ابن عيشون/للفقيه السيد محمد بن أحمد ابن محمد بن المختار بن عمر بن علي بن مسعود نجل يوسف بن تاشفين المتوفى سنة 1311 احدى عشرة وثلاثمئة وألف ، اختصر به روض ابن عيشون

فى صلحاء فاس المتقدم ، وزاد عليه ، قال والمختار ، فى ذكر الخطط والآثار يعني خطط مصر لأبى عبد الله بن سلامة القضاعى ، والمختصر ، فى أخبار مصر لتقي الدين الكرمانى ، ومراصد الاطلاع ، على أسماء الأمكنة والبقاع ، مختصر من معجم البلدان اختصره مؤلفه ياقوت منه ، قلت قد طبع ، ومنها مرءاة العصر ، فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر لصاحبه إلياس زاخورة مطبوع قال والمرقص والمطرب ، فى أخبار أهل المغرب لأبى الحسن بن سعيد المتوفى سنة 673 ثلاث وسبعين وستمئة ، قلت ولمحة البهجة العلية ، فى الأنساب الصقلية ، قال ومسالك الممالك لأبى زيد بن سهل البلخى ذكر فيه أقاليم الأرض وبلاد الاسلام بتفصيل مدنها ولغيره ، والمسالك والممالك لابن حوقل ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير أنه لم يضبط الأسماء ، ولأبى عبيد البكرى الأندلسى المتوفى سنة سبع وثمانين وأربعمئة ، ولابن الفقيه الهمدانى ذكر المدائن العظمى قلت وهو محمد بن أحمد بن الفقيه ، وهذه الثلاثة قد طبعت الأول تماماً ، والثانى القسم الغربى منه ، والثالث مختصره ، قال وللمراكشى قلت هو ابن عذارى المراكشى قال ولغيرهم قلت منها كتاب مسالك الأبصار ، فى ممالك الأمصار فى سبعة وعشرين مجلداً ، وهو كتاب حافل ما صنف مثله لأحمد بن فضل الله العمرى المتوفى سنة 749 المترجم فى درة الحجال ، وقد شرع فى طبعه قال والمسهب ، فى أخبار أهل المغرب للحجارى قلت وإيراد صاحب كشف الظنون له فى حرف الشين المعجمة بعد الميم تصحيف، والصواب ما تقدم له من إيراده فى حرف السين المهملة بعد الميم ، والمشترك وضعاً ، والمختلف صقعاً فى البلدان لأبى عبد الله ياقوت الحموى انتحله من كتابه معجم البلدان على الحروف ، والمشرق ، فى أخبار المشرق لأبى الحسن بن سعيد ، والمشرق ، فى حلى المشرق لأبى الحسين الغرناطى ، والمشرق ، فى محاسن أهل المشرق فى ستين مجلداً لأحمد بن علي بن سعيد ، وسيأتى ما فيه ، قال والمطرب ، من أشعار أهل المغرب لأبى الخطاب ابن دحية ، ومطمح الأنفس ، ومسرح التأنس ، فى ملح أهل الأندلس . للفتح بن خاقان ، قلت قد طبع ، ومعالم الايمان ،

وروضات الرضوان ، فـي مناقب المشهورين مـن صلحاء القيروان للعلامـة أبى زيد الدباغ ، وهـو كتاب حسن مفيد فـي طبقات مـن دخل القيروان من الفضلاء منذ دخلها الاسلام كبير فـي مجلدين ، وقـد اختصره وذيله ابـن ناجى شارح المدونة والرسالة وطبع بتونس فـي أربعة أجزاء لطيفة ، قـال والمعجب ، فـي أخبار أهل المغرب لعبد الواحد بـن علي المراكشى ، ومعجم البلدان لياقوت قلت قد طبعا معاً ، قال ولغيره والمعرب ، عـن سيرة ملوك أهل المغرب مجلد أتمه مؤلفه سنة تسـع وسبعين وخمسمئة ، ومعيار الدول، ومسبار الملل فـي المسالك والممالك وأخبار الدول الاسلامية والمتقدمـة قبل الاسلام فـي ثمانين جزءاً كباراً ، والمغانم المطابة ، فـي معالم طابـة للمجد الفيروزابادى ، والمغرب ، فى محاسن حلى أهل المغرب فـي نحو خمسة عشر مجلداً لعلي بـن سعيد المغربى ، وذكر فـي مرقصة أن المغرب والمشرق كتابان وهما فـي مئة وخمسين سفرا صنَّفهما فـي مئة وخمس عشرة سنة جماعة من أهـل الاعتناء بالأدب ، خاتمتهم ابـن سعيد نفسه ، وذكر عـلي القارى فـي طبقاته أنه لأحمد بن علي بـن سعيد ، وأنه ستون مجلدا وهـو وهم ، والمفيد ، فـي أخبار زبيد لابن نجاح ، والمقتبس ، فـي تاريخ علماء الأندلس فى عشر مجلدات لابن العماد الأندلسى ، ومختصره جذوة المقتبس للحميدى ، ومختصره أيضاً نور المقتبس ، وملء العَيبة ، فيما جمع بطول الغيبة ، فى الرحلة الى مكة وطيبة ، لابن رشيد الفهرى فى ست مجلدات ، والممالك والمسالك فـي عجائب اليمن وجزيرة العـرب وأسماء بلادها لأبى محمد الهمدانى ، ومنازل الأرض ، ذات الطول والعرض للشيـخ علي الهروى، استوعب فيـه ما وصل اليه فـي سياحته ، ومناظر العوالم لحمد بـن عمر الشهير بالعاشق ذكر فيـه ما شاهده فـي سياحته من الأماكن المتجددة والأمور المحدثة وغير ذلـك ، وفيه أوهام كثيرة ، ومنها مصـر للمصريـيـن لسليم خليل النقاش طبع بالاسكندرية عام 1302 والمقصد الوريف ، والمنزع اللطيف ، فـي ذكر صلحاء الريف ، للشيخ عبـد الحق الخزرجى ، ومطلع الاشراق ، فـي الشرفاء الواردين مـن العراق لمولاي عبد السلام القادرى ، قال والمهاد ، فـي أسماء البلاد ، والميمون فـي فضائل أهل اليمن لابـن

أبى الصيف ، ونادره الزمن ، فــى تاريخ اليمن للمولى علي بن بالى ، والنبذ الزاكية ، فيما يتعلق بتاريخ أنطاكية للشيخ زين الــدين عمر بن أحمــد الشماع الحلبى ، والنجوم الزاهرة ، بتلخيص أخبار قضاة مصــر والقاهرة ، لجلال الدين يوسف بــن شاهين الحنفى سبط ابــن حجر ، والنجوم الزاهرة. فــى ملوك مصــر والقاهرة فــى مجلدات للأمير أبــى المحاسن الظاهرى ، قلت قــد طبع ، ثم قال اختصره فــى كتابه الكواكب الباهــرة ، من النجوم الزاهرة اقتداء بجماعة مــن العلماء كالذهبى مختصر تاريخ الاسلام لــه بسير النبلاء ثــم اختصره بالعبر ثــم اختصر العبر بالاشارة الى وفيات الأعيان ، ومنها النحلة النصرية ، فــى الرحلة المصرية للأستاذ البكرى ألفها سنــة اثنتين وثلاثين ومئة وألف ، وله أيضاً الرحلة العالية الدانية قطوف الكروم ، فــى الرحلة الثانية إلى بــلاد الروم ، ومنهــا النحلة الأنسية ، فــى الرحلة القدسية للجمال ابــن نباته ، ونزهة الأذهان ، فــى تاريخ أصبهان مجلــد للمجد الفيروزابادى ، ونزهة الأنام ، فــى فضائل محاسن الشام لأبــى البقاء الدمشقي ، قلت قــد طبع ، قال والنزهة السنية ، فــى أخبار الخلفاء والملوك المصرية لحسن بــن الطولونى الحنفــى ، ونزهة الغيضة ، فــى فضائل الروضة يعنى روضة مصــر لعله لابــن وصيف شاه، ونزهة القلوب فــى شرح الأراضى والممالك ، والعنصريات والأفلاك والكواكب لمحمد بــن أبى بكــر القزوينى ، وهو كتاب دل عــلى فضيلة جامعه ، ونزهة المشتاق ، فــى اختراق الآفاق للشريف محمد بــن محمد الصقــلي (1) صنفه لرجار الافرنجى صاحب صقلية ، وهو من أصحابه ورتبه عــلى الأقاليم السبعة ، وأورد فيــه أوصاف البلدان والممالك مستوفية ، وذكــر المسافات بالميل والفرسخ ، لكنه لــم يــذكر الأحوال ، وكان تأليفه لهذا الكتاب فــى منتصف المئــة السادسة ، والمعروف أنه اختصره بعضهم ، ونزهة الورى ، فــى أخبار أم القــرى للمحب ابــن النجار البغدادى ، ونشر الخزام ، فــى فضائل الشام رسالة فــى وصف الشام ، ونشق الأزهار ، فــى عجائب الأقطار لابــن إياس الحنفى ذكر فيــه أغرب ما سمعه وأعجب مارءاه مــن عجائب مصــر وأعمالها وغير ذلــك ، ونفح

---

1) نشره المعهد الجامعى الشرقى بنابولى سنة 1972 .

الطيب ، مـن غصن الأندلس الرطيب ، وذكـر وزيرها لسان الـدين ابن الخطيب فـي مجلدات أربع كبار للحافظ أحمد بـن محمد المقرى نزيـل مراكش فلت قد طبع مرات ، قال والنقط ، لمعجم ما أشكل مـن الخطط يعنى خطط مصـر للشريف محمد الجوانى نبه فيه عـلى معالم قد دثرت ، والنكت العصرية ، فـي أخبار الوزراء المصرية للفقيـه عمارة اليمنى ، قلت ومنهـا نزهة النادى ، وطرفة الحادى ، فيمن بالمغرب مـن أهل القرن الحادى لمولاي عبد السلام القادرى لم يكمل وقفت عـلى كراسة منه فـي القالب الكبير مـن مبيضة مؤلفه وعليه خط المسناوى ، ونفحة البشام ، فـي الرحلة الى الشام للقاياتى ، ومنها نزهة الألباب ، فـي تاريخ مصر ، وشعراء العصر ، ومراسلات الأحباب ، تأليف حضرة اللوذعى الأديب والشاعر اللبيب محمد حسنـى أفندى العامرى طبـع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصـر سنة 1314 وراجع الاعـلان بالتوبيخ ، لمن ذم التاريخ تأليف الحافظ المؤرخ الحجة شمس الديـن محمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى عام 902 فقد استوفى كثيراً مـن ذلك ، وقد ألفه قبل موته بنحو خمسـة أعوام ، وقد تصفحت عـلى هذا الفصل كشـف الظنون من فاتحته الى خاتمته ، ولخصت منه ماذكرته فيه على وجه الاقتضاب ، وأضفت اليه ما ليس عنده مما حضرتنى حين تقييده أسماؤه مـن التئاليف مما يندرج فـي هذا الباب ، ولم أقصد إيراد جميع ما وقفت عليه عـلى وجه الاستيعاب وربما وقع فيه تكرار ، رغبة فـي جمع الأنظار ، وربما لا أعيد فـي الحرف ما تقدم عنـد جمع الأشباه ، فلا يكون عليك فـي ذلك اشتباه ، وقـد اختصرت فيه ولم أسهب خوف السئامة والملل ، والى الله سبحانه الضراعـة فـي التوفيق الى أحسن القول والعمل ، وعدة هـذه الكتب الموردة أسماؤها فـي هذا الفصل نحو الأربعمئة والثلاثين وعدة مؤلفيها نحو المئتين والثمانين، ثـم زدت فيه بعـد هـذا ، وقـد استقصيت ما ألفه مؤرخو العرب فقط فـي التاريخ العام والخاص باللغة العربية فبلغ زيادة ألف وأربعمئة ، فلذلك قلت منبهاً على الاقتداء بمؤلفيها من الضرب الأول لعروض الطويل :

بهم أقتدى وأهتدى سالك النهجـه ... أصنف أخبارا لمراكش البهجـه
وأحيى لما قد مات من فضل بلدة ... تسمى بأغمات حدائقها بهجـه

والنهجة الطريقة أي سالكاً نهجتهم وطريقتهم فــي ذلك ، والبهجــة صارت لقباً لمراكش عنــد أهلها إذا أطلقوها لا تنصرف إلا اليها ، وانما لقبت بهــا لكونها ذات منظر حسن تنشرح بها الصدور ، ولاشتمالها عــلى حدائق ذات بهجة بالنظر إليها يكمل السرور ، ولله در ابــن الخطيب اذ يقول فيها كما تقدم وقيدت طرف الناظر المفتون أدواح الشجر بهــا وغابات الزيتون ، إلى أن قال زيتها الزمن يعصر ، وخيرها يمــد ولا يقصر ، وفواكهها لاتحصى ولا تحصر ، فاذا تناصف الحر والبرد ، وتبسم الزهر وخجــل الورد ، وكسى غدرانها الحائلة الحلق السرد ، قلت أنجز للمتقين من الجنة الوعد ، وساعد السعد ، وما قلت إلا بالذى علمت سعد هـ .

وفــي النهجة مع البهجة جناس التصحيف ، وفــي اقتدى مع اهتدى الجناس اللاحق ، وفــي البهجة مع بهجة جناس التماثل عــلى حد قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) وأحيي لما قد مات فيه اشارة الى أثر مــن ورخ مومنا فكانما أحياه ، وحدائقها بهجة أي بساتينها مــن النخل والأعناب والأشجار المحوط عليها الحيطان المحدقة بهــا ، بهجة أي ذات بهجة أي منظر حســن ، ومراكش فى البيت الأول غيــر مصروفة للعلمية والتأنيث اعتباراً بالبقعة ، وأغمات فــي البيت الثانى مصروفة اعتباراً بالمكان فليس فيــه الا العلمية ، قال فى الفريدة :

وابن البلاد والقبيل والكلــــــم   على الذى قصدته كما رســــــم

وقلت فى قافية التاء من الضرب المذكور :

لمراكش فضل وبهجة رونـــــق   وأعلامها حازوا من الفضل غايــات
أدون فيهم ما يروق استماعـــــه   وأحي لما قد مات من فضل أغمات

وقلت ءاتيا بجناس التصحيف من الضرب المذكور :

لمراكش فضل وروضات جنـــات   لأعلامها فاقصد لاذهاب إعنـــات
سأنشر جماً من مناقب فضلهـــم   وأحي لما قد مات من فضل أغمات

وقلت ءاتياً بالجناس الملفق ، ويقال له الجناس المتشابه لاتفاق اللفظين في الكتابة من الضرب الثاني لها :

بمراكشَ الحمرا مدارجُ سادة ... أمرغ فيها دائماً وجناتي
بجاههم أستدفع الخطب ان عرا ... وأردع كل ظالم وجنات
سأسرد ما قد راق عنهم حديثه ... وأجمع ما قد خطّ في الصفحات
وأغمات قد كانت معاهدَ سادة ... بها درجوا قدماً ذوي نفحبات
أقص عليكم من عوالي مقامهم ... مئاثر كانت منهم حسنات

وقلت أيضاً من الأول :

بمراكش الحمرا ضرائحُ سادات ... لهم في العلا والعلم أسنى المقامات
أبين فيهم من تعاظم قدره ... وأحْيي لما قد مات من فضل أغمات
وأتلو عليكم من مئاثر مجدهم ... صحيح ولايات وأبدع ءايات
أقصُّ عليكم من عوالي حديثهم ... مفاخرُ تزكو في ابتدا ونهايات

وكلها شبه ارتجال ، بفضل الكبير المتعال .



الفصل الرابع

فى بيان ما يندرج من علم التاريخ فى العلوم الشرعية وما يناسب ذلك مـن فرائد الفوائد بأوضح بيان

أما العلوم الشرعية فقد جعلها بعضهم اثني عشر ، وهـي التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتوقيت ، والفرائض ، وأصـول الفقه وأصول الديـن والتصوف واللغة والنحو والبيان والتاريخ ، ونظمها الامام الشيخ أبو بكـر بن يوسف السجتانى المراكشى فقال :

تفقه بتفسير الحديث مؤرخـاً ... بوقت بيان الارث أصل المحجـة
ولا تغفلن نحواً بضمن لغاتـه ... تصوف فسر من علوم الشريعـة
تنل به مرقى من مراقى أفاضـل ... وتحظ بنيل المجد أبلغ منيـة

قال وقولى أصل الحجة يتناول الأصلين أصول الفقه وأصول الديـن هـ وأراد ما تعلق بالدين مقصداً أو وسيلة ، وقد أغفل السيرة وهـي من هذا القبيل اذ لم يدرجها فـى التاريخ أو فى الحديث ، وأغفل الحساب وهـو محتاج إليه والخطب سهل وكل ما يحتاج اليه من التاريخ فـى شيء من أمـور الشرع كتاريخ سكة معلومة أو مكيال معلوم أو مسجد عتيق أو التقاء فلان من الرواه بفلان أو مكان التقائه أو كون فـلان من المتقدمين أو المتأخرين أو مـن الصحابة أو غير ذلك فهـو داخل فى العلوم الشرعية ، قاله الامام اليوسى فـى القانون والفهرسة ، وراجع نشر المثانى ، وجعله الامام السخاوى فناً مـن فنون الحديث النبوى ، راجع كتابه الاعلان بالتوبيخ ، لمن ذم التاريخ .

واما علم التاريخ فهو معرفة أحوال الطـوائف وبلدانهم ورسومهـم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم الى غيـر ذلك ، وموضوعه أحوال الاشخاص الماضية مـن الأنبياء والعلماء والحكماء والملـوك والشعراء

وغيرهم ، والغرض منـه الوقوف عـلى الأحوال ، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بهـا وحصول ملكة التجارب بالوقوف عـلى تقلبات الزمان ليحتـرز عـن أمثال ما نقل مـن المضار ويستجلب نظائرها مـن المنافع ، وقد ذكـر فـى صبح الأعشى أن الكاتب يحتاج الى النظر فـى كتب التاريخ والمعرفـة بالأحوال راجع 411 مـن ج 1 منه ، ويشترط فـى المؤرخ أن يكون عدلا وأن يعتمد إذا نقـل اللفظ والمعنى ، وأن لا يـكون ذلك النقل الذى أخذه فـى المذاكرات وكتبه بعد ذلك ، وأن يكون عارفاً بحال مـن يترجمه علما ودينا وغيرهما عارفا بمدلولات الألفاظ حسن التصور حتى يتصور فى حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص وأن لا يكون بينه وبين مـن يترجمه مـن الصداقة ما قد يحمله عـلى التعصب له والاطناب فـى مدحه ولا مـن العداوة ما قد يحمله عـلى الغض منه والتقصير فـى حقه لغلبة الهوى عليه ، وربما كـان الباعث له عـلى الغض مـن أقوام مخالفة العقيـدة واعتقاد أنهم عـلى ضلال فيقع فيهم أو يقصر فـى الثناء عليهم ، كذلك قـال السبكى وكثيراً ما يتفق هـذا لشيخنا الذهبى فـى حق الأشاعرة والذهبـى أستاذنا ، والحق أحق أن يتبع ، لا يحل لمومـن يؤمن بالله واليوم الآخـر أن يعتمد عليه فى الضعة من الأشاعرة ، ثم قال ومن ذلك فقهاء عصر واحد فلا ينبغى سماعُ كلام بعضهم فـى بعض ، وقد عقد ابـن عبد البر باباً فـى أن كلام بعضهم فـى بعض لا يقبل وان كـان كل منهم بمفرده ثقة حجة ، ومنهم مَن تأخذه فى الفروع الحمية لبعض المذاهب ويركب الصعب والذلول وهذا مـن سوء أخلاقهم هـ .

وراجع كتاب مفيد النعم ومبيد النقم ، وراجع مقدمة سلسلة الذهب المنقود ، فـى ذكر أعلام من الأسلاف والجدود ، وراجع طالعة نزهة النادى ، وطرفة الحادى ، ممن بالمغرب مـن أهل القرن الحادى لسيدى عبد السـلام القادرى ، وراجع ءاخر كتاب الأذكار للامام النووى ، ورياض الصالحين لـه ، وراجع شراح الصحيحيَـْن عند حديث حجة الوداع فـى خطبته صـلى الله عليه وسلم يوم النحر إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام الحديث ، قال سيدى أحمد ابن القاضى صاحب الجذوة :

ألا ان اغتيابَ الناس ظلــــــمٌ عظيم الجرم من أردا المناكـــــر
تجنبْ غيبة إلا حروفـــــــا ببيت جاء عن بعض الأكابـــــر
تظلمْ واستغثْ واستفتِ حـــذر وعرف بدعة فسق المجاهـــــر

وقدشرحها سيدى محمد بن أحمد المسناوى ، والبيــت الثــالث للحافظ ابن حجر ، وسياتى ما يتعلق بالكلام على ثبوت النسب الشريف فى ترجمة مفتى مراكش سيدى الحسن ابن علي المدعو وللو .

وعبــارة كتــابنا هــذا سهلــة واضحة لا تعقيد فيهــا يتأتــى فهمْها من كــل أحــد على اختــلاف طبقات الــناس ، ففيــه من الألفــاظ مــا يفهمه العامة ولا تنبو عنه الخاصة ، فكــل قارىء يطالع فيه ما يلــذ له ويفيده ، وقــد سلكنا فيــه الطريقتين فــى التصنيف ، الطريقة الأولــى طريقة السبك فى جمع المنقول ثم بسطها بأوجز عبارة والطف إشارة ، وهي وإن كانت أتعب وأشق ، أدق نظراً وأحق ، الطريقة الثانية طريقة التناسب أي ترتيب ما يراد من النقول بعينها ونظمها فى سلك أساليب المطالب المرادة بزيادة شيء عليها أو نقصه منها إما بعزو أو دونه على ما هو المعهود فى ذلك ، وسيأتى الكلام على ذلك فى ترجمة أحمد ابن البناء ، وترجمة القاضى عياض ان شاء الله وقد تكلم على المسألة أيضاً فى البدور السافرة للامام سيدى محمد بن علي السنوسى فى ترجمة شيخه سيدى بمحمد بن الكَندوز المستغانمى ، وبعبارة أخرى للمؤرخين طريقتان فى التصنيف الأولى المحافظة على كلام من تقدمه بنقله بنصه ، والثانية أن لا يعتبر من نصوص من قبله الا المعنى الذى يسبك قالبه ليكون كلامه نمطاً واحداً ، والأولى أسلم من الخطأ وأبعد من الزلل ، وقال الحافظ أبو شامة المقدسى الشافعى فى كتاب الروضتين فــى أخبار الدولتين فى أول ورقة منه قال مصعب الزبيرى ما رأيت أحدا أعلم بأيام الناس من الشافعى ، ويروى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس والأدب عشريــن سنة ، وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة عــلى الفقه ، قلت وذلــك عظيم الفائدة ، جليل العائدة ، وفــى كتاب الله وسنــة رسوله صــلى الله عليه مــن أخبار الامــم السالفــة وأبناء القــرون الخالفة ما فيــه عبرة لــذوى

البصائر ، واستعداد ليوم تبلى السرائر ، ونقله البدر القرافى فـى التوشيح عـن السيوطى فـى أول كتابه أعيان الاعيان مختصراً وقـال الحافظ الحجـة يوسف بـن عبد البر معرفة أعمار العلماء والوقوف عـلى وفياتهم من علم خاصة أهل العلم وأنه لا ينبغى لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك وانه ممـا يلزمه مـن العلم العناية به والقيام بحفظه، أنظر (الاستذكار) له و(سنن المهتدين) للمواق وغيرهما واحفظ ذلك واجر عـلى مقتضاه ومولانا سبحانه يؤيدنا واياك فـى سبيل هداه ، وقـال الوليُّ العراقى فـى شرح سنن أبى داود قـد وقع الاستدلال بالتاريخ فـى كتاب الله تعالى (يا أهل الكتاب لمَ تحاجُون فـى إبراهيم) الآية ، وقد حكم أبو بكر البغدادى الحافظ بتزوير الكتاب الـذى أدلى به اليهود عـلى سقوط الجزية عـن أهل خيبر بذكر شهادة معاوية فيـه وهو انمـا أسلم عام الفتح وفتح خيبر كـان سنة سبع وشهادة سعد بـن معاذ وهو قد مات يوم بنى قريظة قبل فتح خيبر وقد قال سفيان الثورى لمـا استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ ولهذا أشار الحافظ العراقى :

ووضعوا التاريخ لما كذبـــا ذووه حتى بان لما حسبـــا

وقولنا فى تعريف التاريخ وأنسابهم اعلم أن علم الأنساب علم يتعرف منه أنساب الناس وقواعده الكلية والجزءية ، والغرض منـه الاحتراز عـن الخطأ فـى نسب شخص ، وهـو علم عظيم النفع جليل القدر أشار الكتاب العظيم فى (وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الى تفهمه ، وحثَّ الرسـول الكريم فى تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم الى تعلمه والعرب قد اعتنت فى ضبط نسبها الى ان كثر أهل الاسلام واختلطت أنسابهم بالأعجام فتعـذر ضبطه بالآباء فانتسب كل مجهول النسب الى بلده أو حرفته أو نوع ذلك حتى غلب هذا النوع ، وقد صنفوا فيه كتباً كثيرة قاله فى الكشف وأطـال الامام عـلى بن أحمـد ابن حزم فـى أول جمهرته فـى الاحتجاج عـلى شرف علم الانساب وأبطل حديث علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر وكذلك قال فيه الحافظ لا يثبت ولا يثبت عن عمر أيضا ، وقد رد ابن جرير على من زعم انه علم لاينفع وجهالة لا تضر وكيف والدين منوط بعلمه، وأطال أبو القاسم

الزيانى فى أول جمهرة التيجان فى الاحتجاج على شرف علم الانساب وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه حديث تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا،وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله، ثم انتهوا،وتعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر وورد فى حديث عن ابـن عباس رضى الله عنهما أخرجه عنه الديلمى ان العرب تطلق العلامة على أعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبما اختلف فيه العرب راجع 55 من ج 4 من منتخب كنز العمال .

(تنبيـه)

قال الصلاح الصفدى فى أول تاريخه يبدأ فى التراجم باللقب ثم بالاسم ثم بالنسبة الى البلد ثم الى الأصل ثم الى المذهب فى الفروع ثم الى المذهب فى الاعتقاد ، ثم الى العلـم والصناعة والخلافة والسلطنة والوزارة والقضاء والامرة والشيخة كلها تقدم على الجميع قال القرافى بعد نقله بواسطة العلامة السيوطى ما نصه والبداءة باللقب ثم بالكنية ثم الاسم على خلاف ما عليه أيمة العربية وعلى خلاف ما رأيته فى الكتب التى اعتمدت على النقل منها فى هذا الكتاب ولا خلاف فى فضل أصحابها ، وراجع طالعة نيل الابتهاج .

(فريـدة)

ذهب صاحب الاحاطة الى أن الانسان إذا دخل بلدة ولو ساعة من نهار فانه ينسب اليها ، وقال الشيخ زكرياء فى ءاخر ورقة من فتح الباقى ولا حد للاقامة المسوغة للنسبة بزمن وان حده بعضهم بأربع سنين قـال محشيه سيدى علي العدوى عن بعض حواشي النخبة ان مجرد الدخول ولو على سبيل التجارة أو الزيارة مسوغ لذلك ، ونقله فى السيف الربانى ، فى عنق المعترض على الغوث الجيلانى ، وقال ابن حزم إن جميع المؤرخين من أيمتنا السالفين والباقين دون محاشاة أحد بل تيقنا اجماعهم على ذلك متفقون على أن ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التى استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها الى ان مات ، فان ذكروا الكوفيين من الصحابة صدروا بعلي وابـن مسعود وحذيفة ، وإنما سكن علي الكوفة أربعة أعوام وأشهراً أو نحوها ، وقد

بقى 58 عاما وأشهرا بمكة والمدينة وان ذكروا البصريين بدءوا بعمران بن الحصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر وأبى بكرة وهؤلاء مواليدهم وعامة زمن أكثرهم وأكثر مقامهم بالحجاز وتهامة والطائف وجمهور أعمارهم خلت هناك وان ذكروا الشاميين نوهوا بعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وأبى عبيدة بـن الجراح ومعاذ ، ومعاوية . والأمر فى هؤلاء كالأمر فيمن قبلهم ، وكذلك فـى المصريين عمْر بن العاص وخارجة بن حذافة العدوى ، وفى المكيين عبـد الله بـن عباس وعبد الله بـن الزبير ، والحكم فـى هؤلاء كالحكم فيمن خصصنا فيمن سافر الينا من سائر البلاد ، فنحن أحق بـه وهو منا بحكم جميـع أولى الأمر منا الذيـن اجماعهم فرض اتباعه وخلافه محرم اقترافه ، ومـن هاجر منا الى غيرنا فلا حظّ لنا فيه ، والمكانُ الذى اختاره أسعد به هـ .

ثم اعلم أن الامام ابن حجر العسقلانى يذكر فى تاريخه (إنباء الغمر) كل حادثة كيف كانت قبيحة أو حسنة، وفى الاعيان يذكر كل أحد كانت له خصلة من الخصال ولو امارة عشرة أو تدريس الفية أو انشاء بيت من النظم أو حصـولا عـلى ثروة وغير ذلك ، ويحلى كل واحد بما فيه مصرحا ومكنيا حسناً أو قبيحا كرشوة القضاة واعطائهم الدراهم عـلى توليتهم وتهافتهم عـلى طلب الولايـة وغير ذلك وقد أرخ حتى وفاة أولاده وأولادهم ومواليدهم وان لـم يكن لبعضهم شيء ، فما بالُ مغاربتنا لا ينحون هذا المنحى وانما يقتصرون على من سارت بمئاثره الركبان ، ولا يذكرون كـل أحـد ، وإنمـا ذلك مـن ترفعهم وحصر الفضيلة فى مشاهيرهم ورؤسائهم ما هكذا الانصـاف فرحم الله المشارقـة ووفق أهل مغربنا لـلاقتداء بهذه الطريقة . وقـد سلك نحوها أحمد ابـن القاضى فى (درة الحجال) فى ذكر كل مـن له خصلة من أهل عصره ولـو سطر أو سطرين فأعلى ، جزاه الله على نيته خيراً ، بل الحافظ ابن حجرْ ترجم فـى تاريخه لبعض القينات ولو ذكر هذا لأهل قطرنا لألبوا عـلى فاعله ونسبوه لكـن قبيح وكذلك الحـافظ السيوطى فـى بغية الوعاة ربما عـرف بمن لا يعرف الا الالفية ، وقد نحا السيد مرتضى هذا المنحى فـى معجمه فذكر كـل أحد لقيه أو كتب عنه أو سمع منه أو ناله منه فضل ولو تاجراً ، فاعلم ذلـك والله الموفق وماذاك الا لاتساع المشارقة فـى المعارف دوننا ، وقد تـقدم التنبيه عـلى تقصير المغاربة فـى التاريخ فـى أوائل هذه المقدمة .

(فريدة ثانية)

إعلم أن بلاد المصامدة ومن أرضها مراكش قد اتفق على انها انما أسلم عليها أهلها وليس فيها صلح ولا عنوة ، فقد نقل الفقيه القاضى السيد عمر الرندى فى نوازله بخط العلامة سيدى محمد بن الحسن بنانى محشى الزرقانى عن الونشريسى عن ابن مرزوق ما نصه : واما بلاد المصامدة وأرض مراكش ، فقال ابن عبد الحكم اتفق أشياخ بلدنا من أهل العلم انما أسلم عليها أربابها وليس فيه صلح ولا عنوة هـ معلمة هذه الفتوى بعلامة القاضى سيدى العربى بردلة ، وتبعه سيدى محمد بن عبد القادر الفاسى قائلا ، ومن جملة المحكى بلاد المصامدة انما اسلم أهلها وذلك هو الموافق لحكاية المشهور على سيدى أبى جيدة ، وقد ذكروا أن أرض المصامدة ومساكنهم فى الأغلب هي ما بين واد ملوية من جهة الشرق الى آسفى وجبال درن من جهة المغرب هـ . وراجع شرح المغارسة عند قوله ومغارسة أرض العنوة لا الحبس ولابد وما نقله الشيخ بنانى عن الونشريسى عن ابن مرزوق هو كذلك صحيح عنه ، فقد نقله الونشريسى فى ءاخر نوازل الضرر قبيل نوازل الوديعة والعارية ، فراجعه فى صحيفة 49 من ج 9 من المعيار ، وراجع 96 من الجزء 6 منه ، وراجع درر المازونى فى ترجمة مسائل الأرضين كراء ومواتا وإقطاعا ، وقد أشبعنا الكلام على المسألة فى تاليفنا المسمى بـ (الامتاع بأحكام الاقطاع) ، فراجعه تستفد .

وذكر فى درة الحجال فى ترجمة صالح بن عبد الحليم أبى علي الأيلانى أن القبائل التى تسمى المصامدة حاحة ورجراجة ووريكة ، وهزميرة ، وگدميوة ، وگنفيسة ، ودكالة ، وهنتاتة ، وبنو ماغوس ، وبلادهم أكثرها متصلة غير منفصلة ، وهم بجبل درن وحوله ببلاد السوس ، وكان منهم ملوك قبل الاسلام وبعده ، والملك لله وحده هـ .

وذكر ابن خلدون أن قبائل المصامدة هرغة ، وهنتاتة ، وتنمل ، وگدميوة ، ووريكة ، وهزميرة ، ودكالة ، وحاحة ، ووزگيتة ، ونفيسة ، وبنو ماگر ، وهيلانة ، ومسفيوة ، وماغوس ، ودغوغة ، وسكساوة ، راجع

224 من ج 6 وقـال فى 266 منه إن القبائل التى سبقت لدعوة الموحديـن قبل فتح مراكش ثمـان قبائل ، سبعة مـن المصامدة هرغة ، وهنتاتة ، وتيمنـل ، وكنفيسـة ، وهزرجة ، وكدميوة ، ووريكة ، وثامنة قبائل الموحدين كومية ، ثـم تكلم عليها قبيلة بعد أخرى ، وقال فـى 275 منه ما نصه : قـد قدمنا أن قبائل المصامدة بجبل درن وما حوله كثيرة مثل هنتاتة ، وتيمنل ، وهرغـة ، وكنفيسـة ، وسكسيوة ، وكدميـوة ، وهزرجـة ، ووريكة ، وهزميـرة ، ورجراجة ، وحاحة ، وجلاوة ، وغيرهم ممن لا يحصى هـ .

وقضـاة الجماعة بمدينة مراكش هـم الذين يولون نواباً عنهم فـى بواديها ، فمنها قبيلة الرحامنة ، والسراغنة ، وزمران ، وهنتيفة ، وفطواكـة ، وغجدامـة ، وتكانة ، ومسفيوة ، ووريكة ، وغيغاية ، وسكتانـة ، وأكركور ، وواد نفيس ، وحكومة واد سوس رأس الواد ، وكدميوة ، ومزوضة ، ومجاط ، وأولاد مطاع ، وأولاد يعـلي ، وفروكة ، وأولاد أبى السباع ، ومتوكة ، ونفيفة ، ودمسيـرة ، وءايت يمور ، وأحمر ، وتكنة ، وأولاد دليم ، وذوبلال ، والمنابهة ، وحربيل ، وتمصلوحت ، والودايا ، وءاسفي ، وعبـدة ، هكذا كـان الأمر فـى القديم ، ثـم صار الآن قضاة مراكش ليس لهم فـى باديتها الا استيناف أحكام قضـاتها .

ثم اعلم أن البربر ومنهم قبائل رحل كانوا قبل الاسلام مـن الهمجية والجهالة عـلى جانب عظيم ، وكانـوا أصحاب أوثـان يعتصمون بالجبـال ويتفاضون الى الكهان ، يكرهون المدنية وأهلها ، وقد قاسى اليونان والرومان مـن غزوهم ونهبهم عذاباً شديداً ، ولم يكـن لهم شغل غير ذلـك ، ولقي العرب أيـام الفتح مشقة كبـرى فـى إخضاعهم ، فلمـا خضعوا واعتنقوا الاسـلام تجندوا للخلفاء والأمراء ، وافتتحوا البـلاد ولا سيما فـى الغرب ، فاكتسحوا الأندلس بقيادة طارق بـن زياد ، وكانوا عوناً كبيراً فـى قيام دولة الأدارسـة والدولة المروانية والدولـة العُبيدية ، وأنشأوا دولـة الملثمين المرابطين والموحدين المصامدة وءال زيـرى وغيرهم ممن لا يحصى ، وقـد جندوا الجنود وبنوا المعاقـل وأخذوا بأسباب المدنية ، ولا وسيلة لمعرفة أخبارهم إلا بالاسلام ، وقـد وقفت على تاريخ افريقية والمغرب قبـل الاسلام

اشتمل على بابين الباب الأول فى ذكر الأمم التى كانت مستقرة بالمغرب قبل بعث سيدنا عيسى عليه السلام ، وكيفية انتشاء مملكة القرطاجنيين به وما وقع فى أيامهم إلى انقضاء دولتهم واستيلاء الرومانيين عليه ، الباب الثانى فى ذكر استيلاء الرومان على المغرب وكيفية استيلاء الفاندال عليه إلى انقراض دولتهم واخلافها بالدولة القسطنطينية إلى حلول العرب ، وقدم مقدمة بين فيها أنه لم يتعرض لأيام العرب استغناء بما فى تاريخ ابن خلدون والقيروانى وغيرهما ممن اعتنى بذلك ، وذكر في الباب الأول أن البربر كانوا يعرفون بالليبيان قبل مبعث سيدنا عيسى عليه السلام باثنتي عشرة مئة ، وكانت حائزة للوطن الذى يحده شرقاً الحدود الغربية من أرض مصر وجوفاً البحر الرومى وغرباً البحر المحيط الغربى وقبلة أرض السودان المعروفة سابقاً بالايثيوبى ، وكانت الليبيان الغربية مشهورة بالجيطول يعنى الجزولة مفترقين على ثلاث فرق النوميد كانوا محتلين وطن الجزائر وقسنطينة ووهران دون الصحراء ، ثم المور وهم أهل المغرب الأقصى احتلوا الوطن المسمى الموريتانى ، وسكان الصحراء وهم الجيطول ، لأن أرضهم كانت تسمى الجيطولى ، وهذا الكتاب فى نحو كراس ونصف من القالب الرباعى فراجعه ، وراجع (الرحلة اليابانية) لعلي ابن أحمد الجرجاوى فقد تكلم على ذلك ملخصاً ، وذكر أن البربر فى القرن الثانى بعد المسيح اندمجوا مع الرومانيين فتعلموا لغتهم واختلطوا بهم اختلاطاً حتى ءال الأمر الى تولية أحد كبار البربر امبراطوراً على قرطاجنة وهو الأمبراطور سواريوس فى أواخر القرن الثانى بعد المسيح ، وذكر أن أفريقية كانت أولا للبربر ، وكانوا قبائل وشعوباً ثم لدولة قرطاجنة الفنيقية ثم دخلت ضمن مستعمرات الرومان ثم دخلت فى ملك الوندال وصارت مملكة وراثية حكم الوندال من سنة 429 بعد المسيح الى سنة 533 وكان العرب يسمون الرومانيين أهل المملكة الشرقية بالروم ، فلما جاء الفتح الاسلامى أخذ العرب كل ما فى أيدى الروم من بلاد الشام ومصر إلا القسطنطينية فلم توخذ إلا فى عهد السلطان محمد الفاتح سنة 1456 بعد المسيح ، ولما توالت السنون كان العنصر العربى فى افريقية هو الحال محل الفنيقيين والرومان والوندال ، ولم يزل إلى الآن الا اسبانية فانها بعد

أن مكثت نحو الأربعة قرون فـي يد العرب عادت الى حكم الافرنج ولـم تزل الى الآن هـ وصوابه نحو الثمانية قرون ، ولله در مَن قال :

اذا ماروى الانسان أخبار من مضى	فتحسبه قد عاش من أول الدهـر
وتحسبه قد عاش ءاخر دهـــــره	إلى الحشر انْ أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر مَن عاش عالما	كريماً حليماً فاغتنم أطول العمــر

وراجـع خاتمة بغية الوعاة وديباجة شرح القاموس وأول الشـرب المحتضر وصحيفة 145 من ج 3 من الاستقصا .

ثـم اعلم أن أنساب البربر مـع تشعب قبائلهـم وكثرتها يرجعـون بأنسابهم الى أصول ثلاثة صنهاجة وكتامة وزناتة ، واختلف المؤرخون فـي منشأهم وذهبوا فـي ذلك مذاهب شتى ، وأورد كـل فريق حججه ، ولكـن الرأي االأخير الراجح هو ما أثبته المؤرخ الأميركي جمس هنرى بريستيد مـن أنهم عرب ساميون هبطوا المغرب عـن طريق مصر مـن زمن سحيق فـي التاريخ، وسياتى بسط ذلك فـي ترجمة سيدى أحمد بـن العريف الصنهاجى أول المقصد .

(فريدة ثالثة)

كـما أن علوم الشرع اثنا عشر كذلك علوم الأدب وقد تقدم عـدُّ بعضها فى علوم الشرع صحيفة 134 وهي المجموعة فى قول بعضهم :

صرف بيان معان النحو قافيـــة	شعر عروض اشتقاق الخط انشاء
محاضرات وثانى عشرها لغـــة	تلك العلوم لها الآداب أسمـــاء

وقـد قرأت بحمد الله العربية نـحواً وتصريفاً وعلم أسرارها بيانـاً ومعاني ولواحقَها مـن علم البديع ، وقرأتُ علم المنطق وعلم الكلام وعلـم الأصول وعلم الفقه وعلم التفسير وعلم الحديث دراية ، وعلم التوقيت فـي الربع المجيب والأسطرلاب وأغريتم ، وقرأتُ علم العروض وعلـم الحساب والفرائض ، وأجاب شيخُنا الفقيه العلامة المحدث التقي النقي الورع شيـخ الجماعة بمراكش ورنيس قلـم فتواها ومدرسها منذ نصف قرن النفاعة البركة

المؤلف النـاظم الناثر المؤرخ لسان الفصاحة والبراعة الـذى ليس له همة إلا فى نشر العلم وتدريسه الشريف سيدى محمد بـن إبراهيم السباعـى المراكشى أدام الله عزه فـى طاعته ورضاه وزيرَ الحضرة الشريفة أعزهـا الله إد ذاك لما سأله عن استحقاقى للمرتبة الأولى بما نصه بعد الافتتاح : فقـد جاءنى كتابكم مستفهماً عـن الأمر الشريـف أدام الله توفيقه وتأييده هـل يستحق الفقيه الأنجب السيد العبـاس بن إبراهيم المراكشى المنتظـم الآن فـى سلك الديوان الشريف الانتظام فى المرتبة الأولى مـن مراتب العلماء قـائلا لكونها مرتبـة القضاة ، فاعلـم حفظك الله أن المرتبـة الأولى إنمـا جعلت لأنجب العلمـاء وتفاوتهم فـى الفهم والتحصيل وأما القضاة إنمـا جعلت لهـم تعظيماً للخطة لا للعلو فـى العلم ، والذى أتقلده أن الطـالب العباس المذكور لأنجب وأحسن فهماً وتحصيلا مـن جميع من أعلم بمراكش انه فـى المرتبة الأولى وأكثرهم استحقاقاً لها من حيث حسن الفهم والادراك والتحصيل وعيـن الجواد فراره وقديماً أنكر سيدنا نصره الله علينـا فى خلافته الصغرى قبل الكبرى دخول مـن لايستحقها فيها ، وإنه لحق ، فقد رفع بـها كثير ممن لايستحق السفلى فضلا عـن العليا واختلط الزبد بـالزبد واتسع الخـرق على الراقع ، ولم يزل الرجاء مـن سيدنا نصره الله التنبه لذلك حتى يوقعه موقعه، وعلى المحبة والدعاء بصالح الحال والمئال فى 4 رجب عام 1326 محمد بن إبراهيم السباعى وفقه الله هـ .

ورأيت فـى (كنز الجوهر ، فى تاريخ الازهر) أن الممتحن إذا أجاب فـى كل فن كتب من الدرجة الأولى ، وإذا أجاب فـى أكثر الفنون كتب مـن الدرجة الثانية ، وإذا أجاب فـى الأقل كتب من الدرجة الثالثة هـ .

والمراد بـكل فن أحد عشر علماً من العلوم المتداولة بالأزهر ،وهي الحديث والتفسير والأصول والتوحيـد والفقه والنحو والصرف والمعانـى والبيان والبديع والمنطق ، ويعين له من كل فن درس ، ويعطى ميعاداً يطالع فيـه لكل فن يوماً ثم يعقد له مجلـس لسؤاله عـن تلك الدروس المعينة له كـما تقدم له التنبيه عليه . ولما اطلع عـلى جواب شيخنا المذكور سيدنـا الامام أمضى الجواب المذكور وأتحفنى بظهائره الشريفة الثلاثة بذلـك ، نص

الأول والطابــع الشريف بين حمدلته وصلاته بداخله عبد الحفيظ بن الحسن الله وليه ومولاه :

نــأمر الفقهــاء القضاة بمــراكش أن ينقلوا الفقيــه السيد عبــاس بــن إبراهيم المراكشي الى المرتبة الأولى العلمية لاثبات وصفهــا له بالموجب الــدى أدلى به لحضرتنا الشريفة ويشدوا لــه العضد فى تنفيذ ما ينعم بــه على أهلها مــن العوائد المقررة لهم ويردوا له كتابنا الشريف بــعد قراءته يتمسك بــه والسلام فى 23 رجب الفرد الحرام عام 1326 والثانــى والثالث بمعنى الأول كما أتحفنا أيده الله فــى رجب المذكور بظهير إعزاز واكــرام ، وتبجيــل واعظام ، نصه والطابع الشريف بيــن حمدلته وصلاته بداخله عبد الحفيظ بــن الحسن بن محمد الله وليه ومولاه وبدائرته (فالله خير حفظا وهــو أرحم الراحمين) ياقوي يامعين ، يعلــم من كتابنا هذا أسمى الله قدره ، وجعل فــى الصالحات طيه ونشره ، أننا بحول الله وقوته ، وشامل يمينه ومنتــه ، أسدلنا على ماسكه كاتبنا الفقيه السيد عباس بــن إبراهيم المراكشي وعــلى والــده المسن المذكور وأخيه الطالب محمــد أدرية التوقير والاحتــرام ، وحملناهم عــلى كاهل المبرة والاكرام ، والرعي الجميل المستدام والمحاشاة عــن زمرة العوام ، فلا يسامون بمكــروه ، ولا تلحقهم يد" عادية بوجه مــن الوجوه ، رعاية لانحياشهم لجانبنا العالى بالله ، فنأمر الواقف عليه مــن عمالنا وولاة أمــرنا أن يعمل بمقتضاه ، ويقف عند حده ومنتهاه ، والســلام صدر به أمرنا المعتز بالله فــى 20 رجب الفرد الحــرام عام 1326 .

ولله در العلامة سيدى أحمــد بن الحاج حيث شــرح ظهيراً شريفــاً خاطبه فيــه والد سيدنا الامام المقدس وقــد شرحه له العلامة سيدى محمــد ابن جعفر الكتانى ، وقد وقفت على الشرحيْن المذكورين والأول مطول والثانى مختصــر .

وقد ترجمنا جماعة مــن أشياخنا رضى الله عنهم فــى هذا التاريــخ اقتداء بما قالــه سيدى عبد الرحمن الثعالبى ءاخر شرحه عــلى مختصر ابــن الحاجب ونصه : وينبغى لمن ألف أن يعرف بزمانه وبمــن لقيه من الأشياخ ليكون مــن يقف على تآليفه على بصيرة مــن أمره وقد قل الاعتناء بهذا المعنى فى هذا الزمان وكــم من فاضل انتشرت منــه فضائل جهل حالــه بعد موته

لعـدم الاعتناء بهذا الشان ، ولما تكلم ابن عطية عـلى قوله تعالى (أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم) الآية قال قيل الرقيـم لوح كتبوا فيه قصة أهـل الكهف، ثم قال ابن عطية ويظهر أنهم كانوا قوماً يؤرخون الحوادث، وذلك من قبـل المملكة وهو أمر مفيد هـ نقله صاحب طبقات المالكية فى ترجمته ، وقال الامام السخاوى فى (الاعلان بالتوبيخ) عند ذكر المدن وشأن العلم بها ما نصه :

وأما بجاية وتلمسان وفاس ومراكش وغالب مـدن المغرب فالحديث بهـا قليل وبها المسائل قلت وكلهم مقلدون لمالك رحمه الله وطائفة ظاهريون وفيه بقيه من علم هـ وقال فـى (استنزال السكينة لتحديث أهل المدينة) عبـد الرحمن الفاسى الـذى أجاز به للشيخ إبراهيـم الشهرزورى ولأولاده وأسند لـهواحداً وأربعين حديثاً وهي فى نحو كراس ونصف مـن القالب الكبير مـا نصه : إذ العلم كما قيل اذا صح الدليل أو توجه التأويل ولـد بمكة وربي بالمدينة ودق بمصر وغـربل بالاندلس وعجن بمـراكش وأكل بفاس وهذا القول وان كـان غيرَ مستند لأصول ولا معتضـداً بدليل يعيـن صحة المدلول ، فلـه وجه من التأويل فـى الجملة وظهور فى الخارج يلحـق بنوع مـن الأول ، وبالجملة فالبلاد المذكورة ينابيع العلم ، ومحط أربابه لـه ومناخ التوسع فـى حمل أحكام الله وكتابه ، وقـد ورد فى الكل ءاثار وتعدد الظفر بـه والاقامة من جلة أخيار مـن سائر الاقطار هـ منـه بلفظه .

وهذا ءاخر ما أردنـا إيراده فى هذه المقدمة التى سميناها (الطالعة الزهراء ، فـى فضائل أغمات ومراكش الحمراء ، وما يناسب ذلك من فرائـد الفوائد الغراء) وفسر فـى الأساس الطالعة بالأول ، وعلى الله عز وجل فـى كل الأمور المعول ، نسأله سبحانه أن يحسن منـا الأحوال ، وان يصلح نيتنا فـى سنن الاقوال والافعال ، وأن يعيننا على ما إليه قصدنا من تراجم الرجال ، لا رب غيـره ولا معبود سواه يرجى لاجابة السؤال ، وأن يختم لنا بخير فـى المئـال .

تمت المقدمة بحمد الله تعالى وحسن عونه فى 18 رمضان عام 1329 ثم بعد ذلك حذفت منها أشياء وأضفت اليها زيادات مناسبة والحمد لله وكفـى وسلام على عباده الذين اصطفى .

تراجـم الكتاب

حرف الألف

1) **إبراهيم بـن يوسف بـن تاشفين بـن ابراهيم بـن ترقوت بـن ورينتّطن بن منصور الصنهاجي ثم اللمتونى** الأمير ، ويعرف بابن تاعيشت (1) اسـم أمه ، ولي مرسية لأخيه علي بـن يوسف أمير المغرب ، وكـان عليها قبله أبو عبـد الله المعروف بابن عائشة ، ولاه أبوهما يوسف بـن تاشفين لأول مـا تملكها ، ولـم يول فى قـواده مثله بأساً وجداً فـى نصرة الديـن واستبصاراً فى أداء الطاعة، وله على الروم وقائع جمة، وهو الذى استفتح حصن لييط (2) الشهير المنعة إلى أن اعتل بصره فى صدره عن غزوة برشلونة وهي التى استشهد فيها ابو عبد الله ابن الحاج وتسمى وقعة البورت وذلك سنـة 508 ثـم لم يلبث أن عمي وبطل نظره ، فاستدعاه علي بـن يوسف وعوض منه بأخيه ابراهيم هذا ، وفى ذلك يقول أبو جعفر بـن وضاح من قصيدة أولها :

تقعـد النائبات حين تقـوم ... لا يـرد العظيم إلا العظيـم
عمرت بالسرور أكناف تدميـ ... ـر وولّت عن ساحتيها الهمـوم
مطلتها الأيام حتى تلقّـا ... هـا بما أمّلتْه يوم كريـم
طالعتها القنا وجُرد المذاكـى ... والعـلى والأمير إبراهيـم

وفـى إمارته عليها سمع بها من أبى علي الصدفى ، قال فـى معجم أصحابه ابن الأبار حدثت عن أبى بكر ابن أبى ليلى وهو كان كاتبه قـال كتب

---

1) تاعيشت بربرية عائشة العربية ، وهـو اسم أمه زوجة يوسف بـن تاشفين عرف بـهـا .

2) هـو الذى يسمـى Aledo بالاسبانية ، ويقع الـى الشمال الغربى مـن مرسى قرطـاجـنـة .

يوما عند القاضى أبى علي الصدفى إذ جاء وزير ابـن تاشفين يعنى هـذا ، فقال إن الأمير إبراهيم يريد أن يسمع عليك الحديث ، يعرض لـه بالمشْي إليه ، فقال لـه لهذا جلست ، فكرر ذلك عليه فأجابه بمثله ، ثـم رغب إليه بعد أن تكون لـه منه دولة (1) فـى منزله ، فأسعفه عـلى أن يصل بعد الفراغ من إسماع أصحابه والقيام مـن مجلسه ، ولـم يلبث أن انتقل إلى إمـارة إشبيلية ، واستصحب أبابكر المذكور فشفع لـه أبو علي فى رد أملاك أبى محمد بـن العربى المعتقلة على ابنه القاضى أبى بكر ، ورسم لابن أبى ليلى وعلى يديه استكتب أن يذكر بها ، فتمّ ذلك لما استقر هنالك ، وما وقفت لـه على خبر بعد نكبته فـى سنة 515 واستصْفاء أمواله ، وتخطى ذلك الى حاشيته ورجالـه ، وأظنها لتقصيرة الذى جر وقيعة كتندة فـى سنة 14 قبلها الا ماذكر ابـن صاحب الصلاة الباجى فى تاريخه أنه قتل وفل عسكره فـى بعض حروبه ، قال ومقتله لم يذكر السنة على طريق سجلماسة معروف بجهة جبل هسكورة يعنى من ناحية المغرب ، وبالجملة فهو من بيت جهاد واجتهاد ، وفى دولة أخيه نفقت العلوم والآداب وكثر النبهاء وخصوصاً الكتاب ، وحكى أبو بكر الصيرفى فى تاريخه أن علياً منها استجاز الراوية أبا عبد الله أحمد بن محمد الخولانى جميع رواياته لعلو سنده فأجاز له ، وأبوه يوسف مع نشئه فى الصحراء كان لا يمضى أمراً إلا بمشورة الفقهاء .

وقال فى النفح : ولما مدح أبو بكر محمد بـن الروح الشلبى الأمير ابراهيم الذى خطب بـه الفتح فى القلائد وهـو ابن أمير المومنين يوسف بن تاشفين وكان يدلّ عليه وينادمه بقصيدته التى أولها :

أنا شاعر الدنيا وأنت أميرهـــا   فما ليَّ لا يسرى إليَّ سرورهـــا

أشار الأمير الى مضحك لـه كان حاضراً أن يخبق بـه لقوله أنا شاعر الدنيا ، فقال لـه ابن الروح على ما خبقت ؟ يعنى أنـه يحتمل أن يكون ذلك الفعل

1) الدرس المتداول فى الاصطلاح المغربى القديم .

لقوله أنا شاعر الدنيا ولقوله وأنت أميرها ففطن الأمير لما قصده وضحك وتغافل .

وقوله وحكى أبو بكر الصيرفي في في تاريخه ، هذا التاريخ يسمى (الأنوار الجلية، في أخبار الدولية المرابطية) ذكره الشطيبي في (الجمان، في مختصر أخبار الزمان) ، وسيأتي ذكر أبي بكر الصيرفي ، وذكر في النفح كثيراً من القصائد التي مدح بها المترجم نقلا عن (القلائد) و (المطمح) ، ومن كتابه أبو عامر بن عقال ترجمه في (المطمح) ، وراجع ص 215 من ج 4 من (نفح الطيب) ، وراجع 3 من (قلائد العقيان) .

2) إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أغلب الخولاني الأديب من أهل اسطبة عمل قرطبة يعرف بالزوالي ، سمع باشونة من أبي مروان ابن قزمان وأكثر عنه ، وباشبيلية من أبي اسحاق ابن فرقد، وأبي عبد الله بن عبد الرزاق الكلبي ، وله رواية عن أبي الحسن ابن هذيل ، وابن النعمة ، وابن سعادة ، وأبي الحسن الزهري ، وابن دحمان ، وأبي محمد بن فائز ، وأبي سليمان السعدي ، وابن خير ، وبقراءته سمع على ابن عبد الرزاق (الكامل) لأبي أحمد بن عدي وغيرهم ، وعني بالآداب وشهر بها ، وتجول كثيراً ، وولي القضاء بألش من أعمال مرسية ، وحدث وأخذ عنه ، وقال الملاحي كتبت عنه كثيراً من شعره ولم أستجزه ، وتوفي بمراكش في آخر سنة ست عشرة وستمئة ، ومولده في رمضان سنة أربعين وخمسمئة . انتهى من التكملة (1) .

3) ابراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني هو الذي قدم القاضي عياض رضي الله عنه لقضاء سبتة ثانياً آخر عام تسعة وثلاثين وخمسمئة ، كنيته أبو إسحاق لم يعقب ، وزراؤه جماعة من أشياخ المرابطين ، كان أبوه قد ولاه عهده وهو مقيم بوهران في محاربة الموحدين ، ووجهه إلى مراكش وأصحبه جماعة من لمتونة قبل وفاته، فبويع له بحضرة مراكش لما مات أبوه بوهران ، وخالف عليه عمه إسحاق بن علي ، ونقض

1) **أنظر التكملة** 1 : 166 نمرة 435 .

بيعتَه ودعا لنفسه ، ووقع الخلاف والتدابر بينهما إلى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم ، ذكره في (الحلل الموشية) وابن خلدون في تاريخه (1)

4) **إبراهيم ابـن أمير المومنين يوسف بـن عبد المومن بـن علي الموحدى** ، أبو اسحاق ، كان والياً على إشبيلية ، وانصرف مـن زيارة أبيه من حضرة مراكش إلى إشبيلية يوم السبت الثامن عشر مـن ذى الحجة عام سبعة وسبعين وخمسمئة ، وفى هذه السنة نازل ألفونسو الثامن قرطبة وشـن الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثـم نزل استجة وتغلب على حصـن شنتفيلة (2)، وأسكن بها النصارى ، وانصرف، فاستفزّ السيد ابراهيم سائرَ الناس للغزو ونازل الحصن نحواً من أربعين يوماً ، ثم بلغه خروجُ ألفونسو من طليطلة بمدده فانكفأ راجعاً ، ثم أمره والده بالرحيل مـن محلته مع جيوش الأندلس والنهوض نهاراً لغزو إشبونة، فأساء الفهم ورحل ليلا، وذهب معه جل جيوش والده وأصبح والده وحده مع يسير مـن خاصته وهم بظاهر شنترين من بلاد غرب الأندلس ، فخرج أهلها وطعنوه بطعنة نافذة كانت القاضيـة عليه بعد (3) .

5) **إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمان بن عثمان بن سعيد بن خالد بن عمارة الأنصارى** ، قرأتُ نسبَه بخطه ، مـن أهل غرناطة ، سمـع ببلده مـن أبى بكر غالب بن عطية ، وأبى الحسن بن الباذش ، وأبى القاسـم الخزرجى ، وأبى الوليد بن بقون ، وأبى الحسن بن القصير ، وناظر على أخيه أبى مروان فى (المدونة) ورحل إلى قرطبة ، فسمع من ابن عتاب ، وابن طريف ، وابن رشد ، وأبى بحر الأسدى ، وابن مغيث، وأبى عبد الله القرشى،

1024

1) انظر ص 64 مـن كتاب **اخبار المهدى بـن تومرت وبداية دولة الموحدين** تاليف ابى بكر الصنهاجى المعروف بالبيذق . طبع دار المنصور ، **والحلل الموشية** ص 110 .

2) فى الأصل شنقلية ، والصواب ماصوبناه ، وهو حصن من أمنع حصون المنطقة الواقعة بين اشبيلية وقرطبة، وكان استيلاء النصارى عليه يوم 17 صفر عام 578 هـ (22 يونيو 1182م).

3) انظر عن وفاة الخليفة يوسف بن عبد المومن الموحد كتاب **الأنيس المطرب بروض القرطاس** لعلى ابن أبى زرع ص 214 طبع دار المنصور

وابن عفيف ، وأبى المطرف بن الوراق ، وقـرأ عليه القرآن بالسبع ، وعلى منصور بن الخير بمالقة ، وعلى ابـن شفيع بالمرية ، وأخذ عـن أبى الحسن ابن موهب ، وسمع عليه (الموطأ) بقراءة أبى عبد الله النميرى فى يـوم واحد ، وعن أبى عبد الله بن معمر ، وعباد ابن سرحان ، وأبى محمد بن أيوب الشاطبى سمع منه الحديث المسلسل فـى الأخذ باليد مرة بعد أخرى ، وتكرر على أبى محمد اللخمى سبط أبى عمر بـن عبد البر ، وسمع منه بأغمات أيـام قضائه سنة ست وعشرين وخمسمئة ، وابتدأ بالأخذ عن هؤلاء من سنة أربع عشرة إلى سنة تسع عشرة ، وأجاز له أبو محمد بن السيد ، وشريح بن محمد ، وأبوبكر الطرطوشى ، والمازرى ، وغيـرهم ، وكان من أهل المعرفة الكاملة والتفنن فـى العلوم والنفوذ فـى الأحكام يتحقق بالقراءات ويشارك فى علم الحديث ومسائل الفقه والشروط ، وله فيها مختصر مفيد ، وكان مـع ذلك فكه النفس حلو النادرة حميد العشرة ، نشـأ بغرناطة على طلب العلم وتقييد الآثار ، وولي القضاء بعدة كور مـن أعمالها ، وأزعجته الفتنـة الحادثـة بالأندلس عند انقراض دولة الملثمين عـن وطنه فطال اضطرابـه وتجوله ، ثم استقر أخيراً بميورقة فـى جوار أميرها إسحاق بـن محمد بن غانية ، فقلده قضاءها ، وتصدر قبل ذلك وبعده للاقراء والاسماع ، فأخـذ الناس عنـه وانتفعوا به ، ولم يدخل ميورقة مثله فـى دولة بنى غانية بهـا وبعدهم الى تغلب الروم عليها فى يوم الاثنين الرابع عشر من صفر سنـة سبـع وعشرين وستمئة ، حدثنا عنـه أبو الخطاب بـن واجب كتب إليه ، وتوفي يوم الثلاثاء السابع لجمادى الأولى سنـة تسع وسبعين وخمسمئة ، ومولده بغرناطة يوم الخميس العاشر لشهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وأربعمئة ، فكان عمـره أربعا وثمانين سنة وثلاثة أشهر إلا يومين ، نقلته من خط بعض الرواة عنه ، ذكره فى (التكملة) (1) .

6) **إبراهيم بـن سعد السعود بـن احمد بـن عفير الأموى** من أهل لبلة ، يكنى أبا العباس ، له راوية عـن أبيه ، وكتب لبعض الولاة ، وتوفـي

---

1) انظر الترجمة نمرة 400 ص 155 من الجزء الأول .

غبطة بمراكش فى نحو التسعين وخمسمئة ، قاله أخوه أبو أمية ، وروى عنه بعض منظومه ، ذكره فى (التكملة) (1) .

7) **إبراهيم بن القاسم التينملي** ، صحب أبا لقمان ، وأبا ابراهيم السفاج الآتية ترجمتها ، ومات بمراكش عام اثنين وتسعين وخمسمئة ، ودفن خارج باب الدباغين ، وكان زاهداً فى الدنيا وأهلها مقبلا على الله تعالى بهمته ، وخرج من الدنيا ولم يتلبَّسْ منها بشيء ، ترجمه فى التشوف (2) .

8) **إبراهيم بن عبد الصمد الصنهاجي** من أهل فضالة ، إنما كان يتعبد بفضالة ، وهو من أفوجك قرية من نظر أزمور من عدوة وادى أزمور، قدم حضرة مراكش بعد أن أمر باشخاصه إليها ، ثم عاد الى موضعه ومات به عام 596 ستة وتسعين وخمسمئة ، كان عبداً صالحاً وكان سبب توبته أنه كان فى حداثته محباً فى اللهو يغنى فى الأعراس ويضرب الدفَّ ، فخرج يوماً مع جماعة من الشبان يغنى لهم ويضرب دفَّه الى أن أبصروا أبا شعيب أيوب السارية وهو مقبل الى جهتهم ففروا حياء منه ، وبقي وحده ، فوصل إليه أبو شعيب فدعا له فنفعه الله بدعوته ، ثم انقطع عن الناس واعتزلهم حتى لحق بالله تعالى :

بأي فؤاد أحمل العهد والهوى ؟ ... وأنت قريب إنْ ذا لعجيب
ملكت فؤادى عند أول نظرة ... كما صاد عذريا أغنُّ ربيب
ولو أن سقمى كنت لى فيه عائدا ... شفيتُ وبعض العائدين طبيب
وأنهلتنى من خلقك العذب شربة ... حلتْ لى وما كل الدواء يطيب
على أن ذكراً لاتزال سهامه ... ترى مقتلا من مهجتى فتصيب
أعير المنادى باسمه السمع كله ... على علمه أنى بذاك مريب
ويا أسفى كم لى على الخيف شهقة ... إلى خبر الأحلام وهو كذوب
فلا فى النوى ياراحةَ القلب منية ... ولا فى التدانى إننى لكئيب

ترجمه فى (التشوف) (3) .

---

1) أنظر **التكملة** 1 : 161 نمرة 416 .

2) أنظر **التشوف** الترجمة نمرة 170 ص 338

3) أنظر **التشوف** الترجمة نمرة 155 ص 307

9) **إبراهيم بن محمد بن فارس بن شاكلة بن عمر بن عبد الله السلمى الذكواني** من أهـل كانم مما يلي صعيد مصر ، قدم المغرب قبـل الستمئة بيسير ، وسكن مراكش ، ودخل الأندلس فيما بلغ ابن الآبار ، وكان عالمـاً بالآداب ، شاعراً مفلقاً مع التيقظ والفهم وصدق القالة ، قال ابـن الآبار : سمعت شيوخنا يصفونه بذلك ويجملون الثناء عليه ، وكان لونه مسوداً ، ولـه فى ذلك أشعار نـادرة ، وأقرأ مقامات الحريرى تفقهاً ولا أدرى عمـن رواها ، وتوفي سنة ثمان أو تسع وستمئة هـ .

وقال ياقوت بعد ذكر كانم وفى زماننا هذا شاعر بمراكش المغرب يقال له الكانمى مشهود له بالاجادة ، ولم أسمع شيئاً من شعره ولا عرفت اسمه ، وسياتى ذكر إبراهيم بن يعقوب الكانمى (1) .

10) **إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى** من أهل مالقة، وسكن مرسية ، يعرف بابن المرأة ، قال فى (الجذوة) تجول وقتاً ودخل مدينة فاس ، روى عن أبى الحسن بن حنين ، وعلي بن اسماعيل ابن حرزهم ، حدث بالموطأ عنهما ، وكان فقيهاً حافظاً للرأي مشاوراً يشارك فـى الأدب وغلب عليه علم الكلام فرأس فيه واشتهر به ، وشرح (الارشاد) لأبى المعالى ، وكتب فى مسائل الاجماع ، ودرس فى غير ما بلد ، وكانت العامة حزبه ، ولم يزل بمرسية يناظر عليه إلى أن توفي بها فـى صدر سنة إحدى عشـرة وستمئة ، وخبر دخوله مدينة فاس تلقيته من شيخنا أبى العباس المنجـور ، ولـم أقف عليه لغيره رحمة الله عليـه ، والله أعلم ، وترجمه فى الاحاطـة والديبـاج أيضاً ، ومـن أصحابه سعيد بـن عبد الله المعروف بالجمـل المترجم فى 132 مـن (عنوان الدراية) وأخذ عنه أيضاً أبو عبد الله بن أحلى ، وأبو محمد عبد الرحمان بن وصلة ، وشـرح الأسماء الحسنى ، وشـرح (محاسن المجالس) لأحمد بـن العريف ، وألّف غير ذلك ، وتآليفه نافعة فى أبوابها حسنة الرصف والمباني (2) .

---

1) أنظر **معجم البلدان** 4 : 432 طبع القاهرة 1957 .

2) أنظر عنه **التكملة لكتاب الصلة** 1 : 164 نمرة 429 و **الاحاطة** 1 : 333 و **جذوة الاقتباس** ص 87 .

11) إبراهيم بن محمد بن خلف بن الحاج السلمي المرداسي البلفيقي دفين مراكش ، وسياتي (1) تمام نسبه في ترجمة حفيده محمد بن محمد ابن إبراهيم المترجم ولد رضي الله عنه ببلفيق سنة سبع وخمسين وخمسمئة مما حكاه غير واحد ، وقال عبد الله بن علي ابن فرحون سنة 554 ونشأ في كفالة والدته اذ قد كان والده توفي ، فدرس القرآنَ وجوده على خطيبها المعروف بابن مهارش وبابن القصير ، وقرأ عليه جملة من التفريع ، وكان هذا الخطيب يلقب ببغل القرآن ، وكان رجلا صالحاً مجوداً للقرآن ، فلما ترعرع وبلغ مبلغ الرجال انتقل الى المرية وأقام بها أزيد من عشر سنين ، فقرأ القرآن على خطيبها ومقريها الأستاذ أبي محمد السبطي ، وعلى الأستاذ المقرىء الخطيب علي بن محمد بن مجبر الزهري ، وأخذ عنه القرآت السبع إفرادا وجمعاً ، وعلى الأستاذ محمد بن علي بن محمد الهمداني البراق ، وروى الحديث عن علي بن أحمد ، وعن المحدث أحمد بن يحيى الضبي ، والقاضي عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم ابن الفرس ، ومحمد بن أبي زمنين ، وأبي عمر بن عات ، في جماعة آخرين ، وعلوم العربية عن أبي العباس بن اليتيم ، وصحب بالمرية الشيخ العالم الرباني الزاهد صاحب الكرامات محمد ابن يوسف الغزال وقرأ عليه وأخذ عنه وسلك على يديه وبارشاده فانتفع بذلك ، وكان الشيخ الغزال يحبه ويقدمه ويثني عليه ، وكان يتردد الى بلفيق لزيارة والدته في الأعياد الخاصة ، ولما توفي الشيخ أبو عبد الله الغزال عاد الى بلفيق وكانت والدته قد توفيت فتزوج ابنةَ خاله وأقام هناك سنتين ثم انتقل الى ضيعته بظاهر ضبونشن ، فأقام بها يسيراً ثم انتقل الى المرية باستدعاء واليها يومئذ السيد محمد بن السيد أبي زكرياء بن الخليفة أمير المومنين بن أمير المومنين ، فحل بها وأوطنها تحت بره واكرامه ، واستمر مقامه بها إلى أن انتقل الى مراكش ، كان رحمه الله أحدَ الأفراد العبّاد الأولياء الأتقياء الذين علا قدرهم وفاق ، وطبق ذكرهم الآفاق ، وممن طار صيته كل مطار ، وأخذت جلالته بالأسماع والأبصار ، وكان للمرية الشفوف به

---

1) في الأصل (وتقدم) اعتباراً لما في الطبعة الأولى من تقديم الأحمدين والمحمدين على غيرهم ، وترجمة ولده محمد بن ابراهيم واردة في الجزء الثالث ص 325 (طبعة فاس) .

على سائر الأقطار ، شمس الولاية وبدرها ، وواحد الأندلس وصدرها ، وكان رحمه الله مشهوراً بالولاية ، مرفوعاً له بالدين والصلاح أرفع راية ، جارياً فـي التبتل والانقطاع إلى الله تعالى الى أبعد غاية ، مع كمال العلم والمعرفة ، والتحلي مـن الفضائل بكل حلية حميدة الصفة ، ورسوخ القدم فـي علم الحقيقة ، والجري مـن سبيل سنة الصوفية على أقوم طريقة ، والمشاركة فـي فنون الآداب ، والأخذ مـن كل علم بلباب اللباب ، هكذا وصفه ابـن خاتمة ، وقال إنه كان عالماً عاملا فقيهاً أديباً شاعراً محسننا ، سهل العبارة ، لطيف الاشارة، صوفيا سنياً طاهرا سريا، عالي الهمة، كريم العشرة، صادق الفراسة، عظيم الجاه فـي القلوب ، سامي الرياسة ، شديد الالتزام لمذهب مالـك رضي الله عنه لا يسمح مـن مخالفته في شيء ، ما لازمه أحد إلا وحسن حاله فـي دينه ودنيـاه ، ولا دعا له الا ظهرت بركة دعائه فـي عقبه وعقباه ، وكان حصنُ بلفيق وما يليه هو موضع انتجاعه واستقلاله إذ كان مالكاً لكثير من أملاك ذلك الصقع وأحقاله ، فصار لذلك نجعة للفقراء والمساكين ، وكعبة الأوليـاء والصالحين ، يقوم على مَن قصده ببره وإرفاقه ، ويكفيه المؤونة حتى ينسيه ذكر آفاقـه ، فكان انيه حجُ كل حاج ، وزيارة ذوى الآمال والحاج ، ومـع ذلك فكان يقرى حاملهم القرآن العظيم ، ويعلمه مـن أمور دينه ما هو جدير بالتعليم ، ويصرف بطالهم فيما يناسب حالهم مـن الأشغال ، ويحضُّهم على اتخاذ الحرف وملازمة الأعمال ، ويحمل مَن صحبه من أمر دينه ودنياه عـلى أحسن الأحوال ، وكان هنالك ذا أرض أريضة ، وثروة عريضة ، فبسبب ما كان يفيض عنه مـن العطاء ، ويعمُ رفد مَن قصده مـن كافة الأنحاء ، صار متهماً عند السفارة الضعفاء بصناعة الكمياء ، كما رمي بذلك كثير من الأولياء، قال ابن خاتمة حكى لى شيخُنا حفيده القاضى أبو البركـات محمد بن محمد ابن ابراهيم بن محمد بن الشيخ الولي ابراهيم هذا رضي الله عنهم : قد نزل بالشيخ إبراهيم ابـن الحاج رضي الله عنه بعضُ الفقراء السفارة ، وكـان كلما قصده أحد أنزله وقام عليه رفده وضيافته ثلاثاً ثم يسأله عـن حالته ، فان كان ممن حاجته فى المقام أقام والا قضى حاجته وانصرف ، وسأل الفقيرَ عـن قصده على العادة فقال له إنى بلغنى أنك تعرف الكيمياء وأريد أن أصحبك

وأخدمك على أن تطلعني عليها وتعلمني إياها ، فقال نعم ، فلما كان من الغد استصحبه حتى وقف به على أرض غامرة وشعراء ملتفة قد شرع بناسه وعبيده في فتحها وتصييرها أحقالا للزراعة وأملاكا للاستغلال ، فقال له الشيخ إبراهيم هذه كيمياء ابراهيم ، فان شئت تعلمها فتناول فأساً من تلك الفئوس وخذ مكانك من الخدمة ، ثم قال في أزهار الرياض : وكان الشيخ ابراهيم يواصل الصوم أربعين يوماً ، حكى ذلك من حاله غير واحد من أصحابه ، وأنه بنى ثمانية عشرة جُباً في مواضع متفرقة ونحو عشرين مسجدا وبنى أكثر سور حصن بلفيق ، كل ذلك من ماله ، وله رضي الله عنه كرامات جمة مشهورة ، وكلمات ذكر وحكم مأثورة ، ويروى أنه كان له ثلاث دول (1) في اليوم يتحلق فيها في مسجده .

ومن كلامه رضي الله عنه في بعض رسائله : الصوفي عبارة عن رجل عدل تقي صالح زاهد غير متسبب بسبب من الأسباب ، ولا مخل بأدب من الآداب ، قد عرف شأنه وزمانه ، وملكت مكارمُ الأخلاق عنانه ، لا ينتصر لنفسه ، ولا يتفكر في غده وأمسه ، العلم خليله ، والقرآن دليله ، والحق حفيظه ووكيله ، نظره الى الخلق بالرحمة ، ونظره الى نفسه بالحذر والتهمة (2) .

ومن كلامه رضي الله عنه : التصوف عدمك عندك فيه ، ووجودك عندك به ، وقال أيضاً التصوف بدايةُ إيثارِ الحق على ماعداه ، وقال في بعض رسائله : إعلم ياأخي أن الفهم عن الله هو العلم الأكبر ، والنور الأزهر ، والسنا الأنور ، ولاسبيل الى اقتباس أنواره والتماس أسراره بالاستبداد ، ولا وجه لوجوده بالانفراد ، فانّ سره مصون ، ولا يعقله بفضل الله الا العالمون ، فمن عثر على الدليل ، هُدي إلى السبيل ، ومن اغترّ بنفسه ، وتبنى أبناء جنسه ، حُجب عن الحقيقة ، وسلب من الطريقة ، وطفق يخبط عشوا ، ويؤالف الهوى ، عافانا الله واياك من سبيل بغير دليل ، وتوجه بغير وصول ومعاد ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . إبراهيم الضعيف .

---

1) اى دروس متداولة .

2) انظر نفح الطيب 5 : 477 تحقيق الدكتور احسان عباس .

وقال رضي الله عنه : مَن لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يفتح له في هذه الطريقة شمة ، وقال رضي الله عنه لا ترض لنفسك فائدة ، فان حبّك الشيء يُعمى ويُصم ، وقال لو تصور صوفي . . . . (بياض) . . . . وقال : دواء مَرض القلوب تلاوة القرآن بالتدبر والمحبة للصالحين واللجأ إلى الله تعالى بالأسحار ، وقال من جاهد نفسه برأي عالم مقبول في الاسلام ، صالح للقدوة والائتمام ، ظهرت عليه الأحوال الصديقية ، والمواهب الربانية ، والالهامات الملكية ، وهؤلاء في الاسلام خلفاء الرسل ، وأمناء السبل ، قال الله تعالى : قل إن كنتم تُحبون اللهَ فاتبعوني يُحْبِبْكُم الله ، وقال رحمه الله المجاهدات للطهارة من الذنوب ، والمعاملات للتنظيف من العيوب ، والمراقبة لملاحظة الغيوب ، والمكاشفات تخرق الحجب ، (قال ابن خاتمة في هذه اللفظة اشباع) ، والمحاضرات لمعاهدة المحبوب ، وقال رضي الله عنه الناس إذا كان الفاضل حياً لم يقصدوه ، وإذا مات وصار جيفة مثلهم قصدوا قبره ، وقال أيضاً مَن أحب معرضاً عن الله سقط من عين الله ، ومن أحب لله وأبغض لله فهو من صفوة الله ، وقال الذى صححته التجربة السودان لا يخدمهم الا من قبله لونهم .

ومن أذكاره رضي الله عنه هذا الاستغفار : أستغفر الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمان الرحيم ، وأسأله التوبة النصوح والعفو عني وعن والدى واخواني وعن الذين ظلموني وعن الذين ظلمتُهم وعن كل مذنب من المسلمين مَن كان منهم أو يكون ، وأسأله طهارةَ السرِّ من حب الدنيا ومن حب أهلها ومن حب المحمدة ومن خوف المذمة ومن السعي في حظ نفسي ومن الانتصار لها ومن الحسد والشك والشرك والاعجاب ، ومن كل حائل وحجاب ، ومن غيبة المسلمين والكذب والدعوى والانتساب ، ومن الركون الى سبب من الأسباب ، ياحيُّ ياقيوم برحمتك أستغيث فأغثني ولا تكلني إلى نفسي ولا لغيرك طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله وشأن إخواني ، وثبت قلبي على دينك حتى ألقاك وانت راض عني برحمتك ياأرحم الراحمين .

قال ابن خاتمة : وله رضي الله عنه دعاء هو المأثور عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم لما وجه جعفراً الى الحبشة شيَّعه وزوده بكلمات قـال قل اللهم الطف بى فى تيسير كل عسير ، فـان تيسير العسير عليك يسير ، وأسألك اليسر والمعافاة فى الدنيا والآخرة .

وهذا دعاء آخر له رضي الله عنه كان يستفتح به مجلسه فى المرية، قال ابن خاتمة نقله شيخنا القاضى أبو البركات من خط الولي أبى العباس ابـن مكنون وهو : اللهم اجعلنا فـى عياذ منك منيع وحصن حصين وولايـة جميلة حتى تبلغنا آجالنـا مستورين محفوظين مبشرين برضوانك يوم لقائك ، قـال وفـى وسط الدعاء وآخره وأكفنا عدونا إبليس وأعداءنا مـن الجن والانس بعافيتنا وسلامتنا (1) .

وقـال ابن خاتمة حكى هـذه الصلاة شيخنا أبـو البركات ابـن الحاج عـن الشيخ الصالح الحاج الصوفى أبـى الأصبغ ابن عزرة ، قـال أخذتها عن رائدك الشيخ الصالح الحاج محمد بـن علي بن الحاج مشافهة ، وقال لى إنها صلاة جدك سيدى ابراهيم بن الحاج ، وهي اللهم صلِّ عـلى محمـد وعلى آل محمد صلاة دائمة مستمرة تدوم بدوامك وتبقى ببقائـك وتخلد بخلودك ، ولا غاية لها دون مرضاتك ، ولا جزاء لقائلها ومُصليها غير جنتك والنظر الى وجهك الكريم .

ثـم قال فـى أزهار الريـاض وكان الشيـخ إبراهيم ذا مقامـات كبيـرة وكرامات شهيرة ، فمن كراماته مـا حكاه الأستاذ أبو جعفر بـن الزبير عـن الشيخ أبى العبـاس بن فرتون قـال حدثنى صاحبنا الفقيـه القاضى عبـد الله البخارى بمدينة سبتة ، قـال دخلت مع بعض أصحـابى عـلى الشيخ إبراهيم بموضـع سكناه بالمرية زائراً فسـأل عنى فأخبره المسؤول أنى أسوق فـى البوادى بالقضاء وأنى أتحرى فلا آخذ شيئاً الا مـن توثيقى ، قال فشمر الشيخ وقال مَن أمر القاضي أن يأخذ شيئاً ؟ هـل هو واسطة بين الله وبين الناس ؟ قـال فقلت له إن بـى حمى فأدع الله أن

---

1) انظر **نفح الطيب** 5 : 477 تحقيق الدكتور احسان عباس .

يصرفها عني ، فقـال لأي شيء تقول هذا وكل يوم يعود عليك أجر ، ثم همس بشفتيـه وحركهما داعياً ، ثـم قال لي لا عليك فما تراها أبداً ، قـال فلم تأخذني حُمَّى من ذلك الوقت الى الآن ، ومـن كراماته رضي الله عنه أنـه كان من جملة أصحابـه رجل ناسك فاضل قارئ يصلي بـه التراويح فـي شهر رمضان فـي إبان العصر ، وكان أبو اسحاق فـي جنة له بخارج المرية وكان يقدم فـي كل ليلة لذلك القارئ ولجماعة مـن أصحابه طبقاً بعنـب وثريدا بعد ذلك ، فلما كـان في بعض الأيام جاء ذلك القارئ ليتوضأ فـي صهريج تلك الجنة بعد العصر فرأى العنب في العريش الذى على الصهريج ، فحدثتـه نفسه بأن لو قرب المغرب ليأكل منه ، ثـم عاد على نفسه باللوم لتعلقهـا بالشهوات وهو صائم ، وعقد على نفسه فيما بينه وبيـن الله تعالى عقداً لا يأكل العنب بقية سنته تلك ، فلما جاء المغرب قدم له الشيخ بعـد المغرب الثريد ولم يقدم العنب ، فبقي القارئ متعجباً ، فقال له الشيخ ما شأنك ؟ فقال ياسيدى قـد كنت عودت الأصحابَ عادة ولـم نرها الليلة ، فقال له الشيخ أنت فعلت ذلك فلم يسعْنا الا موافقتك فيما عقدتَه مـع الله ، قـال وبقي الشيخ لـم يأكل العنب سنته تلك لموافقة التلميذ ، ومـن كراماته رضي الله عنـه ما حدث به الثقات من أصحابه أنـه كان بالمريـة مُتطبب ممن يصر إنكار الكرامات، فأتته امرأة بصبي يشتكى ألمَ الحمى، فقال لجليس لـه ممن يماثله على مذهبه قم بنـا إلى هذا الفقيه يعنى الشيـخ إبراهيم حتى نرى ما يصنع ، فدخلا عليه موضع إقرائه ومجتمع جلسائه فسأل الصبي عـن شكايته فأخبره بمـا يجده من الآلام وكان الشيخ كوشف بالحال فتغير وجهه وجعـل إحدى يديه على ظهر الصبي والأخرى على قلبه قـال الحاكى فرأيت الصبي قـد تقبض واجتمع ثم قذف من الحصيات التى قدر الحمص خمساً أو نحوها مخضوبة بالدم وسكـن ما كان به ورفع عن الموضع، ثم عطف الشيخ حنقاً على المتطبب وصاحبه وقـال إنكاركم أحوج الى هـذا فتوبا الى الله تعالى أو نحو هذا من الكلام ، فأخذ يتنصلان ويتعذران وخرجـا من عنده خزيين ، وحدث الأستاذ أبو جعفر ابـن الزبير قال سألت الشيخ المقـرئ أبا الوليد ابن اسماعيل بـن يحيى هل لقيت الشيخ ابراهيـم ؟

فحدثني قال قلت أحدث نفسي بلقائه ورؤيته فأحتاج أبي الى شراء أسباب لجهاز أختي وأخذ في توجيه ثقة ممن كان يلوذ به الى المرية لشراء تلك الأسباب ، فرغبت من والدي أن يأذن لي في السفر معه برسم الأسباب ، ولنأتي الشيخ إبراهيم فأذن لي ، فلما وصلنا الى المرية سألت عنه فدللت على مسجده ، فحضرت فيه صلاة المغرب قال فجاء الشيخ وأقيمت الصلاة فتقدم إمامه فصلى بنا والشيخ وراءه ، فلما سلم تنفل الشيخ بما تنفل وأنا أرتقبه وقد عرفته بقرائن الأحوال ، ثم أخذ في الخروج فقمت وراءه وتبعته الى أن أخذ في دخول داره فحين قدم رجله للدخول كلمته فصرف وجهه إلي ولم يكن رآني قبل ذلك ولا رأيتُه وأقبل علي وقال لي من أين الطالب؟ فقلت له من غرناطة، جئت برسم رؤيتك والتبرك بك، مالي حاجة سوى ذلك ، فتبسم وقال إنما جئت في شأن أختك وجهازها فتحيرت ثم دعاني وأنسني وانصرفت وقد رأيتُ العجبَ من أمره ، قال فهذا ما اتفق لي في لقاء مَن سألتَ عنه ، وقد رأيت رجلا لم أر مثله ، وحدث الوزير سليمان بن شعيب قال قصدت أنا وأبو اسحاق بن الجياد الى زيارة الشيخ صالح بن حمدون التشكري أحد الجلة من أرباب الكرامات وأحد الجلة من أصحاب إبراهيم بن الحاج الى تشكر ، فأقمنا عنده مدة ، قال أبو الربيع ثم قلت لصاحبي ينبغي لنا أن ننصرف ، فقال لي صاحبي حتى يكون ذلك عن إذن الشيخ ، فلما حضرنا عنده قال لي ياسليمان أدركك القلق من مقامك معنا لا تنصرف حتى نأذن لك ، فخجلت وقلت لا تعاتبني بجهلي قال فأخبرني الشيخ صالح قال سافرت وقرأت بسبتة على العزفي وغيره بغيرها ، ثم أتيت الى هذا الموضع بعد عاميْن بسبب والدي فقلت يوماً في نفسي لقد قرأت واجتهدت وما قصرت ولكني لم أفهم حقيقة الأخبار بالمغيبات ، فبينما أنا في هذا الخاطر واذا ثلاثة رجال فقلت لهم من أين اقبلتم ؟ فقالوا من منزل الشيخ ابراهيم ابن الحاج بطبرنش ، فأخبروني عنه وكانوا ثقات أنهم لما وفدوا على طبرنش قاصدين زيارته قال أحدهم وكان حاجاً لقد سمع ذكر رمان هذا الموضع بالاسكندرية فنسأل عنه الشيخ ، فقال الآخر حاشا لله أن نسأل عن الرمان إنما نسأله كيف كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم ، وقـال الآخر إنما نسأله أنا فى حكم مَن له زوجة لا تصلى ما يفعل معها هل يتخلى عنها أو لا ؟ فلما وصلنا إليه قدم لنا لحماً ورماناً وناول الحاج الرمان وقال كلوا من هذا الرمان ، فان ذكره مشهور بالأسكندرية ، فقال له الحاج نعم ياسيدى أنا سمعت ذكره هنالك بأذنى ، ثم أخذ بعد ساعة قطعة من لحـم بيده وقال للآخر هكذا أروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم وأراه الصورة بفيه ثم سكت ، ثم قال للآخر مَن له زوجة لا تصلي ينهاها عن ذلـك ، فان انتهت والا تواعدها بالطـلاق ، فان انتهت والا طلقها وله فـى النساء سعة ، قال صالح فلما سمعـت ذلك قلت والله لأخرجن مـن ساعتى الى هذا الشيخ وقلت فـى نفسى أنا أسأله عن الشيخ أبى أحمد وعن حال أصحابه هل هم على الحقّ أو لا ؟ فخرجت وحملت معى جراباً فيه مصحف وكتاب الموطأ وكتاب فى علم الرياضى ، فلمـا وصلت إليـه قال لى أخرجْ ما فى جرابـك ، فأخرجت المصحفَ ثم الموطأ ثـم الرياضي ، فقال لى ولم يفتحه أحرق ذلك الآن فأحرقته ، ثم قال لى الشيخ أبو أحمد سيد قومه ، وأما أصحابه فينبغى أن يحبـوا من أجله ، فـانطلقْ إليه ، قال فانطلقتُ من وقتى الى الشيخ أبى أحمد ولازمته رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا به وسهل علينا بجاههم كل ما نرومه .

وحدث القاضى أبو البركات حفيده قال دخلت على الشيخ الصالح العابد المجتهد الحاج محمد بن علي البكرى المعروف بابن الحاج بمنزلـه بألمرية عائداً ، قال أظنه فى مرضه الذى مات منه ، فقال لى حين سألته عن حاله ادع لى ، فقلت له ياسيدى بل أنت تدعو لى ، فقال لى : شرح الله صدرك ، ونور قلبك بنور معرفته ، فمَن عرف الله لم يذكر غيره ، فقد حكي سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك قال كنت مع سيدى إبراهيم بن الحاج بمراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيئاً ؟ فقلت نعم أرى كأنى فى ألمرية أمشى من الدار الى المسجد ، ومن كذا الى كذا ، فأعرض عنى وقال لا ترى إلا الله ، قال ثم مر به فى أثناء كلامه ابنه، فقال رأيت هذا ؟ والله ما أدرى أن لى ابنا حتى يمر بى ولا أذكره اذا غاب عنى ولا أرى الا الله (1) .

1) انظر نفح الطيب 5 : 475 تحقيق الدكتور احسان عباس .

قال فى (أزهار الرياض) بعد أن ذكر جملة من كراماته ما نصه : ومن أغرب ما شاهدته من كرامات الشيخ إبراهيم رضي الله عنه أني كنت أكتب كراماته في يوم عظيم المطر وأنا قريب من موضع نزول المطر لأمر اقتضى ذلك ، وماء المطر مجتمع أمام موضع جلوسي ، فطارت الورقة من يدي لسبب اقتضى ذلك ووقعت على موضع الماء ، فاغتممت لذلك خوف أن أعيد الورقة ولم أبادر أخذ الورقة لبعدها مني ، فجاءت صبية عادتها أن تناول ما بعد مني فرأيت الورقة على موضع الماء فتناولتها من طرفها فلم تمسكها بل زادها حركة على موضع الماء فازددت غماً ثم أخذتها مرة أخرى ، فبالله الذي لا إله إلا هو ما أصاب من موضع الكتابة من ذلك شيء نادر مثل رأس الابرة ، فسبحان من خصهم بمنحه الفاخرة ، نسأله سبحانه أن ينفعنا بهم دنيا وآخرة ، وكان هذا وأنا أكتب في مسودة هذا الكتاب يوم الأربعاء ثاني ربيع النبوي من عام سبعة وعشرين وألف .

ثم قال ابن خاتمة عقب كلامه السابق : واستمر مقام الشيخ ابراهيم ابن الحاج بألمرية الى أن قدم عليها والى جبايتها أحد الظلمة الغشمة ، وهو المشرف علي بن أبى بكر فأحدث على الناس أحداثاً منكرة ، فرفعوا أمرهم الى الشيخ إبراهيم شاكين إليه بحالهم معه وراغبين في صرف ما حل بهم من قبله ، وكان هذا المشرف المسرف لأول قدومه على ألمرية يزور الشيخ إبراهيم ويظهر التبرك به ، فلما بلغه تغير الشيخ عليه ونكيره ما أحدث من المناكر والمفاسد ورأى أن الحال يتغير عليه بسببه وأن لا طاقة له بمكابرته كتب الى ظهيره الذى يستند إليه نظر السلطان بمراكش الوزير عثمان بن عبد الله بن أبى إسحاق بن جامع يشتكي اليه بحاله وما يتوقع من قبل الشيخ إبراهيم في مآله وأنه لايتم له شيء معه من أعماله وزور له وأنه ذو أتباع وأعوان لا يومن من جانبه الثورة على السلطان ، واستظهر على ذلك بعقد كتبه بألمرية ، واستنهض للشهادة فيه من لا يتقى الله في عظيم هذه الفرية كأبى يحيى بن أسود ، ومحمد بن الرميمى من وجوهها ، وكعبد الله بن مكنون وصهره أحمد . . . . (بياض) . . . . من سوقتها ممن يبطن للشيخ بغضة وحسدا ، ولا يوقن أن الله سبحانه وتعالى سائله عن شهادته

عنـد الوقوف بين يديه غداً ، ولما بلغ عثمان ابن جامع ما وجه بـه خديمه المشرف عليُّ بن أبى بكر حملتْه الأنفة له والحمية لجانبه على أنه طالـع به السلطان أمير المومنين المستنصر بالله يوسف بـن محمد الناصر بـن يعقوب المنصور بـن يوسف بن عبد المومن بـن علي ، وألقي إليه فـى صورة الناصح أن تغريب الشيخ إبراهيم عـن ألمرية من أعظم المصالح ، فخرج أمرُ المستنصر بازعاجه عن ألمرية وتوجيهـِ الى مراكش ، ووصل كتاب مـن المستنصر الى أبى عمران وأبى العباس ابني أبى حفص يستفهمهما فيـه عن حقيقة ما شنع به عن الشيخ إبراهيم فتفاوضا فـى كيفية الجواب ، فكان مـن رأي أبى العباس التغافل عنه إلى أن يعاود الخطاب ، واتفق رأيهما على ذلك ، فلما كان من الغد توجه أبو عمران بن أبى حفص الى باب الخندق مـن أبواب ألمرية البحرية ليودع الشيخ إبراهيم فأخبر أنه قد طلع فـى البحر على إثر صلاة الصبح ، وذلـك من يوم الاثنين الثانى عشر لصفر سنة ست عشرة وستمئة فى أسطول ألمرية ، فقال أبو عمران سبحان الله أعان هذا الرجل على نفسه ، يشير إلى أنه لو أراد أن لا يتوجه لأقام إلى النهار ، فلم تكـن العامة تتركه ولا توافقه على السفر لمراكش والانفصال عنهـم اغتباطاً بجواره ، وتهالكاً على مقامه بين أظهرهم واستقراره ، وهكذا كان يقول علي ابن أبى بكر لو بقي ابن الحاج بألمرية لكنت أول مـن يقتل ، وقد كان غير واحد من أهل المرية وغيرهم يرومون صرف الشيخ إبراهيم عن التوجه الى مراكش فلـم يوافقهم على ذلك ولا رأى مخالفة الأمـر ، ولو أراد المقام لأقام كيف شاء ، وكان أبداً يقول سأموت غريباً ، ومن كلامه رضي الله عنه وقد أراد النهوض للقيام فـى هذه الوجهة فأثقلته الكبرة يقال عـن ابراهيم يقوم وهو لا يقدر أن يقـوم ! ويوثر أنه قال الـذى يقوم عليهم هـو القاعد فـى أسطوانى ، وكان قاعداً هناك ابن الرميم ينتظره ليوعه ، وهي من كرامـات الشيخ ابراهيم ، ولمـا وصل إلى مراكش وأدخل على المستنصر هابـه المستنصر هيبة شديدة ، وقذف الله تعالى فـى نفسه إجلاله وأشرب قلبـه تعظيمه وإكباره ، وندم علىّ أن وجه عنه ، وسـأل الدعاء منه وهو لا يجد فى فيه ريقاً، وأقام أياما بمراكش ثم مرض وتوفي ليلة الأربعاء غرة جمادى

الآخرة سنة ست عشرة وستمئة وهو ابن بضع وستين سنة ، وقيل ابن نحو ثلاث وستين سنة ، وكانت جنازته حافلة قدم العهد بمثلها ، حضرها الأمراء والكبراء رجالا ومشاة منتعلين وحفاة ، وكسرت العامة نعشه وتوزعوه كسراً تبركاً به ، وأشار بعض كبراء الدولة بدفنه مع سيدى أحمد ابن العريف شيخ شيخه وأبى المستنصر إلا أن يدفن بازاء القصبة وقال بحيث يتأتى لنا زيارته ويقرب منا ، فدفن بمقبرة الشيوخ وقبره إلى الآن معروف متبرك به . انتهى كلام ابن خاتمة .

قال فى (أزهار الرياض) عقبه : والمعروف عند أهل مراكش قاطبة فى زماننا هذا خلاف ذلك ، وأنه مدفون بوسط البلد لا يلحقهم فى ذلك شك ، غير أن عامتهم يُسمونه سيدى اسحاق على ما جرت به العادة من تغيير الأسماء ، وأما الخاصة من العلماء وغيرهم فيقولون سيدى أبو إسحاق البلفيقى ، وقد زرته ودعوت الله عنده بما أرجو من بركته قبوله ، وهو مزور لالتماس الخير ، وكان أبو الحسن بن بقي وبعض أصحابه يقولون كان الشيخ إبراهيم يقول أيام إقامته بألمرية تتمشى حالة هذا الأمير ومن يختص به وتتصل أيام دولتهم ما لم ينقلونا من موضعنا ، فاذا نقلونا من موضعنا حل البلاء بجميعهم ، فكان الأمر كذلك ، وسأل الشيخ إبراهيم عما رأى من المستنصر وحاشيته قال أما السلطان فمبارك ، ما رأيت منه إلا خيراً ، وإنما ذلك الوزير ويسكت يعنى ابن جامع ، وقال له ابن جامع يافقيه لعلك تستوحش فى هذه البلاد ، فقال له إنما يستوحش البهائم ، وقد أنصف الله تعالى فى دار الدنيا فى كل من سعى عليه ، فمات ابن جامع ، وعلي ابن أبى بكر عن أسوأ حال من الذلة والهوان ، وأما ابن يبقى صاحبه فصلبه المامون باشبيلية ، وكان الشيخ إبراهيم يقول كل من نال من عرضى ما نال فانى أحلله من ذلك وأغفر له ما عدا من رمانى بالقيام على السلطان فانى لا أغفر له حتى أخاصمه بين يدي الله تعالى فيما رمانى به من البدعة الشنعاء والمعصية الكبرى والداهية الدهياء ، ولو رمانى بالزنى ما كان أشد علي مما رمانى به ، ويذكر من فظاعة هذه الفرية عليه وشناعتها لديه ، وقد أخذ عنه جمع كثير من أهل العلم وغيرهم .

وحـدث حفيده القاضي أبـو البركات ابن الحاج عـن ابن خميس التلمساني قـال سمعت بعض الشيوخ يقول كان أبـو اسحاق البلفيقي الكبير يقول اجتمـع لنا فـي الله أربعون ألـف صاحب .

ثـم قال في (أزهار الرياض) بعد هذا : وكرامات هذا الولـي أكثر من أن تحصى ، ومـن شاء استيفاء أحواله وكراماته فعليه بكتاب حفيده أبـي البركات الذي وضعه فـي أخبار سلفه رضي الله عنهم ، وقد أورد طرفاً منهـا الشيخ الخطيب علي بن محمـد الغزال فـي الجزء الذي وضعه في كرامات شيخه أبي عبد الله الغزال جد علي المذكور ، وكرامات شيخه أبي الحسـن ابن العريف رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم .

ومن نظم الشيـخ ابراهيم رضي الله عنه قوله :

ألا كرم الله البلاد بنخبـــة ... هم حسنات الدهر لا نابهم خطـب
رعايتهم فرض على كل مسلـم ... وحبهم حق قد أوجبه الـــرب
إذا ما سألت الله شيئاً فسل بهـم ... فتعظيمهم قرب وغتبهم حـــرب

وقوله رضي الله عنه :

شكا فشكا قلبي خيالا مُفرحــاً ... على غير علم كان مني بشكـــواه
وما التقت الأسرارُ إلا لجامـــع ... من النعت سلطان الحقيقة ســواه
فيافرحة المجهود إن بات ســرُّه ... وسرُّ الذي يهواه مأواه مـــأواه
ومن أجله قد كان بالبعد راضيـاً ... فكيف ترى مغناه والقلب مثـــواه
بدا فبدت أعلام ضدين في الهـوى ... هما عجب لولا الدليل وفحـــواه
برؤيته فارقت موتي لبعـــده ... ومت بها من أجل علمي ببلـــواه
فها أنا حي ميت بلقائـــه ... ولم ينج مَن لم يسعد الفهم نجواه
اذا لم تكـن أنت الحبيب بعينـه ... رضا وعياناً ضلَّ مَن قال يهـواه
وأكذب ما يُلفَى الفتىْ وهو صادق ... اذا لم يُحقق بالأفاعيل دعـــواه

وقـوله :

الحب في الله نور يستضاء بـه ... والهجر في ذاته نور على نـــور
جنب أخا حدث في الدين ذا غـير ... إن المغير في نكس وتغييـــر

حاشا الديانة أن تُبنى على خبــل ... سبحان خالقنا من قول متبـــور
إن الحقائق لا تبدو لمتبـــــدع ... كذا المعارف لا تهدى لمغـــرور
تالله لو أبصرت عيناه أو ظفـــرت ... يمناه ما ظل فى ظن وتقديـــر
حقق ترى عجباً إن كنــت ذا أدب ... ولا يغرنَّك الجُهَّال بالـــزور
ان الطريقة فى التنزيل واضحـــة ... وما تواتر من وحْي ومشهـــور
فافهم هديت هدى الرحمان واهد به ... هدى يفيدك يوم النفخ فى الصور

وكان رحمه الله كثيراً ما يتمثل ببيتي مهيار الديلمى وهما :

ومن عجب أنى أحن إليهـــــم ... وأسأل شوقاً عنهم وهمُ معـــى
وتبكيهمُ عينى وهم فى سوادهــا ... ويشكو النوى قلبى وهمْ بين أضلعى

وللشيخ إبراهيم رضي الله عنه تأليف فى مثل النعال الكريمة خاصة نقل منه الكثير المَقْرى فـى (أزهار الرياض) ، و (فتح المتعال) ذكر فيه أن من أمسك بمثال النعل عنده متبركاً بـه كان له أمانا من بغي البغاة وغلبـة العُداة وحرزاً من كـل شيطان مارد ، وعين كل حاسد ، وان أمسكتـه المرأة الحامل بيمينها وقد اشتدَّ عليها الطلق تيسر عليها أمـرها بحول الله وقوته .

وفـى (رياض الورد) قلت ما ذكره صاحب (أزهار الرياض) مـن أن المترجم مدفون فـى وسط المدينة يريد به المزارة التى برحبة بيـع الزرع راداً بـه كلام ابن خاتمة من أنه دفـن بمقبرة الشيوخ إزاء القصبـة سيأتى ما يرده ، وأن صاحب المزارة المذكورة هـو أبو اسحاق ابراهيـم الشريف المتوفى سنة 769 .

12) **إبراهيم بن بسطام** مـن الأولياء ، قدم مراكش فكان يحدث عنه بالعجائب ، وقد جرى طرف مـن أخباره فى ترجمة أبى اسماعيل الأمـان الأسود من أهل مراكش فراجعْها هناك، كان حيا سنة ست عشرة وستمئة (1)

---

1) انظر **التشوف** ص 469 نمرة 274 .

13) ابراهيم بن أحمد ابن الولي الصالح أبى محمد صالح : حـدث عنـه ولده فى (المنهاج الواضح) بما سمعه عنه قال لمـا جرى علي من قدر الله تعالى ما جرى ببلد مراكش من الثقاف مكثتُ فى السجن أربعين يوماً ، ويوم تمام الأربعين زارنى فقير صالح مـن فقراء مراكش ، فقال لى أبشر فانك تطلق فـى هذا اليوم ، فقلت هل رأيت فى ذلك شيئاً ؟ قال لا غيـر أنى كنت البارحة نائماً اذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً فـى محراب الجامع جامـع القصبة وعن يمينه أبو بكر وعن شماله عمر بـن الخطاب وبين يديه أبـو العباس وجدك أبو محمد يقول يارسول رأيت فعل محمد بـن علي بحفيدى ، يُكرر ذلك شاكياً عليه ، فرد رأسه صـلى الله عليه وسلم الى أبى بكر فقال قم ياأبا بكر فأطلقه ، فاستيقظت من نومى فجئت أبشرك بذلك ، قـال رحمه الله فتناولت ذلك على أنهم يقتلونى ذلك اليـوم وألحق أبى وجدى، فتاهبت للموت فمـا بلغ الانذار وكان يوم الجمعة حتى دخل علي فأطلقت ، هذه الحكاية دلالتها فـى الفضل ظاهرة ، وبراهينها فـى العناية والاعتناء شـاهـدة هـ .

وذكر فـى محل آخر أنه سمع من الشيخ الفاضل سليمان بـن عبد المدك بـن موسى بن أبىحبوش أنه سمع المترجم يقول نحن مـن قريش من بنى أمية بن عبد شمس من ذرية عبـد الله أو قال عبيد الله بن عمر بـن عبد العزيز الشك من صاحب المنهاج فـى النقل عنه ، وسمع منه الانتساب إلى قريش أيضاً الشيخ الفاضل الحاج المسن سليمان بـن أبى بكر ابن أبو عمـار المسيلى ، والفقيه محمد بـن يحيى بن داوود الكَلاوى ، والتواتـر المستفيض فـى بلاد المغرب أنه مـن عشيرة بنى حي فخذ من أفخاذ بنـى نصر مـن قبيل بنى ماكَر وفرهم الله تعالى بالتمسك بطاعته ، ثـم بنو نصر أيضاً مـن عشائر قبائل الهساكرة وفرهم الله ، وزعمت الهساكرة أن بنـى نصر جميعهم هساكرة ، وبعضهم خرجوا عنهم وهم نزل بأرض بنى ماكَر ، كما زعمت قبائل بنى ماكَـر أيضاً أن بنى نصر جميعهم من عشائر بنى ماكَـر ، وأن بعضهم خرجوا عنهم وهم نزل بأرض هسكورة ، وقـد سمعتُ ذلـك من القبيلتين والله أعلم بالصواب مـن قول الفريقين ، ولقد سمعت والدى إبراهيم

ابن أحمد ذات يوم وهو يتحدث مع جلسائه فقال نحن من قريش من بنى مخزوم ويريد بذلك والله أعلم ما ذكر فى نسب بنى ماكْر ، لأن بنى حي الذين نسبنا اليهم من القبيل المذكور ، وهو حي بن صبيح بن داوود بن علي بن نصر بن ماكْر بن يرزق بن أبى عمر بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، فشيخنا رحمه الله على هذا قريشى فى كل وجه وعلى كل تقدير ، هذا قدر ما بلغه فى ذلك اجتهادى ، فالله تعالى يثيبنى على قصدى فى ذلك واجتهادى (1) .

ثم قال فى محل آخر ولما انقرض النمط الذين رأوه يعنى رأوا الشيخ أبا محمد صالح رضي الله عنه وتخلف من بعده خلوف" غلب عليهم حب الدنيا والرياسة مع ما طبعوا عليه من الجهالة وعدم السياسة ظهرت الفترة فى هذا الطريق الا ما يخرج من بعض المواسم بالحجاز من فقراء غير مربين ولا معتقدين ، ولقد سمعت والدى ابراهيم بن أحمد بن صالح يقول عام تسعين لا يبقى فى بلد المغرب من شيوخ التربية أحد وانما الصالحون كثير ، ولقد سمعت فى هذا المعنى كثيراً . ثم قال فى آخر الكتاب سمعت الوالد المرحوم ابراهيم بن أحمد بن أبى محمد صالح رحمه الله قال أنشدنى شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيرى رحمه الله لنفسه سنة اثنتين وسبعين وستمئة بلفظه فى جامع الظاهر بالحسنية حكرا من أحكار القاهرة المحروسة :

الى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول

ثم أوردها كلها ، وقد أنشدها الشيخ عبد المجيد فى شرح القصيدة الشرنومية ، وتعرف بذخر المعاد على وزن بانت سعاد .

14) **ابراهيم بن يعقوب الكانمى** : أبو اسحاق الأديب ، دخل على الأمير يعقوب المنصور الموحدى فأنشده كما فى نفح الطيب :

1) انظر **المنهاج الواضح** ص 133 — 134

أزال حجابه عني وعينــــــــــى   تراه من المهابة فــي حجـــــاب
وقربني تفضُّلُه ولكــــــــن   بعدت مهابة عند اقترابــــــــى

وكانِم بكسر النونْ جنس" من السودان، وهم بنو عم" تكرور، وكل واحد من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم ، وإنما كانِم اسم بلدة بنواحى غانا وهي دار ملك السودان الذين بجنوب الغرب فسُمي هذا الجنس باسـم هـذه البلدة ، وتكرور اسم الأرض التى هـم فيها وسمي جنسهم باسم أرضهم والجميع مـن بنى كوش بـن حام بن نوح عليه السلام والله أعلم ، قاله ابـن خلكان فـي ترجمة المنصور ، وذكره فـي الاستقصا من غير عزو .

وقـال فى صحيفة 280 من ج 5 من (صبح الأعشى) ما نصه : وذكر أبو عبد الله المراكشى فى كتابه التكملة عن أبى إسحاق إبراهيم الكانمى الأديب الشاعر أنـه يظهر ببلاد كانم فى الليل أمام الماشى بالقرب منـه قليل نار تضيء ، فاذا مشى بعُدت منه فلا يصل إليها ولو جرى بل لا تزال أمامه الخ . ونقل قبله عـن (مسالك الأبصار) أن بـلادهم بين أفريقية وبرقة ممتدة فى الجنوب الى سمت المغرب الأوسط الخ . وقال ياقوت عند ذكـر كانم وفى زماننا هذا شاعر بمراكش يقال له الكانمى مشهود له بالاجادة ، ولم أسمع شيئاً من شعره ولا عرفت اسمه .

15) ابراهيم بـن منصور الغسانى الدمشقى المعروف بالسنهورى
أبو اسحاق ، وسنهور مـن بلاد مصر ، روى عن أبى القاسم ابن عساكـر ، وأبـى اليمن الكندى ، وأبى المعالى الفراوى ، وأبى الطاهر الخشوعـى ، وغيرهم ، قـال أبو العباس النباتى قدم علينا يعنى إشبيلية سنة 603 ثـلاث وستمئة وسمى جماعة مـن شيوخه وحكى أنه كان يـروى موطأ أبى مصعب وصحيح مسلم بعلو ، وقال أبو سليمان بن حوط الله أجازنى وابنى محمدا جميع مارواه عن شيوخه الذين منهم أبو الفخر فناخسر بـن فيروز الشيرازى ، وذكر أن روايته بنزول لأنه لم يرحل الا بعد وفاة الشيوخ المشاهير بهـذا الشأن .

وقال أبو الحسن ابن القطان ، وسماه في شيوخه : قدم علينا تونس سنة اثنتين وستمئة واستجزته لابني حسن فأجازه وإياي قال وانصرف من تونس الى المغرب ثم الأندلس وقدم علينا بعد ذلك مراكش مفلتا من الأسر فظهر في حديثه عن نفسه تجازف واضطراب وكذب زهد فيه ، واثر ذلك انصرف الى المشرق راجعاً ، وقد كان أجاز ابني كتب بخطه جملة من أسانيده وسمى كتباً منها (الموطأ) والصحيحان وغير ذلك ، قال وقد تبرأت من عهده جميعه لما أثبت من حاله ، وحدثني أبو القاسم بن كرامة صاحبنا بتونس أن السنهورى هذا لما انصرف الى مصر امتحن بملكها الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لأجل معاداته أبا الخطاب بن الجميل ، فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة في إهانته .

انتهى من (التكملة) (1) .

وقال بعض المؤرخين في حقه ما نصه : الشيخ المحدث الرحالة إبراهيم السنهورى صاحب الرحلة الى البلاد دخل الأندلس كما ذكره ابن النجار وغيره ، وهو الذى ذكر لمشايخ الأندلس وعلمائها أن الشيخ أبا الخطاب بن دحية يدعى أنه قرأ على جماعة من شيوخ الأندلس القدماء فأنكروا ذلك وأبطلوه وقالوا لم يلق هؤلاء ولا أدركهم وانما اشتغل بالطلب أخيرا وليس نسبه بصحيح فيما يقوله ، ودحية لم يعقب ، فكتب السنهورى محضراً وأخذ خطوطهم فيه بذلك وقدم به ديار مصر ، فعلم أبو الخطاب بن دحية بذلك فاشتكى الى السلطان منه وقال هذا يأخذ عرضي ويوذيني فأمر السلطان بالقبض عليه فقبض وضرب وأشهر على حمار وأخرج من ديار مصر ، وأخذ ابن دحية المحضر وحرقه ، ذكره في (نفح الطيب) .

وقال في (لسان الميزان) صحيفة 54 من ج 1 ما نصه بعد ذكره عن الخشوعي ابن سكينة : دجال في المغرب اتهمه أبو الحسن ابن القطان بالمجازفة والكذب انتهى . أصله من سنهور قرية من بلاد مصر بالمحلة ،

---

1) انظر التكملة 1 : 176 نمرة 176 .

وكان يلقب بالناسك ولــه سفرات كثيرة ، دخل الى نيسابور وغيرهــا ، ثم دخل الى الأندلس وقدم الى اشبيلية ، قال ابن العديم ناظر ابن دحية مــرة فشكاه الى الكامل فأمر بــه فضرب وعزر على جمل ونفي ، وقال أبو القاسم ابن عساكر الصغير كان يشتغل فى كل علم والغالب عليه فساد الذهن ، وكان متسمحاً فيما ينقله ويرويه ، وكان قدومه دمشق سنة ثلاث وستمئــة ، فانتسب مازينياً ثم انتسب غسانياً ووردت معه اجازة مــن وقف عليها عرف ما ذكرته من التخليط ، ويقال ان الحامل لــه على تطواف البلاد طلب حشيشة الكيمياء ، ووصفــه مكرم بن علي الأنصارى بالحفظ ، قال ابن مسدى كانــت لــه وكالات بالاجازة من شيوخ وكلوه على الاذن لمن يريد الرواية عنهــم ، فكتب لى بالاجازة عنه وعن موكليه فــى سنة ثلاث وستمئة ، وذكــر قصة محنته مــع الكامل وأنه لما طيف بــه اجتازوا بــه على بيت ابن دحية فخرج وألقى توبه عليه وكلم فيــه الكامل فأمر باخراجه من البلاد ثــم مات غريباً فــى بلاد العجم ، قال وأنا ابرأ الى الله مــن عهدته ، قال وكانت وفاته فــى حدود العشرين وستمئة ، وكــان ينتحل مذهب ابن حزم كابن دحية فــى انتحاله مذهب الظاهر فى الجملة ، وذكر ابن الأبار عن ابن حوط الله أنه لم يرحل إلا بعد موت المشايخ ، لأن طلبه كان بعد الكبر ، وتبرأ ابن الأبار من عهدته فــى باب الرواية والله أعلم ، وقــال غيره كان ظاهريٌ المذهب عــلى طريقة أبى محمد بــن حزم ، وقال ابن فرتون حدث بالغيلانية عــن أبى سكينة وبمسلم عن المؤيدى ، وقال ابن الصابونى دخل بغداد ونيسابور وشيراز وأصبهان وغيرها من الشرق مراراً ، وقــال ابن عبد الملك فى ذيل التكملــة أخذ عن الخشوعى والكندى وغيرهما وعن جمع من أهل أصبهان وغيرها ، منهم أبو جعفر الصيدلانى ، وقــال روى عن طائفة من أهل الأندلس منهم أبــو سليمان ابن حوط الله بن الكمال ، قال وكان محدثا حافظا لمتون الأحاديث ضابطا لما يرويه ثقة فــى نقله متين الدين جميل المروءة ، وكــان قدومــه للمغرب فى زمن الناصر محمد بــن المنصور يعقوب وهو يومئذ يحاصــر المهدية فاجتمع بــه ووصله ثم رحل الى مراكش ثم الى الأندلس ثــم رجع إلى مراكش فأسرته الروم ثــم خلصه محمد الناصر وأحسن اليه ورجع الى

بلاده سنة خمس وستمئة ، قال واتهمه أبو الحسن بن القطان وغض منه فى منقص الأفاضل ، وقد نزهه الله عن كل ما رماه به ، وعدّله كلُّ مَن أخذ عنه ووثقوه وصححوا نقله ». قال ولما عاد الى مصر امتحن بسبب ابن دحية فضرب بالسياط وطيف به على جمل مبالغة فى الاهانة أعظم الله أجره .

انتهى من لسان الميزان .

16) **ابراهيم بن عيسى بن محمد بن أصبغ بن محمد بن محمد بن أصبغ الأزدي** ، من أهل قرطبة ، أخذ العربية عن أبي ذر الخشني ، وروى عنه وعن أبي القاسم بن بقي ، وأبي الحسن بن حفص وأخيه أبي عبد الله بن أصبغ وغيرهم ، وولي قضاء دانية ثم صرف لأول الفتنة المنبعثة فى أول سنة احدى وعشرين وستمئة وسيق إلى بلنسية ، فصحبته بها وبدار الامارة منها الى أن تسرح وتوجه الى مراكش ، وكان متحققاً بالعربية وله تأليف حسن فى مسائل الخلاف بين النحويين أخذ عنه ، وحدث بيسير وسمعته يذاكر فى الرأي وغيره وأنشدت عنه ما كتب لى من نظمه .

توفي بسجلماسة وهو يتولى قضاءها سنة سبع وعشرين وستمئة .

انتهى من التكملة (1) .

17) **إبراهيم بن محمد بن ابراهيم** ، من أهل بلنسية يعرف بالسهيلي ، أخذ عن أبي عبد الله بن نوح وغيره من شيوخ ابن الأبار ، وصحب والد ابن الأبار رحمه الله عند بعضهم ، وأقرأ العربية وشارك فى الفقه ، وولي قضاء قرمونة وأوريولة ، وكان امرأ صدق .

توفي بمراكش بعد الأربعين وستمئة .

ذكره ابن الأبار فى التكملة (1) .

---

1) انظر **التكملة** 1 : 168 نمرة 440 .

2) انظر **التكملة** 1 : 171 نمرة 449 .

18) **إبراهيم بن جابر بن عمر بن عبد الرحمان بن عمر المخزومي ،** من أهل مراكش ونشأ بمدينة فاس ، يعرف بالقفال ، أخذ عن علي ابن حرزهم وغيره ، ومال الى التصوف ، وغلب عليه الوعظ والتذكير فقطع في ذلك عمره ، وكان من أهل العلم والعمل مقلا صابراً على ذلك ، دخل الأندلس واستوطن إشبيلية وأقام بها سنين عدة ، ثم انتقل منها فى سنة تسع وعشرين وستمئة وقصد مراكش ، ولم يزل بها يعظ ويذكر إلى أن توفي سنة إحدى وأربعين وستمئة وهو ابن ثمانين سنة ، ذكره ابن الأبار ، وقال حدثنى بذلك ابنه وغيره ، ونقله فى الجذوة (1) .

19) **ابراهيم بن محمد الساحلي الغرناطي** ، الامام الفاضل الأديب ، قال العز ابن جماعة : قدم علينا من المغرب سنة أربع وعشرين وسبعمئة ، ثم رجع إلى المغرب فى هذه السنة ، وبلغنا أنه توفي بمراكش سنة نيف وأربعين وسبعمئة ، له معرفة بالنحو واللغة يتوقد ذكاء ويكتب الخط الحسن بالمغربي والمشرقي ، وكان فاضلا أديباً شاعراً متهماً بسوء العقيدة، وأنشد والدى قصيدة من نظمه امتدحه بها وأنا أسمع ومن خطه نقلت وهي :

قفا مورداً عيناً جرتْ بعدكم دما … أناضي أسفار طوين على ظما
غدون أهلات تناقل أنجما … ورحن حنيات تفوق أسهما
يُجشمها الحادى الأمرين حسرا … ويوطئها الحادى الأحَرين هُيَّما
على منسميها للشقائق منبت … وفى فمويْها للشقاشق مرتمى

إلى أن قال :

وتسْعاً لآمال جهام سحابها … تزجي ركاماً ما استهل ولا همى
تجاذبها نفس" تجيشُ نفيسة … ومن لم يجد الا صعيدا تيمما
فهل ذمم يرعاه ليل طويته … طواني سراً بين جنبيه منهما
أقبل منه للبروق مباسماً … وأرشف من بهماء ظلمائه لمى

1) أنظر **التكملة** 1 : 177 نمرة 462 و **جذوة الاقتباس** ص 87 .

الى أن تجلى من كنانة بدرهـــا فعرس ركبى فى حماه وخيمـــا
ثمال اليتامى حيث ليس مظلـــل وكهف الأيامى أيما عز مرتمـــى

ومنهـا :

فيا كفه هل أنت أم غيث ديمـــة أسالت عباباً فى ثرى الجود عيلما
وياسعيه يهنيك أجر ثنى بــــه على معطفي علياه بُرداً مُسهمـــا
قضى بمنى أوطار نفس كريمـــة وروى صداها حين حل بزمزمـــا
وناداه داعى الحق حيَّ على الهدى فأسرج طوعاً فى رضاه وألجمـــا
فلله ما أهدى وأرشد واهتـــدى ولله ما أعطى وأوفى وأنعمـــــا

ومنهـا :

أمتْ بآداب وعلم كليهمـــــــا أقاما الدعا فرضاً لديْك والزمـــا

وهي طويلة ، ترجمه فـــى (بغية الوعاة) و (نفح الطيب) .

وقـــال فى (الكتيبة الكامنة) الكاتب الرئيس إبراهيم بـــن محمد الساحلى الأنصارى ، جواب الآفاق ، ومحالف الرفاق ، ومنفـــق سعر الشعر كل الانفاق ، رفع للأدب راية لا تحجم ، وأصبح نسيج وحده فيما يسدى أو يلحم ، ولما أنس بكساد سوقه ، مـــن بعد بسوقه ، وتلألؤ منسوقـــه ، واستيواء بيانه على سوقه ، ارتحل ، وبأثمد ملـــك السودان اكتحل ، وفـــى البلاد الموحشة وصـــل ، حل بها محل الخمرفى القار ، مـــن بعد الاعتصار ، والنور من سواد الأبصار ، وتقيد بالاحسان ، وان كان غريب الوجه واليـــد واللسان ، فما أشبهه بالشمس شهرة وتجوالا ، وعروضاً وأطوالا ، وميـــلا واعتدالا ، وبرهاناً على مـــن آثر جدالا ، وحسابـــا مضروباً ، وأفولا فـــى العين الحمئة وغروباً ، ولو لم يكن فـــى هذا الكتاب الا رسمه ، لوضح فـــى المصنفات رسمه ، وتوفر فى المزية قسمه ، وأمـــا نظمه ونثره فالشمس ، تجل أن يدركها اللمس ، عين أدب هـــذا الفاضل فراره ، وحسب هذا المهند الفاضل غراره ، فمـــن قوله :

تألق نجدياً فحيا وسلمـــــا ... وناجى جفونى فاستهلت له دمـا
يرق ويخفى مثل جسمى كأنــه ... حذا حذوه فى السقم حتى تعلمـا
وطارح أحشائى فأصبح خافقـا ... وعاد بأشواقى فعاد مضرمـا
وأوضح ثغراً كلما قطب الدجـى ... تهلل فى بهمائه وتبسمـا
أيا برق ذات الأبريقين أحاجـز ... منازل تيم بعد تيم أو الحمـا
وما لزمان نام مستغرق الكـرا ... فما هب حتى سل ما كان سلمـا
طوانى الضنا طي السجل وشفنى ... فلم يُبق منى السقمُ إلا توهمـا
وودعت خلي والشبيبة راغمـاً ... فلم أدر مَن أجرى دموعيَ منهمـا
وجف ربيع العيش فى مربع الصبا ... غداةَ ذوى العودُ البهيمُ وأنعمـا
فسيان بيضاء فشت فى مفارقـى ... وأبيض أضحى فوقهن مصممـا
وقد كنت قبل اليوم أقتاد أبيضـا ... من العيش مهما كنت أجنب أدهما
أغار البيان تحت ليل شبيبتـى ... فأمًّا وقد صاح الصباح به فمـا
ولى كبد مهما رأى البرق وهنـة ... تنفس من أحشائه وتكلمـا
وان ذكرت ليلى تطاير خافقـاً ... وإن هينم الحادى بنجد تلومـا
وبالغريب أنجد الركب موضعـاً ... بأحيائه الأدنيْن منه وأتهمـا
رمى بهم عرض الفلاة وانمـا ... رمى مصميا أفلاذ قلبيَ إذ رمـا

ثـم قال : ومن المقطوعات والأوصاف :

ومفروشة بالآس والنرجس الغض ... وبالورد والنسرين بعضاً على بعض
كأنَّ احمرار الوجه خجلة غـادة ... يلاعبها المشتاق بالقبل والعـض
كأنَّ اصفرار النرجس الغض اذ بدا ... يميس بأغصان من العسجد الغض
كأن اخضرارَ الآس قضبُ زمرد ... تنمقه أيدى القيان علـى الأرض
كأن ضياء الكاس بدر بدا لنـا ... فطوراً إلى رفع وطوراً الى خفـض
كأن خدود الشاربين وقد بـدت ... بها الخمر خمرٌ قد توقد من رمض(1)

1) أنظر ترجمته فى الاحاطة 1 : 337 و الكتيبة الكامنة ص 235 ونثير فرائد الجمان ص 308 وفيه ذكر ابن الأحمر أن وفاته كانت بمالى من أرض جناوة سنة 744 .

1157

20) إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، سلطان المغرب كان هذا السلطان جواداً جمّ العطاء ، معروفا بالوفاء ، كثير الحياء كنيته أبو سالم ، لقبه المستعين بالله ، أمه أم ولد رومية اسمها قمر ، وصفته آدم اللون ، معتدل القامة ، رحب الوجه ، واسع الجبين ، بادن الجسم ، أعين ، أدعج ، معتدل اللحية أسودها ، وكان بعد مهلك والده السلطان أبى الحسن رحمه الله قد استقر بالأندلس بعثه إليها أبوعنان ، ولما مات أبو عنان المذكور وولي ابنه الصبي طمع أبو سالم هذا فى الملك، فاستأذن الحاجب رضوان مدبر دولة ابن الأحمر بالأندلس فى اللحاق ببلاده فأبى عليه ، فغاضه ذلك، ونزع عنه الى طاغية قشتالة وتطارح عليه فى أن يحمله الى بر العدوة يطلب ملك أبيه ، فأسعفه وأمر به فحمل فى مركب ، وألقى به ملاحه فى ساحل بلاد غمارة بعد أن تردد فى أي السواحل يلقيه. ووافق ذلك اختلاف الكلمة بفاس ومحاضرة منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق للمدينة البيضاء ، فتسامع الناس بخروجه ببلاد غمارة أحوج ما كانوا إليه ، فتسايلوا اليه من كل وجه ، وانفضّ الناس من حول منصور ، ومشى أهل معسكره بأجمعهم على التعبئة فلحقوا بالسلطان أبى سالم واستعدوه على دار ملكه ، فأغذ السير إليها وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الأمر لتسعة أشهر من خلافته وأسلمه الى عمه ، فخرج اليه وبايعه ، ودخل السلطان أبو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين وسبعمئة ، "واستولى على ملك المغرب ، وتوافت وفود النواحى بالبيعات ، وعقد للحسن بن عمر على مراكش وجهزه اليها بالعساكر تخففاً منه وريبة بمكانه من الدولة ، واستوزر مسعود بن عبد الرحمان بن ماساي، والحسن بن يوسف الورتاجنى ، واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه محمد بن أحمد بن مرزوق ، وجعل الى عبد الرحمان بن خلدون صاحب التاريخ توقيعه وكتابة سره ، قال وكنت نزعت اليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلال أحوالهم ومصير الأمر الى السلطان أبى سالم ، فأقبل علي وأنزلنى بمحل التنويه واستخلصنى لكتابته ، هـ .

قال ابن السكاك قام فــي زمنه سوق للحديث الكريم وبث العلــم فى العامة ، فكانت دولته أجمل الدول ، ولا يعلــم اجتماع الرخاء المفــرط والمعاش المضروب بــه المثل الا فى دولته ، وكان له سلامة صدر وسخاوة نفس ويد على ملوك عصره لأنه ملكهم .

توفي مقتولا يوم الخميس الحادى والعشرين مــن ذى القعدة سنـــة اثنتيــن وستين وسبعمئة ، قال فــى (الجذوة) ودفن بالقلة خــارج باب الجيسة بأعلا جبــل الزعفران .

وذكر العلامة اليوسى أنه لم يكن بملوك هذه الدولة باس ، وذكر ابن السكاك فى (النصح) أنه لم يكن منهم إلا من كان معظماً للشرفاء آل البيت مكرما لهم مقدماً لهم على غيرهم مهتما بمصالحهم ، وان كــان بعضهم قــد امتاز فى ذلك بمزيد قوة اختصاص ، وفــى (مطلع الأشراف) ما نصــه : والملوك المرينيون كانوا من أحســن الملوك سيرة وسياسة ونبــاهة ، وكان فيهم الفقهاء ، ويلازمون مجالسة العلمــاء ، استفحل ملكهم وطــالت دولتهم وعظمت صولتهم ، فكانوا مقرّ العلوم والأخبار المشرقية والمغربية لا يعزب عنهــم منها عن محافلهم لاسيما ما يعتنون بــه . هـ . ونحوه قوله فــى كتاب (سلسلة الذهب المنقود) : كانوا من أحسن الملوك سيرة وسياسة ونباهة ، وكــان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالسة العلماء ، ولذلك استفحل ملكهم وطالت دولتهم وعظمت صولتهم ، فكانوا مقر العلوم والأخبار ، ومحل اجتمــاع دائرة العلوم الذى عليه المدار ، ثــم قال : وعدد ملوكهم ثمانية وعشرون ملكــاً وأمــد دولتهم مئتا سنة وبضع وخمسون سنة . هـ . وكــان انقراض دولتهم على عبد الحق ابن أبى سعيد ابن أبى العباس أحمد المرينى ثامن وعشرين رمضان سنة تسع وستين وثمانمئة ، والبقاء لله وحده .

وترجمــه ابن خلدون ، وابــن الخطيب ، والحافظ ابن حجر فــى (الدرر الكامنة) وصاحب (روضة النسرين) ومؤلف (تاريخ الدولتين) ، وصاحب (الجذوة) وصاحب (الاستقصا) ، و (السلوة) ، وغيرهم (1) .

---

1) أنظر ترجمة السلطان أبى سالم المرينى فــى **الاحاطة** 1 : 311 و **جلوة الاقتباس** ص 83 و **سلوة الأنفاس** 3 : 168 .

21) **إبراهيم حفيد القاضي بمراكش محمد بن علي بن يحيى الحسني .**
قال في (شرف الطالب) بعد ذكر سنة 768 ثمان وستين وسبعمئة ما نصه: والسنة التي تليها توفي خطيب جامع المنصور بمراكش الشيخ المسن الصالح ابراهيم الشريف حفيد القاضي محمد بن يحيى الحسني صاحب كتاب الفرائض وغيره ، رأيت السلطان بمراكش يقصده بعد الفراغ من صلاة الجمعة ليقبل يديه وهو يلتفت يميناً كالمتحرز من النجاسة . هـ . ومن هنا أخذه صاحب (المعرب المبين) وقال في (لقط الفرائد) لدى سنة 769 تسع وستين وسبعمئة ما نصه : وأبو اسحاق ابراهيم الشريف خطيب جامع المنصور من مراكش المحروسة ، وقبره مزارة برحبة بيع الزرع منها . واقتصر في (درة الحجال) على أنه خطيب المنصور ، وأنه حفيد القاضي محمد بن يحيى الحسني صاحب الفرائض ، وذكر وفاته في السنة المتقدمة .

22) **ابراهيم بن عبد الله بن الحاج النميرى** الفقيه الامام الرحالة النخبة الصدر المحدث الراوية العلامة عالم وقته ومحدث زمانه وجاحظ عصره ، تقدم للكتابه حين وفد على الحضرة باستدعاء من مدينة قسنطينة ، وكان كاتبا للأمير أبى عبد الله أبن أمير المومنين أبى يحيى ، فلحق بعلية العلماء وأئمة الحضرة المرينية ومشيخة الكتاب ، وهو من فحول الشعراء ، له التقدم فى طريقة أشعار العرب والمحدثين ، وله التصانيف العديدة ، والأوضاع المفيدة ، له رحلة جامعة فى عدة أسفار ، وصنف فى علوم ، استمر على الكتابة الى أن رحل حاجاً وجاء مستعفياً ، ثم خلص للسلطان أبى عنان ، فتقدم لمشيخة الكتابة وكتابة السر حين تأخر كاتبهم الأرضى الفقيه أبو القاسم بن رضوان ، ثم فصل الى وطنه فتقلد القضاء فى اقليم بلده حتى الآن .

ذكره ابن مرزوق فى (المسند الصحيح الحسن) وقد نوه بالمترجم فى (الاحاطة) (1) .

---

1) انظر ترجمته مطولة فى **الاحاطة** 1 : 350 وفيها أن ولادته كانت عام 713 هـ وفى **جذوة الاقتباس** ص 87 وفى **نثير فرائد الجمان** ص 313 نمرة 11 و**المسند الصحيح الحسن** (خطى) ، وفى **الاعلام** للزركلى أنه توفى عام 768 هـ .

23) **ابراهيم بن أحمد بن محمد بن علي الزوارى** : الشيخ الجليل ، الولي الصالح الحفيل ، الواثق بالله ، الزاهد فيما سوى الله العامل على أمر الله ، بواسطة المبلغ عن الله ، العارف أبو سالم الزوارى ، قال في (السلوة) بزاى وواو مفتوحتين وراء مكسورة وألف وياء نسب ، كذا ضبطه في (المرآة) في موضعين ، وفي (تحفة أهل الصديقية) ، ويوجد في كثير من المصنفات ويجرى على ألسنة العامة بواو بعد ألف المد ، وهو تحريف ، التونسي ، قدم رحمه الله من تونس وسكن بالقصر سنين ، وكان الشيخ سيدى يوسف الفاسي يتردد إليه في خلالها ، ثم انه رحل لفاس إلى أن توفي بها ، وكان من أهل الولاية والعرفان ، وجلالة القدر وكبر الشأن، جماعاً للخير حريصاً على لقاء المشايخ والأخذ عنهم ، حكي عنه أنه قال خدمت خمسة وثلاثين شيخاً لكل واحد منهم فيٌ لمحة ، وأول شيوخه الولي الكبير شيخ وقته سيدى أحمد ابن عروس التونسي وعليه اعتماده وعلى يده كان فتحه ، وهو أخذ عن الشيخ الولي الكبير فتح الله العجمي بسنده ، ثم تلمذ صاحب الترجمة للشيخ الولي الكبير أبي السرى منصور الزوارى التونسي ومنه اكتسب اسم الزوارى لطول ملازمته اياه ، وأخذ أيضاً عن الشيخ أحمد ابن عقبة الحضرمي والشيخ محمد بن عبد الله الزيتوني وتلميذهما الشيخ زروق ، وعن الشيخ التباع لقيه بمراكش ، والشيخ محمد الملقب عرفة القيرواني والشيخ أحمد الدباس وتلميذه الشيخ علي بن ميمون والشيخ أحمد بن يوسف الرشدى الملياني ، وهو آخر من أخذ عنه ، وكان له رضي الله عنه كرامات ومآثر ، منها أنه كان يصلي العشاء مع الفقراء مدة استيطانه للقصر وتطول اقامته بعدها معهم فيما هم فيه من سبل الخير ، فاذا رجع الى داره فربما وجد امرأته قد نامت فيوقظها قرعه الباب ، فتقوم فتفتح له الباب ، وربما انتظرته فأضجرها ذلك فلم تقم وطال مقامه بالباب ، فقال إيهاً يابريغث ! فسقط برغوث في أذنها لم يمكنها معه إلا القيام ، فلما فتحت الباب سقط من إذنها ! حضر ذلك جماعة من الفقراء الذين كانوا يشيعونه الى داره ، وكان له أصحاب وأتباع ، ولما دنت وفاته

جمعهم وأمرهم بالتزام سيدى عبد الرحمان المجذوب والأخذ عنه وأوصاه عليهم ، وقال له الله الله فيهم ، فاني ما رأيت في المغرب لمن نوصي الا إليك .

ولد رحمه الله تقريباً سنة خمس وعشرين وثمانمئة ، توفي بفاس سنة احدى وستين وتسعمئة ، وهو ابن مئة سنة وست وثلاثين سنة ونحوها ، قال في (المرءاة) ودفن بقرب روضة الشيخ مَحمد بن الحسن خارج باب الجيسة .

وقال في (الممتع) هو دفين خارج باب الجيسة أحد أبواب فاس عن يسار الخارج منه ، عليه روضة بنيت على صورة بيت فوق الطريق على مقربة من روضة سيدى مَحمد بن الحسن .

وفي منظومة المدع :

والشيخ ذو الهمة والأسرار	والفضل ابراهيم الزوارى
ضريحه على الطريق في السقيف	أكرم به شيخاً له قدر منيف

وقد علا روضته في هذه الأزمان السقوط حتى أنه لم يبق الا أثر أساسها وقلّ من الناس من يعرفها ، وهي المقابلة لروضة سيدى أحمد قطبان ليس بينهما الا الطريق ، والبقاء لله وحده .

ترجمه في (المرءاة) ، و (الابتهاج) و (الممتع) و (المنح الصافية) و (تحفة أهل الصديقية) و (الروض) و (السلوة) وغيرها (1) ، وتقدمت ترجمة شيخه سيدى أحمد بن عروس .

24) **إبراهيم بن الحسن المصمودى** ، امام جامع علي بن يوسف بمراكش وخطيبها ، فقيه نحوى انتفع به خلق كثير في فنه هنالك ، أناف عمره على الخمسين سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة ، ترجمه في (درة الحجال) (2) .

---

1) انظر **سلوة الأنفاس** 3 : 124 و **ممتع الأسماع** ص 60 .

2) انظر **درة الحجال** 1 : 205 نمرة 285 .

25) **ابراهيم بـن محمد السفياني الـروقي** ، أبو سالم ، الفقيـه الأنصح الأعظم ، قائد قواد المنصور الذهبي ، مـن خواص مُجاليسه ، ذكره في (المنتقى المقصور) .

26) **ابراهيم بـن يعقوب السوسي الجـزولي السملالي** ، دفيـن اشقوندة بتادلة ، من أصحاب سيدي عمر المراكشي .

27) **إبراهيم بـن أحمد بن الولي الصالح سيدي عبد الله الأمغاري** ، أبو اسحاق ، الشيخ الفياض الرباني ، كـان هذا الرجل آية مـن آيات الله فـي الواردات الالهية ، والأحوال الصادقة مع حسن سمت ومتابعة للسنـة فـي أقواله وأفعاله ، أخذ عن جده المذكور وعليه معوله ، ويقـال إنه استمد من جده المذكور مـع الشيخ الشهير سيدي أحمد بـن موسى السملالي ، وكان أبـو العباس قدم تامصلوحت برسم ملاقاة سيدي عبد الله بـن حسين فـي بعض قدماته عـلى السلطان الغـالب بالله بمراكش ، فوجد صـاحب الترجمة وهـو صبي يدرج بين يدي جده ، فقال الجد لأبـي العباس ادعُ له فدعا له ، وكانت بقرب الشيخ دجاجة تقرقر ، فقـال ، أبو العباس ان هـذه الدجاجة تقول فـي قرقرتها كيك كيك وهـو حكاية صوت الدجاجة عنـد قرقرتها فهل عندكم موضع اسمه كيك ؟ فقال له نعم ، فقال أبـو العباس ان هـذه الدجاجة تقول ان هذا الصبي لا يظهر أمره ولا يعلـم سره الا بذلك الموضع ، فكان الأمر كـذلك ، فان صاحب الترجمة لما توسم فيه النـاس الخيـر ولاحت عليه مخايله اجتمعت عليه شرذمة مـن الفقراء وتلمذوا لـه ، وذلك بداخل مراكش ، فأنكر ذلـك سلطان الوقت زيدان بن أحمد ، وأمـر بالقبض على صاحب الترجمة ، فخرج من المدينة خائفاً يترقب ، فاستقـر بـه الرحل بموضع يقال له كيك مـن عمالة مراكش قبيلة سجتانة ، ولـم يـزل به الى أن توفي ، وهناك شاع ذكـره ، وفاح على المريدين سـره ، فقصـده الناس من الآفاق البعيدة ، وشدوا لـه الرحال من النواحي الشاسعة وازدحم على بابه ما لا يُحصَى حتى أنه اجتمع عنده في بعض الأيام ثلاثون ألفاً مـن الرجال وتسعة آلاف من النسـاء ، وكانت لـه بركة ظاهرة فـي الطعـام ، وتجد طعامه قليلا وهو مع ذلـك يكفي الآلاف العديدة ، وكـان يعطي عطاء مـن لا يخاف الفقر حتى أنه أعطى لبعض الناس ثلاثة آلاف أوقيـة

وأعطى آخــر اثنتي عشرة مئة أوقية ، وذلك دأبُه وسيرته على الـدوام ، وكانت تعتريه أحوال يغيب فيها عــن حسه ويتكلم بالمغيبات وتظهر ، كمـا أخبر ، كان يحكى شائعاً أنــه خرج يوماً عــلى الناس وهم جلوس فقال هــز القلوب هز يامربد العزة ، فتواجد جميع مــن حضر فبقوا حيارى أياماً ثــم خرج عليهم فقال هز القلوب تبرا يامربد القدرة ، فرجــع الناس الى احساسهم وفارقتهم أحوالهم ، وكــان يقول لا يأتينا الا مَن أمنه الله ، لأن مقامنا هــذا مقام ابراهيم الخليل ومــن دخله كان آمناً ، وكــان يقول مَن عرفنا وعــرف غيرنا لم يجدنا ولم يجد غيرنا ، ومَن عرفنا وقــام بمعرفتنا وجدنا ووجـد غيرنا ، وكــان يقول دارنا دار سر لا دار علم ، وكــان اذا دخل شهــر المحرم ترك حلــق الشعر والزينة ، وإذا ليم عــلى ذلك قال ما فعلنا هذا الا امتعاضاً لقتل الحسين رضي الله عنه وأسفاً عــلى ما وقع فيه بين الصحابة رضي الله عنهــم ، وكان يعمل السماع ويجتمع أصحابه عــلى الكيفية المعهودة ، وربما تواجدوا ودخل معهم ، وأحواله رضي الله عنــه ومناقبه أكثر من أن تحصــى ، وكانت له مشاركة فــى العلوم ، وأخذ عن الشيخ المنجــور ، وعبد الله بــن طاهر الحسني ، وأبى مهدى السجتاني ، وغيرهم ، وتوفي رحمه الله سنــة اثنتين وسبعين وألف عــن سن عالية ، يقال إنه أناف عــن المئة ، ودفــن بازاء زاويته عــلى قبيلة سجتانة ، وبنيت عليــه قبة حفيلة ، وقبره الآن مزارة عظيمة . انتهى من (الصفوة) .

وترجمه الحضيكــى فى طبقاته ، وما فى (الاستقصــا) من أنــه دفــن بتامصلوحت سبق قلم ، لأنه لــم يدفن الا بكيك مــن سجتانة حيث ضريحه اليوم حسبما صرح بــه داخل الترجمة بعد ، وقد وقفت عــلى ظهير مــولاي أحمد المنصور السعدى المؤرخ 18 رمضان عــام 997 وتضمن أنــه يصرف عــلى المرابط ابراهيم بن أحمد بن المرابط الخير عبد الله بــن حسين جميع الغائر مــن الأبار المندرس الآثار قــرب تامصلوحت صــرف العام وإقطاع تمليك ، وهــذا التاريخ قبل وفاته الموافقة عــام 1072 بنحو خمس وسبعين سنة (1) .

1) انظر صفوة من انتشر ص 148 . وطبقات الحضيكى 1 : 127 .

28) **إبراهيم بـن محمد السـوسى الآيسى** ، المالكى مـن أكـابر الأفـاضل ، جامـع للفنـون والعلوم الرياضية ، ولـه معرفة بعلم الأوفـاق والزايرجا والرمل ، ولـه فى فن الدعوة والأسماء براعة وقوة ، نظم رسالـة المرجانى فـى الوفق الخماسى الخـالى الوسط وشرحها شرحاً عجيبـاً ، واشتغل ببـلاد سوس من المغرب الأقصى ثم تنقل فـى بلاد المغرب ، فرحل الى مراكش وأخذ عن مفتيها محمد بـن سعيد وغيره مـن علمائها ، ودخل فاس وأخذ بها عـن جمع ، وأقام بالزاوية من أرض الدلاء مدة مديدة واخذ بهـا عن جماعـة منهم سيدى محمد المرابط ، ومشايخه الذين أخذ عنهم لا يحصون ، جمع منهم من اسمـه محمد فبلغوا نحو سبيعن شيخاً ، ودخل مصر فـى سنة خمس وسبعين وألف ، وأخذ بهـا عن جماعة ، ثم وصل الى مكة وأقام بـها الى أن مات ، وله نظم ونثر فى غاية الرقة والانسجام ، فمـن شعره قوله :

يامن رمانى بسهم اللحظ فيما مضى ... أوحشتنى وحشوت القلب نار غضا
كسرت جفنى بتكسير الجفون كما ... نصبت حالى لاسهام الجفا غرضـا
فكم نصبت لك الأشراك فى حلم ... لعل طيفك وهنا فى الكرى عرضـا
وأضرمُ النار بالذكرى على علـم ... فى مهجتى يهتدى للنار حيث أضا
ان قست قدك بالبدر المنير عـلى ... غصن على كثب الجرعاء ذات أضا
لله ظبي حشا بالسحر مُقلتـه ... فكم جيلت به أستاره حرضـا
فى فيه عين وعين فيه جوهـرة ... من الحياة وبرق للمنا ومضـا

وبينـه وبين صاحبنا الفاضل الأديب مصطفى بـن فتح الله الشامى نزيل مكة مودة أكيدة ومراسلات عديدة ، مدحـه صاحبنا المذكور بأبيات فكتب له بها رسالة نحو كراسة سماها الرائحة الوطفا فـى راحية مصطفا مشتملة عـلى قصيدة عجيبة ونثر حسن ، ومن شعره أيضا قوله :

لاغروَ إن كنت تجفو الأنس يارشأ ... فمن خصال الظبا أن تنفر البشرا
ياليتنى كنت وحشياً أردد فـى ... مفتون وجهك فى سقط اللوى نظرا

وكتب اليه بعض الأدباء وهو بالزاوية من أرض الدلاء يقول :

يأبا اسحاق قل لي موجـــزا   أي شيء مبرد حر النـــوى
قد أبت الا سهاداً مُقلتـــي   وانسكاب الدمع شوقاً للـــوى

فأجابه بقوله :

زار في روض بهي سحـــرا   جـامع بيـن رواء وروى
تتهادى في الحشا نفحتـــه   طلبت مني دوا داءِ النـــوى
قلت عن طب وما يعزى لمَـــن   جرب الأمر عليم بالـــدوا
عرق وصل ونبات الدر مـــن   ماء ثغر أشنب كل ســـوى
فاسحقنها في مهاريس اللـــوى   واشربنها بكؤوس من هـــوى
فهو درياق لأمراض النـــوى   مصطفيء بين الحشا جمر الجـوى

وكانت وفاته في سنة سبع وسبعين وألف، ودفن بالمعلاة رحمه الله .

انتهى (خلاصة الأثر) .

29) **إبراهيم بـن عبد القادر الزرهـوني** الفقيه ، كـاتب الدولة الرشيدية العلوية الحسنية ، توفي عشية يوم الاثنين سابع عشر شبعان مـن عـام ثمانين وألف ، وستأتي ترجمة ولده سليمان ، ذكره في (النـشر) ، والصواب أن يقـول ترجمة أخيه سليمان (1) .

30) **ابراهيم الشاوى المراكشي** ، قاضى تامسنا ، أخذ عـن سيدى محمد بن هبة الله الوجديجى نزيل مراكش المتوفى سنة 983 وسمع منه أحمد بابا السوداني ، ونقـل عنه في (نيل الابتهاج) فـي ترجمة أحمد المنجور .

31) **ابراهيم بن ابراهيم السموكني** ، الفقيه النبيه العلامة ، رحل الى حاضرة مراكش وأخذ بها عن الجلة الكبار من علمائها وغيرهم واستفاد منهم وانتفع .

توفي رحمه الله بتامنارت سنة احدى عشرة ومئة وألف .

ذكره الحضيكي في طبقاته (2) .

1) انظر **نشر المثاني** 1 : 274 و 2 : 95 .
2) **طبقات الحضيكي** 1 : 132 .

32) **ابراهيم بن ادريس الحسنى** ، الشيخ الامام ، أخذ عنه السيد المكى الناصرى صاحب الرحلة المراكشية دلائل الخيرات عام 1149 وقال له إن من قال اللهم صلى علي من سميته محمد ، أحمد الى آخر الأسماء يكفيه ، ومن صلى عليه فى كل اسم فهو نور على نور ، وأجازه فيه وهو عند شيخه أحمد بن سليمان الرسموكى بسنده الى مؤلفه رضي الله عنه ، وقد كان أجازه فيه بالزاوية الناصرية عند قدومه إليها ، وانما أعاده عليه تبركا بضريح مؤلفه رضي الله عنه ، وقال فى الرحلة المذكورة بعد الرجوع من صلاة العيد وسرنا نحن قاصدين القصور ، قاصدين مولانا ابراهيم المشهور مسلمين عليه فدخلنا داره المسماة دار الزليج ، وهي بديعة البناء، وأصعدنى أعلاها وبها مكّانتان ، فضربت إحداهما وأنا أسمع بصوت حسن ونحن كذلك اذ غيمت السماء وجعل المطر ينزل ، نسأل الله تعالى أن يديمه ويسقي البلاد والعباد آمين ، وقد كان الناس فى ضيق شديد وارتقاب غلاء يبيد ، انتهى المقصود .

وقال فى (الدرر اللوامع) بعد أن ذكر مقدم الطائفة المراكشية ومقدم الأشياخ بمراكش بعد وفاة الحاج بوسنة وسيدى محمد العونى ، وهو نعم الرجل خادم للفقراء أحسن خدمة متواضع غاية التواضع ، وزرته والحمد لله ورأيته نفعنا الله بذالك ، ومما نقلناه عنه وحدثنى به وكتبه بخط يده الكريمة ولدنا الأبر سيدى محمد بن عبد الله وبحضرة شيخنا سيدى علي بن محمد بن ناصر التمكروتى هذه القصيدة المباركة الآتية ، وأخبرنى ان مولاي ابراهيم بن ادريس المذكور أتى بها من مكة حين رجع منها ، ونصها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

ياسيدى يارسول الله خذ بيدى	مالى سواك ولا ألوى الى أحد
فأنت نور الهدى فى كل كائنة	وأنت سر الندى ياخير معتمد
وأنت حق غياث الخلق أجمعهم	وأنت هادى الورى لله ذا السدد
يامن يقوم مقام الحمد منفردا	للواحد الفرد لم يولد ولم يلد
يامن تفجرت الأنهار نابعة	من أصبعيه فأروى الجيش بالمدد
إنى اذا مسنى ضيمٌ يُروعنى	أقولُ ياسيدَ السادات ياسنَدى
كن لى شفيعا الى الرحمان من زلل	وامننْ عليَّ بما يكون فى خلدى

وانظر بعين الرضا لى دائما أبـداً	واستر بفضلك تقصيرى مدى الأمد
واعطف عليَّ بعفو منك يشملنـى	فانني عنك يامولاي لم أحـــد
انى توسلت بالمختار أشرفِ مَن	رقى السموات سر الواحد الأحـد
له الجمال تعالى الله خالقـــه	فمثله فى جميع الكون لم أجـد
خير الخلائق أعـلى المرسلين ذرى	ذخر الأنام وهاديهم الى الرشـد
به التجأت لعل الله يغفر لـــى	هذا الذى هو فى ظنى ومعتقـدى
فمدحه لم يزل دأبى مدى عمـرى	وحبُّه عند رب العرش مستنـدى
عليه أزكى صلاة لم تزل أبـــدا	مع السلام بلا حصر ولا عـــدد
والآل والصحب أهل المجد قاطبـة	بحر السماح وأهل الجود والمـدد

وهي فى وزن ورويٍّ قصيدة تأتى فى معناها لسيدى محمد بن عبد الكبير المغيلى راجعها فى ترجمته ، ومولاي ابراهيم المذكور وقفت له على ظهيرين اسماعيليين ، الأول مؤرخ فى 24 حجة عام 1036 تضمن اقرارا عـلى ما بيده من الظهائر الشريفة المتضمنة توقيره واحترامه هو واخوانه وأبناء عمه القاطنين معه وكل مـن انضاف اليه ، واحترامَ حومته من الفحل الى الفحل حرمـا آمناً ، والثانى بمعناه فـى 24 شعبان عام 1037 ، ومن جملة اخوانه مـولاي أحمد وقفت له عـلى ظهير اسماعيلى مؤرخ فى 4 جمادى الثانية عام 1091 فيـه تجديد حكم ما بيده من ظهيره الكريم المتضمن توقيره كالشرفاء الكرام الخ ، ودار الزليج المذكورة سابقا هي محبسة، مـن جملة سكانها سيدى محمـد بن عبد القادر بن علي بن مسعود بن عبد الرحمان المشيشى ، وهناك دار الزليج أخرى محدثة ، والمترجم هـو صاحب الضريح المشهور بالقصور ، ودفـن معه سيدى محمد الجنوى ، ودفن معـه مولاي مسعود بن عبد الرحمان ، وولده مـولاي علي ، وابنه مولاي عبد القادر ومولاي عبد السـلام بن مولاي مسعود بن علي ، أما مولاي مسعود بن علي فهـو مدفون بالسرائرى بمسفيوة ، ومعه ولده سيدى محمد ، والمترجم انقطع عقبـه بموت حفيده مولاي ادريس بـن أحمد بن ابراهيم ، وشقيقه مولاي عبد القادر مـن غير عقب وعصبهما ابنـا عمهما مولاي مسعود بـن عبد الرحمان وشقيقه مولاي عبـد القادر ، وقفت عـلى قسم تركة مولاي ادريس المذكور التى أمضاها قاضى مراكش ابراهيـم

ابن الصغير عام 1179 وأعملها قاضي مراكش ابراهيم ابــن أحمد الزداغي سجلت منها نسخة علي قاضي مراكش محمد بن أحمد العبادي فــي 15 رمضان عام 1208 ، ودار الزليج المذكورة قومت بثلاثمئة مثقال وخمسة وعشريــن مثقالا حيــن القسم المذكور .

33) **إبراهيم بــن سعيد بــن علي بــن محمد الرجراجي المراكشي الخراص** به عرف ، الفقيه العلامة ، له شرح علي (التحفة) في مجلد في القالب الكبيــر وقفت عليه . وقال في ديباجته : هذا تقييد مختصر كالشرح للتحفة العاصمية ، لخصت فيه مــا وقع عليه الاختيار ممــا تضمنه شراحها وربمــا أزيد من غيرها مما تتم به الفائدة ، وقال في ءاخره وكان الفراغ من مبيضة هذا التقييد ضحى يوم الأربعاء عشية يوم الأحد (1) السادس عشر من شهــر الله صفر عام تسعة وسبعين ومئة وألف ، وله شرح علي الزقاقية (رايته) عام 1340 وهــو عندي ، وأظنه هو صاحب القبــر بدرب الحمري .

34) **إبراهيم بــن حسن المراكشي** ، خطيب جامع بن يوسف ، لــه شرح عــلي منظومة ابن المجراد في إعراب الجمل عندي .

35) **إبراهيم ابــن الصغير المراكشي** ، قاضي مراكش ، الفقيــه العلامة النوازلي المحقق البارع ، وقفت له عــلي فتاوى بعضها في (النوازل الرندية) ، وفي (المعيار الجديد) ، وكان يصحح فتاوي شارح العمل الفاسي السجلماسي ، فراجع 53 مــن الجزء التاسع من المعيار الجديد ، ثم 55 منــه ، ثم 77 منه ، ثم صحيفــة 15 مــن الجزء العاشر منه ، ثم 235 منــه ، وله منظومة في التوسل بالشيخ سيدي أبي العباس السبتي .

توفي رحمه الله ليلة الجمعة بعد صلاة العشاء بقليل منسلخ رجب عام 1193 ثلاثة وتسعين ومئة وألف . وهــو الذي أمضى مقاسمة تركة مولاي إدريس بــن أحمد بن إبراهيم ابن إدريس المشيشي وشقيقه مولاي عبــد القادر المتوفيين عن غير عقب الواقعة عام 1179 وأعملها قاضي مــراكش

---

1) كذا بالأصل .

ابراهيم بن محمد الزداغي ، وأخذت منها نسخة وقفت عليها سجلت على قاضي مراكش محمد بن أحمد العبادى فى 15 رمضان عام 1208 .

36) **إبراهيم بن القائد أبى الحسن علي الطبيب ابن إبراهيم الأندلسى المراكشى المكناسى ثم التونسى** ، أحد أطباء الحضرة السلطانية الاسماعيلية ، طبيب ماهر حكيم عظيم الشأن من أجلاء الحكماء المتقنين الكاملى المهارة الملازمين لحضرة السلطان الأعظم مولانا إسماعيل ، المرجوع اليهم فى المعضلات من الداء ، وكانت مسائله كلها متقنة ، وكان له بمكناس حانوت اتخذه ليقصده الناس للسؤال عن مسائل الطب ولاشتراء الأدوية ، منه ، ثم انتقل الى تونس واتخذ بها حانوتا لما ذكر ، وسمَّى نفسه هناك محمد الأندلسى ، فغير اسمه لأمر معلوم أحوجه لذلك ، والضرورات تبيح المحظورات ، كذا أخبر عنه تلميذه ابن شقرون الطبيب المكناسى صاحب الشقرونية المتداولة بين أيدى عامة الناس وخاصتهم حسبما نص على ذلك العلامة الثبت المتقن السيد مَحمد الخياط ابن إبراهيم المشنزائى (1) الدكالى الأصل من أولاد ابن ابراهيم الدكاليين بفاس بيتهم بيت علم وصلاح ومتانة دين ورياسة وجلالة ، وممن أخذ عنه عبد القادر ابن شقرون المكناسى مسائل كثيرة من الطب ، وسياتى ذكر والده علي .

37) **إبراهيم السرغيني الخلوفى** ، الفقيه المقرىء الأستاذ رحمه الله صاحب ديانة وعلم وعقل ونقل ، متفنناً رأسا على القراءات ، حاذقا فى الافتاء ، متقدما جليلا شرح الدالية فى وقفحمزة وهشام لسيدى محمد بن مبارك السجلماسى ، ذكر فيه أنه شرحها سيدى ادريس بن محمد الشريف الفاسى شرحين صغير وكبير ، ثم شرحها بعده الأستاذ أبو القاسم بن علي الشاوى أصلا المكناسى الملقب بابن درا ، ثم شرحها بعده شيخ

---

1) فى الأصل المشترائى بتاء وراء ، وهو غلط حصل لكثير من المؤرخين والنسابين تبعوا فيه غلط النساخ ، والصواب المشنزائى ، نسبة الى مشنزاية قبيلة كانت بدكالة ثم انقرضت .

شيوخه سيدى أحمد بن مبارك اللمطي ، ثم بعده شيخه المحقق علي بن الشرقي السجدالى التادلي ، أحدهما منثور ، والآخر منظوم ، ثم شيخه الأستاذ سيدى محمد بن عبد السلام الفاسي ، غير أنهم رحمهم الله لم يعرج أحد منهم على بيان المشهور الذى جرى به العمل وصحت به الرواية ، فاستخار الله تعالى فى أن يضع عليها شرحاً موجزاً مطرزاً بكلام الأئمة محرراً مبيناً فيه ما به الرواية ، وكان الفراغ من تبييضه عشية يوم الخميس الثالث والعشرين من رمضان المعظم سنة تمام المئتين بعد الألف بمدينة مراكش حرسها الله بزاوية ولي الله سيدى أبي العباس السبتي ، وهذه النسخة كتبت من خط المؤلف ، وعليها تقريظ تلميذه أحمد بن محمد بن مبارك بن ابراهيم بن محمد المرابطي النجار الماسي الدار ، وهذا الشرح يسمى بالفتوحات الربانية فى شرح المنظومة الدالية ، وناظمها المذكور توفي عام 1092 من تلامذة سيدى عبد القادر الفاسي وسيدى عبد الرحمان بن أبي القاسم ابن القاضي وهو عمدته ، وسيدى محمد بن محمد بن سليمان البوعناني ، وطبقتهم ، وقوله ثم شرحها بعده شيخ شيوخنا سيدى أحمد ابن مبارك غلط ، فان شرح سيدى أحمد المذكور قبل شرح الشاوى ، كان رحمه الله حياً أواخر العشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر ، ثم توفي بمراكش ودفن بقرب ضريح أبي بكر السجتاني رحمه الله .

38) **إبراهيم بن عبد الله السوسي** ، صنو القطب سيدى محمد بن عبد الله ، كان عالما عاملا ذا أحوال زكية ، وأخلاق مرضية ، أخذ عن أخيه المذكور ، وكان له حال رفيع ، واتباع للسنة بديع ، ولما زار الشيخ أبا يعزى طلب العلم والعمل فرأى رؤيا استفاد منها أنه استجبت له ، كان رحمه الله مقيماً بمراكش ، ولم يزل به مقبلا على شأنه متبركاً به الى أن توفي به شهيداً بالطاعون رحمة الله عليه .

ذكره فى (مباحث الأنوار) .

39) **إبراهيم بن أحمد الزداغي** : الفقيه العلامة قاضى الجماعة بمراكش ، وقفت على رسم خاطب عليه سنة ست ومئتين وألف ، وسياتى ذكر ولده محمد .

40) **إبراهيم أقبيل السوسي** ، كان من الكتاب المعتبرين عند السلطان سيدى محمد بن عبد الله العلوى فى الانشاء والترسيل كما فى (الاستقصا) .

41) **ابراهيم بن أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمان العلوى** ، كان رحمه الله من خيار أهل وقته ، ومن أهل الفضل ، اشتغل بطلب العلم وتحصيله ملازماً لشأنه وما يقربه لمرضاة ربه ، استوطن مراكش وبها توفي.

ذكره فى (الدرر البهية) .

42) **إبراهيم بن الحسن الماغوسى المراكشى** الفقيه الأجل ، العالم المبجل ، من أعيان عدول مراكش ، كان فقيهاً مدرساً نبيها خيراً هيناً ليناً وقوراً ، أخذ الطريقة عن أصحابها ، وكان مقدمها بزاوية أبى العبادة منها ، وهو أحد العدول الذين وقع عليهم الاختيار أيام القاضى عاشور الذين يضرب بهم المثل بمراكش ، وستأتى رسالة الشيخ سيدى محمد العربى المدغرى فى تعزية الفقراء بمراكش فى المترجم من جملة رسالة مؤرخة بيوم عرفة تاسع حجة الحرام مُتم ثلاثة وثمانين ومئتين وألف، وماغوسة من جدميوة .

43) **إبراهيم النظيفى المراكشى** ، كان عالما فاضلا مشاركا فى علم الأزياج والفرائض والنحو والعروض وغير ذلك ، وله تآليف منها الزيج ، وكان كاتباً وفيه دعابة ، كان يسكن بحومة القصور بدرب السقاية ، وسكن أيضاً برياض الزيتون بمراكش ، وداره هي التى كانت عند الفقيه السيد عبد الواحد ابن المواز ، وسكن فى آخر عمره بالزاوية بجوار سيدى غانم .

توفي رحمه الله سنة 1292 ، اثنتين وتسعين ومئتين وألف فى رمضان بمراكش ، كان من رفقاء العلامة سيدى محمد كنسوس .

44) **إبراهيم بن محمد بن أدار السوسى المراكشى** ، الفقيه العلامة المشارك ، كان آية فى علم الحساب متقناً له ، أخذه عن الشريف

سيـدى محمد السليطن بمراكش ، وقرأه بسوس أيضاً ، وعنه أخذه أهـل مراكش كمولاي أحمـد الصويرى ، ومولاي علي بـن سيدى محمد السليطن المـذكور ، ووقفت عـلى تصحيحه لفريضة تـركة مولاي علي بـن مسعود المشيشى بخطه .

45) **إبراهيم السوداني** . ولد عمـر الفوتى أو قرابته ، كـان زاهداً عابداً منعزلا مذاكرا عـلى مشرب الشيخ محيى الدين ابن عربى يلازم سـردَ كتبه حتى كان يحفظ الفتوحات ويتكلم عـلى غوامضها ، وكان الوزراء فمَن دونهم يزورونه ، سكن مراكش مدة بجوار الضريح العباسى .

46) **إبراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلى الرباطى** . سيأتى رفـع نسبه فى ترجمة تلميذه سيـدى محمد العربى بن عبد الله بن التهامى الوزانى فلتراجع هناك ، الشيـخ الامام العلامة المشـارك الرحالة المؤلف البـارع الجامع لأشتات العلوم معقولها ومنقولها ، قرأ العلم بفاس عـلى شيوخه ، ونقل فـى بعض إجازاته عن الشيخ سيدى محمد بن دحُ أنه أجازه بجميع ما أجازه بـه سيدى عمر بن المكى بن سيـدى المعطى صاحب (الدخيرة) وأخبره أن سيدى عمـر المذكور قرأ على مؤلف العمل المطلق وكان توُمُّ عندهم بـأبى الجعد نحو عشرين سنة ، هـ . وأخذ عنه الفقيه سيدى الحـاج محمد بـن دحُ الازمورى ، وهـو عن شيخه المذكور سيـدى عمر بن المكى بن المعطـى بن الصالح صاحب (الذخيرة) عن السيد شمهروش قاضى الجان عن النبي صـلى الله عليه وسلم ، وألف نحو خمسين تأليفاً ، وحج وزار وأخذ عـن شيوخ كثيرين ، ودخـل الأستانة ، وزار الشام والقدس ، ودرس بالـرباط وتخرج عليه كثير من فضلائه ، وقد أجاز أهل عصره بشرط القبول .

توفي رحمه الله بالرباط عام 1311 أحد عشر وثلاثمئة وألف ، ودفـن ببيته وحبس كتبه على أنجاله ودخل مراكش مرات .

47) **إبراهيم بن محمد السوسى الهـلالى** ، الفقيه ، كتب للسلطان سيدى محمد بن عبد الرحمان لنجله خليفته مولاي الحسن بأن حامله الفقيـه الفقيه إبراهيم المذكور قـد أثنى عنه قاضى فـاس مولاي محمد بـن عبد

1256

الرحمان بالعلم وقـال فيه أنه حصل من العلم حظاً معتبراً صار به من أهـل التحرير والاتقان ، ومن أمثل أبناء الزمان ، وذكر أنه يريد السكنى والتأهـل بمراكش ، وطلب أن ينفذ له مـن مستفاد أوقافها مـا يستعين بـه على تدريس العلم الشريف هناك ، فأمر ناظر الأحباس الكبيرة أن يرتـب له من مستفادها ستيـن أوقية فى الشهر ، والسلام فـى 27 ربيع الثانى عام 1282 .

48) إبراهيم بـن عبد الملك الضرير السوسى المراكشى ، قـدم والده مراكش ، وقرأ القرآن ولده المترجم عـلى المقرىء السيد أحمد بـن العربى المراكشى عام 1273 وكان يحفظ لوحه من مرة واحدة ، ثم اشتغـل بحرفة الخرازة فضرب عينه باشفى فعمي ، واشتغل بقراءة العلم ، كـان رحمه الله فقيهاً نحويا مدرساً مفتيا نبيهاً وجيها ، أخذ بمراكش عـلى علمائها كالفقيه سيـدى سعيد جيمى وشيخنا الفقيـه السباعى وشيخنا الفقيه الحاج محمـد زنيـط وغيرهم ، وتخرج بهم ، وكان مقلا فى أول أمـره إنما يحسن إليه إخوته لأجل قراءة العلم ، ثم نظم قصيدة فى مدح مولانا الحسن أواخـر القرن المنصـرم ، فوصلته عـلى يد الوزيـر اذ ذالك السيـد محمد بن العربـى الجامعى فلمـا قرأها سأله عن صاحبها فـأخبره أنه ضرير ، فأمره بالبحـث عنه فهـل له معرفة بالعلوم الشرعية ؟ فأجابه بعـد البحث على يد مولاي أحمد ابـن العربى البلغيثى بأنه مـن النجباء فيها ، فجعله مدرسا بداره العاليـة يقرىء العيال السعيد أمـور الدين ، فكان لا يفارق ركابه حضراً وسفراً ، سـافر معه فى جميع حركاته إلى سوس وفـاس وسجلماسة ، وكان ينعـم عليه بالصلات الوافرة ، فنال بذلك دنيا عريضة ، واقتنى خزانة عظيمة مـن كتـب نفيسة بمراكش فتشتت شذر مذر بعـد موته ، وبنى بها داراً واسعة الفناء زخرفها وصيّر عليها أموالا طائلة ، وكانت مجمع الوافدين إلى مراكش مـن أهل العلم يكرمهم ويحسن اليهـم ، ومدحها الشاعر الأديب السيد عبـد الله كنسـوس بأبيات ، وكان يعينه قريبه صاحبنا الفقيـه المفتى السيـد محمد بن أحمـد بن كبور الركراكى المراكشى عـلى ما يرومه من المسائـل والفتاوى ويطالع له كتبه ويقيد لـه ما يريد ، ولما مات مولانا الحسن أمـره بتغسيله الوزيـر أحماد وسلك فى الاعتناء به مسلكاً حسنا ، فكـان يحضره

مـع العلماء الذين يحضرون بداره كل جمعة ، وجعـل له الرتبة الأولـى بمراكش ، وتولى خطة العدالة عـلى الربيعة العباسية بقصد الحضـور مع فقهائها ، ويحضر معهم نائبه ، ودرس بمراكش وفاس الى أن توفي فـى اليوم الذى توفيت فيه والدتى ربّة الصون والعفاف المرحومة السيدة عائشـة بنت السيد محمد بن الطاهر التادلى السجدالى العُمرى فى عشري شعبان الأبرك عام ستة عشر وثلاثمئة وألف رحمها الله ورضي عنها ، وكانت له جنازة حافلة ودفن بروضة الجزولى عن نحو أربع وخمسين سنة .

49) **إبراهيم بن مولانا عبد العزيز بن أمير المومنين مولانا سليمان العلوى** ، السيد الجليل ذو الجاه الكبير قال فى (الدرر البهية) وهو من أهل الهمم العالية ، والمـراتب السنية ، حبـر حفيل ، حلاحل نبيل ، وأحـد الأفراد الأجلـة الأمجاد ، صاهره أميـر المومنين مـولانا الحسن بعمتـه الشريفة الجليلـة السيدة زينب بنت مولانا عبد الرحمان ، وهـي التى كانت تحت مولاي المهـدى بن عبد الملك ، وتقـدمت ترجمته فى حفدة مولانـا إسماعيل ، وتوفيت الشـريفة المذكورة فى عصمة صاحب الترجمة ، فانتقـل لحضرة مراكش واستوطن محل آبائـه ، ومازال مستوطنها الـى الآن ، وهو فى قيد الحياة حفظه الله .

ثم توفي رحمه الله فى العشّرة الثانية من القرن الرابع عشر .

50) **إبـن داوود (بنداود)** بن الولي الصالـح سيدى العـربى الشرقى ، ولـد رحمه الله عام 1219 وتوفي ليلة الأربعاء آخر جمادى الثانيـة عام 1307 بأبـى الجعد ، وسمي بهذا الاسم لأن والدته مـن أولاد سيدى ابن داوود البـوزيرى دفين أزرراك قرب غـرم الاعلام بتادلة ، أخذ الطريقـة الناصرية عن والده ، كـان رضي الله عنه سالكاً زاهداً متقشفاً يلبس جلابتيـْن ويحزم عليهما بمنطقة ، أو يلبس قفطانيـْن لا غير ، ما صلى النافلة جلوساً طول عمره ، ويغتسل كـل يوم صبحاً ولو بغير عذر ، ملازم الأوراد ، يختـم دلائل الخيرات بين العشاءين كلّ يوم ، ويتلو القرآن كله فى ستة أيام ، وترك الأشغال لولده سيدى الحاج العربى مـن قرب الستين ومئتين والـف ، واشتغل بعبادة الله تعالى ، ولا يخـرج الا لصلاة الجمعة أو للحضور بمجلس

تـدريس ولده المذكور ، وكانت تربيتـه بالهمة ، ولا يقدر أحد أن يـواجهه لهيبة كانـت تعترى الناس من ذلك ، ولا يرفـع بصره حين المكالمة مـع الغير غاض الطرف ، وفى بعض الأحيـان يخرج لملاقاة السلطان حيـن يقرب من أبى الجعد ، دخل مراكش عام 1295 ونزل بعرصـة مولاي موسى .

ولسيدى سعيد بن محمد جيمى يخاطب المترجم :

أبداً إلى هذا الجمال أتـــوق	وللثم راحة قدسه لـمشــوق
فهو الكرامة وابنها وأب لهـــا	نسب كريم فى الكرام عريـــق
في وسمه ما فى اسمه فلذا تـرى	علماً له المفهوم والمنطـــوق
لاغرو اذ أنت ابنُ داوود الرضـــا	ينقاد قـاطبة لـك المخلـــوق
فلو ان كل بنى أبيك أبى عبيـــ	ـد سابقوك لكنت أنت سبـــوق
ما ضرنى أن الأوائلَ قد مضـــوا	وبقِيت أنت ولى إليك طريـــق

وكتب بعـد هذه القطعة ما نصه : هـذه هدية اليكم وهي إن شـاء الله لا تقصر عن هديـة أمثالى ان لا تبلغ اقدارهم أقداركم ، ولا أبغى بها ما قطفته يدا زهير بمـا أثنى على هرم ، نعم أحـب بها أن يكون سهمـى من بين السهام ، ممـن مدحكم ومدح أسلافكم الكرام ، عسى الله أن ينظمنـا فى سلك دائرتكم ، ومع هذا فعندى فى جنابكم الرفيع استشارة فى أمر ان يكون لـه منكم وبكم مخرج ونجاح ، فنحبكم تأذنوننا بذكره فضـلا منكم ومنة ، وعـلى محبتكم سيدى والسلام والرحمة والبركة ، وكتب سعيد بن محمد وفقه الله بمنه وكرمه امين .

توفي رحمه الله ليلة الأربعاء آخر جمادى الثانية عام سبعة وثلاثمئة وألـف (1) .

51) **ابن عبدون :** قـال أبو القاسم الغسانى فـى (حديقة الأزهار) فـى الطب ما نصه : قال ابـن عبدون ولقد رأيته بمراكش كثيراً ووقفت عليه أرانى إياه أعرابى هناك ، وهو من نبات أرض العرب .

---

1) ترجم المؤلف فى الجزء السابع (خطى) لابن مرج الكحل ، وهو الأديب الشهير محمد بن ادريس ابن مرج الكحل ، وقد ارتأينا أن نؤخره الى محله من حرف الميم ، كما ترجم لابن المليح صاحب الرحلة المسماة (أنس السارب السارى) ، واسمه أيضاً محمد ، وقد ارتأينا اثبات ترجمته فى حرف الميم .

وقـد راجعت كتاب (عمدة الطبيب) فى معرفة النبات لكـل سبب للطبيب الماهر أبـى الحسن المختار بن عبدون البغدادى المعروف بابـن بطلان في مادة قتـاد فلم أجده ذكر ما نقله الوزير الغساني عـن ابن عبدون ، وكذلك راجعت كثيرا ؟ التى هي صمغ شجرة القتاد فلم أجده ذكر ذلك ، فـلا أدرى أذكره فى موضـع آخر أو قصد بابـن عبدون غير صاحب (عمـدة الطبيب) كسعيـد ابن عبدون وزير محمد المنتصر المرينى المذكور فـى ترجمته من هـذا الكتاب ، أو غيره كالفقيه الأستاذ المقرىء الكـاتب البارع ، محمد بـن عبدون بن قاسم الخزرجي أديب وقته ، وشاعر عصـره ، المتوفى فى العشرة الأولى لذى القعدة عـام 659 بمكناسة المترجم عند ابن القـاضى وصاحب (الذخيرة السنية) .

وهذه النسخة مـن كتاب (عمدة الطبيب) نُسخت للأديب الأريـب الطبيب سيـدى عبد الوهاب بن أحمد الدراق فى عشري صفر عـام تسعة عشر ومئة وألف الآتية تـرجمته إن شاء الله ، وقال فى (كشف الظنـون) ما نصه : دعوات الأطباء لمختار بن حسن ابن عبدون ، وابـن بطلان المذكور بقي حياً الى سنة 455 خلاف ما قاله ابـن القفطى من أنه توفي فى أنطاكيـة عام 444 فانه خطأ .

52) **ابن شونة** : من أهل القرن السادس ، أخذ عنه الشيخ سالم بن سلامة السوسى بأغمات، كما سياتى فى ترجمته المنقولة عن (التشوف).

53) **أبـو إبراهيم بن يوسف المرينى** ، السيـد الماجد الفاضـل الحسن المشاركة فـى علم الظاهر والباطن ، حدث عنه العلامة المحدث أبـو العباس بـن محمد بن أحمد العزيرفى (علامة اليقين ، فى دعائم المتقيـن) الموضوع فـى مناقب الشيخ أبى يعزى أن زوجة الشيخ رضي الله عنـه كانت عابدة وحلاه بتلك الأوصاف السابقة .

54) **أبو إبراهيم** ، دفيـن تامصلوحت لما مر الشيخ سيدى عبد الله الغزوانى دفين مراكش بضريح المترجم بالقرية المذكورة عـلى نصف مرحلة مـن مراكش وهي اذ ذاك موحشة لا ماء بها وكـان معه تلميذه مولاي عبد الله ابن حسَيْـن دفينها قال له : ياعبد الله هذا موضعك إلى آخر ما سيأتى فى ترجمته إن شاء الله .

55) **أبو الأنوار** : الولي الصالح ، لم أقف على تاريخ وفاته ، عليه حوش بقعر درب ابن علال من حومة ابن صالح .

56) **أبو اسحاق** : المحصى الفقيه الأعبد الأرضى ، نزل بداره من مراكش الشيخ عبد الرحمان الهزميرى ، ذكره ابن تيجلات .

57) **أبو الأوقات** : الولي الشهير الذكر ، المعروف عند العامة ، لم أقف على تاريخ وفاته ، بُنيت عليه قبة صغرى ، وقبره مزارة مشهورة .

58) **أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين اللمتونى** (1) لما تُوفي أخوه الأمير يحيى بن عمر ولّى عبد الله ابن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر ، وذلك فى محرم سنة ثمان وأربيعن وأربعمئة ، وقلده أمر الحرب والجهاد ، ثم ندب المرابطين الى غزو بلاد سوس والمصامدة ، فزحف إليها فى جيش عظيم فى ربيع الثانى من السنة المذكورة ، وكان أبو بكر بن عمر رجلا صالحاً ورعاً ، فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتونى ، ثم سار حتى انتهى الى بلاد سوس ، فغزا جزولة وقبائلها ، وفتح مدينة ماسة وردانة (تارودانت) قاعدة بلاد سوس وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم البجلية ، نسبة الى علي بن عبد الله البجلى الرافضى ، كان سقط الى بلاد سوس أيام عبيد الله الشيعى بافريقية فأشاع هنالك مذهب الرافضة فتوارثوه عنه جيلا بعد جيل ، وعضوا عليه بالنواجذ ، فكانوا لا يرون الحق الا فى يديهم ، فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة رودانة عنوة وقتلوا بها خلقاً كثيراً ورجع من بقي منهم الى مذهب السنة والجماعة ، وحاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتلى منهم فجعلها فيئاً ، وأظهر الله المرابطين على من عداهم ففتحوا معاقل السوس وخضعت لهم قبائله ، وفرق عبد الله بن ياسين عماله بنواحيه ، وأمرهم باقامة العدل واظهار السنة وأخذ الزكوات والأعشار واسقاط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة .

---

1) نقل المؤلف هذه الترجمة نقلا يكاد يكون حرفياً من كتاب **الأنيس المطرب بروض القرطاس** لابن أبى زرع . انظر ص 128 وما بعدها . طبع دار المنصور بالرباط .

فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطة وفتح بلادهم

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ، ففتح جبل درن وبلاد رودة ومدينة شفشاوة بالسيف ، ثم فتح مدينة نفيس وسائر بلاد كدميوة ، ووفدت عليه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه . ثم ارتحل الى مدينة أغمات وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف المغراوى ، فنزل عليها وحاصرها حصاراً شديداً ، ولما رأى لقوط ما لا طاقة له به أسلمها وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه إلى تادلة فاستجار ببنى يفرن ملوك سلا وتادلة ، ودخل المرابطون مدينة أغمات سنة تسع وأربعين وأربعمئة ، فأقام بها عبد الله بن ياسين نحو الشهرين ريثما استراح الجنود ، ثم خرج الى تادلة ففتحها وقتل من وجد بها من بنى يفرن ملوكها ، وظفر بلقوط المغراوى فقتله ، وكان للقوط هذا امرأة اسمها زينب بنت إسحاق النفزاوية ، قال ابن خلدون وكانت من إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة ، وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمان بن وطاس شيخ وريكة ، فلما قتل المرابطون لقوط بن يوسف المغراوى خلفه أبو بكر بن عمر على امرأته زينب بنت إسحاق المذكورة إلى أن كان من أمرها ما نذكره ، ثم تقدم عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا ففتحها واستولى عليها ، ثم أخبر بأن بساحل تامسنا قبائل برغواطة في عدد كثير وجمع عظيم .

ولنذكر كلاماً ملخصاً فى برغواطة ودولتهم ثم نرجع الى ما نحن بصدده فنقول : اختلف الناس فى نسب برغواطة (1) هؤلاء فبعضهم يلحقهم بزناتة ، وبعضهم يقول فى متنبئهم صالح بن طريف البرغواطى إنه يهودي الأصل من سبط شمعون بن يعقوب عليه السلام ، نشأ ببرباط حصن من عمل شذونة من بلاد الأندلس ، ثم رحل الى المشرق وقرأ على عبيد الله المعتزلى، واشتغل بالسحر وجمع منه فنوناً ، وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا ، فوجد بها قبائل جهالا ، فأظهر لهم الصلاح والزهد وموّه عليهم وخبلهم بلسانه ،

1) انظر عن نسب برغواطة كتاب **قبائل المغرب** تاليف عبد الوهاب بن منصور ج 1 ص 322 .

وسحرهم بنيرجاته (1) ، فصدقوه واتبعوه ، فأدعى النبوءة وشــرع لهــم شرائع ووضع لهم قرآنا حسبما تقدم الخبر عنــه مستوفى ، فكان يقال لمن تبعه ودخل فى دينه برباطى ، ثم عربته العرب فقالوا برغواطى ، فسموا برغواطة ، قــال ابن خلدون هذا مــن الأغاليط البينة ، وصحح أن القوم من المصامدة بشهادة الموطن والجوار وغير ذلك ، والتحقيق أن برغواطة قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد ، وانما هــم أخلاط من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف الذى أدعا النبوءة بتامسنا سنة خمس وعشرين ومئة مــن الهجرة فى خلافة هشام بــن عبد الملك بن مروان وتسمى بصالح المومنين ، وشرع لأتباعــه الديانة التى أخذوها عنه ، وكان صالــح قد شهد مع أبيه طريــف حروب ميسرة المدغرى كبير الصفرية لعهــده ، وكان طريف يكنى أبــا صبيح ومن كبار أصحاب ميسرة المذكور ، ويقال إنه ادعا النبوءة أيضاً ، وشــرع لقومه الشرائع ، ثــم هلك سنة سبع وعشرين ومئة ، وقام بأمره ابنه صالــح بن طريف المذكور ، فعفت مخارقه عــلى مخارق أبيه ، وكان أولا من أهــل العلم والدين ، ثــم انسلخ من آيت الله (2) وانتحل دعــوى النبوءة وأتى مــن البهتان بما أوضحناه قبل فى ولاية حنظلة بن صفوان الكلبى عــلى المغرب ، ثــم خرج صالح بــن طريف الى المشرق سنة أربع وسبعين بعد أن ملــك أمرهم سبعاً وأربعين سنة ، ووعدهــم أنه يرجع اليهم فى دولة الســابع منهم، وأوصى بشريعته الى ابنــه إلياس بن صالــح ، ولم يزل إلياس مظهراً للاسلام مصراً عــلى ما أوصاه به أبوه مــن كلمة كفرهم ، وكان متظاهراً بالعفــاف والزهد الى أن هلك سنة أربع وعشرين ومئتين لمضي خمسين سنة من ولايته، ثــم ولي من بعده ابنه يونس بــن الياس فأظهر دينهم ودعا إلى كفرهم وقتل مَن لم يــدخل فى أمره حتى حرق مدائن تامسنا وما والاها ، يقال إنــه حرق منهــا ثلاثمئة وثمانين مدينة واستلحم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه ، وقتــل منهــم بموضع يقال له تاملوكالات وهــو حجر عال نابت وسط الطريــق سبعة آلاف وسبعمئة وسبعين نفساً ، قال زمور بــن صالح ثم رحل يونس

---

1) جمع نيرج اخذ كالسحر .

2) أى من حزب الله ، وآيت معناها بالبربرية أبناء ، أهل .

بن إلياس الى المشـرق وحج ولم يحج أحد من أهل بيته قبلـه ولا بعده ، وهلك سنة ثمان وستين ومئتين لأربـع وأربعين سنة من ملكه ، وانتقـل الأمر عن بنيه الى غيرهم مـن قرابته ، فولي أمرهم أبو غفير محمد بـن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف ، فاستولى عـلى ملك برغواطة ، وأخـذ بدين آبائـه ، واشتدت شوكته وعظم أمره ، وكـان له فى البربر وقائـع مشهورة، وأيام مذكورة ، أشار الى شيء منها سعيد بن هشام المصمودى فـى أبيات منها قوله :

وهذى أمة هلكوا وضلـــــوا	وجاروا لاسقوا ماء معينـــــا
يقولون النبيُّ أبو غفيـــــر	فأخزى الله أمَّ الكـاذبينـــــا
سيعلم أهل تامسنا اذا مـــــا	أتوا يـوم القيامـة مهطعينـــا
هنالك يونس وبنو أبيـــــه	يقـودون البرابـر حائـرينـا

واتخذ أبـو غفير من الزوجات أربعـاً وأربعين لأنهم يبيحون فـى ديانتهم الخسيسة ان يتزوج الرجل مـن النساء ماشاء ، وكان له من الولـد مثل ذلك وأكثر ، وهلك أواخر المئة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه ، ثـم ولي بعده ابنه أبو الأنصار عبد الله بن أبـى غفير ، فاقتفى سننه ، وكان كبيـر الدعوة مهيباً عند ملوك عصره ، يهادونه بالمواصلة ، وكـان يلبس الملحفة والسراويل ويلبس المخيط مـن الثياب ، ولا يعتمُّ أحد من بـلاده إلا الغرباء ، وكان حافظاً للجوار ، وافياً بالعهد ، وتوفي سنـة احدى وأربعين وثلاثمئة لأربع وأربعين سنة مـن ملكه ، ودفن بتاسلاخت وبها قبره ، وولي بعده ابنه أبـو منصور عيسى بن أبى الانصار ، وهـو ابن اثنتين وعشريـن سنة ، فسار سيرة آبائه وادعى النبوءة واشتـد أمره وعلا سلطانه ودانـت لـه قبائل المغرب ، قال زمور بن صالح : كـان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطـة وعشرة آلاف من سواهم ، وقد كان لملوك العدوتيـن فـى غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة مـن الأدارسة والأموية والشيعـة وغيرهـم ، ولما زحف بلكين بن زيرى بن منـاد الصنهاجى إلى المغـرب زحفَهُ المشهور وأجفلتْ قبائـل زناتة وملوكها بين يديـه وانحازوا الى

سبتة وأطلَّ عليهم مــن قبل تطوان وعاين جمعهم الكثيف رجع عنهم الى جهاد برغواطة فأوقع بهـم وقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبــى الأنصار وبعث بسبْيهم الى القيروان وذلـك سنة تسع وستين وثلاثمئة ، ثم حاربتهم أيضاً جنود المنصور بـن أبى عامر لما عقد ابنه عبد الملك المظفر لمولاه واضـح عـلى جهاد برغواطة فعظم أثره فيهم بالقتل ، ثم حاربهم أيضاً بنو يفرن لمـا استقل بنو يعلى بـن محمد بن صالح منهم بناحية سلا واقتطعوها عن عمـل زيـرى بن عطية المغراوى صاحب فـاس ، وكان لأبى الكمال تميم بن زيرى اليفرنى فيهـم جهاد كبير تقدم التنبيه عليه وذلك أعوام العشرين وأربعمئـة، فغلبهم على تامسنا وولىَّ عليها من قبله بعد أن أثخنَ فيهـم سبيـاً ، ثـم تراجعوا من بعده الى أن جاءت دولة المرابطين ودخلوا أرض المغـرب دخلتهم الثانية ففتحوا بـلاد المصامدة وبلاد تادلـة وتامسنا ، فأخبروا عبد الله بـن ياسيـن أن بساحلها قبائل برغواطة فـى عدد كبير وجمع عظيم ، وأنهـم مجوس أهل ضلالة وكفـر ، وأخبر بما تمسكوا به فـى ديانتهم الخبيثة ، وقيل لـه إن برغواطة قبائل كثيرة وأخلاط شتى اجتمعوا فـى أول أمرهم عـلى صالح بن طريف المتنبىء الكـذاب ، واستمر حالهم على الضلالة والكفر الى الآن فلمـا سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الكفـر رأى أن الواجـب تقديم جهادهم عـلى جهاد غيرهم ، فسار إليهم فى جيوش المرابطين ، والأمير يومئذ عـلى برغواطة هو أبو حفص عبد الله من ذرية أبـى منصور عيسى بن أبى الأنصار عبد الله بـن أبى غفير محمد بن معاذ بن اليسع ابن صالح بـن طريف ، فكانت بينه وبين عبد الله بـن ياسين ملاحم عظام مـات فيها من الفريقين خلق كثير ، وأصيب فيها عبـد الله بن ياسين الجزولى مهـدى المرابطين ، فكان فيها شهادتهُ رحمه الله ، ولمـا حضرته الوفاة قال لهم يامعشر المرابطين إنى ميت مـن يومى هذا لا محالة ، وانكم فى بـلاد عدوكم ، فاياكم أن تجْبُنوا أو تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وكونـوا أعوانا عـلى الحق فى ذات الله واياكم والتحاسد عـلى الرياسة ، فان الله يوتى ملكه مَن يشاء من خلقه ، ويستخلف فـى أرضه مَن أراد من عباده ، وكـلام غيـر هذا ، وتوفي عبد الله بن ياسين عشيـة ذلك اليوم ، وهـو يوم الأحد

الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وأربعمئة (8 يوليوز 1059 م) بموضع يعرف بكريفلة وبني على قبره مسجد وهو مشهور بها الى الآن ، وكان عبد الله ابن ياسين رحمه الله شديدَ الورع فى المطعم والمشرب ، انما يعيش من لحوم الصيد ونحوها لم يأكل شيئاً من لحوم صنهاجة ولا من ألبانها مدة إقامته فيهم ، وكان مع ذلك كثير النكاح يتزوج فى كل شهر عدداً من النساء ثم يطلقهنّ ، ولا يسمع بامرأة جميلة الا خطبها ، ومن حسن سياسته أنه أقام فى صنهاجة السنة والجماعة حتى انه ألزمهم أن مَن فاتتْه ركعة منها ضرب خمسة أسواط ، ومن كرامته أن المرابطين خرجوا معه فى بعض غزواته لبلاد السودان فنفد ما معهم من الماء حتى أشرفوا على الهلاك ، فقام عبد الله فتيمَّم وصلى ركعتيْن ، فدعا الله تعالى وأمَّن المرابطون على دعائه ، فلما فرغ من الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاي هذا ، فحفروا فصادفوا الماء على نحو شبر من الأرض عذباً ، فشربوا واستقوا وملأوا أوعيتهم ، ومن تقواه وورعه أنه لم يزل صائماً من يوم دخل بلاد صنهاجة الى أن توفي .

واستمر الأمير أبو بكر على رياسته ، وجددت له البيعة بعد وفاة عبد الله بن ياسين ، فكان أول ما فعله بعد تجهيزه إياه ودفنه أن زحف الى برغواطة مصمماً فى حربهم متوكلا على الله فى جهادهم ، فأثخن فيهم سبياً وقتلاً حتى تفرقوا فى المكامن والغياض ، واستأصل شأفتهم ، وأسلم الباقون اسلاماً جديداً ، ومحا أبو بكر بن عمر أثر دعوتهم من المغرب ، وجمع غنائمهم وقسمها بين المرابطين ، وعاد الى مدينة أغمات .

غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحه اياها

لما استقر الأمير أبو بكر بن عمر بأغمات أقام بها الى صفر من سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة وخرج غازياً بلاد المغرب فى أمم لا تُحصَى من صنهاجة وجزولة والمصامدة ، ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة ، وفتح مدائن مكناسة ، ثم نزل على مدينة لواتة (1) فحاصرها حتى اقتحمها عنوة

1) مازالت بقايا هذه المدينة معروفة باسمها الى اليوم بناحية صفرو من اقليم فاس .

بالسيف وقتل بهـا خلقاً كثيراً من بنى يفرن وخربها فلم تعمـربعد إلى الآن ، وكـان تخريبه إياها فى آخر يوم من ربيع الثانى من السنة المذكـورة ، ثم رجع الى مدينة أغمات .

عود أبى بكر بن عمر الى بلاد الصحراء والسبب فى ذلك

كـان الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونى تزوج زينـب بنت اسحاق النفزاوية وكانت بارعة فـى الجمال والحسن كما قلنا ، وكـانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأي متين ومعرفة بادارة الأمور ، حتى كان يقال لهـا الساحرة ، فأقام الأمير أبو بكر عنـدها بأغمات نحو ثلاثة أشهـر، ثم ورد عليه رسول مـن بلاد القبلة فأخبره باختلال أمـر الصحراء ووقوع الخلافِ بين أهلهـا ، وكان الأمير أبو بكر رجلا متورعاً فعظم عليه أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً وهـو قادر على كفهم ، ولم ير أنه فى سعة مـن ذلك وهـو متول أمرهم ومسؤول عنهم ، فعزم عـلى الخروج الى بلاد الصحـراء لِيُصلح أمرهم ويقيم رسـم الجهاد بها ، ولما عزم على السفر طلـق امرأته زينب وقـال لها عند فراقه إياها يازينب انى ذاهب الى الصحراء وأنت امرأة جميلة بضة لا طاقةَ لكِ عـلى حرارتها ، وانى مطلقك ، فاذا انقضت عـدتك فانكحى ابـنَ عمى يوسف بن تاشفين فهـو خليفتى على بلاد المغـرب ، فطلقها ثم سافر عـن أغمات وجعل طريقه على بـلاد تادلة حتى أتى سجلماسة فدخلها وأقام بها أياماً حتـى أصلح أحوالها ثم سافر الى الصحراء ، ونقـل ابنْ خلكان من كتاب (المعرب عن سيرة ملـوك المغرب) فى سبب رجـوع الأمير أبى بكر بن عمر الى الصحراء ما مثاله قـال : كان أبو بكر بن عمـر رجلا ساذجاً خيـر الطبع مؤثراً لبلاده عـلى بلاد المغرب غير ميال الـى الرفاهية ، وكان ولاة المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملثمين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان الى ساحل البحر المحيط ، فلمـا حصلت البلاد لأبى بكر بن عمر سمع أن عجوزاً فـى الصحراء ذهبت لها ناقة فـى غداة فبكت وقالت ضيعنا أبـو بكر بن عمر بدخوله الى بلاد المغرب فحملـه ذلك عـلى أن استخلف على بلاد المغرب رجلا مـن أصحابه اسمه يوسف بـن تاشفين ورجع الى بلاده الجنوبية هـ .

وكـان سفر أبى بكر بن عمر الى الصحراء فى ذى القعـدة سنة ثـلاث وخمسين وأربعمئة ، ولما وصل اليها أصلح شأنها ورتب أحوالهـا وجمـع جيشاً كثيفا وغزا به بلاد السودان ، فاستولى منها عـلى نحو تسعين مرحلة ، وكـان يوسف بن تاشفين قـد استفحل أمـره أيضاً بالمغرب ، واستولى عـلى أكثر بلاده ، فلما سمـع الأمير أبو بكر بن عمر بمـا آل إليه أمر يوسف بن تاشفين وما منحه الله أقبل من الصحراء ليختبر أحواله ، ويقـال إنه كان مضمراً لعزله وتولية غيره ، فأحسَّ يوسف بذلك فشاور زوجته زينب بنت اسحاق وكـان تزوجها بعد أبى بكر بن عمر ، فقالـت له إن ابن عمـك متورع عن سفك الدماء ، فاذا لقيته فاترك ما كـان يعهده منك مـن الأدب والتواضع معه ، وأظهر أثـر الترفع والاستبداد حتـى كأنك مساوٍ لـه ، ثم لاطفْه مع ذلك بالهدايا من الأموال والخلع وسائر طـرف المغرب ، واستكثر مـن ذلك فانه بأرض صحراء ، وكل ما جلب إليه مـن هنا فهـو مستطرف لديه ، فلما قرب أبو بكـر بن عمر من أعمال المغرب خرج اليـه يوسف بن تاشفين فلقيه عـلى بعد وسلم عليه وهو راكب سلاماً مختصراً ، ولم ينزل إليه ولا تأدب معه الأدب المعتاد ، فنظر أبو بكر الى كثرة جيوشه فقال لـه يايوسف ما تصنع بهذه الجيوش ؟ قال أستعينِ بهـا عـلى مَن خالفنى ! فارتاب أبو بكر بـه ، ثم نظر الى ألف بعير قد أقبلت موقرة ، فقـال ما هذه الابل الموقرة ؟ فقال أيها الأميـر انى قد جئتك بكل ما معى من مال وأثاث وطعام وإدام لِتستعين به على بلاد الصحراء (1) فازداد أبـو بكر تعرفاً من حاله وعلم أنه لا يتخـلى له عن الأمر ، فقال له يابن عـم إنزل أوصيك ، فنزلا معاً وجلسا ، فقال أبو بكر انى قـد ولَّيتُك هذا الأمر، وانى مسؤول عنه ، فاتـق الله تعالى فى المسلمين واعتقنى واعتق نفسـك مـن النار ، ولا تُضيع من أمـور رعيتك شيئاً ، فانك مسؤول عنـه ، والله تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل فـى رعيتك ، وهـو خليفتى عليك وعليهم ، ثم ودعه وانصرف الى الصحراء ، فأقام بها مواظبـاً عـلى الجهاد فى كفار السودان الى ان استشهد مـن سهم مسموم أصابـه

1) انظر تفصيل هدية يوسف بن تاشفين الى أبى بكر بن عمر فى **الحلل الموشية** ص 16 .

فــى شعبان سنة ثمانين وأربعمئة بعد أن استقام له أمر الصحراء كافــة الى جبــال الذهب من بلاد السودان ، والله غالب عــلى أمره .

قال فى (الوسيط) البيبة (1) بلام مفخمة هي جبل أزرق ، وبها قبر أبى بكــر بن عمر بن أبى بكر أحد سلاطين مراكش ، وهــو عم يوسف بن تاشفين ، وكان ثار عليه فى مدة غيبته فتركه وذهب الى الصحراء مات بها ، وبينها وبين تيججكة يوم ونصف .

ترجمه ابــن خلدون وابــن جزي وصــاحب (الحلل الموشيــة) وصاحب (درة السلوك) و (الاستقصا) وغيرهم .

59) أبــو بكر بن إبراهيم الأمير أبو يحيى المسوفى الصحراوى .
قال فى الاحاطة (2) من أمراء المرابطين ، صهر علي بن يوسف بن تاشفين زوج أخته ، أبو ولده منهــا يحيى المشهور الكرم .

أوليته : معروفة ، تُستتَقرأ عند ذكر ملوكهم .

حــاله : كان مثلا فى الكرم وآية فى الجود ، أنسى أجواد الاسلام والجاهلية إلى الغايــة فى الحياء والشجاعة والتبريز فى ميدان الفضائــل ، استوزر الوزير الحكيم الشهير أبا بكر ابن الصائغ واختصه فتجملت دولته ونبه قدره ، وأخباره معه شهيرة .

ولايتــه : ولي غرناطة سنة خمسمئة ، ثم انتقل منها إلى سرقسطة عند خروج المستعين ابن هود الى روطة (3) فأقام بها مراسم الملك وانهمك فى اللذات وعكف على المعاقرة ، وكان يجعل التاج بين ندمائه ويتزيَّى بزيٍّ الملوك ، إلى أن هلك بها تحت مضايقة طاغية الروم المستولى عليها بعد .

1) انظر **الوسيط فى تراجم أدباء شنجيط** ص 447 .

2) **الاحاطة** 1 : 412 تحقيق الأستاذ عبد الله عنان .

3) **روطة** Rueda مدينة قديمة بالأندلس تقع على نهر خالون غربى سرقسطة ، كان يلجأ اليها بنو هود لمناعتها كلما شعروا بالخطر على ملكهم ، ولا تزال بها الى اليوم أطــلال حصن اسلامى .

خروجه من الصحراء

قال المؤرخ : كان أبو بكر هذا رئيساً على بعض قبيله في الصحراء ، وكــان ابن عمه منفرداً بالتدبير ، فاتفــق يوما أن دخل عــلى ابن عمه فى خبائه وزوج ابن عمه تمتشط فى موضع قريب من الخباء ، فانشغلت نفس أبى بكر بالمرأة لحسنهــا وجمالها ، فحين دخــل قال لابن عمه فلانة تريد الوصول اليك ، وإنما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه فنطق باسم المرأة لشعل باله بها ، فقال له ابن عمه بعد طول صمت وفكرة وقد أنكر ذلك : عهدى بهذا الشخص لا يستأذن علينا ، فرجع اليه عقله وتــاب اليه لبــه ، وعلم قدر ما من القبيح وقــع فيه ، فخرج من ذلك المجلس وركب جملــه وهــان عليه مفارقة وطنه من أجل العار ، واستصحب نفراً قليلا من أصحابه على حال استعجال ، ورحل ليلا ونهاراً الى أن وصل سجلماسة أولى عمالات علي بن يوسف ابن عمه ، واتصل به قدومُه فأوجب حقه وعرف قدره وعقد لــه على أخته وولاه على سرقسطة دار ملك بنى هود بشرق الأندلس بعــد ولاية غرناطة .

نبذة من اخباره فى الكرم

قالوا لما وصــل الى ظاهر سجلماسة مجهول الوفادة ، خافي الأمر، نزل بظل نخلــة بظاهرها لا يعرف أحداً ولا يقصده ، فجاء فى ذلك الموضع رجــل حداد فقراه بعنز كان له وتعرف لــه ، وأبو بكر يستغرب أمــره ، فلما فرغوا مــن أكلهم قال للحداد ألا تصحبنا لموضع أملنا وتكون أحــد إخواننا حتى تحمد لقاءنا ؟ فأجابه وصحبه الحداد وخدمه ، فلمــا قربوا من مراكش استأذن أبــو بكر على علي بن يوسف بــن تاشفين وأعلمه بنفسه ، فأخرج لــه علي بن يوسف فرساً من عتاق خيله وكسوة مــن ثيابه وألف دينار ، فأمر أبــو بكر بدفعها للحداد ، فبهت الحداد وانصرف الرســول راجعــاً الى مرسِله ، فأخبره بما عاين من كرمه وفعله ، فأعــاده إليه فــى الحيــن والساعة بفرس آخر وكسى كثيرة وآلاف من المــال ، فلما دخــل مراكش ولقي علي بــن يوسف وأنزله أنزل الحداد مــع نفسه فى بيت واحد وشاركه فى الأموال التى توجَّب بها ، فانصرف يجرُّ وراءه دنيا عريضة .

ولما ملك سرقسطة اختص الوزير الحكيم أبا بكر ابن الصائغ ولطف منه محله ، ذكر أنه غاب يوماً عنه وعن حضور مجلسه بسرقسطة ثم بكّر من غد فلما دخل قال له أين غبت ياحكيم عنا ؟ فقال يامولاي أصابتني السوداء واغتممت ، فأشار الى الفتى الذى كان يقف على رأسه وخاطبه بلسان عجمى فأحضر طبقاً مملوءاً مثاقيل وعليه نوار ياسمين فدفعه كله اليه ، فقال ابن باجّه يامولاي لم يعرف جالينوس هذا الطب ! فضحك .

وذكر أنه أنشده شعراً فى مدحه وقد قعد للشراب واستفزه الطرب وحلف أن لا يمشي الا من فوق المال الى منزله فى طريقه، فالتمس الخدام برنسَه بأن كانوا يطرحون من المال شيئاً له خطر على أوعيته حتى يغمرها فيمشى خطواً الى أن وصل الى منزله ، وحسد الحكيم أصحابُه ولم يقدروا على مطالبته ، واتفق أن سار الأمير أبو بكر وأمر أصحابه بالتأهب والاستعداد ، فاستعدّ ابن باجه واتخذ الأقبية والأخبية واستفره الجياد من بغال الحمولة ، فكانت له منها سبعة صفر الألوان حمل عليها الثياب والفرش والمال ، فلما نزل الأمير بمقبرة مرت عليه البغال المذكورة فى أجمل الهيئات ، فقال لجلسائه لمَنْ هذه البغال ومن يكون له من رجالنا هذا ؟ فأصابوا الغرة ، فقالوا هي للحكيم ابن الصائغ صاحب سرقسطة ، وليعلم مولانا أن فى وسط كل حمل منها ألف دينار ذهباً سوى المتاع والعدة ، فاستحسن ذلك وقال أهذا حق ؟ قالوا نعم ، فدعا الخازن على المال وقال له ادفع لابن باجه خمسة آلاف دينار ليكمل له اثنا عشر ألفاً ، فقد سمعتُه غير ما مرة يتمنّى أن يكون له ذلك ، ثم بعث عنه فى الحين، وقال له ياحكيم ما هذا الاستعداد ؟ فقال له يامولاي كل ذلك من هباتكم وأعطياتكم ، وقد علمت أن إظهار ذلك يسركم ، فسرّ بذلك ، وأخباره رحمه الله كثيرة .

محنته :

قالوا ولما ولي غرناطة سنة خمسمئة ثار بها وانبرى على قومه لأمر رابه ، فانتبذ عنه أهله وناصبوه الحرب حتى استنزلوه عنوة وقبضوا

عليه ووجهوه الى علي بن يوسف ، فآثر الابقاء عليه وعفا عنه واستعمله بسرقسطة كذا ذكره الملاحي وأشار اليه ، وعندى أن الأمر ليس كذلك ، وان الذى جرى له ذلك هو أبو بكر بن علي بن يوسف تاشفين فليحقَّق .

وفاته :

توفي بسرقسطة سنة عشر وخمسمئة بعد أن ضاق ذرعه بطاغية الروم الذى أناخ عليه بكلكله ، وعندما تعرف خبر وفاته واتصلت بالأمير ابراهيم بن تاشفين وهو يومئذ والى مرسية بادر الى سرقسطة فضبطها ونظر فى سائر أمورها ، ثم صدر إلى مرسية .

رثاؤه :

ورثاه الحكيم أبو بكر ابن الصائغ بمراث اشتهر منها قوله :

سلام وإلمام ووسمي مزنة ... على الجدث النائى الذى لا أزوره
أحق أبو بكر تقضى فلا ترى ... ترد جماهير الوفود ستوره
لئن أنست تلك اللحودُ بلحده ... لقد أوحشت أمصاره وقصوره

ومن ذلك :

أيها المالكُ المفدى لعمرى ... نَعِي المجدُ يوم قمنا فنحنا
كم تقارعت والخطوب الى أن ... غادرتك الخطوبُ فى الترب وهْنا
غير أنى إذا ذكرتك والدهـ ... ـر أخال اليقينَ فى ذاك ظنا
وسألنا متى اللقاء ؟ فقيل الـ ... ـحشر قلنا صبراً اليه وحزنا

وما ذكره ابنُ الخطيب فى قضية حلفه أن لا يمشي إلا من فوق المال الخ عبارة قاصرة لأنه لم يبين الشعر الذى أنشده ، والواقع أن الحكيم ابن باجه المذكور صاحب التلاحين المعروفة حضر مجلس مخدومه المذكور فالقى على بعض قيْناته موشحتَه :

جرر الذيل أيما جر ... وصل السكر منك بالسكر

فطرب الممدوح حتى ختمها بقوله :

عقد الله راية النصـــــــر   لأمير العلا أبي بكـــــــر

فلما طرق ذلك التلحين سمعه صاح واطرباه ! وشق ثيابه ، وقال ما أحسن ما بدأت به وما ختمت ، وحلف بالايمان المغلظة أن لا يمشي ابن باجه الى داره إلا على الذهب (1) .

60) **أبو بكر بـن ميمون القرطبي** ، أخذ عنه حسن بن علي الأنصارى بمـراكش ، وصحبه أبو بكر بن عثمان بـن صالح المسراتى المراكشـي النشـأة قاضى مدينة أنفا بتامسنا ، الشيـخ الفقيه الحاج البادى القشـف والسذاجة ، قرأ فى مراكش على أبى الحسن المرسى ، وأبى عبد الله العبدرى ، وبحاحـة على يحيى بن سعيد ، وأبى زيد بـن عبد الله ، وأخيه أبى بكـر ، وبأغمات على أبى العباس المعروف بأقدم ، وحج سنة أربع وثلاثين وسبعمئة، وولي القضاء بقصر كتـامة وحصن القاهرة وأزمور وانفا ، وأقـرأ بمدرستها كتاب أبى عمرو بن الحاجب .

مولده فى حدود عشرة وسبعمئة .

ذكره ابن الخطيب فى (نفاضة الجراب) .

61) **أبو بكر بن أحمد التاملى** الفقيه اللغوي الأديب شارح مقصورة المكـودى .

توفي رحمه الله بمراكش سنـة سبع وسبعين وتسعمئة كما رمـز لذلك الفشتالى فى لاميته المشهورة .

ذكره الحضيكى فى الطبقات (2) .

---

1) ترجم المؤلف بعد هذا لأبى بكر الصيرفى صاحب كتاب **الأنوار الجلية** ، وقال ان ترجمته سبتأتى فيمن اسمه يحيى ، فهو مترجم لديه مرتين ، مرة مع اسمه ومرة مع كنيته ، وقد فضلنا أن نجمع الترجمتين فى ترجمة واحدة ونثبتهما فى مكان الاسم من حرف الياء ، كما ترجم أيضاً لأبى بكر ابن القصيرة ، واسمه محمد ، وستثبت ترجمته مع المحمدين .

2) **طبقات الحضيكى** ص 154 .

62) **أبو بكر بن احمد بن سعيد الجزولي** نزيل مراكش ، أخذ عـن الامـام منصور بن أحمد بن ابراهيم حرزوز المكناسي وكتب لـه إجازة قال فيها : قـدم علينا الكامل ، العلامة العامل ، الجامع ، لخصال الفضائل ، الفقيه الجليل سيدنا أبو بكر بن أحمد الجزولي الخ وعن الفقيه الأديب سعيد ابن علي بن محمد الحامدى الجزولى ، وأجاز له أيضاً جميع ما فى فهرسة ابن غازى ، وعن الشيخ محمد بن محمد بن إبراهيم الجزولى وكتب له الاجازة ، وانظره مع الذى فوقه هل هما واحد أم لا ؟ .

ذكره الحضيكى فى طبقاته (1) ، وستأتى ترجمة شيخه سعيد الجزولى.

63) **أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطى الدلائى** ، الولي الكامل ، الشيخ الفاضل ، الصالـح المجمع عـلى تبريزه ، الذى صاغه الدهـر من خلاصة إبريزه ، وأبو بكر اسمه ، وكنيته أبو الجمّال ، قال فـى (الممتع)، قال فى (المرءاة) هـو من أكابر مشايخ المسلمين ، وأولياء الله المقربين ، واحد عصره ، ونسيج وحده ، متخلق بالشريعة ، متحقق بالحقيقة ، بحـر جود لا ساحل له ، يعطى عطاء من لا يخاف الفقر :

فلو رأى مَن مضى قدماً مكارمــه لم يذكروا فى الندا معناً ولا هرماً

أقـام الله به رسم الجـود ، وأفـاض به نعمته عـلى الوجـود ، يكـل اللسـان والقلـم عـن استيفـاء فضائلـه التى هي أشهر من نـار على علـم ، وحسبك أن المغرب لما تداعت قواعده وأنهدت أركـان الملك به فاختـل النظام وماج الناس كان مؤئلا لأهـل العلم والدين ، وموردا للضعفاء والمساكين ، فاعتصم الاسلام منه بربوة ذات قرار متين ، فهو الذى أمسك رمقه ، وأبقى رواءه ورونقه ، وذكر أن أخاه الشيخ احمـد بن الشيخ سيدى يوسف الفاسى زار صاحب الترجمة فـى محرم فاتح ثمانية عشر وألـف فاقام عنده أياماً وأخذ عنه وانتفع به ، فلما رجع الى فاس سألوه عنه ، فقال لهم أخذ الناس بالأوصاف وأخذ سيدى أبو بكر بالاتصاف هـ .

---

1) طبقات الحضيكى ص 154 .

وكـان كثير الاطعام أمراً خارجاً عن الوصف ، مباينا للعادة والألف، وكان يـطعم الناس على قدر طبقاتهم وما يناسبُ حالَهم فى جودة الطعام ورداءته على سنة شيخه سيدى أبى عمر وطريقته ، فقال له إنسان إطعامك فيه الرياء فان سيدى فلان إنما يُطعم الناس سواء ، فقال له مَن حسب الناس سواء فما لحمقه دواء ، فان الناس أصناف ، وكل واحد وما اعتاد من الغـذاء ، فالبدوى الذى ألـف الطعام الغليظ من الدخن وشبهه إن أطعمته الدقيـق لم يـشبعـه وبات جائعاً ، والحضرى الذى ألف الدقيق ان أطعمتـه غيره لم يقبل عليه ولم يسغه وبات جـائعاً ، وان بات أحدهما جائعاً ولم أطعمه ما يحب فقـد أهنته ولم أكرمه ، وقد قـال النبيُ (ص) : مَن كـان يومن بالله واليوم الآخر فلـيُكرم ضيفَه .

وحـدث عنه بعض حفـدة الشيخ أبى المحاسن الفاسى أنه سمعه يقول : إن أهل الله أشاروا عليه باتخاذ الزاوية لاطعام الطعام ، فأرسـل الى الشيـخ أبى المحاسن ينظر ما يقول فـى ذلك ، فبعث إليه أبو المحاسـن ببرمة وكسكاس نحاس موافقة منـه على ذلك .

وكـان مراعياً للشريعة محافظاً على السنة جارياً عليها بحاثا عـن العلم حاضاً عـلى تعلمه وتعليمه ، تالياً القرآن كثير الذكر والصلاة على رسول الله (ص) زاهداً فى الدنيا غير ملتفت اليها ولا ناظر الى زهرتها ولا مغتر بزخرفها ولا مفتون بزينتها ، وكان ما يفتح عليه به منها يصرفه مصارفـه فـى الحين على الفقراء والمساكين والعلماء والشرفاء وغيرهم ، ولا يلتبس من ذلك بجليل ولا حقير ، وكـانت الرحمة والحنان عـلى جميع المومنين وصفاً غالباً عليه ، يسر بما يسرهم ، ويغتم ويهتم بمـا يؤلمهم ويضرهم .

وبركاته كثيرة وكراماته ومكاشفاته شهيرة ، أذكر منها إنـه كان يوماً جالساً فجاءه انسان يسأله كسوة وعليه ثياب خلقة ممزقة ، فقال لانسان عنده قـم يافلان فاذهب بـه وفتش ما عليه ففتشه فوجد فى درابيله عدداً كثيراً من الدنانير نسيت تحقيقه ، فأتى بها الشيخ ، فقال له اشتر له منها كسوة ففعل وأتاه بها فأعطاه اياها وناولـه ماله ، وقال له هكذا ينبغى للرجل

أن يكسو نفسه ولا يكون لأحد عليه جميل ، فمن يومئذ أطلق على الرجل ماله وصار يتصرف فيه وينتفع به .

ومن كلامه رضي الله عنه في تقبيل اليد : مَن مد يده الى التقبيل وهي يده فحقها القطع ، ومَن منعها من التقبيل وهي يد الله فحقها القطع .

وأخذ رضي الله عنه على سبيل الارادة والتحكيم عن سيدى أبى عمر القسطلي المراكشي وأقبل عليه في أول مرة اقبالا عظيماً وضمه اليه وألبسه قلنسوته بيديه، وكان رأس صاحب الترجمة أضخم من رأس الشيخ فلم تسع القلنسوة رأسه ، فجعل الشيخ يوسعها ويكلفها رأسه ، فاخبر صاحب الترجمة أنه فتح له في ذلك الالباس بأمر عظيم من الملك والملكوت وعالم الملائكة ثم الغيب عن ذلك كله ، ثم صار يتردد اليه ويذهب لزيارته صحبة الشيخ عبد الله بن يعقوب نزيل مدشر عبد الله ودفينه الى أن توفي الشيخ عبد الله فصار صاحب الترجمة هو الذى يتقدم بالزوار من المريدين خلفاً من عبد الله ، وهاج عليه سلطان المحبة مرة فذهب الى الشيخ وحده فلما وصله وجده بجنازة والوباء بمراكش ولعله وباء خمس وستين وتسعمئة فقال له الشيخ ما جاء بك ؟ ألم يقل النبيء (ص) إذا سمعتم الوباء بأرض قوم فلا تقدموا عليه ؟ فقال له لا عقل لى فقال له أين رفقاؤك الذين صحبتهم في طريقك ؟ فقال انما جئت وحدى ، فقال له ألم يقل النبي (ص) الواحد شيطان والاثنان شيطانان ؟ فقال له لا عقل لى ، فقال له فأين عصاك ؟ فانه ما من نبيء الا كانت معه عصى ، فقال له لا عقل لى ، فعذره ، ولما توفي الشيخ وجد صاحب الترجمة النقصَ في حاله وفقد ما كان يعهده من نفسه فلم تقله أرض ولم تظله سماء وهام على وجهه فى البرية مع الوحوش والسباع وأقبل على تلاوة القرآن ، فقرأ ختمات كثيرة ، فلم يرجع اليه حاله ، ثم أقبل على ذكر لا إله الا الله فلم ينجبر ، ثم اشتغل بالصلاة على النبي (ص) فعاد إليه حاله وما فقد ، وكان فى حياة شيخه إذا رجع من عنده مرةً فى طريقه ببلاد سيدى محمد الشرقى بتادلة وكان أعنى صاحب الترجمة ظهر بتلك النواحى واشتهر ، فكان اذا قرب من

منــزل سيدى محمد أحس بنقص فى نفسه فألهم أو رأى أن ذلــك انمــا يطرأ له من قبــل الشيخ المذكور ، فعاد يتجنب طريقه وياتى عــلى الجبــل ، وقيل إنــه شكى ذلك لشيخه سيدى أبى عمر فأمره أن يتجنب طريقــه ، وكان الشيــخ أبو عبد الله رجلا قوياً ذا عناية يغار أن يظهر معه أحد بتلــك البلاد ، ثــم انه ذهب اليه بعد ذلك زائراً فــى رفقة من زواره حاملا حزمة حطب على ظهره فتلقــاه بالترحيب والاقبال ، ودعــا له بالخير ، وقال لــه اذهب ياولدى فــان جميع الأولياء كسرت سواقيهم اليك .

وفــى (المرآة) حدثنى الشيخ محمــد يعنى ابن سيدى أبى بكــر أن الشيــخ أبا عبد الله الشرقى أخذ عن الشيخ محمد المختار وأنه قــال لــه كنت مع سيدى محمد بن عمر مثل والدك سيدى أبى بكــر معى ، وقال لى ضيق البــاب ، وقل أنت سيدى أبى بكر ضيق الباب ، فقلت للشيــخ أبى عبد الله ما قصدهم بذلــك ؟ قال التقليل من جموع الناس هـ . وأتــى بلاد زعير لسيدى محمد ابن مبارك الزعرى وقيل وسيدى مبارك الطيبــى وغيرهما من جملة أصحاب سيدى عمــر رضي الله عنهم ، وزار أيضاً سيدى أبا الطيب اليحياوى بمنزله من ميسور ، وبلغنى أن سيدى علي بن ابراهيم البوزيدى هــو الذى سماه بأبى بكر وذلك أنه اجتاز بتلك البلاد أيام ولادته فأتوه بطعام عقيقته وقالوا له فما نسميه ياسيدى ؟ قال أبــو بكر ، فقالوا له ان البربر يغيرون الأسماء فيصيرون أبا بكر بك ، فقال لهم لا يغيرونه إن شاء الله فكان كذلك رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم .

قال فى (المرآة) ولد الشيخ أبو بكر سنة ثلاث وأربعين وتسعمئة، وتوفي عند طلوع الشمس يومَ السبت الثالث من شعبان سنة احدى وعشرين وألف ، ودفن فى الدلاء هـ .

وقال فى (الصفوة) نزلت العكاكزةُ يوماً قريباً من زاويته حيــن هربوا من بلادهم ، فأتوا وهم جياع ، فشكوا له ما بهم من الفاقة ، فقال لهم ها زرع الزاوية محصوداً مجموعاً ادرسوا منه وكلــوا ، فأنكر ذلك كبيــر أولاده سيدى محمد بن أبى بكر وقال لــه ان هؤلاء فساق وكفار ثــم هم ظلام

محاربون وكيف تعينهم وتبيح لهم زرع المساكين ؟ فقال له الشيخ : أريد أن أتخذ عندهم يداً ، فاذا سلبوا مسكيناً يوماً وجاء الي يشتكى كتبت له كتاباً فلابد أن يراعوا هذا الخير فيردون عليه متاعه ، فأنا إنما فعلت هذا لحق المسكين (1) .

وألف سيدى عبد السلام القادرى فيه وفي ولده سيدى محمد (نزهة الفكر ، فى مناقب الشيخيْن سيدى محمد ووالده أبى بكر) وقال فى (الروضة السليمانية) إنه كان فى الدلائيين خمسة وعشرون عالماً مدرسين في المعقول والمنقول ، أولهم جدهم أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطى الصنهاجى من قرية دلاء ، وقال العلامة الشريف سيدى محمد بن مبارك ابن حفيد : إن جدهم سعيد بن عمر بن . . . . الوجارى الصنهاجي ، وهو الصحيح المعتبر لأنهم دخلاء فى مجاط ، وكانوا يخدمونهم لما كانت بيدهم الدولة ، ولما زالت بقي لهم منصب العلم الذى لا يزول الا بزواله ، ولما زال منهم وانقطع تعلق جهلة الخلق منه بهذا النسب البكرى ، وكان أدباء الوقت وشعراؤهم كالحوات واليازغى بعده لما تحققوا بحمقهم وقلة مروءتهم صاروا يسخرون منهم ويرفعون نسبهم للبكرى الصديقى ، فادا لامهم لائم أو عاتبهم قالوا انما جعلنا لهم ذلك فى الطريقة لا فى النسب، فلا تعتبر ذلك ، مات أبو بكر جدهم عام 1020 ثم ولده بن أبى بكر مات عام 1046 ثم المسناوى بن محمد مات عام 1051 ثم عبد الخالق بن محمد مات عام 1059 ثم المسناوى بن اسماعيل مات عام 1064 ثم عمر بن أبى بكر مات عام 1069 ثم محمد بن الخديم مات عام 1072 ثم الطيب بن المسناوى مات عام 1074 ثم محمد الحاج بن محمد بن أبى بكر مات عام 1082 ثم محمد بن محمد بن عبد الرحمن مات عام 1082 ثم محمد المرابط مات عام 1088 ثم محمد بن عبد الله البكرى مات عام 1089 ثم أحمد بن عبد الله البكرى مات عام 1091 ثم الغزوانى بن محمد مات عام 1091 ثم الشرقى بن أبى بكر مات عام 1095 ثم محمد الشاذلي مات عام 1103 ثم ابنه محمد مات عام 1107 ثم محمد البكرى الخديم مات عام 1114 ثم محمد المسناوى مات عام 1136 ثم أبو بكر الثانى مات عام 1138 ثم أحمد المسناوى عام 1140 ثم

---

1) صفوة من انتشر ص 47.

محمد المسناوى عام 1150 ثـم محمد بن الخديم عام 1156 ثـم أبو بكر بن محمد عـام 1164 ثم عمر بن عبد الله عام 1176 ثـم أحمد البكرى عام 1180 وهـو خاتمهم ، وقد تقدم ذكر وفاة المترجم سنـة 1021 وهم فروع شجـرة لمتونة ، وفـى اعقابهم من الاكابر ما يزيد عـلى الأربعين من العلماء ، ومامنهم الا مـن درس العلم وحققه ، والـدلاء التى استقر بها المترجم عـلى زنة الدلاء التى هي جمع دلوا ، وهي بلدة طيبة عـلى ثلاثة مراحل من مدينة فاس ، وهو الذى بنى الزاوية بهـا واستوطنها ولده بعده ، وسميت بالزاوية البكريـة نسبة اليه ، وكانت ولادته رضي الله عنه سنة 943 ثلاثة وأربعين وتسعمئة ، وزاويته بها أحيى الله العلم فى القرن الحادى عشر ، وكذلـك زاوية سيدى مَحمد بن ناصر فى درعة وسيدى عبد القادر الفاسى بفاس .

64) **أبو بكر بن مسعود الوردى المغربى المراكشي** ، مفتى المالكية بـدمشق ، ذكره البورينى وقال فـى ترجمته أخبرنى من لفظه أن مولـده بمدينـة مراكش وبها نشـأ وحفظ القرآن ، وقال لى ان شهرتم بمـراكش ببيت الوردى ، ورد الى دمشق أولا مـن مصر فى سنة 993 ثم رجع الى مصر وأقام بهـا الى سنة 1003 ثـم قدم الى دمشق وألقـى بها عصا الترحـال ودرس بالمدرسة الشرابيشية لأنهـا مشروطة للمالكية ، قال وأخبرنى أنـه قرأ بمصر الفقه عـلى شيخ المالكية الشمس محمد البنوفرى وعـلى الشيخ طه المالكي وغيرهمـا ، وأخذ الأصول عن الشيخ حسن الكنانى ، ومعظـم قراءته كانت عـلى أبى النجا سالم السنهورى المحدث الكبير مفتى المالكيـة فى عصره بمصر . وذكره الغزى فى (لطف السمر) ، وكان لـه مشاركة فـى العربية وغيرها ، لكنه كان بعيد الفهم ، وأخذ بالشام عن مفتى الملكية بهـا علاء الدين بن مرجل ، وأفتى بعد القاضى محمد ابـن المغربى وولي تدريس الغزالية ثـم تفرغ عنها ليحيى بن أبى الصفاء المعروف بابن محاسن، وذكر البورينى أن ولادته كانت فى سنـة أربع وثمانين وتسعمئة تقريبا ، وتوفي فى شعبان سنة اثنتين وثلاثين وألف ، ودفـن بباب الصغير رحمه الله .

نقله فى (خلاصة الأثر) .

65) **أبو بكر بن يوسف السكتاني المراكشي** ، قال أبو سالم فى (اقتفاء الأثر) عند ذكر شيوخه ما نصه : الخامس الموطأ الأكناف ، الكثير الاسعاف ، العالم العلامة الحاج الرحالة الفقيه المتفنن الزاهد المتدين النزيه ، المتصوف المحقق فى سائر العلوم سيدى أبو بكر بن يوسف السجتانى المراكشى رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وبعلومه آمين . رحل الى المشرق ثلاث مرات وجاور بمصر والحجاز سنين متعددة ، وسافر الى القُدس وحج أكثر من عشر حجات ، لقيته بمصر سنة تسع وخمسين وصحبته الى المغرب فى الرجوع ، سمعت عليه بعض الشمائل ، ولقننى الذكر بظاهر بسكرة ، وأجاز لى فى سائر مروياته فى العلمين عن جميع أشياخه ، وكتب فى ذلك بخطه مراراً ، ومن أشياخه علامة زمانه الشيخ أبو الامداد اللقانى ، والشيخ عبد الرحمان اليمنى ، والشيخ يوسف الزرقانى ، وغيرهم من أهل مصر ، والشيخ أحمد العلمى من أهل القدس وعنه أخذت طريق التصوف ، وسيدى أحمد بابا من أهل تنبكتو ، وسيدى أبو القاسم بن محمد الدرعى وهو يروى عن ابن مجبر عن ابن غازى وهو أعلى سند يوجد فى زمانه ، وأخذ عن غير هؤلاء من أهل بلده .

توفي رحمه الله سنة ثلاثة وستين وألف بمدينة مراكش ، ثم قال ومنهم شيخنا الأبر الأطهر سيدى أبو بكر بن يوسف السكتانى المراكشى، كان رحمه الله رضياً من العيش بالدون ، ومكتفياً من الدنيا بقليل ، شديد الورع فى مطعمه ، موثراً للخمول ، لايكاد يميزه من يراه من عامة الناس ، كثير التطواف فى أقطار الأرض ، وذاكرته يوماً فيما يؤثر عن ابن مرزوق وغيره أنه يسمع بموضع الوقعة ببدر صوت طبل حتى الآن ، فقال لى مررت بذلك نحواً من سبع وعشرين مرة فما سمعته ، وذلك يدل على كثرة تردده فى تلك البقاع المطهرة ، وقد سمعنا فى مجارى الخطاب ما دل على أنه ترك أبواباً كثيرة من الحلال مخافة أن يقع فى الشبه رضي الله تعالى عنه ، وقد شاهدنا له كرامات كثيرة ، تلقنت منه الذكر بظاهر بسكرة ، وتلقنت منه أذكاراً أخَر ، وأجاز لى التلقين بالمصافحة ولبس الخرقة ، والجلوس على السجادة لتربية المريدين ورفع الراية لزيارة الاخوان والاحتزام بالحبل

والرفع به ، قائلا سلكناك قطبناك تفاؤلا ، وكتب لى ذلك بخطه عن شيخنا الجامع بين الشريعة والحقيقة الشيخ أحمد العلمى المقدسى بأسانيده رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

وقال اليوسى فى فهرسته ما نصه : وجعل بعضهم العلوم الشرعية اثني عشر ونظمه الامام الشيخ أبو بكر بن يوسف السكتانى :

تفقهْ بتفسير الحديث مؤرخاً ... بوقت بيان الارث أصل المحجة
ولا تغفلن نحواً بضمن لغاته ... تصوف بسر من علوم الشريعة
تنلْ به مرقى من مراقى أفاضل ... وتحظ بنيل المجد أبلغ منية

قال وقولى أصل المحجة يتناول الأصلين أصول الفقه وأصول الدين ، وأراد بها ما يتعلق بالدين مقصداً ووسيلة ، وقد أغفل السيرة وهي من هذا القبيل إن لم يدرجها فى التاريخ أو فى الحديث ، وأغفل الحساب وهو محتاج إليه ، والخطب سهل .

وقال فى (الصفوة) ما نصه : ومنهم الشيخ الامام الرحال أبو بكر بن يوسف السجتانى ، ويعرف فى مراكش بالمغارة ، من أكابر العلماء ، وخلاصة الأولياء ، رحل الى المشرق ثلاث مرات ، وجاور بمصر والحجاز سنين متعددة ، وسافر إلى القدس وحج أكثر من عشر حجات ، أخذ بالمغرب عن سيدى أحمد بابا ، وسيدى أبى القاسم بن محمد الدرعى ، وهو يروى عن ابن مجبر عن ابن غازى ، وهذا أعلى سند يوجد فى زمانه ، وأخذ بمصر عن ابراهيم اللقانى وكان مقيماً بداره من جملة اولاده ، وعن أبى فجلة الزرقانى ، وبالقدس عن الشيخ أحمد العلمى ، ومنه أخذ طريق التصوف ، ثم انكفّ للمغرب واستقر بمراكش ، فانثال عليه الناس للأخذ عنه ، فتصدر للتدريس ونشر العلم فانتفع به الكثير ، وكان عارفاً بفنّ القراءات ، وله فيها أجوبة نظماً ونثراً ، مع الزهد فى الدنيا والتبتل إلى عبادة ربه والثقة فيما ينقله والتثبت فيما يرويه .

ومن فوائده قال رأيت بالمدينة المنورة بخط الامام ابن رشد قال لا يحل لأحد يومن بالله واليوم الآخر أن يقول قال أبو محمد الا باذنه ، ومنها قال كنت أقرأ (الجامع الصغير) وكنت أقول فى أول الحديث بالجامع الأزهر وبالحجاز ألا سالته ، فلم يجد عند أحد منه ما يشفى غليلا ولا من يستشكل ذلك إلى أن وقعت على شرح النواوى على التهذيب فى مذهب الشافعية، فوجدته تكلم على المسألة وقال لا يحل لأحد أن ينسب لأحد من العلماء بصيغة الجزم إن لم يكن له أستاذ بأن يقول مثلا قال اروى فضلا عن رسول الله (ص) بل يذكره بصيغة التعريض بيُروى أو يُذكر ، قلت وهذا أعجب ، فان المسألة مبسوطة فى ألفية العراقى وشروحها فكيف تخفى على أولئك الأئمة ؟ وكيف يحتاج عليها إلى مثل هذا التنقيب العظيم ؟ ومنها قال كنت أسمع كثيراً من المحدثين وطريقة الأدباء ، فاما الأدباء فانهم يقرأونه على أصله ، وأما المحدثون فانهم يضمون ما قبل الواو، ويسكنون الواو سكوناً ميتاً ، ولم يذكر أحد أنه يقرأ بالتاء ، وكنت أسأل مَن لقيت عن ذلك فكلهم يقول بالتاء تقليداً ولم يكن عند أحدهم نص إلى رأيت فى (النور النبراس ، على سيرة ابن سيد الناس) نص المسألة بنفسها بعد أن ذكر الطريقتين فقال : وأما من يقرؤه بالتــاء فلحن فسررت بذلك ، ومنها حين يذكر طلبة المغرب وقلة اعتنائهم بالحديث وبمعرفة اصطلاحه فذكر أن بعض الطلبة كان يقرأ (الشفــا) وكان القارىء يقول حدثنا فلان فقلت له ما معنى حدثنا الثانى هل هو مفعول الحديث الأول أو كيف تقول فيه ؟ فهلا جعلتم بينهما قال ليصح المعنى ! قال ولابد للمحدث أن يقول بين التحديثتين قال والا كان مصحفاً ، وقال لما لا معنى له هـ ، قلت ذهب عبد اللطيف ابن المرحل النحوى الى أن ذلك أي التلفيظ فقــال ليس بشرط وأنكر على من اشترطه ، لأن حذف القول من حديث البحــر ، وجاء به القرآن ، وقال النواوى إسقاطهما خطأ ولا يبطل السماع ، ومــن فوائده أيضاً أن بعض الناس سأل عن أهرام مصر فقال له ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى بعض تآليفه عن بعض العلماء أن الأهرام بنيت والنسر فى منزل كذا ، وهو الآن قد قطع تسع منازل ، ومن المعلوم أن النسر لا يقطع المنزلة إلا فى نيف وثلاثين ألف سنة ، ومن فوائده أيضاً ما رأيته بخط أبى

عبد الله المامون الحفصى قال حدثنى شيخنا العلامة المحقق الرحالة الحاج الناسك سيدى أبو بكر السجتانى أن الشيخ خالد المكى مفتي مكة أخبره أنه أفتى بتحريم الدخان عام أحد عشر ، قال فسألته عن مستنده فى فتياه ، فقال فى قوله تعالى فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين إلى أليم ! قال وذلك من تسمية الدخان عذاباً ، والعذابُ يجب تجنبه فهو حرام ، فينتج أن الدخان حرام وهو المطلوب ، قال شيخنا فباحثته بأن المحكوم عليه بكونه عذاباً هو دخان معيَّن بقرينة اسم الاشارة، ولا يلزم من الحكم على الدخان المعين بكونه عذاباً الحكم على مطلق الدخان بذلك. ونظيره قوله تعالى هذا عارض ممطرنا إلى قوله تعالى ريح فيها عذاب أليم ، فحكم على الريح باشتمالها على العذاب الأليم ، ولا يلزم من ذلك الحكم على كل ريح بذلك ، ولأنه يسد المسام ، فقلت له ما الدليل على أنه يسد المسام ؟ فقال لى سده للعود الذى يجذب به أن يسد المسام ، ولما علم أن العروق مشتملة على رطوبات مانعة من تعذر الدخان ومكثه هنالك هـ . وفوائده رحمه الله كثيرة ، أخذ عنه العلامة ابن سعيد المرغيثى ، والشيخ أبو عبد الله بن ناصر ، وأبو سالم العياشى .

توفي رحمه الله سنة ثلاثة وستين وألف ، ودفن خارج باب الدباغ أحد أبواب مراكش ، وقبره هناك شهير ، وهو الذى تُسميه العامة بسيدى أبي المال ، بنيت عليه قبة صغرى ، ومازالت مسنمة بقرب الوادى عن يمين الخارج من باب الدباغ بعد قبة الولي الصالح سيدى علي بن ناصر الآتية ترجمته ، وما ذكره فى (الصفوة) من وفاته سنة 1062 تقدم عن العياشى أن وفاته سنة 1063 وممن ترجمه صاحب النشر ، والحضيكى فى طبقاته ، وما ذكره صاحب النشر عن فهرسة العياشى أنه حج عشرين حجة لم أجده فى النسخة التى بيدى إنما فيه عشر حجات (1) .

66) **أبو بكر بن عبد الكريم الشبانى** ، لما فرغ المولى الرشيد رحمه الله من أمر الزاوية توجه الى مراكش فى الثانى والعشرين من صفر من السنة ، أعنى سنة تسع وسبعين وألف ، واستولى عليها وقتل رئيسها أبا بكر بن عبد الكريم الشبانى وجماعة من أهل بيته ، وقال فى (النزهة) لما بلغ أبا بكر الشبانى وقومه مسيرُ المولى الرشيد إليهم خرجوا فارين بأنفسهم من

---

1) انظر صفوة من انتشر ص 112 .

مراكش ، وأبقى من وجد بها من الشبانات وقبض على أبى بكر وبنى عمه فعرضهم على السيف واستنزل تلك الفئة الشريرة من الصياصى، وأخذ بالأقدام والنواصى ، وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار .

67) **أبو بكر بن علي الفرجى المراكشى السلوى** العلامة الشهير ، الدراكة النحرير ، البيانى المنطقى الأصولى ، كان رحمه الله عنه عالماً بالفقه والبيان والبديع والمنطق والنحو والمعانى والتصريف وأصول الفقه وأصول الدين وعلم العروض وعلم الجدول وغير ذلك ، وكان معظماً لآل النبي (ص) ومكرماً لهم بما يستطيع وربما يستدين بما يواسيهم به ، وكان لا يبالى بنفسه فى مأكل وملبس وفراش ، وكان كثير الصدقة على المساكين والطلبة وغيرهم ، فراشه حصير ، ووساده حجر ، وكان حافظاً للفقه ، وأما المنطق والبيان فكان لا يُجارَى فى ذلك ولا يُبارَى ، والتفسير والحديث ، قرأ على أخيه القاضى السيد محمد بن علي ، وعلى شيخ الجماعة بمراكش المحقق خاتمة المحققين العارف بالله تعالى سيدى أحمد العطار المراكشى الأندلسى ، وعلى ابن خالته العلامة الشهير السيد أحمد بن ابراهيم وهو قرأ على العلامة الرحالة سيدى أبى سالم عبد الله العياشى ، وعلى غيره ، وكان صاحب الترجمة ناثراً ناظماً حافظاً للتاريخ ، مستحضراً له ، قرأ عليه أبو العباس بن عاشر الحافى بمحروسة سلا مختصر خليل من أوله الى آخره مرتين ، وتلقين القاضى عبد الوهاب ، وسُلَّمَ الأخضرى فى المنطق ، ومختصر الشيخ السنوسى فى المنطق ، والشمسية للكاتبى ، وجمل الخونجى ، ونبذة من ألفية ابن مالك ، ولامية الأفعال لابن مالك ، ولامية الزقاق ، والقصيدة الكعبية ، وجميع تلخيص المفتاح ، وسرد عليه نبذة من شرحه للسعد ، وجمع الجوامع لابن السبكى ، والخزرجية فى علم العروض ، وشمائل الترمذى مرتين دراية ، وكذلك كتاب الشفا للقاضى عياض من أوله الى آخره ، وكان يقرره أحسن تقرير ، ويبين آياته ويذكر فيها من علم البيان والبديع ويأتى من ذلك بالعجب العجاب الذى لا نجده مسطراً مجموعاً فى كتاب ، رضي الله عنه آمين ، له شرح على السلم المرونق ، وتقاييد على غيره ، نفعه الله بذلك ، وسرد عليه الثلث الأول من التاج والاكليل ، وجل سنن المهتدين وغير ذلك ، وله رسالة

بعث بها الى الشيخ الامام العارف سيدى العياشي بن عبد القادر التاستاوتى يعزيه في ولده الفقيه الأرضى سيدى يعفور ، وأدرج فيه قصيدة مطلعها :

دعتنى سليمى لفصل القضـــــا   وحلت محــلا بريـــد الكـــروب

ولما حانت وفاته قال آمنت بالله وملائكته ورسله وكتبه وبكل ما جاء به سيدنا محمد (ص) جملة وتفصيلا ، ثم تشهد وتوفي رحمه الله ضحى يوم السبت ثامن ذى القعدة عام تسعة وثلاثين وثلاثمئة وألف ، واحتفـل الناس بجنازته ودفن قرب داره التى كان يسكن بها بزاوية سيدى مغيث ، ورثاه أبو العباس بن عاشر بقصيدة مطلعها :

وقائلة مالى أرى الجو مظلمـــــاً   وعهدى بشمس الأفق طالعة تجرى
وما هذه الأرجاف فى الأرض أصبحت   فأصبح منها القلب يصلى على الجمر
وما لرواسى الأرض زعزع أسهـــا   أهاذا فناء الخلق والسير للحـشر
فقلت وكيف لا تقوم قيامـــــة   وقد مــات طودُ العلم هذا أبو بكر
فأصبحت الأرجاء وهي حوالـــك   تنادى ألا هل من سبيل إلى الصبر
وكيف يُطاق الصبر عنه فانـــه   أمرُّ كما قد قيل من لعق الصبــر
سعتها صلاة العفو من فضل ربنـا   ورضوانه مثواه من كل ما خيـــر
واسلك اللهم تعالى مقامـــــه   مع المكرمين السادة الأنجم الزهــر
وصل إلاهَ العرش فى كل لحظـة   على خير مبعوث إلى العبد والحـــر
وآله مع أصحابه قدوة الـــورى   ومَن هم لدين الله كالأنجم الزهــر

ترجمه الحــافى فى فهرسته ، وأثبت فيها رسالته المتقدمة الذكر ، ورأيت فى رحلة الشيخ سيدى أحمد بن ناصر فى ص 197 من الجزء الثانى ما نصه : ولحق بنا هنالك جماعة من أهل محبتنا من دكالة وتامسنا وسلا ، وأخبرونا أن محبنا فى الله وأخانا فى جانبه سيدى أبا بكر بن علي الفرجي تركوه وبه مرض ما ، وإلا جاء يتسابق إلينا وتركنا أخانا فى انتظاره ، ثم إن الله تعالى أراده لما عنده ، فمات بعد أن وصل لسيدى الغازى فكانت بحرمته تربته ، ولم يلتق معنا أثابه الله عنده وجمعنا معه فى مستقر أمنه وأمانه ،

وهذا المترجم غير هذا المذكور فى الرحلة الناصرية ، لأن المترجم تأخرت ترجمته بعد الشيخ صاحب الرحلة المذكورة بنحو عشرة أعـوام ، ولأنه دفن بغير المحل الذى به الأقدم موتاً مدفون كما ترى .

68) **أبو بكر بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد بن مَحمد بن علي بن أبى بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان المالكى مذهباً ، الأشعرى عقيدة ، القندوسى** من أحواز القنادسة ، أجاز المسند السيد التهامى بن المكى ابن رحمون فى جميع ما تجوز له وعنه روايته ، أو تنسب إليه معرفته ودرايته ، من مقروء ومسموع ، ومفرق ومجموع ، وإجازة ووجادة ، ورحلة ومشيخـة وإفادة ، ومروى ومناول ، وغريب ومداول ، من سائر المؤلفات والمجموعات ، بالجمع والشتات ، وأجازه أيضاً بما له فيه يد من فقه وحديث وتفسير وتوحيد ونحو ومنطق وبيان وبديع وعروض وأصول وطب وأسماء وسيرة ومغـاز وتصوف وتاريخ ونسب ومسلسلات ، وأذكار وصلوات على النبيء المختار وأجازه أيضاً بجميع مروياته عن سائر أشياخه بالصحراء وسجلماسة ودرعة والسوس ومراكش والحوز والمغرب وفاس وغيرها وتوات وأفريقية ومدن الديرة ومصر والحجاز والحرمين الشريفين والشام ومدنه وأراض التـرك وإسطانبول واليمن والعراق وواسط والبصرة وغير ذلك .

توفي رحمه الله فى منتصف محرم فاتح عام 1244 وكانت ولادته فى منسلخ محرم عام 1113 قاله ابن رحمون المُجاز .

69) **أبو بكر المراكشي** ، من أهل مراكش ، الولي المجذوب ، **الهائم** المتيم المحبوب ، كان أولا قاطناً بها ثم انتقل الى فاس صحبة الخليفة سيدى محمد بن عبد الرحمان العلوى قبل ولايته ، وكان يأوى أولا إلى برج السبع من فاس الجديد ، ثم انتقل لأروى السلطان بدار المخزن مع أصحاب الماء ، وكان بهلولا مجذوباً متبركاً به ، وكان الخليفة المذكور يعتقـده ويعظمـه ويخلع عليه الملابس وقتاً بعد وقت ، وشوهدت له كرامات عديدة ، وأخبار بمغيبات ، منها إخباره بموته ، وكان من عادته رحمه الله حلق رأسه فى كل وقت ولو بدون شعر فيه ، واستعمال الغبار المجعول فى الأنف فى أنفه .

توفي رحمه الله سادس عشر ذى حجة متم عام 1271 ودفن داخل قبة سيدى أبى القاسم السجدالى ، وكان قد جعل فى السارية الموالية لرأسه منها تاريخه .

ذكره فى (السلوة) (1) .

70) أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بنانى الفاسى أصلا الرباطى داراً ومولداً ، الدباغى نسبة ، الدرقاوى طريقة ، الصوفى حقيقة ، له كتاب (مدارج السلوك ، إلى مالك الملوك) رسائل كتبها لاخوانه وأهل محبته لقصد الموعظة ، لأجل غلبة الهوى وهدم مبانى التحقيق سيما والطريق قد دخلها الخلل وجعلوها قيلا وقالا وأهملـوا سياسة النفـوس بصحبة الرجال ، وقالوا بهذا صارت الأبدال أبدالا ، طبعت بمصر عام واحد وثلاثين وثلاثمئة وألف ، وهي فى صحائف 152 وطبع معها كتابه (الفتوحات الغيبية ، فى شرح ألفاظ الصلاة المشيشية) مع شرح أبيات (تطهر بمـاء الغيب إن كنت ذا سر) له أيضاً ، أخذ رحمه الله عن شيخه الامام مولانا عبد الواحد بن مولانا علال بن مولانا إدريس الملقب بالدباغ ، واليه انتسب ، وهو الذى طلب منه شرح الصلاة المذكورة ، دخل المترجم مراكش ، وتوفي رحمه الله سنة أربع وثمانين ومئتين وألف .

71) أبو بكر بن العربى بن محمد بن مَحمد بنانى الفاسى قـاضى مراكش ، الفقيه المدرس الخطيب ، استُقضِيَ بها آخر القرن الثالث عشر ، وبقي قاضياً نحو سبع عشرة سنة بمقصورة المواسين ، من عام 1298 الى عام 1314 كان هيناً ليناً له محبة فى الصالحين وزيارتهم ، أخذ عن مولاي محمد ابن عبد الرحمان العلوى ، ومولاي عبد الله بوغالب ، وسيدى جعفر الكتانى ، وسيدى أحمد بنانى كلا ، والحاج محمد بن المدنى كَنون ، وولي القضاء قبل مراكش بثغر الصويرة والجديدة ، وكانت له معرفة بالنحو ، ولم يكن له تحصيل ولا يد فى الفقه ، حضر مرة إليه متنازعان فى تعيين مَن يتولى دفن ابن لهما منهما عند أقاربه ، فقال لكل منهما ايتيانى بفتاوى أهل العلم على

1) سلوة الأنفاس 3 : 212 .

ذلك ، فذهبا عند ابن الشافعي صاحب الدور إذ لا يتأتى تأخ ·فنه ، فقال لهما مَن الذى ينفق عليه منكما ؟ فقالت له أمه والده فقال لهما ـر الذى يتولى ذلك ، وفصل بينهما ، ولما أخبر بذلك قال ابن الشافعى فقيه .

والمترجم هو صاحب التقييد المشتمل على اثنتيْ عشرة ورقـة من القالب الرباعى فى تراجم الرجال السبعة بمراكش ، وذكر الزيارة ، وجدت بخطه ما نصه :

الحمد لله وحده

هذا التقييد المبارك استعمله كاتبه عفا الله عنه فى سبعة رجـال نفعنا الله بهم ،. وهو هدية من العبد الذليل إلى أمير المومنين يستعان به إن شاء الله تعالى على الزيارة ، وما استعملته حتى أذن لى فيه ، جعله الله خالصاً لوجهه الكريم بمنه وفضله والسلام .

أبو بكر بنانى أمنه الله آمين ،. أكمله عام اثنين وثلاثمئة وألف .

ثم ولي قضاء الدار البيضاء بعد تأخيره عن قضاء مراكش ، ثم أخر عنه وبقي عاطلا بفاس إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الثانية عام 1330 وصُلّي عليه بضريح سيدى أحمد بن يحيى ، ودفن بـه بالمباح المقابل لباب القبة ، وكانت ولادته عام 1262 .

تـنـبـيـه

فى عام 1306 ورد عليه كباقى قضاة المغرب ظهير شريف يتضمن التنبيه على إجراء العمل بأشياء دفعاً للفجور واحتياطاً للحقوق ، وهذا نصه بعد الافتتاح :

الفقيه الأرضى القاضى بالمدينة المراكشية ، السيد أبو بكر بنانى ، سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد فالذى يكون عليه عمـل العدول فى الشهادات الراجعة لما سيذكر من القضايا هو التمشى على مقتضى الضوابط التى سنُبينها لما فيها من الاحتياط ، وإحكـام زمام المنـاط ،

والسلامة من الخلل حالا ومآلا . وحتى ما لم يكن جرى به العمل الآن فالسند فيه (تحدث للناس أقضية) ، وكل ذلك جار على المناهج الشرعية ، فألزمهم الوقوف عند حده في جميع ذلك ، ومن حاد عن شيء منه يرد عليه ويضرب على يده فيه ، فمنها أنهم لا يعمرون الذمم إلا باشتراطهم على رب الدين أو مَن ناب عنه قبوله ذمة المدين ، بحيث لا يطالب غيره عند العدم أو الغيبة قريباً كان أو أجنبياً . ويتأكد ذلك في رب الدين حينما يكون ذمياً أو ذا حماية ، لاسيما ان كان المال كثيراً ، ومنها أنه لابد من المعاينة لما تعمر به الذمــة ، ومنها أنه لابد من الأدب الخاص في الاشهاد لأهل الذمم بتعمير ذمة الغير ، وكذا أصحاب الحمايات ، ثم لابد من انتخاب عدول للاشهاد بين أهل الحمايات، وكذا تعمير ذمة النساء ولو على وجه الضمان مع موافقة الزوج وشرط قبول ذمة المدين ، وفي القراضات والشركات الاشهاد على رب المال بقَبول أمانة المدفوع له المال بحيث لا يطالب غيره ، ومنها أن الشهادات الاسترعائيــة والتدمية والوكالة والتعريف لا تكتب الا عن إذن خاص مع اشتراط التعــدد في المعرف ، ومنها أنهم لا يكتبونها لمجهول حاله إلا بالاشهاد عليه أنه ليس من أهل الحمايات . ومنها توقيف بيع الأصول على مطالعة عامل البلد على يدك مخافة أن يكون المبيع لجانب المخزن ، ومنها أنهم لا يكتبون وثيقة بيــع الأصول الا بعد ثبوت الملك لبائعه ، وكذلك التحبيس والعتق ، ومنها ترك التزكية لما يؤدى اليه إطلاقها من الفساد ، إذ لا يشاء أحد تعميره ذمة واخلاءها أو إبطال إيصاء أو وصية أو إحداث ما ذكر الا وجد من يشهد له بذلك من نحو رجلين فيطلب تزكيتهما . وهي وان كانت مشروطة بشروط من جملتها كون المزكى مبرزاً فلفساد الوقت ، كل مَن يتعاطى الشهادة يدعى أنه مبرز بحسب الوقت . ويبقى النظر فيها يُقبل من الشهود موكولا الى أمانة القاضي وحسيبه الله ، ومنها أنهم لا يقبلون من اللفيف إلا مستور الحال دون مَن عرف بالكذب أو ترك الصلاح أو الحلف بالأيمان الفاجرة أو بكونه متأكد القرابــة أو العداوة للمشهود عليه أو مكترى الشهادة ، وأجرة كتْب الوثيقة بالمعروف من غير ضرر ولا ضرار ، ولا ضابط بذلك يوقف عنده ، وذلك يختلف باختلاف العمل إلا ما كان عن طيب نفس من غير طلب ، وكذلك لأرباب البصر والفرض

مع الاذن له أيضاً، وأجرة العون وأجرة السجّان لمسجون القاضي خمس أواق، ولابد في التلقي من اللفيف أن يذكروا تحت اسم كل واحد من المتلقّى منهم معرفة به أو وصفه خشية أن ينكر كونه متلقى منه عند الاستفسار ، ولا بد من الاذن الخاص لأرباب البصر في الشهادات التي ترجع إليهم ، ويشترط على المعلمين القنويين أنهم لا يخدمون ليلا لما في ذلك من التهمة الظاهرة ، وقد اشترط عليهم وعلى البنائين قبل أنهم لا يمدون يدهم لتبديل أو أصلاح قواديس أو مشارب أو هدم حائط مما هو مشترك مع غير الحبس إلا بعد إعمال الموجب بالفساد وحضور الشركاء أو وكلائهم ، وما كان مشتركاً مع جانب الحبس لابد فيه من الاذن الخاص من القاضي وحضور الناظر أو وكيله وإعمال موجب بذلك ، ويشترط على النظار أنهم لا يبيعون من فيض مـاء لجانب الحبس إلا باذن خاص مع شروطه الخمسة ، وهي أن لا يكون عـلى حيطان المسجد ضرر من إجرائه ، وأن يكون ذلك في فضلة يستغنى عنها المسجد ، وأن تكون تلك الفضلة للمرحاضات التي تحتها هنالك ، وأن يكون القدر المبيع مقرراً بالقادوس الفخاري مثلا بحيث أن يكون الماء لا يزيد ولا ينقص ، أما إن كان ينقص تارة ويزيد أخرى بكثرة المتوضئين والمغتسليـن أو قلتهم فلا ، وأن يثبت السداد في الثمن إلى المدة المستأجر إليها حسبما أجاب بضمن ذلك العبدوسي كما في أوائل الحبس من المعيار ، ونقله صاحب العمل الفاسي عند قوله :

وفيض مـاء حبس يباع وما بـه للحبس انتفـاع

كما يشترط عليهم أيضاً أنهم لا يعقدون على ما هو لجانب الحبس معاوضة ولا بيعاً إلا باثبات الشروط المقررة في محلها على يد القاضي المشار لها إجمالا بقول العمل الفاسي :

كذا معـاوضة ربـع الحبس على شروط أسست للمؤتسي

وتفصيلا بقول العمل المطلق :

وما من الحبس لا ينتفـــــــع	به ففيه البيـع ليس يمنـــــع
وبالمعاوضة فيـه عملــــــوا	على شروط عرفت لا تهمــــل
كون العقــار خرباً وليس فـــى	غلته ما بصلاحــه يفـــــى
وفقد من يصلحـه تطوعــــاً	واليأس من حالتـه أن ترجعــا

وكما اشترط على النظار قبل أنه لابد من حضور عدلين من عدول الصائر فى كل صائر وشرط عليهم أيضاً أنهم إن أبرموا عقد كراء ربـاع الأحباس فلا تقبل زيادة من أراد بعد ذلك إلا مع إثبات الغبن ولو كان دون الثلث ، وان لم يبرم العقد وانما وقع الالتزام من المكترى بكذا فمكن من رباع الحبس ثم جاء مَن يزيد فتقبل الزيادة حينئذ ولو بدون الثلث ، فلا محيد لهم عن تتبع هذه الشروط ، ثم من الاحتياط أيضاً إلزام العـدول أن يكونوا يؤدون رسوم تعمير الذمم والابراء والتقديمـات والرجـوع عنهـا والوصيات والرجوع عنها والحيازة والطلاق يوم تاريخ كتابتها أو ما قاربه ، فاعرف ذلك وأوجب العملَ بمقتضاه ، والله يسلك بالجميع مسالك الصواب ، والسـلام .

فى 20 حجة الحرام عام 1306 .

وقد كان ينسخ هذه القضايا التى كانت تروج بمحكمته وفتاويها .

72) **أبو جعفر بن مكنون** ، من أصحاب الشيخ الامام سيدى ابراهيم ابن الحاج دفين مراكش ، نقل فى (رياض الورد) عن الشيخ أبى البركات ابن الحاج ، عن الشيخ الصالح العادل المجتهد الحاج محمد بن علي البكرى المعروف بابن الحاج قال يخاطب أبا البركات : حكى سيدى أبو جعفر بن مكنون عن جدك قال كنت مع سيدى ابراهيم بن الحاج بمراكش فقال لى هل ترى فى المنام شيئاً ؟ فقلت نعم أرى كأنى فى المرية أمشى من الدار الـى المسجد ومن كذا إلى كذا ، فأعرض عنى وقال لا ترى إلا الله ، وقال فى (نفح الطيب) وقال أبو البركات القميحى أنشدنا أبو العباس ابن مكنون وقد رأى اهتزاز الثمار وتمايلها مرتجلا :

حارت عقول الناس في إبداعهـــا السكرهـا أو شكرها تتـــأود ؟
فيقول أربابُ البطالة تنثنـــي ويقول أرباب الحقيقة تسجـــد !

قال الشيخ أبو البركات القميحي قلت لابن مكنون ما الذى يدل على أنها فى وصف الثمار ؟ فقال وطىءْ أنت لها ، فقلت :

يامَن أتى متنزهـاً فى روضـــة أزهارها من حسنهـا تتـوقـــد
انظر إلى الأشجـار فى دوحاتهـــا والريـح تنسم والطيورُ تغـــرد
فترى الغصونَ تمايلت أطرافهـــا وترى الطيورَ على الغصون تُعربد

قال ابن رشيد : غلط المذكور فى نسبة البيتين لابن مكنون وانما هما لأبى زيد الفازازى من قصيدة أولها :

نعم الاله بشكـره تتقيـــــــد فالله يشكر فى النوال ويحمـــد
مدت إليه أكفها مُحتاجـــــة فأنالها من جوده ما تعهـــــد

والبيتان فى أثنائهما غير أن أولهما فى ديوانه هكذا « تاهت عقول الناس فى حركاتها .

ورأيت فى (روضة التعريف) للسان الدين بعدهما بيتاً ثالثاً وهو :

واذا أردت الجمع بينهما فقـــل فى شكر خالقها تقـومُ وتقعـــد

73) **أبوجيدة الأندلسي المعروف بالكتاني** الأديب ، قال فى (السلوة) لدى ترجمة سيدى محمد بن علي الكتانى ما نصه : وقد عرف صاحب (النشر) بالكاتب الأديب السيد أبى جيدة الأندلسى المعروف بالكتانى المتوفي بمراكش فى العشرة الثانية بعد مئة والألف ، وقال إنه من أولاد الكتانى العوام القاطنين بطالعة فاس قبل هذا العصر ، قال ولم يبق منهم إلا القليل .

وقال فى (الأزهار الندية) ما نصه : ومنهم الكاتب الأديب اللبيب السيد أبوجيدة كنيته هي اسمه الكتانى الأندلسى من أولاد الكتانى العـوام القاطنين بطالعة فاس قبل هذا العصر ولم يبق منهم إلا القليل ، كان صاحبُ

الترجمة حسنَ الصوت ، واذا سرد كتاباً لم يلحق فى سرده ويسرع غاية الاسراع مع الترسيل ، ولم يسبق له القراءة سوى حفظ القرآن ، ولم يقرأ علوم الآلة مثل النحو والبيان والمنطق ، خدم السلطان مولاي عبد الله إلى أن سار الى تادلة ، ثم خدم مولاي المستضيء بالله ، ثم لحق بسيدى محمد بن مولاي عبد الله الحسنى فى حياة والده ولزمه ، وكان يسرد الكتبَ بين يديْه إلى أن توفي بمراكش فى العشرة الثامنة بعد مئة وألف عن غير عقب .

74) **أبو جيدة بن عبد الكبير الفاسي الفهري** من أعيان أهل زمانه وفضلائهم وأجوادهم وكرمائهم، جليل القدر ، واسع الصدر ، ذو أناة وتؤدة ، وجلالة وعلو مرتبة ، جميل الوداد ، سالم الاعتقاد ، سالك سبيل الأخيار ، معمر أوقاته بالصلوات والأذكار ، سيما الخير بادية عليه ، والأصابع بجميل الثناء تشير إليه ، كلامه حكم وأمثال ، ومواعظ واستهلال ، له دراية بالحديث والسير ، ذاكر لأيام السلف ، حسن المحاضرة ، مليح الهيأة ، حسن السمت ، كان رحمه الله يرد لمراكش كثيراً .

75) **أبو الحسن ابن الامام الغرناطى الوزير** ، قال يهجو مراكش المحروسة :

ياحضرة الملك ما أشهاك لى وطناً	لولا ضروب بلاءٍ فيك مصبوب
ماء زعاق وجو كله كـدر	وأكلة من بذنجان ابن معيوب

وابن معيوب هذا كان من خدام أبى العلاء بن زهر ، يزعم الناس أنه سم ابن باجه لعدوانه لابن زهر فى باذنجان ، ذكره فى (النفح) .

وقال فى 162 من ج 5 من (صبح الأعشى نقلا عن الروض المعطار) ما نصه بعد ذكر مراكش : وقد هجاها أبو القاسم محمد بن محمد بن أيوب بن نوح الغافقى من أهل بلنسة بأبيات أبلغ فى ذمها :

مراكش إن سالت عنها	فانها فى البلاد عـار
هواؤها فى الشتاء ثلـج	وحرها فى المصيف نـار

وكل ما ثم وهـو خيـــر   من أهلها عقـرب وفـار
فان اكن قد مكثت فيهـا   فان مكثي بهـا اضطـرار

وستأتي (1) ترجمة أبي القاسم محمد في حرف الميم ، وراجع ما سيأتي في ترجمة عبد الرحمان بن أبي القاسم الشفشاوني في ذم بلنسيـة وغيرها (2) .

76) **أبو الحسن بن احمد المنصور الذهبـي** ، ذو السمت الحسن والهدوء المستحسن ، قام في رعيته مقسطاً عادلا لما أن ولاه والدُه تادلة . ذكره في (المنتقى المقصور) .

77) **أبو الربيع بن تازكيرت القبائلي** ، الشيخ الصالح ، تلاقى بالشيخ الصالح أبي يعزى ، مات في حضرة مراكش كلأها الله في دويرة محبوس فيها وهو عليل مقعد ، وسنه نحو من مئة سنة كما في (علامة اليقين) (3) .

78) **أبو زيان بن احمد العسكري الغريسي** ، الشريف الفقيه الأجل المولى الصالح الأفضل ، العارف المحقق ، الصُوفي المدقق ، كان رحمه الله من جِلة أصحاب العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي وكبرائهم ، وكان لـه أصحاب وأتباع أخذوا عنه وانتسبوا إليه ، وله (طبقات) في مناقب شيخه المذكور وبعض أصحابه توفي قبل اكمالها يوم الجمعة خامس ربيع الأول سنة نيف وسبعين ومئتين وألف ، ودفن بروضة ابن ادريس بفاس .

ذكره في (السلوة) (4) .

---

1) في الأصل وتقدمت ، لأن ترجمة أبي القاسم محمد بن محمد بن أيوب بن نوح الغافقي طبعت مع المحمدين في الجزء 3 ص 86 من طبعة فاس .

2) قبل هذه الترجمة ترجمة صغيرة ورد فيها : أبو الحسن المراكشي مؤلف (جامع المبادىء والغايات ، في علم الميقات) تقدم فيمن اسمه حسن .

3) ترجم المؤلف بعد هذا لأبي زكرياء بن يومور القائد الموحدي واسمه يحيى ، وقد أخرناه الى حرف الياء

4) انظر سلوة الأنفاس 2 : 362 .

حدثني بعضهم أن أبا زيان كان يدرس بين العشاءين بجامع ابن يوسف بمراكش .

79) **أبو زيد الامام** ، من أهل أغمات وريكة ، وكان إمام الفريضة بجامعها ، وكان تلميذ عبد الجليل ابن ويحلان ، وكان جليل القدر .

قال في (التشوف) حدثني علي بن عيسى قال سمعت يوسف بن يعقوب يقول : لما مرض أبو زيد مرضه الذى مات منه كنا نأتيه بالدواء فيقول لنا دعوه حتى تناولنيه ابنتي ، فأحضرنا له دواء فلم يأخذه الى أن مات ، فوقفت علينا مملوكته أم الخير فقالت لنا هل أفطر قبل موته ؟ فقلت لها لم يتناول شيئاً بمحضرنا ، فقالت سبحان الله مات وهو صائم ، فقلت لها ألسنا نمزج له الشراب في كل يوم ندخل اليه ؟ فقالت أليس كان يقول اتركوه حتى تسقينيه ابنتي ! فاذا خرجتم عنه رفعه، وما أفطر قط في مرضه إلا بعد المغرب :

تزود من الماء القراح فلن ترى — بوادى الغضا ماء نقاخاً ولا وردا
ونلْ من نسيم البان والرند نفحة — فهيهات واد ينبت البانَ والرندا
وكرَّ إلى نجد بطرفك إنه — متى تغد لا تنظرْ عقيقاً ولا نجدا
تلفتُ دون الركب والعين غمرة — وقد مدها سيلُ الدموع بها مدا
لعلى أرى داراً بأسنمة النقى — فأطربنا للدار أقربنا عهدا
تلاعب بى بين المعالم لوعة — فتذهب بى يأساً وترجع بى وجدا

وحدثني علي بن عيسى بن ناصر قال كان القاضى أبو يوسف أمر أن يُؤتى بمخلوف القفاص فاشتدَّ البحث عليه والطلب إلى أن قبض بعد حين ، فلما أحضر بين يديه قال له أريد أن أخبرك ما شاهدته من العجب ، رأيت أبا زيد الامام قد خرج من باب المدينة فأردتُ الخروجَ فى أثره ، فلما وصلتُ وجدته مغلقاً بالحجارة (1) .

وقال فى نظم رجاله :

---

1) انظر التشوف ص 142 نمرة 46 .

ومنهمْ أبو زيد بأغمــات قبـــــره   وصام مريضاً لا يحنُّ إلى الفطـــر

80) **أبو الطاهر بن عبد الله المراكشي** ، الشيخ المغربى نزيل مكة مات بها فى شوال سنة تسع وثلاثين وثمانمئة ، وكان قرأ على عبد العزيز الحلفاوى قاضى مراكش وغيرها ، وكان ليناً خيراً صالحاً .

ترجمه فى (إنباء الغمر) وفى (الشذرات) .

81) **أبو الطيب الصفاقسي** ، نزل مع أخويه محرز ومحمد أغمات وريكة بالموضع المعروف بايغيل ، وكانوا علماء فضلاء فأخفوا أنفسهم وكانوا يحضرون مجالس العلم ولا يتكلمون الى أن وصلت كتب من صفاقس الى أهل اغمــات ينبهونهم على قدرهم ، فأخذوا عنهم ونفع الله بهم ، وكان محمد أصغرهم سناً ، وكان يخدم أخويه ، وكان أبو الطيب أعلمهم .

قال فى (التشوف) حدثنى علي بن عيسى ، قال حدثنى الحسن بن عبد الله قال تزوج تلميذ من تلامذة أبى الطيب فانقطع عن ورده خوفاً من الرياء، ثم مر إلى أبى الطيب يسأله عن ذلك ، فلما قرع الباب أجابه أبو الطيب من وراء الباب قبل أن يسأله وقال له لا رياء بين الرجل وزوجته ، فانصرف وقــد سمع الجواب .

وحدثنى الشيخ أبو يحيى أبو بكر بن إبراهيم الهزرجي قال أكبر ظنى أن أبا علي الحسن بن عبد الله حدثنى عن عجوز تخدم أبا الطيب قالت وقع لى يوماً الدلوُ فى البئر فلما قام بالسحر الى ورده خجلت ، فرأيته جاء الى البئر وقد ارتفع الماء منه بحيث يمكنه الوضوء منه ، فجعل يتوضأ حتــى فــرغ من ضوئه .

قال وكان أبو الطيب عزباً مفرداً ، فقيل له هلا تزوجت ؟ فقال ما رغبت عن الزواج عجزاً عنه ، وانى لفحل من الفحول وقويٌ على الجماع ، فما

منعنى منه إلا قوله تعالى فى الزوجات (وعاشروهن بمعروف) فأنا أخاف أن لا أقدر على معاشرة الزوجة بالمعروف (1) .

وقال فى نظم رجال :

وفى الاخوة الغر الثلاثــة ملجــأ لنفس ذوت فى السير من ثقل الوقر

82) **أبو لقمان بن يورجان بن يعقوب الأسود من أهل تلقايط مــن** عمل مراكش قدم مرة واحدة لحضرة مراكش لعيادة علي بن عبد المعطى اليمانى المعلم ، وكان أبو لقمان صديقاً لأبى شعيب ، وعليه نزل أبو شعيب لما قدم مراكش .

توفي أبو لقمان عام 570 سبعين وخمسمئة .

قال فى (التشوف) حدثنى غير واحد أن بعض الرؤساء لطمه فى وجهه وقال له أيها العبد لئن جئت إلى هذا المكان ولم تفعل كذا وكذا لأقتلنـّك ، فقال له أبو لقمان لئن عدت ولم أفعل ذلك فافعل، وركب فرسه وسار ميليـْن أو ثلاثة فهمز فرسه ورده باللجام فانكب عنه وسقط على قفاه فمات بعد أن انقطعت أعضاؤه كلها .

وحدثوا عنه أنه جاء الى وادى تانسيفت وهو ملآن من الضفة إلــى الضفة فقعد أبو لقمان على شاطئه وأخذ فى الذكر ، فقال له تلميذه أما ترى هؤلاء المشاة على الماء ؟ فقال له أبو لقمان أنظر أنت هؤلاء المشاة فى الهواء ، فرفع بصره فرأى قوماً يمشون فى الهواء .

وكانت لأبى لقمان شجرة يجلس إليها فكان كلما ختم القرآن ختمة علم فيها علامة فقطعها بعض الولاة فما مرت عليه ثلاثة أيام إلا وهو قد نكب .

وحدثنى عنه أبو عبد الله بن عيسى فى صفر سنة ست عشرة وستمئة قال كنت فى شبيبتى تصيبنى غاشية لهم ، فعانتنى أمى إلى أن اعياها أمرى ،

---

1) أنظر **التشوف** ص 140 نمرة 45 .

فقالت لها امرأة كان لى ولد يعتريه مثل هذا فحملته إلى أبى لقمان فمسح رأسه بيده فصح ، فحملتنى أمي إلى أبى لقمان فانتظرناه بداره الى أن وصل ، فقالت له أمي ياأبا لقمان هذا الولد يعتريه الصرع ، فقال لها لست بطبيب فاحمليه الى الأطباء ، فقلت له أنا أمًّا الأطباء فقد عجزوا ولم يبقَ الا طبيب الله تعالى ، فلما سمع كلامى قربنى ومسح بيده على رأسى ، فما أصابنى الصرع من حينئذ إلــى الآن .

83) **أبــو نافع** ، من علــوج مراكش الذيــن استخــدمهم الملــوك السعديون ، كان على خزانة السلطان سيدى محمد بن عبد الله أميناً كاتباً ثقة عنده ، ثم قتل بأمر السلطان المولى عبد الرحمان فى محرم ، قاله سيدى عبد السلام بن الخياط القادرى الذى لقيه فى شوال عام 1254 .

84) **أبــو النــور** ، محمد بن أحمد بن أبى عبد الله بن أبى الخليل مفرح الأموى مولاهم الاشبيلي الأصل المراكشى ، وأظنه صاحب الضريــح بالحارة خارج باب دكالة ، صرح الامام ابن عبد المالك فى (الذيل والتكملة) أنه كان جاره بمراكش صحيفة 280 من الجزء الأول فى ترجمة والده أبى العباس النباتى المسند الراوية ، المبتدأة من صحيفة 188 منه الى صحيفة 213 منه ، كما صرح فيه بأنه أخذ عن والده المذكور منسلخ ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وستمئــة .

85) **أبو النور** ، الولي المعروف عند العامة ، بنيت عليه قبة صغرى بالحجارة خارج باب دكالة رحمه الله (1) .

86) **أبو العباس الجباب** ، المقعد من أهل مراكش .

قال فى (التشوف) زرته مرات وأنا صغير ، وكان خياطاً يأكل من كد يمينه ، وكان عبْداً صالحاً ، توفي عام اثنين وتسعين وخمسمئة ، ودفــن بباب تاغزوت ، سمعت عيسى ابــن أبى عيسى السوسى يقــول : سمعنا

1) أنظر **التشوف** ص 289 نمرة 140 و **السعادة الأبدية** 2 : 14 .

الشيخ أحمد بن ابراهيم المروى يقول : بت ليلة مـع أبى العباس الجباب ، فرأيته فى جوف الليل قام واقفاً الى ورده يصلى ، فقلت له ياأبا العباس ما هذا ؟ فقال اكتم علي .

وستأتى (I) ترجمة أبى العباس أحمد بن عبد الرحمان الجباب من أهل أزمور ، وسكن الجانب الشرقي من مراكش وبه مات عام 492 أيضـاً وقد ترجم لكل واحد منهما فى (التشوف) ، وفيه قال ناظم رجاله :

ولا تهمل الجباب تدنُ من الوفر .

وقال فى الآخر :

وأحمد من صنهاجة رئيس الدير .

قال فى الشرح وأحمد هو أبو العباس بن عبد الرحمان الصنهاجى الجباب وكان من أهل **المعرفة بعلوم الاعتقادات** وكان كبير الشأن .

87) أبـو العباس السبتى (سيـدى بلعباس) ـ أحمد بـن جعفر الخزرجى السبتى المراكشى ، دفينها .

كتبت فى ترجمته فى (إظهار الكمال) ما نصه :

وأحمد المجد يعلو قدره أبـــداً	إفضاله عمّ لا يخشى من اقتـــار
أما كراماته فالعدُّ ممتنـــــع	جلت عن الحصر لا تحصى لاكثـــار
لدى الحياة وفى الممات قد ظهرت	بعد الممات لها قد أكثر البـــارى
قد قال ذلك زروق" كذا حســـن"	يوسيُّهم فاضلا الأعلام الأحبـــار
إن الوجود له بالجود منفعـــل	ما للحكيـم ابن رشد فضل زخار
وفى العلوم له تحقيقها اتضحـــا	والنفع فيه له جميل أخبـــار
وللتصدق كل الشرع يرجعـــه	وفى التشوف فيه حسن اثـــار

I) فـى الأصل وتقدمت اعتباراً لتقديم الاحمدين فـى طبعة فاس ، وستاتى ترجمته فيما بعـد .

الاعراب : أل فى العد نائبة عن المضاف إليه الضمير أي فعدها ، واللام فى الاكثار لام العلة ، ولدى الحياة وفى الممات متعلقان بظهر ، وبعـد الممات متعلق بأكثر .

اللغة : أحمد اسم تفضيل فى الأصل من الحمد ، ثم سمي به الامام القطب أبو العباس بن جعفر السبتى ، والمجد الشرف والكرم ، والعلاء الرفعة ، والأبد الدهر والدائم ، والافضال الاحسان ، والعموم الشمول ، والخشيـة الخوف ، والاقتار الفقر ، وجلّت أي عظمت ، والاحصاء العد ، والأعلام جمع علَم وهم المشهوْرون ، والاحبار جمع حبر وهو العالم ، والانفعال تأثر الشيء عن الشيء ، والحكيم من يتعاطى علوم الحكمة ، والزخار البحر ، والتحقيق إثبات المسألة بدليلها ، وإثباتها بدليل آخر تدقيق ، والتعبير عنها بفائـق العبارة الحلوة ترقيق ، ومراعاة علم المعانى والبديع فى تركيبهـا تنميـق ، والسلامة فيها من اعتراض الشرع توفيق ، والنفح المقصود به (نفح الطيب) للمقْرى ، والجميل الحسن ، والاخبار جمع خبر وهو الحديث أي ما يخبر به ويحدث ، والتصدق الصدقة ، وكل الشرع أي دلائله ، و (التشوف) تقدم ، والآثار جمع أثر وهو الخبر أيضاً لأنه يوثر أي ينقل .

المعنـى أي يارب أتوسل اليك بجاه أبى العباس السبتى الكريـم الذى يعلو قدره عندك على مدى الأحقاب ، المحسن الى خلقك فقيرهم وغنيهم غير خائف من فقر ، ذى الكرامات التى لا تعدُ ولا تحصى لكثرتها الظاهرة فى حياته وبعد وفاته ، وقد أكثرتَها له بعد مماته ياخالق العباد كما قال ذلك الشيخ زروق بتقريره ، وقاله الشيخ الحسن اليوسى بنقله، الشهيران العالمان، كما انه لما كان يجود بما فى يده على خلقك جعلت له الوجود يفعل فيه ما شاء من رفع وخفض وتولية وعزل واعطاء ومنع على حسب ما قدرته فى أزلـك ، وأما الحكيم ابن رشد فليس له مقام أبى العباس السبتى إذ هو بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غوره وهمته قل من يدركها من أولياء العباد ، وقد كان ءاية فى العلوم محققاً لجميعها ، وقد نقل فى حقه فى (نفح الطيب) أخباراً جميلة ، وكان رضي الله عنه يرد مسائل الشرع الى الصدقة ، وقد ذكر له فى (التشوف) آثاراً حسنة ، قال فيه :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله .

الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده ، وعلى ءاله وصحبه وجنده ، والتابعين لهم باحسان من غير تقييد لعهده ، أما بعد فاني لما شرعتُ في تأليف أخبار صالحي المغرب الذين جمعتهم في كتابي الموسوم بـ (التشوف إلى رجال التصوف) أشار عليَّ جماعةٌ من الفضلاء أن أذكر فيهم الشيخ الفقيه الصالح أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي ، فتوقفتُ في ذلك إذ لا يكفي في ذكره الاختصار لما وقع من الاختلاف فرأيت أن أفرد ذكره وأبسط أخباره حتى يعلم من ذلك الواقف على مجموع عيون أخباره حقيقة أمره ، وبالجملة فان شأنه من عجائب الزمان ، وانما أثبت من أخباره ما ينوب عن العيان ، فكان رحمه الله قد أعطى بسطة في اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره أحد إلا أفحمه ، وكان سريع الجواب ، وكان القرآن ومواقع الحُجَج على طرف لسانه عتيدة حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصةَ ببيانه ، يأتي من ياتي للانكار عليه فما ينصرف عنه الا وقد سلم له وانقاد لقوله ، وسأثبت لك من أخباره ما يقضي به العجب ، وبالله أستعين على ما يزلف لديه من القوة والعمل ، وأسأله العصمة من الخطأ والزلل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وهو أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي ، مولده بسبتة عام أربعة وعشرين وخمسمئة ، نزل مراكش وبها مات عام أحد وستمئة ، وذلك في يوم الاثنين الثالث من شهر جمادى الآخرة (26 يناير سنة 1205 م) ودفن بباب تاغزوت ، وشيخه محمد الفخار صاحب الشيخ الفقيه العالم عياض بن موسى اليحصبي ، وكان أبو العباس رحمه الله جميل الصورة أبيض اللون ، حسن الثياب ، فصيح اللسان ، قديراً على الكلام ، مفوهاً حليماً صبورا ، يُحسن إلى من يؤذيه ، ويحلم على من سفه عليه ، رحيما عطوفاً محسناً إلى اليتامى والأرامل ، يجلس حيث أمكنه الجلوس من الأسواق والطرق فيحضُ الناس على الصدقة ، ويأتي بما جاء في فضيلتها من الآيات والآثار ، تناول له الصدقات فيفرقها على المساكين وينصرف ، وأهلُ مراكش الى زماننا هذا مختلفون ،

فمنهم من يراه ولياً وأنه على مذهب الملامتية من أجل ما يتكلم به من الكلمات المأثورة عنه التى يأتى ذكرها بعد هذا ، ومنهم من يراه قطباً ، ومنهم من يكفره ، ومنهم مَن يبدعه ، ومنهم مَن يقول ساحر ، إلى غير ذلك من الأقوال التى تقال فيه ، والله أعلم بحقيقة أمره .

باب فى أصول مذهبه

حضرت مجلسه مرات فرأيت أصل مذهبه يدور على الصدقة ، وكان يرد أصول الشرع إلى الصدقة ويقول مَن لم يفهم معنى الصلاة فلم يصل فان أول الصلاة تكبيرة الاحرام ، وذلك أن ترفع يديك وتقول الله أكبر ، والمعنى الله أكبر من أن نضن عليه بشيء ، فمن رأى شيئاً من متاع الدنيا فى نفسه أكبر فلم يُحرمْ ولا كبر للصلاة ، ومعنى رفع اليدين للتكبير قد تخليت عن كل شيء ، لم أمسك قليلا ولا كثيراً ، ثم يتكلم على أجزاء الصلاة بهذه المعارف ، وكان يتأول الركوع على المشاطرة ، والسلام من الصلاة على الخروج من كل شيء ، وكان يقول سر الصوم أن تجوع ، فاذا جُعتَ تذكرت الجائع وعلمت قدر ما يقاسيه من نار الجوع فتتصدق عليه ، فاذا صمت ولم تعطفْ على الجائع ولا أحدث عندك الصومُ هذا المعنى فلم تصم ولا فهمت المعنى المراد بالصوم ، والزكاة انما فُرضت عليك فى كل عام لتتدرب على البذل والاعطاء ، وإلا ففى الأموال حقٌ سوى الزكـاة ، وليس المقصود أن تُعطي فى وقت مخصوص وتمسك فى غيره ، وفرض الحج سره أن تبرز فى زي المساكين بحلق الرأس والشعَث ولبس النعلين والتجرد من ثياب الرفاهية والبذل لله تعالى واظهار العبودية ، وسر الجهاد بذل النفس فى مرضاة الله تعالى والتخلى له عن كل شيء وترك التعلق بأسباب الدنيا ، ومعنى التوحيد توحيد الله تعالى دون أن تجعل معه إلاهاً غيره من متاع الدنيا ، وكل ما استولى على الانسان فهو إلاهه : (أفرأيتَ من اتخذ إلاهه هواه) .

حدثنى أبو علي عمر بن يحيى الزناتى ، قال حدثنى أبو القاسم عبد الرحمان بن إبراهيم الخزرجى ، قال بعثنى أبو الوليد ابن رشد من قرطبة وقال لى إذا رأيت أبا العباس السبتى بمراكش فانظر مذهبه وأعلمنى به ،

قال فجلست مع السبتي كثيراً الى أن حصلت مذهبه فأعلمته بذلك فقال لى أبو الوليد هذا رجل مذهبه أن الوجود ينفعل بالجود ، وهو مذهب فلان من قدماء الفلاسفة ، وكان إذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة يقول له تصدق ويتفق لك ما تريده ، وأخباره كثيرة عجيبة اختصرت عيونها .

باب فى ابتداء أمره

حدثنا الفقيه أبو عبد الله بن الفقيه أبى العباس عن أبيه أنه أخبره قال : كان ابتداءُ أمرى أنى كنت صغيراً فسمعت أقوال الناس فى التوكل ، فتفكرت فى حقيقته إلى أن رأيت أن التوكل لا يصحُ إلا بترك كل شيء ، ولم يكن عنده بد ، فتركت الأسباب واطرحت العلائق ولم يبق فى نفسى تعلق بمخلوق ، فخرجت سائحاً متوكلا وسرت نهارى كله فأجهدنى الجوع والتعب ، وقد كنت نشأتُ فى رفاهية من العيش ، وما تقدم لى مشيٌ على قدمى ، فبلغت الى قرية فيها مسجد فتوضأت من الساقية ودخلت المسجد فصليت المغرب وأقمت فى المسجد إلى أن صليت العتمة ، فخرج الناس من المسجد فقمت لأصلي فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشي ، فصليت ركعتين ثم قعدت وأنشأت أقرأ القرءان الى أن مضى من الليل جزء ، فاذا قارع يقرع باب دار بعنف ، فاستجاب له صاحب الدار ، فقال له هل رأيت بقرتى ؟ فقال لا ، فقال له إنها ضلت وقد أكثر عجلها الحنين إليها فطلبتها فلم نجدها فى القرية ، فقال بعضهم لعلها دخلت فى المسجد وقتَ العتمة ففتحوا باب المسجد ودخلوا فوجدونى فى المسجد ، فقال لى صاحب البقرة ما ظننتك أكلت الليلة شيئاً فجاءنى بكسرة خبز وقدح لبن ، ثم مر يأتينى بالماء فوجد بقرته وعجلها بوسط الدار ، وكانت فى مكان لم يروها ، فخرج صاحبها إلى جيرانه وقال لهم ما زالت البقرة من الدار وما كان خروجى إلا من أجل هذا الفتى الجائع الذى بات فى المسجد ، فجاء إلي ورغبنى أن أمشي معه إلى منزله فأبيت ، فانصرف وتركنى .

حدثنى يوسف بن عبد الله بن سليمان ، قال حدثنى أبو بكر بن القاضى أبى عمران بن حماد الصنهاجي ، قال كان أبو العباس السبتى فى

ابتداء أمره يسكن بالفندق الذى بأجدير المعروف بفندق مقبل ، وكان يقرىء الحساب والنحو ويأخذ على ذلك أجرة ، فكان له رسم فى بيت المال مع طلبة الحضر ، فكان القراء الواردون على مراكش من طلبة العلم يأوون إليه فينفق عليهم جميع ما يكون عنده ، وكان عليه سروال من صوف على جسده ، وكان يمسك فى يده سوطاً يمشى به فى الأسواق ويذكر الناس ويضربهم على ترك الصلاة فى أوقاتها ، وكان يأتينا بالطعام على رأسه ويوفر علينا أجرة الحامل ، وكثر الواردون عليه فبتنا عنده ليلة بالفندق فارتفعت أصواتنا بالمذاكرة فاذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق فاستجاب لهم القيم بخدمته ، فقالوا له ما هذه البدعة ؟ أما تعلمون أنه من رفع صوته بالليل يقتل ؟ فقعد اثنان من ذلك الحرس عند باب الفندق ليحملونا اذا طلع الفجر لنقتل ، فجاءنا القيمُ فأخبرنا بذلك ، فأدركنا خوف عظيم وأيقنا بالهلاك ، فأخذ أبو العباس يضحك بنا ويمزح على عادته ولا يبالى ، فلما كان عند السحَر خلا بنفسه ساعة ثم جاءنا فقال لنا لا خوفَ عليكم قد استوهبتكم من الله ، وهذان الحرسيان الواقفان عليكم يقتلان غداً إن شاء الله ، فقلت له اليس الجزاءُ عندك على الأفعال من الخير والشر وهما لم يفعلا ما يستوجبان به القتل وجزاؤهما يروعان كما روعانا ؟ فقال العلماء ورثة الأنبياء وترويعكُم عظيم لا يقابله منهم إلا القتل ، فما زلت أنازعه فى هذا وأقول كيف يقتلان على ترويعنا الى ان قال لنا فعقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مئة سوط ، فاجتاز بالليل عبد الله الخراز صاحب الوقت بالجامع الأعظم فوجد حانوته مفتوحة ورأى الحرسيين على قرب منها فلم يشك أنهما فتحاها فحملا إلى رحبة القصر قبل طلوع الفجر ، فقال لنا أبو العباس احضروا على ضربهما كما أرادا قتلكم ، فاتبعناهما وحضرنا إلى ضرب كل واحد منهما مئة سوط .

وحدثنا علي بن أحمد الصنهاجى ، قال خدمت أبا العباس السبتى أربعة أعوام وأنا أعتقد فيه الكفر ، فاذا كان صبيحة يوم عرفة صليتُ الصبح فى المسجد ، فلما خرجت من المسجد لقيتُه فقال لى ماهذا اليوم ؟ فقلت له يوم الاثنين ، فقال لى وأي يوم هو ؟ فقلت له يوم عرفة ، فقال لى تريد أن تعرف اليوم ؟ فقلت له نعم ، فمشيت معه الى باب الدباغين فوجدناه مغلقاً فقال لى ان

كان معك شيء يمكنك الخروج عنه فامش معى وإلا فارجع ، فقلت له كلُّ ما معى يمكننى الخروج عنه ، وكانت معى سبعة دراهم ونصف درهم ، فقال لى ادفعها لأول داخل من الباب واقصد بذلك وجه الله تعالى ولا تتغير ولو وقعت بيد يهودى ». فأول ما لقيت عند فتح الباب عجوز فدفعتها إليهـا فخرجنـا الى بحيرة الرقائق ، فتقدمنى وهو يرمق بطرفه إلى السماء ويحرك شفتيه الى أن انتهينا إلى ءاخر البحيرة الى الصهريج عند غابة الرمان ، فقال لى أريد أن تنتصب على أربع ، فقلت له هذا الكلام فى مثل هذا اليوم ؟ فقال لى إنما أمرتك بعادتك من الصلاة ، فدخلت بين أشجار فاستقبلت القبلة وركعت ركعتين وهو ينظر إلي ». فقلت فى نفسى إن لم يقع منه استحسان للصلاة قتلته على زندقته وارتحت منه ، فلما فرغت من الصلاة أتيت إليه فاخذ بيدى وقبلها وقال لى مرحباً بقران فهم معنى القرون ، فقلت له لم غيرتَ قلبى بهذا الكلام ؟ فقال لى ليس هذا الكلام شتماً وانما تكون هذه الكلمة شتماً لو قلت لك قرنان ، وإنما أردت بقولى إليك قران انك قرنت بين الصلاة والصدقة ، قال وكان بظهر الصهريج عنصر ماء الساقية فقال لى إنما سمي هذا اليوم يوم عرفة لأنه تنتشر فيه الرحمة على مَن تعرف إليه بالطاعة ». والموضع المامور بالتعرف فيه لا يمكننا الوصول اليه ، فنمثل به هذا المكان ونعمل كما يعملون لعل الله يتغمدنا برحمته معهم ، فمثل بالعين الكعبة ، وبعنصر ماء الساقية الحجر ، ومثل بموضع منه مقام إبراهيم عليه السلام ، فطاف بالعين سبعاً وانا أطوف بطوافه ، وكبر على العنصر فى كل طواف وصلى فى مثال المقام ركعتين تامتين ، واطال السجود فى الثانية ، ثم استند إلى شجرة وفى نفسى منه عظيم لا أقدر أن أعبر عنه ، فأطرق ملياً ثم قال لى ادنُ منى ». فجلست بين يديه فقال لى اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقضى لك ، فان الله تعالى وعد فى هـذا اليوم مَن تعرف إليه أن يقضي حاجاته ، فقلت له مرادى التوفيق لا غيـر ، فقال لى ما خرجت من باب المدينة حتى وفقت ». لكن اذكر غرضك من الدنيا ولا تذكر إلا ما يليق بك ، فقلت له ما أريد إلا التوفيق والعمل بطاعة الله تعالى ، وما لى غرض فى شيء من أمر الدنيا ، فقال لى أفى نفسك شيء ؟ قلت بل أشياء كثيرة ،فقال لى أخبرنى عما فى نفسك ». فقلت له لا يفيدنى ذلك شيئاً ، فانى

خلوت بك فى مواضع كثيرة فلم تتحصل لى منك حقيقة ، فقال والله الذى خرجنا إليه لا أخفيت عنك ظاهراً ولا باطناً ، فقبلت يده على ذلك ، ثم قلت له ياسيدى يقول الناس تبيح الفروج بغير نكاح شرعى ، فقال مُيز الشيطانُ بالاغـواء والكفار بالاصغاء ، فقلت له ما هذا ؟ فقال لى حصلت بين مقامين مقام الشيطان ومقام الكفار ، فانك أصغيتَ إلى مَن قال ثم افتريت الآن علي فتُب عن هذا ولا تعتقده، ومن اعتقد تحليل فرج بغين نكاح شرعى فهو كافر، وأقوال الناس كثيرة، وقد قالوا إن لله صاحبة وولداً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ، ثم قال لى أرأيتنى أنكحت محرماً أو قلت بتحليل محرم ؟ فقلت له لا ، فقال لى اذكر ما تحققه منى ، فقلت له رأيتك تمر فى أوقات الصلاة بالمساجد ولا تصلى فيها ، فقال لى ما وجدت شفيعاً أقدمه للشفاعة ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : أيمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون ، وهذا الذى قُلت انه عندك حقيقة ليس كذلك فانى لم أقل لك بترك الصلاة ، ومن قال بتركها فهو كافر ، ولكن اذكر شيئاً إذا سئلت بين يدي الله تعالى وقيل لك ما تعرف فى هـذا شهدت به ، فقلت له أعرف حقيقة كلامك بالفحش ، وقد قال الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ، فقال أتذكر حديث معاذ فى ذكر الحفظة ، فقلت له الحديث مشهور ، فقال لى أذكر ءاخر الحديث فأتيت به إلى قولـه اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه أراد به غيرى وأنا رقيب على ما فى قلبه ، فضرط لى بفيه ، فقلت له ما هذا ؟ فقال لى هذا جوابك ، فان الملائكة شهدت له بالأعمال الصالحات ، فلم يقبل من هؤلاء إلا ما عقدت عليه الضمائر ، وفى حديث إنه يؤتى يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحهـا ونظروا إلى قصورهـا نودوا أن اصرفوهم عنهـا لا نصيبَ لهـم فيهـا فيرجعون بحسرة ما رجع الأولـون بمثلها ، فيقولون ربنا لو أدخلتنـا النار قبـل أن ترينا كان أهون علينا ، قـال ذلك أردت بكم ، كنتـم إذا خلـوتم بارزتمونى بـالعظائم ، وإذا لقيتم النـاس لقيتموهم مخبتيـن تراءون الناس بخـلاف ما تعطونى بقلبكم ، هبتـم الناس ولم تهابونـى ، أجللتـم الناس ولـم تجلونى ، ركنتم الـى الناس ولم تركنـوا إلي ، فاليـوم أذيقكم العـذاب مع ما حرمتكم فـى الآخرة من الثواب ، ثـم قال لى ما الذى تنكر علي من الفحش ؟ فقلت له مما أنكر عليك قولك للناس تيوس وهو كلام يغير القلوب ، فقال لى أعنى به المتقدمين وما رأيت أحـداً

من الناس إلا وهو يحب التقدم ، ومن شأن التيس التقدم ، فقلت له وتقول للمحاطب ياقطيم ، فقال لى القطيم عندى هو الذى يحرص على تحصيل الدنيا ويجمعها ولا يخرج شيئاً ، فقلت له ومن شكا اليك بشيء أمرته بالصدقة ، فان لم يكن عنده شيء قلت له اجعل على ظهرك أسود ، فقال لى ما ءامر الناس إلا بما ينتفعون به ، وما من شيء ينزل بالانسان إلا وله مدفع من الكتاب والسنة أو كلام الحكماء ، فان لم يكن عنده ما يستدفع به أمرته أن يتحمل مشفة الصلاة بالليل ، فقلت له هلا قلت للانسان قم الليل ؟ قال لى لو قلت له ذلك لقبل يدى ودخلني العجب والكبر وما طرد الله إبليس من جواره الا بالعجب والكبر ، فسألته عن بدايته إلى نهايته وبما تنفعل له الأشياء فقال لى هذا لا يعرف إلا بالعمل ، ثم قال لى أول أمرى انى كنت بمدينة سبتة يتيماً وكانت أمي تحملنى الى البزازين فافر منهم الى مجلس أبى عبد الله الفخار فتضربنى إلى أن قال لها أبو عبد الله الفخار لم تضربين هذا الصبي ؟ فقالت له إنه يتيم ويأبى أن يعمل شغله وليس عندى شيء ، فقال لى يابني لم لا تفعل ما تأمرك به أمك ؟ فقلت له إنما أحب هذا الكلام الذى أسمعه منك ، فقال لها اتركيه وأنا أدفع لك قدر أجرته وادفع عنك للمعلم الذى يقرئه ، فقرأت القرءان الى أن حفظته ، ثم قرأت الأحكام الى أن بلغ سنى عشرين سنة ، فأتيت إلى إيكليز ومراكش فى الحصار ، وقال لى ابنه سمعت أبى يقول وصلت إيكليز وأنا ابن ستة عشر عاماً ، قال علي بن أحمد الصنهاجي فى حديث عن أبى العباس فوجدت ءاية فى كتاب الله ترد على قلبى كثيراً وعلى لسانى وهي قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) فتدبرت ذلك وقلت لعل هذا السبب وأنا المطلوب بهذه الآية ، فلم أزل أبحث عنها الى أن وقعت على (غريب التفسير) ، وفيه نزلت حين واخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وأنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم المواخاة فأمرهم بالمشاطرة فعلموا أن العدل المامور به هو المشاطرة ، ثم نظرت إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم وستفترق أمتى على اثنين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة واحدة وهي ما أنا عليه وأصحابى ، وانه قال ذلك صبيحة اليوم الذى ءاخى فيه بين المهاجرين والأنصار وأن الأنصار ذكروا أنهم شاطروا

المهاجرين . فقال لهم ذلك باثر ذلك ، فعلمت أن الذى عليه هو وأصحابه هو المشاطرة والايثار ، فعقدت مع الله تعالى ألا يأتينى شيء إلا وأنا أشاطر إخوانى المومنين من الفقراء ، فعملت هذا عشرين سنة وءاثر هذا الحكم بالخاطر ، فلا أحكم خاطرى على شيء إلا صدق ، فلما أتت عليَّ أربعون عاماً صار عقل ءاخر ، فرجعت إلى الآية أتدبرها ، فوجدتُ العدل هو الشطر والاحسان ما زاد عليه ، فنظرت الثالثة فعقدت مع الله عهداً ألا يأتينى شيء قليل أو كثير إلا أمسكت الثلث وصرفت الثلثين إلى الله تعالى ، فعملت على ذلك عشرين سنة ، فئاثر لى هذا الحكم فى الخلق بالولاية والعزل ، فأولى مَن شئت وأعزل مَن شئت ، ثم نظرت بعد كمال العشرين سنة أول فرض افترضه الله تعالى على العباد فى مقام الاحسان ، فوجدت شكرَ النعمة بدليل إخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم ويعقل ، ووجدت الأصناف الذين تصرف عليهم ثمانية أصناف إلا أنها للصدقة الواجبة ، ووجدت سبعة أصناف ءاخرين أصرفها للاحسان والزيادة على العدل ، وذلك أن لنفسى حقاً وللزوجة حقاً وللرحِم حقاً ، ولليتيم حقاً وللضيف حقاً ، وذكر صنفين ءاخرين . فانتقلت إلى هذه الدرجة وعقدت مع الله تعالى عقداً أن كل ما يأتينى من خير قليل أو كثير أمسك منه سُبُعَيَن حق النفس وحق الزوجة وأصرف خمسة أسباع على مستحقها ، وأقمت على هذا أربعة عشر عاماً . فاثر لى ذلك الحكم فى السماء ، فما قلت يارب إلا قال لى لبيك ! ثم قال لى والله أعلم بتمام عمرى ، وهو أن تنقضي ستة أعوام تكملة العشرين عاماً ، قال فأرختُ ذلك اليوم ' فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ الذى كتبته وحققت العدد فنقصت من تلك الأعوام المذكورة ثلاثة أيام ، فيحتمل أن يكون ذلك من الشهور الناقصة والله أعلم .

قال أبو الحسن قال أبو العباس كل ما يأتينى أقسمه على سبعة أجزاء ، فئاخذ السبْع لنفسى ، والسبع الثاني لمن وجبت عليَّ نفقتُه كالزوجة ومَن فى حكمها من ولد غير بالغ ومملوك ومملوكة وعددهم اثنان وثلاثون شخصاً ، فنظرت فيمن أستجلب أرزاقهم فاذا هم الأيتام المهملون الذين لا والد لهم ولا أم ، فأخذت منهم كعدد مَن تجرى عليهم نفقتى ممن تقدم

ذكرهم وهم المقيمون لا يفقد أحد منهم بنكاح أو موت إلا عوضت منه غيره ، ثم نظرت في ذوى الرحم فاذا هم أربعة وثمانون شخصاً ، ولهم حقان حق الرحم وحق المسكنة ، فاستجلب أرزاقهم بالذين في كتاب الله تعالى وهم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وهم الذين لا تمكنهم المسألة ، فوجدتهم في ذرية علي بن يوسف وبنى العزيز الذين كانوا ملوكاً وصاروا فقراء ، فأخذت من عددهم كعدد ذوى رحمي ومتى فقد منهم أحد عوضت منه غيره ، فأنا أؤدى هذه الحقوق أربعة عشر عاماً لا أنقص ذلك .

وحدثني أبو بكر بن مساعد بن محمد اللمطي وكان خاصاً بأبي العباس قال جاء بعض السلاطين لأبي العباس وهو راكب فقال له كلاماً معناه إلى متى تشير ولا تصرح لنا عن الطريق ؟ فقال له هو الاحسان ، فقال له بين لنا ، فقال له كل ما أردت أن يفعله معك فافعله مع عبيده .

وحدثني عبد الله بن أبي العباس قال لما احتضر أبي دنا منه أبو يعقوب الحكيم وكان صديقه فقال له أوصنا بما نفعله بعدك ، فقال ليس إلا الاحسان ولسانه ثقيل لا يكاد يبين الكلام ، ولما مات أبو العباس رحمه الله لم يرثه أحد بأوصافه غير صديقه أبي يعقوب يوسف بن احمد بن الحسين الأنصاري رحمة الله عليهما بهذه الأبيات :

أطال الليل أرزاء" تطول	وأحزان" تحلُّ وما تحول
دهانا من خطوب الدهر خطبٌ	تكاد الراسيات له تزول
لقد عظمت رزيتُنا وجلَّت	وعمٌ لفقده خطب جليل
فُجعنا بالفقيه فلا عزاء	عليه فما يعادله عديل
فيالَهفي عليه وياعويلي	وما يغني التأسف والعويل
وقد أودى المبرز في المعالي	وعاجله من الدنيا الرحيل
وغيب في الثرى عنا كشمس	مغربة تعجلها أفول
وكنا نستدلُّ به فأودى	فكيف بنا وقد فُقِدَ الدليل
يدل بنا طريق الحق قصداً	فليس يعوج عنه ولا يميل

وعمدته على التنزيل ما ان ... يفارقه وما قال الرسول

مثاثره لنشر العلم يبدى ... غرائبه وءاونة ينيل

فمن علم يبينه ومال ... يفرقه وأيتام يعول

فيمناه سحاب واكفات ... ومنطقه البيان إذا يقول

فيوسعنا ندى غمراً وعلماً ... كأنهما لنا بحر ونيل

فتنعش من عوارفه جسوم ... وتنعم من معارفه عقول

ويبعثنا على كسب المعالى ... وهمته التهانى والوصول

إلى أقصى المنازل ليس يرضى ... بأدونها كما يرضى البخيل

عفا رسمُ المعالى إذ تقضَّى ... أبو العباس واندرس السبيل

فحق لفقده تبكى عيون ... وتجرى من مدامعها السيول

فلولا أن تعودنا التأسى ... فعاد لنا به الصبر الجميل

لَسالتْ أنفس منا عليه ... وحق لها بفجعته تسيل

ولكن التصبر فيه أولى ... فما لبقاء مخلوق سبيل

وحكم الموت فينا حكم عدل ... قضاه فما لنا عنه عدول

فصبراً واحتساباً يابنيه ... فحظ الصابرين غداً جزيل

سقى قبراً تضمنه سحاب ... يغاديه ويعقبه الأصيل

باب فى ذكر فضائله

حدثنا أبو بكر بن مساعد اللمطى قال ما اغتاب أحد قط أحداً من الناس بمجلس أبى العباس السبتى ، ولقد قلت له يوماً من أشعر ؟ ابن حبوس أم أبو العباس الخراز ؟ فأبى من الجواب ، وقال لى أتريد أن أغتاب الناس ، فقلت له وما فى ذلك ؟ فقال لو فضلت أحدهما على الآخر وهما حاضران لعز ذلك على أحدهما، والغيبة هي أن يذكر الانسان فى غيبته بما يكره، وما حضرت معه قط فأنشد أحد شعراً فى الغزل إلا قال له دعنى من هذا وأخذ فى مدح الله تعالى ، وسمع منشداً ينشد من أبيات (رفعوا الهوادج للرحيل وسلموا) فقال :

رفعوا الأنامــل للصــلاة وكبــروا فبدا الخشوعُ لخوفهــم يترنــــم
وبدت سواكب دمعهم مسبولـــة خوفـاً لما قد أخروا أو قدمــوا
هاذى صلاة المتقين وغيرهـــم نائى الفؤاد والسن تتكلـــم

وسمع منشداً ينشد من أبيات (ياأخى قم ترى النسيم عليلا) فعارضه بهذه الأبيات :

ياأخى قم ترى الكتـاب دليـــلا واجعـل الذكر والسجـود سبيلا
واطلبنْ للالاه جنةَ خلــــد بخضوع يراك فيـه ذليـــلا
إن رب العبـاد يدعوك ليـــلا إن فضلى لمن يكـون سئـــولا
أسعِفُ العبد بالاجابـة منـــى ليس فضلى عليك عبـدى قليـــلا

وكان أبو العباس يلهج فى حياته بهذه الأبيات لشيخه أبى عبد الله الفخـار :

عقدت عليك مكمنـات خواطـــرى عقد الرجـاء فألزمتـك حقـوقـــا
إن الزمان عدا عليَّ فزادنـــى علمـاً بأنك خالقـى تحقيقـــا
ما نالنى كرب بوجـه مســـاءة إلا عبرت بـه إليـك طريقـــا
امض القضاء على الرضى منى بـــه أنى وجدتـك بالعبيـد رفيقـــا

فاذا سـ ـها يخرُ ساجداً ، فأنشده إياها حفيده أبو زكرياء وهو فى النزع ، فمدَّ يده اليه الى أن أخذ بيده فقبلها ، قال فقلت له قل لا إله إلا الله ، فأخذ بيدى الى موضع قلبه كأنه يقول لى هي فى قلبى .

وأنشد عبد الله بن أبى العباس لأبيه :

إنى أمنت طوارق الحدثـــان لما تعلـق بالالاه جنـانـــى
وحصلت فى فردوس نعمتـه التى كانت مثوبة أوبتى وجنانـــى
فلذاك أورثنى مُغيَّبَ ســـره فالعلـم علمـى والبيـان بيانـى

وأنشدنى أيضاً لأبيه رحمه الله :

ألا بأبى مَن بات يدعو إلاهَـــــه
لقد هاجنى شوق الى ذلك الـورد

تبيت على قطع المراحل بالتقـــى
سبوقاً إلى الخيرات فى جنة الخلد

ومثلى على فرش البطالة غافــــل
فياأسفى من قرب غيرى ومن بعدى

أأنأى عن الفردوس فى جنة العـلى
ويحظى بها ذو الدمع سكبا على الخد

وحدثنى عبد الرحمان بن يوسف الحسنى رحمه الله من أهل البيت عليهم السلام قال رأيت النبيء صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت له يارسول الله أريد أن أراك فى النوم كل ليلة ، فقال لى هذا لا يمكن ، فانى مطلوب فى المشرق والمغرب فشكوت له حالى وفقرى ، فقال لى البخل أضرّ بك ، فمر علينا أحمد بن دوناس وهو رجل صالح من الأولياء الأخفياء من أهل اغمات لا يمسك شيئاً ، وربما تجرد من أثوابه فيوثر بها ويستتر بالأبواب، فسلم علينا وانصرف فقلت له يارسول الله وهذا ، فقال لى البخل أضر به فحرت لما أعرف من كثرة إيثاره ، فقلت له بين لى هذا البخل ، فقال لأقولن لك فيه قولا لم ينقله إليكم علماؤكم اذا حضر لأحدكم خاطر بالعطاء ثم عقبه خاطر ءاخر بالمنع فالتردد بالخاطر الأول بخل ، فسألته عن أبى العباس السبتى وكنت سيءَ الاعتقاد فيه ، فتبسم ثم قال لى هو من السباق فقلت بين لى ، فقال لى هو ممن يمر على الصراط كالبرق ، فأصبحت وخرجت ، فلقيت أبا العباس السبتى فقال لى ما سمعت وما رأيت ؟ فقلت له دعنى ، فقال لى والله لا تركتك حتى تعرفنى ، فذهبت معه الى حانوت ابن مساعد ، فأنشأت أحدثه إلى أن قلت له التردد فى الخاطر الأول بخل ، فصاح وغُشِيَ عليه ، ثم قال كلمة الصفا من المصطفى ، وصار متى ما تذكر هذا الكلام يغشَى عليه .

حدثنى علي بن زكرياء قال سمعت أبا العباس السبتى يقول أنا هو القطب .

باب في ذكر اخباره

حدثنى علي بن زكرياء بن عبد الله قال جلست يوماً مع أبى وكان معنا أبو العباس السبتى فجاء إلى أبى يتيم فسأل منا شيئاً فأعطاه أبى نصف

درهم ، فقال له أبو العباس أعطه درهماً كاملا ، فأخذ أبى منه نصف الدرهم ودفع له درهماً كاملا ، فقال له أبو العباس ردَّ إليه نصف الدرهم يفتح الله عليك فى أربعة دراهم ونصف درهم ، فما برحنا من مكاننا حتى وقفتْ على أبى امرأة من الخدماء ، فقالت له أتعرفنى ؟ فقال لها لا أعرفك فمن أنت ؟ فقالت له كنتُ قد اشتريت منك نطعا ببلد داي بأربعة دراهم ونصف درهم ثم طرأ على أهل داي ما طرا من الجلاء عن بلادهم وافتراقهم فى البلاد عام تسعة وخمسين وخمسمئة ، فافترقنا وبقي لك عندى ثمن النطع إلى الآن فخذه ، فأخذ منها تلك الدراهم .

قال وجلس أبو العباس السبتى يوماً بدكان صديقه أبى يعقوب الحكيم إلى أن جاءه رجل خليع فقال له أطعمنى فانى جائع ، فقال له أبو العباس ليس عندى شيء ، ثم عاد عليه ثانياً وثالثاً وهو يقول ليس عندى شيء ، ثم قال لأبى يعقوب هل عندك ثمن خبزة ؟ فدفع له أبو يعقوب درهماً فاشترى به خبزة ودفعها له ، ثم قال له لعلك قلت فى نفسك كيف أعطى ما أخذ منى هذا الخليع ؟ فقال له لقد خطر ذلك بخاطرى ، فقال له لو لم يكن خليعاً لكنت أنت ذاك الخليع ففداك ولم تعرف قدر ما أنعم به عليك .

حدثنى غير واحد أن أبا العباس بات ليلة مطر فغلبه البرد فأمر أن يغطَى باللحاف ، فلم يندفع عنه البردُ فزيدت عليه اللحاف والبرد لم يندفع عنه ، فقام من فراشه يمشى بالمحلة التي هو فيها ويقرع أبواب الديار ولا يستجيب له أحد إلى أن قرع باب دار فاستجاب له أهلها ، فعلم أنهم لم يناموا من مكابدة البرد ، فقال ما لكم لم تناموا ؟ فقالوا له قد ابتلت أثوابنا بالمطر فنحن نجففها على النار ، فقال من هاهنا علبنى البرد ، فقال أبو العباس لأهله احملوا لهم هذه اللحاف فسيقت إليهم وتغطوا بها ، ودخل أبو العباس فى فراشه وجعل على نفسه الغطاء التى جرت عادته أن يغطى بها دون تلك اللحاف فزال عنه البرد ونام .

وحدثنى عنه انه قدم له أهله ليلة عشاءه فلم يشته الأكل ، فقال لأهله لعلكم بقي منكم مَن لم يأكل فلذلك لم يطب لى الطعام فحفوا به كلهم

وقالوا والله ما بقي منا أحد إلا وقد أكل ، فقال لهم اطلبوا ففتشوا ، فلما ذهبوا لباب الدار وجدوا امرأة مسكينة نائمة لم تتعش ، فرفع إليها عشاءها فأكلته وجعل لها فراشاً تنام عليه .

وحدثنى أحمد بن علي الصنهاجى قال احتبس المطر فى بعض الأوقات فقال أبو الحسن البلنسى الجنان لأبى العباس أما ترى ما فيه الناس من احتباس المطر فقال له انما احتبس لشحّ الناس فلو تصدقوا لمطروا ، فقل لأصحابك من الفلاحين تصدقوا بمثل ما أنفقتم تمطروا ، فقال له أبو الحسن لن يصدقنى أحد ، ولكن مرنى فى خاصتى فما أمرتنى به أفعله ، فقال تصدقْ بمثل ما أنفقت ، فقال إذا مطرت أخرجت من ثمن الغلة مثل ما أنفقت ، فقال له إن الله تعالى لا يعامل بالدين ! ولكن استسلفها فاحتال فيها وتصدق بها كما أمره ، قال أبو الحسن فخرجت الى البحيرة وكنت اعتمرتها والشمس شديدة الحرارة وقد أيست من المطر ، ورأيت جميع ما غرسته قد أشرف على الهلاك ، فأقمت ساعة فرأيت سحابة قد أمطرت البحيرة إلى أن رويت وبلت ثيابى وظننت أن الدنيا كلها كذلك قد أمطرت ، فلما خرجت من البحيرة رأيت المطر لم يجاوزها ، وهذه القصة مشهورة صحيحة ، سمعت أبا يعقوب الحكيم وجماعة يحدثون بها ، وكان أبو العباس يعضدها بحديث حذيفة المخرج فى الصحيحين .

وحدثنى علي بن احمد الصنهاجى قال جلست مع أبى العباس فى جماعة من المريدين وقد احتبس المطر ، فمر الصبيان بنا وهم يستغيثون ويسألون المطر ، فقيل لأبى العباس أما ترى ما أصاب الناس من القحط والجفوف فهلا استغثت لنا ؟ فقال قوموا فخرجنا من باب الدباغين ومعنا أبو يعقوب الحكيم وجماعة من المريدين والشمس شديدة الحرارة ، فقال لنا أبو العباس مَن كان عنده شيء فليتصدقْ به ، فقلت له أما أنا فليس عندى شيء فان أمرتنى أن ءاتي بشيء فعلت ، فقال لا إنما أمرت مَن حضر عنده شيء الآن أن يخرج عنه ومعنا رجل شديد الفقر يعرف بالطراز ، فقال ليس عندى غير ثمن درهم أعددته للزيت فقال له تصدق به ففعل ، فقال أبو العباس فى

هذا جاء الخبر سبق درهم مئة ألف ، فقال فلقيَنا محمد بن يوسف بن جذع الجذامي فنزل عن دابته وسلم على الشيخ ، فقال له إلى أين خرجتم ؟ فقلت خرجنا نستسقى ، فضحك بنا وقال صدقتم هذا الشيخ الأحمق ارجعوا ، فقلت له أما أنا فلا يمكنني الرجوع ، فتقدم أبو العباس وهو ينظر الى السماء ويحرك شفتيه ثم قال لنا قولوا سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فان الخلائق يرزقون بهذا ، فكنا نقول ذلك ونرفع به أصواتنا وأقمنا على ذلك ساعة ، ثم قال لنا بادروا المطر وخذوا نعالكم بأيديكم ، فضحك ابنُ الجذع وقال هذا والله هو الحمق ، يقول لكم هذا القول والشمس شديدة الحر ، فقلت أما أنا فلا أكذبه ، فأخذت نعلي بيدى فوالله ما وصلنا باب الدباغين حتى غيمت السماء وانهملت بالأمطار ، فبقي ابن الجذع مذعوراً ، فقال لأبى العباس اغفرْ لى سيدى فانى أتوب إلى الله تعالى مما ظننت ، فقال له لن تقبل توبتك هكذا حتى تتصدق بشيء ، فأخرج خمسة دنانير وقال لى دفعت هذه الخمسة دنانير لى امرأة من كرائم مردنيش أن يدعى لها أن تحبب إليها الصلاة ، فقال أبو العباس ما خرجت إلا لأخذ مئة دينار ، ولكن بهذه الخمسة توجد فربطها فى عمامته وانصرف ابن الجذع إلى تلك المرأة ، فأعلمها أنه دفع لأبى العباس خمسة دنانير ، فقالت له احمل إلى الفقيه مئة دينار يضعها فى موضعها ، فجاء بها ابن الجذع إلى أبى العباس ، فقال إنما طلبت هذه المئة لصبية بكر قبضت لها جدتها نقدها من زوجها فأكلتْه لحاجتها فطولبت بالنقد لتجهيزها له فشكت إلي وعلمت صدقها فخرجت أستسقى ليفتح الله لها فى مئة دينار ، فدفع الى العجوز المئة وقال لها جهزى حفيدتك بالمئة وخذى هذه الخمسة وانتفعى بها ، فقال ابن الجذع لأبى العباس عسى أن تعلمنى بأي شيء علمت نزول المطر حين أخبرتنا بذلك ، فقال مرت ريح باردة فى خدى فلما وجدت بردها رفعت بصرى إلى السماء فرأيت سحابة بطرف جبل درن فعلمت أنها سحابة مطر .

وسمعت جماعة كثيرة من خاصته منهم أبو بكر بن مساعد بن محمد اللمطى وكلهم يقول : كان عيسى بن شعيب من تلامذة أبى العباس قد أدركه عجب بنفسه ، وظن أنه قد زاد على مقام شيخه ، فغير قلبه وسار من مراكش

وكانت تحته ابنة أبى العباس ، فجاءت يوماً اليه ابنته فقالت ياأبت إن زوجى غاب عنى فما أفعل ؟ فقال لها ليس هو بزوجك اعتدى فانه مات الآن قال أبو بكر فأرخنا ذلك اليوم فجاء بعد ذلك خبره بأنه مات فى قرية الحدادين فى ذلك اليوم، وسمعت أبا يعقوب الحكيم يذكر هذه القصة وهي مشهورة صحيحة.

وحدثنى ابن مساعد قال أصاب الناس قحط بمراكش فدخلت مع أبى العباس دار الاشراف وكان النظر فيها لأبى بكر بن يوسف الكـومى ، وكانت بينهما صحبة ، فسلم عليه أبو العباس وأشار الى السماء كأنه قال له تصدق يسقى الناس ، فقال إن الله غني عنها ، فولى أبو العباس وهو يقول سبحان الله هذا الرجل عزل نفسه ، ثم قال أرخ هذا اليوم ، قال فأرخته ثم قلت له من أين هذا القول فقال لى قال الله عز وجل (هانتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل) إلى ءاخر السورة ، قال ابن مساعد بنحو ثلاثة عشر يوماً من التاريخ جاء من اشبيلية أبو محمد بن أبى يحيى بن عبد الصمد بعزلة أبى بكر بن يوسف عن دار الاشراف .

وحدثنى أبو بكر بن مساعد اللمطى قال خرجت مع أبى العباس ومعنا رجل ثالث وأتينا إلى باب بحيرة الناعورة ، وكان مغلقاً ، فلما وصل اليه أبو العباس انفتح له الباب فدخلنا البحيرة فظننا أنه فتح له رجل خلف الباب فنظرنا يميناً وشمالا فلم نر أحداً فتعجبنا من ذلك ، فالتفت إلينا فقال أتعجبون من انفتاح الباب ولا تعجبون من هذه السحابة التى استدعيتُها حتى أظلتنى ، فرفعنا رءوسنا فرأينا سحابة فوق رأسه تظله .

قال أبو بكر بن مساعد وجئت يوماً مع أبى العباس فى جماعة إلـى باب الدباغين وهو مغلق ونحن خارج الباب ، فقال للبواب افتح لنا فأبى ، فقال، لى ياابن مساعد أعطه قيراطاً ليفتح لنا فأبى ، فقال أعطه درهماً فأبى ، فولى أبو العباس مغضباً وهو يتكلم ، فرأيت صبياً صغيراً رفع العمود فانفتح ، فقال أبو العباس إن هذا البواب يموت ، فأقام البواب ثلاثة أيام فمات ، قال ابن مساعد أنا رأيت ذلك الصبي رفع العمود وهو صغير لا يطيق رفع ذلك العمود لثقله ، وما أدرى كيف انفتح له .

وخرجت معه يوماً إلى بحيرة الطلبة خارج باب ينتان ومعنا رجل يعرف بالغزال كان خفيفاً على الشيخ ، فقال له أبو العباس يابني اشتر لنا شواء ، فقال له الغزال انه تلحقنى فى شرائه من السقاية مشقة ، ثم مر فكان أبو العباس ينتظره الى أن يئس منه ، فانقبض عنا ونحن نرى الكراهية فى وجهه ، فقال له أبو يعقوب أعلى شهوة تتنكد هذا النكد ؟ فقال والله ما تنكدت من أجل شهوة ، وانما ذلك من أجل أنى ما أجلت خاطرى على شيء إلا تيسر وانا الآن صرحت بلساني فلم يتيسر فلا أدرى من أين أوتيت ، فمكث ساعة فاذا بالطراز قد جاء إلينا وعلى وجهه أثر التعب ، فقال لقد أتعبتمونى فى طلبكم فلم أزل أسأل عنكم إلى أن أتيتكم، فقال له أبو يعقوب أعندك شواء؟ قال نعم خرجت من باب ينتان فوجدته ولم يكن عندى غير ربع درهم فاشتريت به منه لكم ، فتناول منه أبو العباس مضغتين وهو منكس ، ثم تركه .

وأخباره كثيرة عجيبة وقد جمعها أصحابه وكتبوا من كلامه كثيراً وفى هذا القدر الذى ذكرنا كفاية لمن أراد أن يستشرفها ، نسأل الله تعالى توفيقاً إلى مرضاته وعملا زكياً يكون ذخراً لديه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

باب جامع لمنازعه

حضرت غير مرة مجلس أبى العباس وسمعت احتجاجه على منازعه ومعاهده ، وكان يقول أصل الخير فى الدنيا والآخرة الاحسان ، وأصل الشر فى الدنيا والآخرة البخل ، قال الله تعالى (فأما مَن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنُيسره لليسرى ، وأما مَن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنُيسره للعسرى) ، وقال حكاية عن إبليس (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ، وفى الخبر الأكثرون هم الأخسرون ورب الكعبة إلا مَن قال بماله هكذا وهكذا وذكر العطاء من هذه الجهات الأربع، ولما أراد الله تعالى هلاك فرعون وأهله دعا عليهم موسى عليه السلام بالبخل (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الأليم ،

قال قد أجيبت دعوتكما) وقال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنَّ ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه) ، وقال تعالى في الأنصار (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون) ، وقال تعالى (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) الى تمام القصة ، وقال عليه السلام (اتقوا النار ولو بشق تمرة)، فلم يذكر وقاية النار الا بالعطاء ، وقال تعالى (سارعوا الى مغفرة من ربكم) الى قوله (إن الله يحب المحسنين) وقال تعالى (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البِرُّ مَن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه) الآية .

وحدثني محمد بن خالص الأنصاري قال حضرت مجلس أبي العباس السبتي يوما وقد ذكر قوله تعالى (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) الآية ، فقال هذه الأمانة هي الرزق فالسماوات أعطت ماعندها من الماء وهو المطر ، والأرض أعطت ماعندها من النبات والثمار ومافيها من الأرزاق وأبت من إمساكها فصار الانسان خازنا لما يجتمع عنده فيمنع منه المساكين إنه كان ظلوماً جهولا .

وحدثني محمد بن خالص قال كان أبو العباس السبتي آخر عمره كثيراً ماينزع بهذه الآية (أفرأيتَ الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى) أي وأقطع (أعنده علم الغيب فهو يرى)ان الصواب ما يفعل (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذى وفَّى ألا تزر وازرة وزرَ أخرى ، وأن ليس للانسان إلا ماسعى) أي أعطى إلى ءاخر الآية ، قال سمعته يقول قصدت أنا وحدى الى عين الخير دون سائر العلماء والأمر كله انما يدور على العطاء والبذل ، وما تصدقت بصدقة لوجه الله تعالى إلا بربع درهم ، وانما تصدقت لأجازى ، وما تصدق لوجه الله تعالى العظيم خاصة إلا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء الذين لم ينالوا من الدنيا إلا البلاء ، وكان يقول كلُّ مَن قال إن الله لا يجزى على الصدقة فقد وافق اليهود على الفرية على الله

تعالى فإن اليهود قالوا (يد الله مغلولة) أي لا يجازى ولا يثيب ، فقال تعالى (غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء) ، وكان يقول فى قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة) إلى قوله (فتكوى بها جباهُهم وجنوبهم وظهورهم) قال كويت هذه المواضع لأن الغنيّ إنما يعرض عن المساكين بوجهه ثم بجنبه ثم يوليه ظهره ، فعوقب في هذه المواضع بالكي بالنار على الاعراض بها عن الفقراء .

حدثنى محمد بن خالص الأنصارى قال حدثنى أخى أحمد قال حدثنى أبو يعقوب الحكيم قال خرجت مع الفقيه السبتى من باب الدباغين وقد أوقد فرن الجيارين والريح جوفية تهب بالدخان الى جهتنا فقال أبو العباس أي ريح تحب أن تهب ؟ فقلت الريح الشرقية ، فقال ستهب الآن قال فرأيت الريح قد هبت شرقية فحملت الدخان الى جهة أخرى .

قال وحدثنى أحمد السيفى قال بات عندنا أبو العباس السبتى ليلة بباب ايلان فمنع النوم فقام يضرب على الأبواب الى أن وجد قوماً يتحدثون فى دهليز فسألهم عن حالهم فأخبروه أن قطر سقف البيت منعهم من النوم ففروا الى دهليز الدار فبعث إليَّ شملته فتغطوا بها وانصرف وقال من أجل هذا منعت النوم .

وحدثنى ابن مساعد اللمطى قال سمعت أبا العباس السبتى يقول والله ما بلغت نعل أبى الحسن البلنسى وانما انا مومن وتاجر شحيح انما أفعل ما أفعل لأجازى ، وقال له رجل وأنا حاضر مالك لا تتكلم على الصلاة ؟ فقال إنما تكلمت على العلة العظمى التى عمت وهي البخل ، قال وإنما أودعكم السر الذى لم يطلع عليه كل أحد باعطاء الشطر تكون الوقاية اتقو النار ولو بشق تمرة كما قال عليه السلام ، وباعطاء الثلثين يحكم فى المخلوقات كالاستسقاء والولاية والعزل ودخول الجنة وأمثال ذلك ، وباعطاء خمسة أسباع يستجاب الدعاء وتكون الكائنات ، قال ابن مساعد وانتهى أبو العباس الى اعطاء تسعة أعشار وتمسك بالعُشُرْ وهي النهاية ، قلت وانما قال وهي

النهاية لأنها الواجب فيما يبقى للمساكين فمن خرج عن تسعة أعشار وتمسك بالعشر فقد أخذ لنفسه الواجب وأعطى للمساكين ما يجب له وهو الملك .

قال ابن مساعد وقلت لأبى العباس أكره ما تتكلم به من الفحش فان الله تعالى يقول (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) فقال لى اذا تكلمت بالكلمة أليس الله يطلع على قلبى مالا يطلع عليه مثلك ؟ فقلت له بلى (I)، فقال لى فماذا اضرّ اذا علم الله تعالى منا ما طويت عليه ضمائرنا ؟ فقلت له لم كانت الخلافة لمعاوية دون الحسن بن علي رضى الله عنه ؟ فتغير وسكت عنى ساعة ثم قال لى فلو كان الحسن خليفة فهل يجمل أن يحاسب عن رعيته وجده محمد صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله يشاهد مطالبته ومحاسبته ، وذكر بمحضره فعل اليزيد بالحسين رضي الله عنه فما زال يصيح يامحمد يامحمد مالك أمة الى أن غشي عليه .

قال ابن مساعد وخرجت مع أبى العباس وأبى يعقوب المبتلى وأبى الحسن البلنسى الى بحيرة خارج باب أغمات وقد رغبنا أبا الحسن أن يستسقي لنا وكان وقت جدب ، فأحضر لنا أبو الحسن طعاماً كثيراً فجعلنا نأكل وأبو يعقوب المبتلى يقول متى يستسقى لنا أبو العباس فانى ما رأيته دعا فلما رجعنا الى المدينة قلت له ياسيدى خرجنا للاستسقاء فلم تستسق لنا، فقال قد استسقينا لكم يعنى بالطعام، وقد رويت البلاد، واليوم لغيرنا، ونسقى نحن غداً إن شاء الله، (فقلت له : ولِمَ لا اليوم ؟)، فقال لأن ساقيَ القوم آخرهم شرباً ! قال والله لقد مطرنا فى اليوم الثانى مطراً وابلا . وسألت عن تلك الجهات الواصلين منها فأخبرونى أنهم مطروا قبلنا بيوم ، قال وخرجت معه يوماً إلى بستان خارج باب دكالة وكان قد شوقنى فيه بعض أصهارنا فأتحفنا بما كان عنده من الفواكه فسر بذلك الفقيه أبو العباس ودعا العامل فى البستان فقال له ما الذى تريد أن يكون ؟ قال ياسيدى ما أريد شيئاً وانما نحن معاشر الجنانين (I) قد تضررنا بالريح الشرقية فانها أفسدت علينا

I) فى الأصل نعم وذلك خطأ .

I) ج جنان كنجاز عامل الجنة فى الاصطلاح المغربى الأندلسى ، أى ما يقابل البستانى فى الاصطلاح المشرقى .

النوار ولا نريد الا أن تكون الريح غربية ، وكان اذا أراد مـن الله أمراً أطرق ساعة وينقبض فلا يجسر على كلامه أحد ، ففكر ساعة ثم قال لنا استنشقوا الريح فاستنشقناها فاذا هي غربية .

قال ابن مساعد : وحضرت معه يوماً فأنشده بعض الحاضرين بيتين من قصيدة ابن عمار التى أولها (أدر الزجاجة فالنسيم قـد انبرى) (1) ، فقطع انشاده وكره سماع القصيدة وقال لابد أن نكفر هذين البيتين اللذين سمعتهما بهذين البيتين :

أقم الصلاة مهاجِراً سِنَةَ الكـرا	واجعل صباحك عنده حمد السرى
واطو المراحل بالعروج لمن لـه	لطف ينزله اذا هجع الـورى

حدثنى محمـد بن خالص الأنصارى قال حدثنى أبو إبراهيم بـن نجا قـال أبو العباس السبتى وانا بسوق الغزالين وهو يقول مَن يعطى درهميـن يزال عنه وجع الرأس ، فناولته درهمين ، وكان يعترينى وجع الرأس ، فوالله ما أصابنى بعد ذلك وجع الرأس .

وحدثنى ابـن مساعد قال حضرت بمجلس أبى العباس يوماً وقـد اجتمع اليه الناس فقال لهم إنما تكلمت عليكم لقوله عز وجل (فلولا كان من القرون مـن قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فـى الأرض إلا قليلا ممـن أنجينا منهم) فانا أولو بقية ، أتدرون ما هذا الفساد الذى ينهون عنه هـو اهلاك الحرث والنسل بالبخل المؤدى الى الجدب ، قـال تعالى (واذا تولى سعـى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد) ثـم قال (ألم يان للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل مـن الحق) الى قوله (يحيى الأرض بعد موتها) ، قال فكأنه قيل له بماذا يحيى الأرض بعد موتها فقال (ان المصدقين والمصدقات) الآية ، ثم تلا هذه الآية (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستـة أيام) الى قوله (تضرعـا

(1) راجعها فى صحيفة 306 من ج 1 من نفح الطيب وراجع 356 من ج 3 من الشذرات .

وخفية) الى قوله (من المحسنين) أي مطره ، فذكر كيف ينزله فقال (هو الــذى يرسل الرياح نُشْراً بين يديْ رحمته) الى ءاخر الآية .

وحدثنى محمد بن خالص الانصارى قال سمعت أبــا العباس السبتى يقول تحية المسجد ركعتان انما معناه أن المحيى يضع أعز اعضائه عــلى الأرض وهو الوجه ، ومن أخذ ما هو أعز الأشياء عنده فوضعه فى المسكين الــذى هو كالأرض لمسكنته وفقره فقد أحياه .

وسألت ابن مساعد فقلت لــه أنت لازمت أبا العباس مدة طويلــة وخلوت به فأخبرنى عن أعجب ما رأيت منه ، فقال كل شأنه عجب ، وأنا أخبرك بما رأيــت فى نفسى من العجب ، وذلك أنى أصابنى تشنج سترتــه عــن أعين الناس فى منزلى ، فبعثت إليه رضي الله عنه أن يأتينى ، فقــال للذى بعثت إليه أبــو بكر رجل شحيح ، ولولا ذلــك لكان شأنه عظيماً ، ووعد الذى جاءه بالقدوم علي وكنــت التفتت الى منازعه ومقاصده فقلت للــذى بعثت إليه كم عدد درج المصرية التى نحن فيها ؟ فقال ثلاث عشرة درجة ، فقلت له سيطلب منى الشيخ ثلاثة عشر ديناراً عــلى عدد الدرج ، فلما صعــد إليّ قال تعطينى ثلاثة عشر دينارا فقلت كذلك قلت قبلك وأمرت بعــدّ الدرجات فعجب من ذلك ، ثــم سألنى عن حالى فقلت لــه إنى أرى أحــلاماً رديئة ، فقال لى أنا أطببك ، فكــم نفقتك فى الشهر ؟ فقلت لــه ستة دنانير ، فقال لــى اخرجها فأخرجتها فأخذ مسحاة وكتب فيهــا حرف الزاي وقال لى اجعلها تحت رأسك مــع تلك النفقة ، فأخذت المسحاة والدنانير فجعلتهــا تحت رأسي فزالــت تلك الأحلام الرديئة ورجعت عنى ، وكنــت أنفق من تلك النفقة الى أن بقي منهــا ديناران فأخذتهما وعادت تلك الأحلام فرددتهما فزالت عنى فأعلمته فعجب مــن اختبارى لذلك فقلت له داونى مــن هذا التشنج ، فقال لى أعطنى ثلاثة عشر ديناراً فشكوت اليه ضيق الحال ، فقال لى أنــا أحاسبك بما انفقته عــلى نفسك وعيالك منذ أصابتك هذه العلة ، فأعطيتــه الباقي بعد الحساب فقلت له متى أستريح ؟ فقال تأتينى الى منزلى وأكتب لك فى الزمام فأتيته وكتبنى وقد استرحت مما أصابنى .

وقال أبو بكر قلت له ما للعلماء يعادونك ويكرهونك ؟ فقال لأني موقن بخبر الله تعالى حيث قال (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ، وهم غير موقنين بذلك .

وكان يقول ركن العلماء الى الدنيا وبخلوا بها وغلبوا جانب الرجاء وفيهم يقول الله تعالى (فخلف من بعدهم خلْفٌ ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه ، ألم يوخذْ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ، ودرسوا ما فيه ، والدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون ؟ والذين يُمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) .

وكان من الأغنياء ثم افتقر فحدث أنه وصل الى أبي العباس السبتي وعليه ثوب خلق تظهر منه عورته ، فشكا إليه حالته ، فأخذ بيده ومر حتى خرج معه من باب تاغزوت وجاء الى موضع فيه الماء يتطهر منه الناس ، قال فدخل فيه أبو العباس ونجرد عن أثوابه وناداني ، فقال لي خذ هذه الثياب فأخذتها ، وكان ذلك بعد العصر فأردت أن أرى ما يكون من أمره ، ثم صعدت على حائط وجلست أنتظر ما يكون من أمره ، فبقيتُ هناك الي وقت غروب الشمس وقد رد البوابُ البابَ الواحد ، فاذا بفتى قد خرج من باب تاغزوت وهو على دابة وأمامه رزمة من الثياب ، فلما رأيته نزلت اليه فقال لي أين الفقيه أبو العباس ؟ فقلت له هو في تلك الساقية عريانا ، فقال لي أمسك هذه الدابة ، فسمعت الفقيه يقول أين تلك الثياب ؟ فأخذها منه ، فلما رءاني قال لي مالك هاهنا ؟ فقلت ياسيدي خفت عليك فلم أقدر على الانصراف وأتركك ، فقال لي أما ترى الذي فعلت من أجله مافعلت يتركني ، ثم سأل الفتى عن سبب وصوله ، فذكر له أن احدى الكرائم أمرتْه أن يحمل إليه تلك الثياب ، وقالت له لا تدفعها الا للفقيه أبي العباس وقل له لا يلبسها الا هو ، وهذه القصة مشهورة صحيحة ، وأخباره كثيرة عجيبة ولو استقصيتها لطال الكتاب وفيما ذكرته كفاية .

انتهى كلام (التشوف) فى مناقب أبى العباس السبتى (1) .

وقال الشيخ الأكبر فى (الفتوحات المكية) فى آخر الباب الموفى ستين وثلاثمئة فى معرفة منزل الظلمات المحمودة والأنوار المشهودة وإلحاق مَن ليس من أهل البيت بأهل البيت وهو من الحضرة المحمدية عند تعداد علوم هذا المنزل ما نصه : وفيه علم ما يذهب الفقر من النكاح وبه كان يقول أبو العباس السبتى صاحب الصدقة بمراكش ، رأيته وعاشرته ، فرأيته وقد جاءه انسان يشكو الفقر ، فقال له تزوج فتزوج اثنتين فشكا إليه الفقر ، فقال له تزوج ثلاثاً فشكا إليه الفقر ، فقال له ربِّع ، فربَّع ، فقال الشيخ قد كمل فاستغنى ووسع الله فى رزقه ولم يكن فى نسائه اللاتى أخذهن مَن يكون عندها شيء من الدنيا فأغناه الله .

انتهى من صحيفة 386 من الجزء الثالث .

وقد وقفت على تاليف فى فضائل أبى العباس السبتى رحمه الله تعالى الذى لخص بعضه صاحب (المعزى) فى ثلاثة كراريس من القالب الثمانى ، قال فى أوله : سمعنا من فقرائه وأصحابه الذين شهدوا بركاته رضي الله عنه فى حياته واشتهرت كراماته بعد وفاته حتى انها لاتحصى يعرفها القريب والبعيد من استغاث به يجده حاضراً بعد أن يعطى الفتوح ، وكل ذلك من بركاته ، ومن أراد التبرك به فليكتب هذه الفضائل ويجعلها فى منزله ويتوسل بالشيخ فى كل ما يريد عنده ويقدم فتوحاً لأن أمور الشيخ كلها لا تدور الا على الفتوح ، وكان رحمه الله ورضي عنه يقول لا يفعل موجود إلا بالجود ولا بلغ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بسخاوة النفس وسلامة الصدور والصدقة والايثار ، قال الله العظيم فى كتابه العزيز المنزل على نبيه الكريم (ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) لا بكثرة جوع ولا صيام .

---

1) لم يرد فى (التشوف) المطبوع تعريف بأبى العباس السبتى ، وما تقدم هو تاليف لصاحب التشوف خاص بأبى العباس السبتى ، فربما كان يريد أن يقول : انتهى كلام صاحب التشوف .

باب في ابتداء أمره رضي الله عنه

ثم ساقه بابسط عبارة فــى قضية دخوله صنعة الحياكة وهروبــه منها للمكتب وتعلمه فيه القرآن العظيم والعربية وسؤاله عــن العدل والاحسان بعــد أن بلغ سورة النحل وزيادة البركة عــلى الشيخ أبى عبد الله الفخــار بسبب مخالطتــه وقضية ذبح الصبيان غيره الطيور ثــم طلبه من الشيخ السفر لحضرة مراكش واذنه له ، قال وانصرف عنه قاصداً مدينة مــراكش فصحبه فقير يخدمه ، فصــار يجد السير إلى وقت العصر ، فــدخل قرية فصلى معهــم العصر والمغرب والعشاء جماعة ، وانصرف أهــل القرية فقام المؤذن الى القنديل فاطفأه ومضى الى داره ، فمــر شيخ القرية على المسجد فــاذا بالقنديل على حاله يضيء ، فتعجب المؤذن وشيخ القرية ، وكان أبــو العباس رضي الله عنه يكره الظلام ، فدخل شيخ القرية هــو والمؤذن فوجد الشيخ مستقبلَ القِبلــة وهو يصلى ، فخرج وأفاق الناس وذبحوا له رأساً مــن البقر وعملوا له كريمة ، قال فلما صــلى الشيخ الصبح انصرف هــو والفقير ، فما زال يجدْ السير الى قرب وقت العصر ، فدخل قرية وقصــد المسجد فصــلى معهم العصر والمغرب والعشاء جماعة ثــم انصرف الناس عنه وإذا بشيخ القرية فقد عجلا ولد له فى تلك الليلة ، ففتشوا القريــة كلها فلــم يجدوه ، وأتى شيخ القرية الى المسجد ليفتشــه فقال الشيخ ما شأنــك ؟ قال فقدت عجلا ولدته البقرة الليلــة وقد ضاع ، قال له إرجَــع فان ولدها بازائها ، فرجع الى منزله وأهل القرية معه فوجــدوا العجل بازاء أمه كما قــال الشيخ ، فتعجبوا وعلموا أن ما أصابهم مــن الهول هو مــن بركة الشيخ الذى لم يضيفوه فذبحوا له رأساً من البقر وضيفوه وتبركوا به ، فلمــا أصبح الصباح انصرفوا فما زالــوا يجدون السير الى أن قــرب العصــر ، فدخلوا قرية وقصدوا المسجــد فصلوا فيها العصر والمغــرب والعشاء جماعــة وانصرف أهل المنزل الى منازلهم فقــال له الفقير الذى معه ياسيدى اشتهت نفسى الكسكس بالسمن والبصل والقديد ، فقــال له الشيخ الله يعطيك شهوتك ، واذا بانسان من أهل المنزل دخل عليهــم المسجد فصلى صلاة الظهر والعصــر والمغرب والعشاء وجعل ينقرها نقراً خفيفاً ، فلمــا

فرغ الرجل من صـــلاته رءا الشيخ جالساً فتقدم له وأخذ بيده فقبلها وأوقـــع الله فى قلبه هيبته ، فقال له الشيخ ما هذه الصـــلاة تصلى ؟ قـــال له ياسيدى والله ما عرفت ما صليت وما تركت ، فقـــال له الشيخ ما بالك قال ياسيـــدى كنت أملك أربعاً من البقر نحرث عليهم ويعيش أولادى بهم فسرقوا لى وأنـــا أفتش عليهم نهارى كله ونبيت ليلى مهموماً ، قال له وكم لهم منذ سرقـــوا ؟ قـــال أربعة أشهر ، قال له الشيخ إذهب عـــلى بركة الله ، إعمل عشاء هـــذا الفقير الذى معى كمـــا أصف لك الكسكس بالسمن والبصل والقديد يجمعك الله بهـــم ، قال فخرج من عند الشيخ وبـــه من الفرح مالا يوصف ، فأعلـــم زوجته بذلك وكانت امرأة عاصية لا تطيعه ، فقالت له والله لا أصنـــع شيئاً وإن الذى قـــام إليك وقال هذا الكلام مجنون ، فبقرك اليوم لهم أربعة أشهر وأنت تطمع فيهـــم معاركها تصنع الطعام فأبت فمشى الى أخته فصنعت لـــه العشاء عـــلى نحو ما أمره الشيخ وحملـــه الى المسجد وطرحه بيـــن يدي الشيخ فأمر الشيخُ الفقير بالأكل ، فأكل حتى شبع ، فقال له طعامك الى دارك ، فقالت له زوجته وأين ثيرانك ؟ فقال لها سألنى عـــن ألوانهم وقال لى اترك باب دارك مفتوحاً لا تغلقه فانهم يأتونك ان شاء الله ، فقـــالت له أما أنا فلا أبيت لـــك فى الدار ، هذا سارق أراد أن يسرق دارك ، فحملـــت حوائجها وخرجت لدار جارتها ، وجلس الرجل وهـــو فرح بما قال له الشيخ ، فلما كـــان آخر الليل سمع الحكّ فى ركن بيتـــه ، وكان ثور منهم يفعل ذلك عنـــد رواحه ، فقام الرجل وخرج إلى وسط الـــدار فوجد ثيرانه الأربعة فـــى وسط الدار ، فصاح وقام أهل القرية يتعجبون لأن باب القرية مغلـــوق ، فسألوه فقصّ عليهم القصة مـــن أولها الى آخرها ، ودلهم على الشيـــخ فدخلوا عليه وتبركوا بـــه وعملوا له كرامة عظيمة ، فمازال فـــى كل بلدة تظهر عليه الكرامات الى أن وصل مدينة مراكش ، فصعد الى جبل بازائها يقال لـــه كليـــز ، فانبع الله فيه عيناً من ماء ، وجعـــل يتعبد فى ذلك الجبل والفقيـــر يخدمه ، فقال له الفقير يوماً ياسيدى قد أصابنى الحفا ثم ذكر قضية بناء الدار وسقوطها ، ثـــم نقل عن الشيخ أنه قال لصاحب الدار أو ما علمـــت أن الله تعـــالى قدرته عظيمة (انما أمـــره اذا أراد شيئاً أن يقـــول له كن

فيكون) أتتوب الى الله تعالى وتستغفره ؟ قـال نعم ، قال أعطه أجرته وأعطه فتوحا للفقراء ودارك ترجع عـلى هيأتها التى كانت بقدرة الله ، قـال فأعطى الفقير أجرته مئـة دينار ذهباً وألف دينار للفقراء ، فقـال الشيخ للفقير تصدق بالجميع بعد أن تشتري نعلا لرجليك ، فنزل الفقير وصاحب الدار مـن عند الشيخ الى المدينة ، ونادى الفقير فى الفقراء والمساكين فمـا زال يفرقه عند بـاب الدار المهدومة حتى لم يبق منها إلا أربعة دراهم للنعل كمـا أمر الشيخ ، واذا بالدار عـلى حالها واقفة فى أحسن ما يكون كمـا كانت أول مرة ، فتعجب الناس مما رأوا مـن مواهب الله تعالى لأوليائه نفعنا الله بهـم ، فبلغ الخبر الى أمير المومنين يعقوب المنصور وأعيان المدينة فطلعـوا إلى الشيخ وجعلوا يتبركون بـه ، فعند ذلك قال أمير المومنين أنا أنزله مـن الجبـل وأدخله المدينة ولا أترك مثل هذا الشيخ هناك ، ثم أدخله الأميـر المدينة وحبس عليـه مدرسة للعلم والتدريس وداراً للسكنى ، وانقسم الناس على قسمين معتقد الصلاح ومنقص ، وتزوج الشيخ وتزايدت له أولاد رضى الله عنه ونفعنا ببركاته ءامين .

على قدر تقوى الله تأتى المواهـــب وتأتى على قدر الذنوب المصائــب

ومن بركاته رضي الله عنه ونفعنا به أنه سمعت به امرأة وكان لهـا ولد قد ابتلي بعلة الجذام أعاذنا الله منــه بمنه وكرمه ، وليس لها ولد غيره ، فأتت إلى الشيــخ تبكى ، فقال لها ما شأنك ؟ فاعلمته بخبر ولدها وعلتــه أعاذنا الله منها ، فقال لهـا الشيخ رضي الله عنه وأين الفتوح ؟ فأخرجت لـه درهماً صغيراً ، فقال لها اشتريه خياراً وتصدقى به إلا خيارة واحـدة أطعميه منهـا ونرجو من الله الفرج ، فانصرفت مـن عنده واشترت خياراً وتصدقت بـه وأطعمته واحدة ، فانطلق بطنه وعرق عرقاً كثيراً ثـم نام نوماً طويلا وهو مغطى فاستيقظ مـن نومه وقد برىء معافى فى بدنه ونـزع جلده كمـا ينزع الحنش من فسخه ، وخرج يمشى بين الناس وعافـاه الله ببركـة هذا الشيخ المبارك نفعنا الله بـه ، ثم ذكر قضية قافلة وهـران وتثقيفهم وتسريحهم ببركة الشيخ ، ثم قال ما نصه : ومن بركاته رضي

الله عنـه بينما هو جالس فى الزاوية مع الناس إذ دخل عليه رجل يبكـى فقال له الشيخ ما يبكيك قـال له ياسيدى بينما أنا فى بستانى فى بلـدى مـع أولادى فى نعيم وسرور فى يوم من الأيام ولما كانت ذات ليلة ممطـرة مظلمـة اذ خرجت علينا سريـة من العدو فأسرتنـا جميعاً ، وها أنا قـد قاطعت عـلى نفسى وأولادى بثلاثمئة دينار على صدقة المسلمين ، وقـد أعطينا ضامناً وقصدتك ياوليٌ الله ورمى بالعقد الذى فيه الفدية بين يـدي الشيـخ ، فقال له الشيخ رضى الله عنه اجلس لا يكون الا الخيـر ، فجلس الأسيـر مع الفقراء فى الزاوية نحوا من ثلاثة أشهر فقنط الأسير وقـال فى نفسه لـو كنت أطلب فى أسواق المسلمين لتخلصت الفدية أو قربـت ، ثـم تفكر فى أهله وأولاده وماهم فيه من الضنك والجور عليهم فبكـى بكاء شديداً حتى أبكى كـل من فى الزاوية والشيخ رضى الله عنه جالس ، فلمـا سكتوا من بكائهم قام اليه الشيخ رضي الله عنه فقال ما يبكيك ؟ قال لـه وكيف لا نبكى ياسيدى وأولادى فـى يد العدو ويضربونهم وهم فـى كرب عظيم ، قال فسكت الشيـخ عن كلامه ودخل الخلوة على قدر ما تشوى فيـه البيضة فخرج وبيده سكين وقال للأسير خذ هذا السكين واخرج على بـاب المدينة وبقل لنا بقولا ، فأخذ الأسير السكين وقال ان هذا الشيخ مهبـول أنا أبـكى وأشكى له وهو يضحك ويقول بقّل لنا بقولا لا بقيت عنـده الا اليوم وخـرج ممتثلا ما أمره الشيخ به ، فلما مشى قليـلا نظر الى السكين التى أعطاه الشيخ فقال هـذه سكين النصرانى الذى أنا وأولادى عنده ، ثـم تيقن بالفرج ورجع عن كلامه الأول الذى قال فى الشيخ وندم عـلى ما خرج من فيه ، فمشى قليـلا واذا هو بامرأة جالسة ومعها ثلاثة أولاد فنظر اليهـم وعرفهم فاذا هم أولاده ، فسلم بعضهم عـلى بعض فقال لهم أبوهم كيف كـان خلاصكم ؟ فقالوا له من أين هذا السكين ؟ فقال لهم أعطانيها سيدى أبـو العباس السبتى ، وقال بقل لنا بقولا فقالوا هو الذى أجلسنا هنا وهـذا السكين هـو للنصرانى الذى كنا عنده ، فبينما نحن فى بلـد الروم واذا بالشيـخ أبى العباس السبتى دخل علينا فوجد هذا السكين فقطع به قيودنا وأخذ بأيدينا وقـال لنا اجلسوا هنا حتى يصل اليكم صاحبكم فانه يبكـى

وأبكانـا ، فحمل روجته وأولاده وجعل يصيح في مدينة مراكش هـؤلاء أولادي وهـذه زوجتي أخرجهم الله من الاسر من بركة هـذا الشيخ رضي الله عنه ، فبقي فـي المدينة كذلك حتى وصل زاوية الشيخ وانصرفـوا لبلدهـم أجمعين نفعنا الله به وبأمثاله . وراجع هذه الكرامة فـي تأليف (بستان الأزهار ، في مناقب زمزم الأخيار ، ومعدن الأسرار ، سيدي أحمد ابن يوسف الراشدي النسب والدار) لمحمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي فقد نقلها عن سيدي موسى بـن عيسى المازوني ثم ذكـر قضية زوج ابنته التي أمرها أن تعتد منه عدة الوفاة بعد أن أضرّبها فمات فـي الوقت الذي أخبر به الشيخ ، قال ومن بركاته رضي الله عنـه أنه كان بمراكش رجل من أهـل القرآن وكان معلما للصبيان فأصبحت زوجتـه ذات يوم نفساء ، ولم يكن عنده ذلك اليوم ما ينفق ، فتغير مـن ذلك تغيراً شديداً فصـلى الصبح وخرج ماشياً ودخل المكتب وجلس يقرأ القـرآن والمكتب ليس فيـه الا ولد أو اثنان فبينما هو يقرأ القرآن واذا بالشيـخ دخل عليـه المكتب ففسح له الفقيه فجلس الشيخ بازائه وقال له نهـارك مبارك يامعلم ، ثم جلس الشيـخ والفقيه يقرءان اذ جاز رجل من الحومـة فقال مـا أغفلنا عن هذا الفقيه وسيدي أبو العباس يزوره ، ثم جاء بـولده ومعـه نصف دينار ففرح الطالب وقـال يكفي أهلي اليوم اذ جاءت امـرأة ضعيفة وهي تطلب شيئاً فأخذ الشيـخ نصف دينار وأعطاه لها فقال الفقيـه إنـا لله وإنا اليه راجعون لو علم الشيخ مـا أنا فيه من الضيق ما أعطـاه للمرأة ، فقال الشيخ إقرأ يافقيه فجعل الفقيه يقرأ وهـو مشوش اذ جاء رجل مـن أهل الحومة فنظر الى الشيخ وهو جالس في المكتب عنـد الطالب فقال مـا أغفلنا عن هذا الطالب الذي يزوره الشيخ ، فجاء بولده ومعه دينار، فقبل يـد الطالب وأعطاه الدينار ، فقال له الشيخ هات ما أتى بـه الصبي فأعطاه الدينار وهو كاره لذلك اذ جاز رجـل مديان وصاحب الدين يطلبه فأعطاه الشيخ الدينـار فانصرف ، فقال الطالب لا حـول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم ، فقـال له الشيخ إقرأ يافقيه أنا أقول لك نهارك مبـارك ، فقـال له الفقيه هذه بركات تعـود على غيري ، فجعل الفقيه يقـرأ القرآن

والشيــخ جالس بازائه اذ جاز رجل آخر من أهل الحومة فنظر الى الشيــخ فقال ما أغفلنا عن هذا الفقيه ، فأتى بولده ومعه عشرة دنانير ذهباً فــدخل وقبل يد الشيــخ وحطها فى يده فتغير الفقيه وقال والله سيلحقها بالأخرى ، فما تم كلامــه الا وأسير يطلب الفدية ، وهو يقول بقيت لى عشرة دنانيــر من يدفعهــا عنى ويعتقنى فى سبيل الله ؟ فأعطاه الشيخ العشرة دنانيــر وتغيــر الفقيه تغيراً شديداً وأراد أن يقوم غضبان فقال لــه الشيخ يافقيه ما يكون الا الخير ، فجلس وجعل يقرأ القرآن اذ جاز رجل من وزراء الأمير يعقــوب المنصور فنظر الى الشيخ وهــو جالس عند الفقيه فــى المكتب والوزير يسكــن فى تلك الحومة فأتاه بولده ومعــه خمسون دينارا فــى قرطاس ، فنزل الوزير ودخل بولده وقبل يد الشيخ أبى العباس السبتــى وأعطاه القرطاس وانصرف الوزير ، واذا بالفقيه وثب عــلى القرطاس وهرب مــن المكتب حافياً وهو يجرى ، فناداه الشيخ رضى الله عنــه ورجع إليه ، فقال ما هذا الذى تصنع يافقيه ؟ فقال له ياسيدى ان لى زوجة أصبحــت نفساء وما عندنا ما نقتات به ، فقال له الشيــخ أنا أعلم بذلك وما أتى بى إلا فاقتك لو تركتنى أتجر لك مــع الله الى أذان الظهر أملأ فناءك هذا ذهبــاً ، ولكــن ما أعطاك الله إلا ما أخذت ، ثم قام الشيــخ رضى الله عنه وانصرف ولــم يزل الفقيه رحمه الله ورضي عنه ، ثم ذكر قضية العقد المعمول فيــه المرفوع الى السلطــان الذى تبدل فيه كل لفظ قبيح بضده ، وأنــه تصدق فى طريقــه الى المنصور بربع درهم وكان طالع معــه خديمه ثم قال لخديمه كيف رأيت درهما لله كذب الجميع ، ثــم قال ومن بركاته رضى الله عنه بينما هــو جالس اذ دخلت عليه ابنة الأمير وهي تبكي فجلست بين يديه ، فقــال لها ما يبكيك ياحرة ، قالت له ياسيدى ان لى ابنة ولم يرزقنى الله غيرهــا تركتها تعالــج سكرات الموت وان ماتت ْ أمُتْ عليها ، فقال لها الشيــخ رضى الله عنه وأيــن الفتوح ؟ قالت له ياسيدى هذه ألف دينــار ذهباً لله عز وجل ، ثــم طرحت المئة بين يديه ، قال وكان الشيخ رضى الله عنه له بنات كبار وصغار فقــال لها ياحرة كم هو سن ابنتك من هؤلاء البنات ؟ قالت لــه قدر هذه وأشارت الى بنت مــن بنات الشيخ ، فنادى الشيخ زوجته فقــال

لها يأمة الله أتبيعين لى ابنتك هذه بألف دينار نفدى بها بنت هذه الحرة ؟ قالت لـه ياسيدى ومن يطيق فـراق الأكباد ؟ قال لها الشيخ هذه الألـف تصدقى بها فى سبيل الله عـلى مَن ظهره عريان وبطنه جائع وعينه ساهرة من الدين وابنتُه صغيرة ما وجدت ما تتجهز به ، فمازال الشيخ مع زوجته يلاطفهـا الى أن رضيت ، فأمر الشيخ ابنته أن تودع أمها فأخذتها أمهـا فقبلتها ثـم أخذها الشيخ وطرحها فى حجره وقبلها ودمعت عيناه عليهـا وخرجت روحها باذن الله تعالى ، ثـم قال الشيخ قومى ياحرة لمنزلك فقامت لمنزلها فوجدت ابنتها جالسة كأنها لم يكن بها مرض ، هذا ما فعل رضي الله عنه ببنته وتصـدق تلك الليلة بالمال كله .

ومن بركاته رضى الله عنه أنه أتاه خياط فقال لـه ياسيدى ان لى ولداً لا أعلـم غيره وقد تركته يعالج سكرات الموت فان مات أموت عليـه ، فقال لـه الشيخ يفرج الله عنه وأين الفتـوح ؟ فقال إن فرج الله عنه وقـام من هـذا المرض فانى أعطيك مئة دينار لله عز وجل ، ثـم انصرف الشيخ ودخـل الخياط داره فوجد ولده جالساً ما به داء ولا علة بقدرة مَن يقـول للشيء كن فيكون ، فبقي أياماً وخرج مع أبيه للحانوت فجلس الولد عـلى كرسيه يخيط إذ رأى الخياطُ الشيخ أبا العباس السبتى قد أقبل من بعيد فقال لولده ادخل الخزانة حتى يجوز هذا الرجل ليلا يشمت فينا ، فقام الولد ودخل خلف الخزانة كما أمره ، فمازال الشيخ يمشى حتى وصـل حانوت الخياط ، فقال لـه ياخياط كيف حال ولدك ؟ قال ياسيدى قد مات ، قـال صدقت هـو ميت ، فلما غاب الشيخ نادى الخياط ولده فلم يجبْه فوجـده مضطجعاً عـلى ظهره وبطنه تجهر دوداً بقدرة الله عز وجل ، ثـم ذكر قضية الخياط الفقير الذى دفع للشيخ دينارا ليفتح عليه بعشرة ، ثم بعد الفتـح بها دفعها للشيخ أيضاً ليفتح عليه بمئة ، فنالها ، ثم قال بعدها ما نصه : ومن بركاته نفعنـا الله به وبأمثاله أنه كانت امرأة فقيرة لازوج لها ولها ولـد صغيـر لم يبلغ الحلـم ، فأعطته غزلا وقـالت له بعْ هذا الغزل واشتر لنـا خبزاً وزيتاً ، فان هذه ليلة مـن رمضان وهي ليلة مباركة نوقد قنديلنـا ونتسحـر بالزيت والخبز وإياك أن تضيـع الدراهم وتبطىء علي ، قـال

فخـرج الصبيُ ممتثلا ما أمرته به ، فباع الغزل بأربعة دراهم ، فبينما هــو ماش فــى بعض الأسواق ليشتري الخبز والزيت إذ لقيه سيدى أبو العباس وهــو يقول فى كلامه أين مَن يعامــل الله تعالى فى هــذه الليلة المباركة ويعطي لهــذه المرأة أربعة دراهم يعطيــه الله عشرة دنانير ذهباً وكســوة جديدة ومائدة مــن الطعام والحلوى وأنا ضامنٌ له هذا كله فــى هذه الليلة إن شاء الله ، قال فجعل الولدُ يتبعه ويدبــر فى نفسه ويقول الشيخ صادق لكــنْ إن أعطيته الدراهم لا أطيــق ألقى أمي بغير ما أمرتْنى به ، فجعــل يتبــع الشيخ ويقول هذا ويتردد فيه مع نفسه الى أن لحق بالشيخ وقــال ياسيدى ان والدتى أعطتنى غزلا وأمرتنى أن نشتريَ لها خبزاً وزيتاً وهــي أحوج مــن هذه الفقيرة ولا عندنا الليلة الا هذه الأربعة دراهم فــان أسلمتها لــك أحق ما تقول ؟ قال نعم يابني ، وكــان الصبيُ يقرأ القرآن ، قــال الشيــخ أما سمعت قوله تعالى (مَن ذا الــذى يقرض الله قرضاً حسنــاً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) ، فأسلــم الولد للشيخ أربعة دراهم وأقبل الى والدتــه فرحاً مسروراً يعلمها بما قال الشيخ ، فلما دخل قالت له وأيــن الخبز والزيت ؟ قال لها لقيت أبا العبــاس السبتى يطلب لامرأة فقيــرة ويقول مَن يعطى لهــذه المرأة الفقيرة أربعة دراهم له عند الله الليلة عشــرة دنانير وكسوة جيدة وطعام طيب وحلوى ، فما الأحسن ياأمة الله ما قــال الشيخ أو الخبز ؟ قالت لــه وأعطيت الدراهم الأربعة ؟ قال نعــم ، فلطمتْه لطمة على وجهه وخرَّ مغشياً ، فما زالت تجره وتلطمه حتى أخرجتْه على باب الــدار وقالت له يايتيم سوء لا تبيت فى دارى الليلة ، عصيت أمــرى وسمعت من رجــل مهبول صفته كذا وكذا وجعلت تتكلم فى الشيخ بالكلام المغرور ، وغلقت الباب فــى وجهه ودخلت دارها ، فجعل الولدُ يبكــى عند بــاب الدار اذ مرَّ زوج عمته فنظر الى الولد مهموماً ودمعه عــلى خده وهو ملطوم ، فقــال إنا لله وإنا إليه راجعون ، هذه أول ليلة مــن رمضان كسر فيها قلوب الأيتام ، ثــم أيقظه من نومه وحمله معه الى داره ، فلمــا رأتــه عمته بكتْ فسألته فقصَّ عليها القصة ، فأرادت أن ترده الى أمــه ، فحلف الرجل وقال اعملى لــه ماء سخونا وطهريه واكسيه ثوباً مــن ثياب الأولاد ونحمله الى الجــامع يصلى معنا هذه الليلة من رمضان ، ففعلتْ مــا

أمرها بــه زوجها وتوضأ الرجل وقدم أولاده وخرج الى المسجد وحملـه معهم ، وكان هذا المسجـد مسجداً مباركاً وله إمام يصلى فيه كل شهـر رمضان التراويح ، فغيبه الله تعالى تلك الليلة حتى أبطأ على الجماعة ، وكان في ذلك المسجد وزير لأن المسجد كان على باب داره ، فلما رأوا الامام أبطأ قام الوزير وصـلى بالناس صلاة العشاء ، فلما صلى بالناس العشـاء قال هل فـى الجامع مَن يقرأ القرآن فيصلي التراويح بنا فى هذه الليلـة المباركة ليـلا يشمت بنا الشيطان ؟ فقام زوجُ عمته وقال هنا صبيٌ يتيـم فقيـر لا أب له يحفظ القرآن وله صـوت جيد ، فقام الولد باذن الوزيـر واستفتح القرآن فتعجب الـوزير ومَنْ معه من صوته ، وحضرت معه بركـةُ الشيخ ، فلما فرغ من أول تسليمة جاء الامام يصـلى فمنعه مَن حضر ، فكمل الولد عشر ركعات بخمس تسليمات ، فقـام الوزير وقبل فم الولد وأخـذ بيده وأتى بـه الى منزله وأجلسه بازائه وحضر الطعام فأكلا ، وأمر الوزيـرُ للصبيّ بكسوة فكساها للولد وربط لـه عشرة دنانير ذهباً فى عمامتـه ومائدة مـن الطعام الطيب ولحم الضأن والبقر والطير وطبق مـن الحلوى وأمر بما ذكر أن يحمـل معه ، وأمر الخدم يمشون بالمباخر وهـم يولولون عليه ، فلما رأى الولدُ ذلك بما وعده الشيخ بكى فقال له الوزير ما يبكيك ؟ فقـال له ياسيدى قد اتفق لى مع والدتى كذا وكذا ، وقص عليه القصـة من أولهـا الى آخرها فبكى الحاجب وقال لا إلاه إلا الله محمد رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ، إن لامامنا فى هذا المسجد فى كل ليلة مـن رمضان بعد صلاته كـلَّ عام هذه الكسوة والعشرة دنانير والطعام والحلوا ، ولـه على ذلك الحال مدة طويلة ، ولكن ما يصـلى بنا أحد غيرك ، ثم أمرهم بالمشي معه على ضوء الشمع ، فحملوا الطعام فسمعت أمـه الهدير فنظرت من البـاب فلم تجد ولدها فمازالت تبكى حتى دخـل عليها على تلك الهيأة وهو يقـول ياأماه أكـلام الشيخ صادق أم كاذب ؟ قالت صادق ، وأنا تائبة لله تعالـى عـلى ما صدر منى ، ومازال ذلك الولد يؤم أهـل المسجد وأقبل عليه الخير من تلـك الليلة إلى أن جاز الشهر المبارك ، هذا من بركة الشيخ ، ثـم ذكر قضية صاحب الليـل وما وقع فيها المتقدمة عن (التشوف) بزيـادات

منها أنه غرم صاحب الليل ما ضاع في حانوت الموقت وضرب خمسمئة سوط بعد أن قال الناس لصاحب الليل هؤلاء فقهاء يتحدثون في موضع الشيخ أبى العباس فقال أنا لا أعرف سيدى أبا العباس السبتى ولا غيره ، وان ذلك وقع فى دار الشيخ ، وقال صاحب الليل فى حق أصحاب الشيخ إنهم قوم شقوا العصا ولم يمتثلوا أمر الأمير كل ليلة أسمع صوتهم وأتجافى عنهم ، وفى هذه الليلة كثر صوتهم وهدوا المدينة على الأمير المنصور ، فقال له الموقت هؤلاء كلهم رحمة وصوتهم بركة ، فقال صاحب الليل لا أقول حتى نشعف بهم غيرهم ، ثم قال له الموقت بعد أن رأى حانوته مسروفة ما سرقها إلا أنت ، وشكى به الى السلطان ، فنسي صاحب الليل مسألة الطلبة بمسألة الموقت بعد أن بحث صاحب الليل وأصحابه على السراق فلم يجدوا شيئاً ، ثم قال ومن بركاته رضى الله عنه كان يجلس عند حائط بقرب حمام الحرة فجاءته عجوز وقالت له عندى أربع بنات بالغات قادرات على الزواج وليس لهن أب ولا مال والناس لا يتزوجون الا من عند من كان له مال وأنا فقيرة قصدتك ياولي الله اليوم نريد أن تظهر بركتك على بناتى ، فقال لها الشيخ اقعدى ، فقعدت مقابلة للشيخ واذا برجل جندى عليه أثر ثياب الحزن ودخل على الشيخ وقبل يده وقال ياسيدى أنا ولد فلان وقد توفي بالأمس وأوصانى على شيء من المال ندفعه لك ، قال كم هو قال مئة دينار ذهباً ، فقالت العجوز فى نفسها هذا على سعد بناتى ، إذا بسكران يتمايل بين الحيطان ويصيح فلما قرب من الشيخ صار يعدل ثيابه ومشى معتدلا حتى وقف على الشيخ رضى الله عنه فسجد على الأرض ورفع رأسه بيده ، وقال له ارفع هذا الذهب فرفع السكران المئة دينار ، فقالت العجوز فى نفسها السكران أحق بها منى ، ما هذا الذى فعل هذا الشيخ وأساءت به الظن وأرادت الانصراف ، فقال لها الشيخ اقعدى مكانك حتى يأتيك رزقك ، فقعدت ساعة واذا بتاجر جزولى وهو يسأل عن الشيخ ، فدل عليه وسلم عليه قال له ياسيدى أنا رجل جزولى خرجنا من بلدنا فالتقتنا اللصوص فى الطريق فاستغثنا بك فأعمى الله أبصارهم عنا ، وهذا شكر لله عز وجل

وأصحابى ياتونك بالفتوح وخاطرنا معك ياوليَّ الله ». وحط فى يد الشيخ خمسة دراهم ، فنادى الشيخ العجوز وقال لها خذى هذه الخمسة دراهم واشترى بها ما أقول لك ولا تسيئى الظن بالله ، اشترى بثلاثة دراهم كتاناً وبدرهمين شحماً ولفى الشحم فى الكتانة وألقيها على رأسك وامشى بها إلى بناتك ، ففعلت ما أمرها به الشيخ ومضت الى منزلها واذا بطائر خطف الكتان فوق رأسها وبقيت باهتة لا تدرى ما تصنع وهي متفكرة فى قول الشيخ ، فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وقالت فى نفسها هذا الأمر لا أعلم به أحداً حتى أرى أوله وآخره ، وكان الشيخ أوصاها لا تأتيه حتى يبعثَ إليها ، فدخلت دارها مع بناتها وبقيت مدة من عشرة أيام ». فنزل مركب بمدينة آسفى وأنزلوا تجارتهم ومعهم الرئيس وهو صاحب البحر فأقبلوا يجدون السير لمدينة مراكش وأتوا الى الشيخ فوجدوه جالساً فسلموا عليه ، وقالوا ياسيدى جئناك بهذا المال تقبله لله تبارك وتعالى قال لهم كم هو قالوا أربعمئة دينار ذهباً ، قال لهم الشيخ رضي الله عنه مَن ياتينا بالعجوز صاحبة الكتان ؟ فتعجب التاجر من ذلك ونظروا إلى الشيخ ثم قال لهم أين بلدكم ؟ قالوا مدينة اشبيلية ، ثم قالوا خرجنا بتجارتنا وركبنا البحر وغرق المركب وما معنا شحم ولا كتان وقد سمعنا ببركتك فتوسلنا بك وبالنبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الى الله تعالى وقلنا ياسيدى أبو العباس خاطرك معنا واذا بطائر فى لجج البحر أتانا الله به فرمى علينا شحماً وكتاناً فى هذه الخرقة فنقلنا الماء وشددنا بالكتان والشحم وعملنا لك نصيبا فى أموالنا ، فقال لهم الشيخ حفظكم الله وحفظ أموالكم وأخذ منهم الخرقة ». وإذا بالعجوز واقفة بين يديه فقال لها يامرابطة أتعرفين هذه الخرقة ؟ قالت له نعم ياسيدى التى عملت فيها الكتان والشحم ، ثم قال لها الشيخ أما ما كان من المئة دينار التى أخذها السكران فهي حرام لم أرضها ، وأما الخمسة دراهم فهي من الحلال اتجرنا لك بها مع الله عز وجل ، وهذه أربعمئة دينار ذهباً لكل واحدة من بناتك احمليها بارك الله لك فيها ». فحملتها الى بناتها فتزوجن فى شهر واحد ببركته رضي الله عنه .

ومن بركاته رضي الله عنه أن أهل مراكشة قحطوا فى زمان يعقوب المنصور رحمه الله تعالى فأمر الناس بالخروج حتى لم يبق أحد فى المدينة وخرج إليها اليهود والنصارى والبهائم والنساء وأولادهم وبقوا مدة طويلة والقحط واقع بهم ، فسأل أمير المومنين عن سيدى أبى العباس هل خرج أم لا فقالوا لا فقال الأمير عليّ به ، فأرسل اليه فقال له الحاجب أجب أمير المومنين فقال السمع والطاعة ، فمضى مع الرسول حتى وقف بين يدي الملك ، فقال له أمير المومنين أما تنظر ما نحن فيه ياسيدى ؟ فقال الشيخ أنت أردت ! قال وكيف الأمر ؟ فقال له الشيخ لو أردت صلاحَ المسلمين ينزل المطر الآن ، قال الأمير دلنى على ما أصنع لعل الله يرحمنا ، فقال الشيخ فوض لى الأمر ساعة واحدة فقال له فوضت لك الأمر فى كل ما أردت ، فأمر الوكلاء على بيت المال أن يعطوه كل ما يحتاج الشيخ من الثياب والزرع ولا يمنعه أحد فى كل ما أراد . فصار رضي الله عنه يفرق المال على الفقراء والمساكين والضعفاء ويقول لا يرحم الله من عباده الا الرحماء مدة من ثلاثة أيام حتى لم يبق مسكين ولا مسكينة الا ورضي ، فأتى الشيخ الملك وقال الآن قد رضي الله ربنا برحمتك للضعفاء وللمساكين لا يرحم الله من عباده إلا الرحماء اليوم تمطرون ان شاء الله ، فلما صلينا العشاء بعث الله ريحاً باردة بلا رعد ولا برق ، فأمطرت بماء منهمر ثلاثة أيام بلياليها حتى أشفق الناس من الغرق والهدم . ولم ينزل بقصر الملك شيء بقدرة الله تعالى ، فبعث المنصور الى سيدى أبى العباس السبتى وقال له ياسيدى البركة والعافية أنت الذى سقيت قومك وما نزل بقصرى قطرة واحدة ، فقال له الشيخ أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ساقى القوم آخرهم شرباً الليلة يمطر قصرك ان شاء الله تعالى ، ففرح الملك واستبشر بقول الشيخ ، فلما جنّ الليل نزل المطر بقصر الملك حتى روي .

ومن بركاته رضي الله عنه أنه خرج ذات ليلة مع الفقراء لبعض تلامذته بالحوز فبعث الخديم أنه قادم عليهم فتلقاهم الرجل وسلم عليهم وعلى الشيخ وأنزله وأكرمه غاية الاكرام ، فلما أصبح أخذ الفقير فى حزب

الشيخ ، فلما فرغ من الحزب دعا الشيخ بصاحب المنـزل فسأله عن حاله فأخبره أن عليه سبعين قنطاراً من الزيت ديناً أخذه وأطعمه للفقراء ، وأخبر الشيخ أن يجاوزه والزيت لم يلد ولو حبة واحدة وهـو من هذا في كـرب عظيم ، فقال له الشيخ يابخيل خذ قنطاراً من الزيت وزده في زيتك تـر عجباً فقام مـن ساعته لبعض التجار الذين يتجرون في الزيت فأخذ منـه قنطاراً من الـزيت وأطعمه للفقراء وكان في أوان الزيت الزيتون فلما فـرغ الزيتون أرسل الله سبحانه ريحاً قوية فاذا بأهل القرية يهرعون إليـه واحداً بعـد واحد ويقولون له أدرك زيتونك ليلا تأكله الغنم ، فقال لـه شركاؤه ظهرت عليـك بركة الشيخ ، فركب فرسه وطاف بالبحائر كلها فوجدهـا مملوءة بالزيتـون والذى كان في الأعواد في الشجر مازال على حالـه حتى سقط الى الأرض ، وقال هذه بركة عظيمة ، ونادى في القرية الا من له ديْن على فلان فليْات فأدى دينـه وأخذ زيتونه وبنى زاوية ببركة الشيـخ نفعنا الله بـه .

ومن بركاته رضي الله عنه أنه وقف عـلى والى مراكش ومعه فقراء ، فقـال الشيخ هات الفتوح لهؤلاء المساكين وكان معـه جماعة من المساكين يتبعونه، فقال له الوالى ما هو الفتوح ؟ قال الشكر، قال وما هذا ؟ قال الصدقة، قال لمن ؟ قال الشيخ : لوجه الله تعالى ، قال الوالى ان الله غنيّ عنها ، فتحول الشيخ رضي الله عنـه الى خادمه وقال : هذا الوالى معزول عـزل نفسه ، فقال له الخادم وكذلك يقول جل من قائل (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثـم لا يكونوا أمثالكم) هذا رجل تعودنا منه خيرا وهو معزول اليـوم في هذه الساعة ، فورخوا ذلك في الحيـن ، وكان السلطان في قرطبة أعادهـا الله للاسلام بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صـلى الله عليه وسلم وآلـه وصحبـه الأعلام ، وبعدها عن مراكش خمس وعشرون يوماً ، وفي تلـك الساعة عزله .

ومن بركاته رضي الله عنه أنه أتاه أهل ضيعة يشكون لـه قلة المطر وقـد يئسوا من زرعهم ومواشيهم فرغبوه في الدعاء ، فقال لهم هاتوا الفتوح ، فخـرجوا من عنده وأتى كل واحد منهم بما أطلق الله على يده ، فأخذ واحـد

منهـم بضاعة وأتى بها ، فلما كان فى الطريق قال هذا شيء كثير ، فأخذ منها وأعطـى الباقي للشيخ ، فقال لهم الشيخ تمطرون ان شاء الله فمضـوا ونزل المطر عليهم ولم ينزل بمكان الرجل الخوان قطرة واحدة ، فرجـع الى الشيخ وقـال له ياسيدى ما نزل بمكانى شيء ، قال خنت الله تعالى فى الشكـر ، وأخذت ثمن الماء الذى يكفيك ويرويك .

ومن بركاته رضي الله عنه أنه أتاه رجل الى قبره وقال ياسيدى انى أريد الحج لبيت الله الحرام ، وأنا رجل فقير وليس بيدى شيء مـن المال نتوجه به ، فبينما هو كذلك إذا برجل أتى بصرة فيها دراهم كثيرة ووضعها عـلى القبر ، فأخذها وانصرف للحج .

ومن بركاته رضي الله عنه كان ذات ليلة ماشياً حتى قرب من الحمام واذا تركية خرجت من الحمام وخدمها أمامها وهي كأنها أشرفـت على الموت فنظر إليها الشيخ وأخرج تفاحة فـى غير أوانها فمدها الى الشابة المحمولة ، فلما نظرت إليه وإلى التفاحـة كادت ترمى نفسها على الشيخ فردها السائس والخدام ، وبقيت واقفـة ساعة وهي تشم التفاحة حتى رجع اليها عقلهـا وفاقت مـن غشيتها ، فضربت بغلتها ومضت ، واذا ببعض الفقهاء نظـروا إلى الشيخ حين مدّ يده بالتفاحة إليها ووقوفها بين يديه ساعة ، وقالوا هذا هـو المنكر ، فسألوا لمن المرأة ؟ فقيل لهم زوجة الوزير جامع ، قالوا هـو سيدنا ، وسألوا عـن الشيخ قيل لهم هو سيدى أبو العباس السبتى ، قالوا لا يفعل هذا إلا الزنديـق ، وكانوا يحسدونه ، فمضوا إلى الوزير وسلمـوا عليـه ورحب بهم وقال ما حاجتكم ؟ قالوا أنت سيدنا وما رأينا مَن يقـوم بحوائج أهل العلـم فى بساط الملك غيرك ، وجئناك فى أمر لا نطيق الصبر عليـه ولا الكتمان ، فقال لهم ما الفاحشة التى رأيتم ؟ قالوا رأينا امـرأة خارجة مـن الحمام ووقفت فى الطريق على بغلتها فرمى إليها رجـل بتفاحة فأعطاها إياها وهذا ما وجدنا عليه صبراً وجئناك لنعرفك بـه ، فقال لهم اقعدوا مكانكم ودخل الدار متغير الوجـه وغاب عن الفقهاء ساعة وسأل المرأة عمن أعطاها التفاحة ، قالت له ملك من الملائكة ، قـال لها كيف كان سبـب ذلك ، قالت له دخلت الحمام وجعلت الحناء فـى رأسى فشممت رائحة التفاح

فأراد الجنيـــن أن يسقط من بطنى ، فبعثت الخادم تفتش عــلى التفاح فلم تجده ، واذا بامرأة فــى الحمام دخل ولدها الى الجنان فوجد تفاحة يلعــب بها حتى دخلت الحمام فأكلتها وشممت' رائحة التفاح وخفت عــلى نفسى أن يسقط الجنين من بطنى فى الحمام ، فبادرت الى الخروج ولم أغسل رأسى مــن الحناء وأخرجت رأسها للوزير والحناء فيه ، فلما شممت التفاحة رجعت لأنها من الجنة ولا يكون مثلهــا فى الدنيا وليس هذا وقت التفاح وأخرجتهــا للوزير فلما نظــر اليها قال صدقت ياأمة الله ، وخرج إلى الفقهاء وقال لهــم مَن هــو الرجل الذى أعطى التفاحة ؟ قالوا أبو العباس السبتى ، قال لهــم ما هــو والله من أصحاب الزنى ولا من أصحاب الزنادقة ، وحاشاه أن يفعــل هذا وأن يكون زنديقاً ، وإنمــا هو صديق ، وأخذ التفاحة ودخل بها عــلى الملك وأخبره بالقصة من أولها الى آخرها ، فعلموا أن التفاحة مــن مواهب الله لأوليائه ، فنــال بذلك الشيخ' عند الملك والناس عزاً وكرامة نفعنا الله بــه وبأمثاله .

ومن بركاته رضي الله عنــه أنه أتاه خديمه بكرة فوجده خرج مــن المنزل ، فبقي يتبع أثــره ويبحث عليه حتى وجده بباب الدباغين داخــل مراكشة ، فقال لــه خرجت نسأل عنك ونتبع أثرك حتى وجدتك هــنا ، فلما وصــل الخديم الى الشيخ قال له ما تريد منى ؟ قال له ياسيدى لا فراق بينى وبينك والله فى الدنيا والآخرة ، قال الشيخ تسير معى على شرط إن كان معك شيء" من الدنيا تصدق به والا فارجع عني ، قال لــه ياسيدى معــى تسعة دراهم ، فقال له الشيخ أخرجْها وتصدق بها لأول رجــل يلقاك وان كــان يهودياً أو نصرانياً ، فخرج الفقير واستقبل بهــا الباب فأول من دخل من الباب عجوز سوداء مــن البادية فدفع لها الدراهم بمعاينة الشيخ ، وقال للخديم ادن' منى ، فدنا منه ، فقال له الشيــخ تريد أن تخبرنى كل ما يقول الناس فيَّ من خير وشر إلى آخر القضية المتقدمة عن (التشوف) بزيادة ونقــص .

وبهذه القضية تمَّ كتاب فضائل أبى العباس السبتى ، وقد أوردنا منه القضايا التى لم يلخصها صاحب (المعزى) فيــه ، ونورد ما بقي منه بواسطة صاحب (المعزى) وإن كان تصرف فيه .

ثم اعلم أن أبا العباس سيدى أحمد السبتى رضي الله عنه وافقه في اسمه وكنيته ولفظة السبتى وليٌّ آخر متقدم ، وذكره في (وفيات الاعيان) قال في 66 من الجزء الأول من الوفيات ما نصه : أبو العباس أحمد بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور الهاشمى المعروف بالسبتى كان عبداً صالحاً ترك الدنيا في حياة أبيه مع القدرة ولم يتعلق بشيء من أمورها ، وأبوه خليفة الدنيا وآثر الانقطاع والعزلة وإنما قيل له السبتى لأنه كان يكتسب بيده في يوم السبت شيئاً ينفعه في بقية الأسبوع ويتفرغ للأشتغال بالعبادة ، فعرف بهذه النسبة ، ولم يزل على هذه الحال إلى أن توفي سنة أربع وثمانين ومئة قبل موت أبيه رحمهما الله ، وأخباره مشهورة فلا حاجة الى التطويل بها ، وذكره ابن الجوزى في (شذور العقود) وفي (صفوة الصفوة) وهو مذكور في كتاب (التوابين) و (المنتظم) أيضاً هـ .

وقال في (التشوف) في ترجمة تلميذ الشيخ أبى العباس ما نصه :

أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن الحسن الأنصارى المعروف بابن الحكيم أصله من الأندلس ونزل بالجانب الشرقى من مراكش وبه مات في جمادى الأولى من عام خمسة وستمئة من أكابر أصحاب أبى العباس السبتى ، وفيه يقول :

ومنفرد بالله هام بحبه ... فليس له أنس بشيء سوى الرب
تفرد في الدنيا بطاعة ربه ... فأورثه علم الكتاب بلا ريب
وآثر حب الله فانكشفتْ له ... عجائبُ أسرار ثواباً على الحب
فمن كان في دعوى المحبة صادقاً ... تجلت له الأنوار من غير ما حجب
فيرتعُ في روض المعارف دائماً ... ولذتها أشهى من الأكل والشرب
تخاطبه الأحوال من كل جانب ... فيفهم عنها بالضمير وبالقلب
يكاشف بالأسرار من ملكوتها ... فيأتى عليه الفيضُ من عالم الغيب

وقال الامام الصومعى في (المعزى) في الباب الثالث ما نصه :

وقد روى سيدى أحمد زروق رضي الله عنه : أبو يعزى كرامته بعد مماته كمثل حياته ، وقال أبو العباس بن عاشر رضي الله عنه الكرامات لا تنقطع بموت الولي ، وهذا أبو العباس السبتى كراماته بعد موته أشهر من حياته ، قال أبو العباس زروق لما تكلم على الزيارة لا سيما من ظهرت كراماته بعد مماته أكثر من حياته كالشيخ أبى العباس السبتى ومن ظهرت بركاته فى حياته ومماته سواء كالشيخ أبى يعزى هـ . قال العارف أبو محمد فى (روض الرياحين فى حكايات الصالحين) السادسة والخمسون بعد الأربعمئة ، روي أن أمير المومنين بالمغرب المسمى يعقوب رحمه الله تعالى رأى مرائي وأحوالا من أحوال المريدين ، وسببه أنه قتل أخاه غيرة على الملك ، فندم على قتل أخيه ندماً أورثه توبة أثرت فى باطنه أحوالا حسنة وتغير عليه من نفسه ما لا يعهده لثمرة التوبة ، فما كان أبركه عليه ذنباً ، وفى مثل هذا قال القائل :

ورب قطيعة جلبت وصالا وكم ذا فى الزوايا من خبايا

فشكى ما يجده لمريدة كانت تدخل قصره ، فقالت له هذه أحوال المريدين ، فقال كيف أعمل بنفسى ومن يعرفنى ويداوينى ؟ قالت له الشيخ أبو مدين سيد هذه الطائفة فى هذا الزمان ، فبعث يعقوب إلى الشيخ أبى مدين وطلبه حثيثاً والتجأ اليه فاقتضى إجابة الشيخ أبى مدين له ، فقال قولوا له تطيع الله عز وجل بطاعته وأنا ما أصل اليه بل أموت بتلمسان ، وكان الشيخ يومئذ فى بجاية فلما وصل الى تلمسان قال لرسل يعقوب سلموا على صاحبكم ، وقولوا شفاؤك على يد أبى العباس السبتى ونفعك على يده ، ومات الشيخ أبو مدين بتلمسان رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ، ومضت الرسل إلى يعقوب فأخبروه بما أوصى به الشيخ له ، فطلب الشيخ أبا العباس السبتى طلباً حثيثاً وسير إليه فى كل الجهات الى أن ظفروا به فأخبروه بما عليه من الطلب فوجد من الحق سبحانه إذنا بالاجتماع به ، فمشى اليه واجتمع به ففرح يعقوب بذلك ، ثم أمر بذبح دجاجة وخنق أخرى وأن يطبخ كل واحدة منهما على حدة وقدمهما بين يدي الشيخ وسأله أن يتناول ، فنظر الشيخ إليهما وأمر الخادم برفع المخنوقة ،

وقــال هذه جيفة وأكل من الأخرى ، فسلم يعقوب نفسه لــه وأنزل نفسه منزلة خادم وفتح له عــلى يده وترك الملك وسلمه لابنه واشتغل مــع الشيخ وثبت قدمه فــى الولاية ببركة الشيخ أبى العباس واشارة الشيخ أبى مدين رضي الله عــن جميعهم ونفعنا بهم ، وممــا جرى ليعقوب أن الناس كانــوا محتاجين المطر فقال أبو العباس ليعقوب بعد أن خرجا الى خارج البلد صل واستســق للمسلمين ، فقال له يعقوب أنت أحق بذلك يــاسيدى وأولى ، وقال له الشيخ بهذا أمرت ، فصلى يعقوب ودعا ، فنزل المطر عــلى الفور رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما والمسلمين ءامين .

انتهى من (الروض) بلفظه .

وقال فــى (المعزى) بعد نقله أيضاً فى الباب الرابع قبل تمامــه بنحو ستــة أوراق ما نصه : قلت وهذا أبو العباس هــو أحمد بن جعفر الخزرجى الانصارى السبتى الأصل ، ثــم ارتحل الى مراكش عام أربعيــن وهو ابــن ستة عشر سنة ، وتوفي بها عام واحد من القرن السابع ، ولــه عجائب وغرائب فى إغاثة الملهوف ، ولكنــه أعماله كلها مبنية على الفتــوح والصدقة ، ولابد أن تقدم بين يدي جميع ما تطلب ، وكــان أهل مراكش اعتقادهم فيــه خبيث ، وكان يحلم عليهم ويحتملهم ، وما ظهرت بركاتــه واتفقوا على محبته حتى كمل القرن الذى مات فيه ، وحينئذ اتفقت القلوب على محبته .

قال الامــام ابن الخطيب : سمعت يهودياً يستغيث بــه ويتوسل به فقلت له فى ذلك قال لى والذى أنزل التوراة على موسى ما أقول لك الا حقاً كنت فى قافلة ودابتى موقورة بحمل ، فعرجت واذا باللصوص فبكيت وقلت ياسيدى أبا العباس واذا بعارض عرض للقافلة فوقفت ، واذا بدابتى خف عرجهــا ولحقت بالقافلة وخلصت من اللصوص ، وهذا الامام مما اتفق الناس عــلى إجابة الدعاء عنده وانه مجرب مع تقديم الصدقة ، وتقدم قــول أبى العباس زروق رضي الله عنه لا سيما مَن ظهرت بركاته بعد مماته أكثر مــن حياته كالشيخ أبى العباس السبتى ، قلت وهذا الشيخ بينه وبين الشيخيــن أبى مدين والشيخ الأوحد سيدى أبى يعزى مناسبة ، لأن الشيخ سيدى أبــا

العباس أخذ عن أبي عبد الله بن الفخار عن الامام سيدى عياض بن موسى اليحصبي السبتي الفاسي القيرواني اليمني هذا نسبه الصحيح ، وأردنا الاختصار فلذلك أضربنا عن تحقيق ذلك والتدقيق فيه ، وهو قد أخذ عن الامام أبي بكر بن العربي ، وسيدى الشيخ أبو يعزى أخذ كما تقدم عن أبي بكر بن العربي كما عرف به الامام ابن باديس في شرحه للنفحات القدسية وسيدى أبو مدين أخذ عن سيدى أبي يعزى وأخذ أيضاً عن سيدى علي بن حرازم عن سيدى أبي بكر بن العربي ، وقدمنا سلسلتهم في ذلك وسنزيد في ذلك ان شاء الله بياناً في اتصال سلسلتنا بهؤلاء الشيوخ نفعنا الله بهم في الدنيا والآخرة آمين . قلت هؤلاء الشيوخ الأربع هم أركان هذه الطريقة في إغاثة الملهوف : سيدى أبو يعزى ، وسيدى أبو مدين ، وسيدى أبو العباس السبتي ، وسيدى عبد القادر الجيلاني ، وهم أحمى للحمى من كل كدر بقدر الصدق في محبتهم والاضطرار ، ثم قال قلت ما ذكر عن يعقوب المنصور أنه امتحن أبا العباس السبتي بالدجاجتين حتى ظهر له منه الصدق فما زالت الملوك على ذلك الا أنهم على قسمين منهم من يفعله ليكون على بصيرة من أمره كما فعل يعقوب فان وجدهم على بصيرة والا نهب أموالهم وتسلط عليهم بالاذاية وغيرها ، وهذا من قلة فهمهم ، فانهم ان لم يكونوا على حقيقة الصدق فيرعى فيهم حق نسبهم لله ، إذ هم منسوبون للحق ، وقد قال سيدى عبد القادر الجيلاني إن لم يكن صاحبي جيداً فأنا جيد ، ثم قال وأبو مهدى هذا له من الكرامات والخوارق ما جاز حدّ التواتر في عصره ، إلا أنه لم تظهر الا في حياته ولم تواتر عنه بعد مماته كالشيخ أبي يعزى وأبي مدين وأبي العباس السبتي ، ثم ذكر في الباب السادس ما نقلناه في خاتمة القاضي عياض في تعداد المجربة الأجابة عند قبورهم ، وأن منهم السبتي رضي الله عنه ، ثم قال بعده بنحو ورقتين قلت وعلى هذا النمط قبر الشيخ الامام الذى نحن بصدده سيدى أبي يعزى فما قصده قط أحد بصدق وعزيمة الا قضيت حاجته بسهولة وحسن تيسير حتى أني رأيت جماعة من الظلمة المتورطين في الظلم والجرأة على الله وجنوا على أنفسهم ما لا تغفره الملوك عادة فوجدوا بركة الشيخ فغفرت لهم الملوك

جميع ذلك ، وأما القاصدون فـي المهمات والملمات وتفريج الكربات فهـذا موجود من بركاته فى كـل من قصده وكان بيده التى قصد مقضية وكـان عـلى هذا الشيخ الامام سيدى أبو العباس السبتى الا أنه لابد مـن تقديم الصدقة بهـذا جرت عادته رضي الله عنه ، واعلم أن هذا الامام ممن أكـرم بالخصوصية من صغـره إلى كبره ، وممن حفظه الله عز وجل مـع كثرة الأعداء إذ كان أهلُ مراكش يقذفون فيه كثيراً ويتكلمون فيه بكل مكروهة ويسمعون لـه الأذى ويحلم عليهم ، فعامله الحق برعايته ، واكتنفه بكلاءته ، وتولاه الله بلطفه حتى خرج مـن الدنيا وحتى أن بعض العلماء قصدوه للاذاية فحفظـه الله منهم ووقع بهم مكروه ، كما قال عز وجل (ولا يحيق المكـر السيٌء الا بأهلـه) ، يحكى عنه أنه كان فى ابتداء أمره وهـو ابن عشر سنيـن بمدينة سبتة ومات والده ،اوكانوا فقراء لا مال لهم ، وكانت والدتـه كيسة فـى دنياها وأرادت أن تعلمه الصناعة ليستعين بذلك وما يعود عليـه مـن نفع تعليم الصنعة وأراد الحق به خصوصيته وما سبـق له من الفضـل فـى سابق علمه ، فحملته الى معلم الحياك ليتعلم فلمـا ذهبت به إليهم فر عنهـم فألهمه الله تعالى أن أتى الى مكتـب أبى عبد الله بن الفخار وكان من الأتقيـاء الأخفياء وله فراسة وبـركة اكتسبها من بركـة الشيخ سيـدى عيـاض رضي الله عنهم ، وكان متقناً فى القراءة والفقه والعربية وفنـون من الأدب مع تقوى وورع زائد وولاية ظاهرة وأنوار شارقة ، فقال ياسيدى أردت أن تعلمنى لله وأنا يتيم فنظر إليه فألقى الله محبته فى قلبه ،فقـال له على بركة الله يابني مرحباً بك وسهلا ، ثم أجلسه مع الصبيان ، فرُوي أن الشيخ أحس ببركة زادت عليه من ساعته ، فأراد أنْ يختبر أمـره فاشترى طيوراً على عـدد الصبيان وقال لهم كل واحد منكم يذبح طيره حيث لا يطلع عليه أحد ، فمـا كان إلا ساعة واذا بهم قد أتوا بطيورهم كلها مذبوحـة واذا بأبى العباس قـد أتى بطيره حياً لم يذبحه ، فقال له وأنت لِمَ لمْ تذبـح طيرك ؟ قال ياسيدى أمرتنى أن أذبحه حيث لا يراه أحد ، فما وجدت موضعاً الا والله مطلع عليه وناظر إلي ، فمـن أجل ذلك لم أذبحه ، فقال لـه يابني بـارك الله فيك ان عشت ليكون لك شأن عظيم ، قـال له ياسيدى ذلك بيد

الله يفعل فى ملكه ما يشاء ، فزاد حظوة عنـد الشيخ وصار يحمله الى داره ويحسن إليه ، وزادت من بركاتـه الخيرات وفاض الاحسان ، ثم إن والدتـه افتقدته عند معلم الحياكة فقال لهـا إن ولدك لم يجلس عندنا بل فى الحيـن خـرج عنا وتبعه بعض المتعملين حتى دخل عـلى ابن الفخار فى مكتبـه ، فذهبت تسأل حتى وجدته عند أبى عبد الله يقرأ مـع الصبيان ، وكان حسن الحفظ فتكلمت للشيخ فقالت ياسيـدى هذا ولدى وهو يتيم ونحن فقـراء لا مال لنا وأردت أن أعلمه الصنعة ، فقال لهـا يا أمة الله بكم تكريه بالشهر ؟ قالت بعشرة دراهم ، قال لها دعيـه لى وأنا أعطيك فى الشهر عشرين درهماً فانى رأيته تقياً نقياً مـع ما رأيت له من البركة وأنه دخل علينا بها ، قالت يـاسيدى أو توفى لـى بذلك ؟ قال لها يا أمـة الله إن من الايمان الـوفاءَ بالعهد ، فأدخل يده فى جيبه وعدَّ لها عشرين درهماً وقال لها هكذا أفعل معك إن شاء الله فى كل شهر ، فتركتْه واستقبله الشيخ بهمته مـع ما فيه من حب الخير فجد فى قراءته . ويحكى عنـه أنه لما بلغ (ان الله يأمر بالعدل والاحسـان) قام اليه فقبل يده وقال ياسيدى ما معنى هـذه الآية الكريمة (إن الله يأمر بـالعدل والاحسان) ، فنظر الشيخ إليه متعجباً مـن حسن عقله مع صغره ، وقال ليكونَنَّ لهذا الشاب شأن ، وقال له يابني لى كذا وكـذا أعلم الصبيان فما سألنى عنها أحد منهم ، وهي المشاطرة أن يكـون بينك وبين إنسـان مال فتقسمه على السواء وهـو العدل ، ثم تحسن له من شطرك فهـو العدل والاحسان الذى أمر الله به ، قلت هـذا على ما فهم هذا الامام رضي الله عنه ، والا فان العدل هو استواء السريرة والعلانية والاحسان أن تكون السريرة أحسـن من العلانية ، ولك أن تقول تحقيق العلم والعمل والاحسـان كما صح فى الحديث أن تعبد الله كـأنك تراه ، ثم انه ما أتت عليه ست سنين مـن دخوله المكتب إلا وقد حفظ القرآن والرسالـة وفنوناً مـن الأدب والعربية ، ووافق أربعين سنة من القرن السـادس ، وقويت عزيمته عـلى السفر برسم طلب العلم ولقاء المشايخ ، فقام إلى الشيـخ وقال له ياسيدى إنـى عزمت على المسيرة الى مراكش أطلب العلم فيها ، فانهـا مدينة العلم والخير والصلاح ، فقال لـه يابني والله إنه ليعزُّ علي فراقـك ،

ولكن فـــى طلب العلم يهون عليّ سفرك ، فوادعه وانصرف عنه فمازال يجد السير إلى مدينة مراكش ، واتفقت لـــه فى الطريق كرامات أضربنا عنهـــا اختصاراً ، وقد تعب فى طريقـــه إذ لم يتعود السفر مع صغر سنه ، ولكنْ إنْ لله ألطافــاً خفية شملته فـــى جميع أحواله ، وانقطع بأحواز مـــراكش بالجبل المعروف بگليز للعبادة وانتظار الاذن من الله فى الدخول على عادة الأكابر ألا يدخلوا فـــى أمر إلا باذن الله تعالى كما قال صاحب الحكـــم فان نزلـــوا إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فبـــالاذن والتمكين ، والرســـوخ واليقين ، وقـــد أوضحنا ذلك فى كتابنـــا (مطالع الأنوار السنية) عـــلى (الحكم) عند قول المؤلف سيـــدى ابن عطاء الله هذا رضي الله عنه ، وكان فقير تعلق به وانقطع لخدمه الشيخ ومصاحبته ، وقد شكاه يوماً بالحفـــا وأراد نعلا ، فطلب مـــن الشيخ أن يأذن له فى دخول المدينة حتى يخـــدم بما يشترى به نعلا يلبسه ، فأذن له ودخل المدينة وسأل عن موضع يخدم فيـــه ، فقيل له سرْ إلى الموقف ، فبينما هو واقف إذ أتـــاه إنسان فحمله الى منزلـــه يخدم البنيان ، فخدم يومه كله ، فقال المعلم لصاحب المنـــزل هذا الرجل يخدم فى دارك مـــا يخدمه اثنان ، فان أعطيتَه أجرته ينصـــرف عنـــك ولا تجده ، فقال له الآن تواعده ولا تعطيه شيئاً حتى تكمـــل بنيان دارك ، فمازال يخدم معهـــم حتى أكمل بنيان الدار ، فطلب أجرته فماطلـــه بهـــا وطول عليه كل يوم يعده إلى أن أعيته الحيلة وهـــو مسكين وصاحب الدار من المعتبرين ، فانصرف عنه آيساً فصعد إلى الشيخ وقـــد أثر الجير فى يديه ورجليه اذ كان يخدم عـــلى نيته ولا يتوقى الجير كما تفعل الخدمـــة فـــى الحذر من حرقه ، فلما رءاه الشيخ عـــلى تلك الحالة أبشع ما يكـــون حافيَ القدمين فاستعظم أبـــو العباس ذلك وسأله ، فأخبره بقصته ، وكانت للشيخ همـــة فى توجهه الى ربه كما قال بعض العلماء فى أوصافه ونظرائـــه مَن أراد اليوم عبادة الحســـن البصرى أو زهد داوود الطائى أو علـــم أبى حامـــد الغزالي أو حال أبى يزيد البسطامى أو رياضة سهل بـــن عبد الله التسترى أو ورع إبراهيم بـــن أدهم البلخى أو كرامات سيدى عبـــد القادر الجيلانـــى أو مكاشفة أبى يعزى الايـــلانى أو معارف أبى مدين القطنيـــانى

العَبَّادى أو تربية أبى الحسن الشاذلى أو معرفة شيخ الاسلام الهروى أو حقائق أبى العباس المرسى أو همة أبى العباس السبتى أو مشاهدة ابن أبى جمرة الأندلسى وأمثالهم كثير رضي الله عنهم فقد طلب الشيء فى غير إبانه ، وقصده فى غير مكانه ، وذلك أن ضوء الشمس بالظهيرة فى وسط النهار ليس كالذى بعد مغيب الشمس أو قرب مغيب الشفق ، فافهمْ هذه الاشارة .

قلت هذا الكتاب انما وعدنا ذكر كرائم الشيخ أبى يعزى ومن أخذ عنه ، وله معه نسبة ، ولما كانت بينه وبين هذا الشيخ نسبة حقيقة يلتقى معه عند أبى بكر بن العربى المعافرى الأندلسى دفين فاس بين المدينتين حسن هنا أن نذكره ونذكر بعض أوصافه إذ هو عجيبة من عجائب الزمان ، ووحيد الأقران ، ثم نقل كلام (التشوف) ، ثم قال بعده قلت قوله يسحر العامة والخاصة يذعنون إليه بحلاوة اللسان قوله وحقيقة أمره فيحبونه ويعظمونه كما تقول العامة فيمَن كان حلو اللسان فلان سحار وأنا أثبت إن شاء الله من بعض أخباره ما صح عن الثقات ، وإن كانت شمس خصوصيته لا تحتاج الى دليل وجبله المحيط الى مرساة ، قدمنا أن مولده بسبتة عام أربع وعشرين وأنه قدم الى مراكش عام أربعين فى حصار الموحدين للمتون ، وأنه تعبده ما شاء الله نزل مدينة مراكش حين نزوله من جبل كَليز الذى كانت به الجيوش أيام الحصار ، يحكى أن سببه فى ذلك الفقير المتقدم ، وأن الشيخ توجه بهمته ، وقال له اذهبْ إلى صاحب الدار وقل له يعطيك أجرتك والا وقعت داره فى الحين ، وكان الرجل صادق الاعتقاد فأتى الرجلُ صاحبَ الدار وهو جالس على دكان فى بابها ، فقال له أوفنى أجرتى فماطله على العادة استهزاءاً واستحقاراً وهو مع جملة من أصحابه ، وقال له حينئذ الفقير : إن لم تعطنى أجرتى وقعت دارك فى الحين والوقت ، فضحك الرجل هو وأصحابه استهزاءاً بقول الفقير ، فقال له إذن انطحها برأسك أو قال بكبشتك ، فقال له الفقير الذى ثم تراه ثم انصرف عنهم قاصداً للجبل إلى الشيخ ، فلما غاب الفقير عن أعينهم وهم يتضاحكون ويتفكهون بقول الفقير وإذا بالدار بقدرة مَن يقول للشيء كن

فيكون وقعتْ فى الأرض ولم تهلك أحداً ممن كان فيها ، فضاقت حينئذ بصاحب الدار الرحاب ، فبحث هو وأصحابه على الفقير فلم يجدوه ولا علموا أين ذهب ، وشاع الخبر فى مراكش فأقبل الناس ينظرون كدية من تراب لا حجر مع آخر ، وكان الرجل ذا وجاهة ومال فبكى وخاف خوفه كله وقال الذى هدم الدار وهي جديدة قادر على أن يذهب بالايمان من قلبى ، فمازال يفتش على الفقير الى أن كان يوم الجمعة وكان من عادته ينزل يوم الجمعة حتى يصلي ويطلع عند الشيخ ، فلما رآه صاحب الدار بعد صلاة الجمعة تعلق به وصاح وبكى بكاءاً شديداً ، واجتمعت عليه الناس ، فجعل يقبل يديه ورجليه ويطلبه فى الصفح والعفو وأعطاه دراهم كثيرة وأبى من قَبول شيء ، قال له لا أقبل منك درهماً واحداً إلا إن قبله الشيخ أو قال إن أمرنى الشيخ ، قال له ومَن هو شيخك ؟ قال أبو العباس أحمد بن جعفر السبتى ، قال له وأين هو ؟ قال له فى جبل كليز ، قال بفضلك إلا ما حملتنى إليه ، فمشى معه فدخلا على الشيخ بخلوته بعد أن أذن الفقير له ، فوجداه وهو جالس يقرأ القرآن ، فاستأذن على صاحب الدار فأذن له الشيخ بالدخول ، فدخل وقبل يديه وبكى وتضرع إليه ، قال له ما هذا البكاء قال له ياسيدى إن فقيرك هذا خدمته أياماً فى دار كانت لى ولمْ أنصفه لما أراد الله تعالى أن يكون ، فانصرف عنى غير راض فوقعت الدار وتهدمت وخفت على دينى أن يتهدم كذلك ، وقد أعطيته دراهم فأبى أن يقبلها وقال حتى يأذن لى سيدى ، وقد جئت لوجه الله تعالى أن يقبلها منى ويرضى علي ، فقال له الشيخ حين كان يطلب منك أجرته استهزيت بالفقراء وقلت له انطحها بكبشتك ، أما علمت أن قدرة ربى عظيمة ؟ (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ، فقال له ياسيدى نتوب وأنا أستغفر الله ولا أعود أستهزىء بفقير أبداً وأشهدك وأشهد الله أن له فى مالى مئة دينار ، وأعطى صدقة الف دينار ، فكانت هذه القصة سببَ اشتهار الشيخ فى مدينة مراكش .

ثم قال فى (المعزى) ويحكى عن يعقوب المنصور أنه كان كثير التعظيم له كما قدمناه فيما نقله صاحب (روض الرياحين) ، وأنه حبَّس

عليــه زاوية للفقراء ورباطاً ومدرسة ، وزعموا أن ذلك كان بأحواز الكتبيين والله أعلم، ثم نقل كلام (التشوف) فى أصول مذهبه ، ثم قال قلت وهذا كله منزع معروف عند أهل الصفوة يعرفه من مارس طريق القــوم ولا ينكره إلا جاهل بأصولهــم غير محقق بطريقهم ، وليس هو من الشطحات ولا الطوام المحذر منها ومذهب الاقتباس عند العلماء المحققين معروف ، قالوا وكمــا نوضحه إن شاء الله تعالى فى ترجمة أبى العباس المرسى وشيخه سيدى أبى الحسن بحول الله وقوته من تفسيرهما الآية القرآنية ببعض ذلك ، وقال بعد ذكر كــلام (التشوف) فــى رسول ابن رشد الحفيد وما قال له فى مذهب أبى العبــاس ما نصه : وروي أنه قال لما حدثه باخباره وأنه يقــول مَن يعطنى كذا وكذا يكون لــه كذا وكذا فقال له ما أراه إلا قدرياً ثم قال الرجل دعنى حتى أرى هــذا الرجل ، وروي أنــه قدم مراكش وافداً عــلى يعقوب المنصور ونزل جوار الشيخ أبى العباس السبتى فدخل إلى أبــى العباس ينظر هــل بقصد أو اتفاقى ، فقيل ذلك لأبى العباس السبتى قال فقيــه الأندلس وابن فقيهها يفتح الله فــى ضيافته ، وإذا بالحرة زوجة يعقــوب المنصور بعثت له خمسمئة دينار ، فقال لبعض أصحابه قم بنا نزور هذا الفقيه واحمل الدراهم أو قال الذهب معــك ، فلما بلغه سلم عليه وطــرح المال بين يديه وقال لــه هذه ضيافتك ، فقال لهم من أين أنتم رحمنــا الله بكــم ؟ فقال عبيدكم أحمد السبتى فشكر سعيه ، فزعموا أنه لما خرج قــال الفقيه هــذا رجل سحار أو كلاماً هذا معناه ، فروي أن الشيخ أبــا العباس أخذته الحمى فى تلك الليلة ، وقال لأصحابه هذا رجل عاملناه بالخيــر فدعى علينا بالحمى وزعموا فيما روا أنه قــال اللهم سلط عليه الموت أوكلامــاً هذا معناه فضربه وجع فى تلــك الليلة فما أصبح حتى خرجت روحه ، ولكن الظن بالشيخين جميل ، ولا تظــن فى واحد منهما أنه يحب للآخر الهــلاك ، ولان ذلك عالم مــن علماء المسلمين والشيخ من أئمة الصالحين ، وان كــان روي أن الحفيد هذا كان فيه نزغة اعتزالية ، فله تواليف عجيبة كـ (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) و (الهداية) وغيرهما ، وانه توفي عام خمســة وتسعيــن وبقي بقبره مئة يوم وأتت أسلافــه ونبشوا عليه وحملوه إلــى

قرطبة ، ومن عجيب الأمر أن موضـع قبره فيما زعموا لما مات أبـو العباس عـام أحد وستمئة دفن فيه الشيخ رحمه الله تعالى ، وقـال بعد نقل كلام (التشوف) فى حمله الطعام لأصحابه بنفسه ليوفّرَ عليهم أجرة الحمـل قلت وليذل نفسه ويهينها بامتهانها ، وقـال بعد قضية ضرب الحرسيين قلت وهمـة أبى العباس السبتى فى مثل هذا كثيرة ، ولهـذا قالوا الهمة لأبى العباس السبتى قل مَن يدركها من شيوخ المشرق والمغرب ، كمـا أن مكاشفات الشيخ سيدى أبى يعزى قل مَن يتحقق بها على كمالها ، وقال بعد قولـه كلما أردت أن يفعله الحقُ معك فافعله مـع عبيده ، قلت مصداقه الحديث الخلق عيـال الله وأحب الخلق الى الله أرفقُهم بعياله ، الحديث ، الرحماء يرحمهم الرحمان ، مَن لا يرحـم لا يُرحم ، وارحم مَن فى الأرض يرحمك من فى السماء ، وفى هذا المعنى قيل :

وارحم بنيَّ جميعَ الخلق كلهـم	وانظر إليهم بعين الرفق والشفقـه
وقرْ كبيرهم وارحمْ صغيرهـم	وراع فى كل خلق حقَّ مَن خلقه

وقال بعد ذكر موت أبى العباس ما نصه : قلت وإنما لم يرثْه أحـد من أصدقائه لصعوبة طريقه إذ هي مبنية عـلى البذل والايثار الكلي فلـم يستطع أن يسلكها بعده أحد من أصدقائه ، بل ولا فى حياته .

قال كاتبه عباس عفـا الله عنه : صاحب (المعزى) سيدى أحمـد الصومعي فهم أن مقصود صاحب (التشوف) بقوله لـم يرثه من الارائة مـع أنه انما هو مـن الرثاء ، راجع ما تقدم قبل قصيدة أبى يعقوب اللامية تعلم ذلك ، ثم قال صاحب المعزى وكان أبو يعقوب هذا كثير التأسف والتلهف عـلى شيخه أبى العباس حتى مات بحبه فهو معه كما قيل :

أفض إليَّ فان الروحَ قد زهقـا	وهاك حبه منى سابق الرمقـا
لولا العيون التى سالت مدامعهـا	على الخدود لـذاب القلب واحترقـا
والله يعلم ما فى القلب من كمـد	ليت الفراق وليت الحب ما خلقـا
كنا كغصنين فى عود فخانهمـا	ريب الزمان وأوما البين فافترقـا
فاصفرَّ عودهما من بعد خضرتـه	وأسقط البين من أعلاهما الورقـا

ليت الحمام الذى حن لألفتنــــــــا	هب عليه نسيم المسك فاعتبقـــا
أو الغراب الذى نادى لفرقتنــــــا	طارت عليه شرار النار فاحترقـــا
سيكتبون على باب الجنان غـــــدا	مَن لم يمت عاشقاً بالنار يحترقـا

وقال فى قضية التردد فى الخاطر الأول بخل ، قلت هــذه إشارة الى قــول أبى الحسن البوسنجى وهو من أيمة هذا الشان ، وصدور الطريق أحــد فتيان خراسان ، لقي من الأكابر أبا عثمان وابن عطاء الله والجريرى ومات عام ثمانية وأربعين وثلاثمئة ، قال جامعه عباس بن إبراهيم راجع تمام ترجمته فى طبقات الامام الشعرانى .

ثــم قال فى (المعزى) فالسخاء الحقيقي إذا أن تعطي بالخاطــر الأول ولا تميز من أعطيت ومهما ميزت فأنت متردد ، وذلك عيــن البخل ، وهــو مذهب المحققين ، وقال بعد قضية ري بحيرة أبى الحســن باستسقاء أبى العباس لهــا وحدها ما نصه : واعلم حفظك الله تعالى أن أبــا العباس له همة عالية ، وكــان بقدرة العزيز الجبار تنفعل له الأشياء عــلى مقتضى مراده ، فكان يتعجب منه العدو ويزيد فى محبته الصديق وقال بعد قضيــة تبيين معاملته من بدء أمره إلى منتهاه ما نصه : وهــذا مذهبه رضي الله عنه حتى لقي الله ، وتأمل هــذا مع الشيخ سيدى أبى يعزى كان يأخذ فى حرثــه العشر ويصرف سائر التسعة الأعشار للمساكين ، فالفروع مختلفــة الحال والأصول متفقة ، وهو ترك الهوى وبغض الدنيا ، وكــل على بينة وبصيرة من ربه ، وكــل واحد منهما رزق من باب فلازمه ، وأنت الــزم محبتهما والتصديق فيهما مع التمســك بالكتاب والسنة وحسن الخلق مع السخــاء إن لم يكن كماله فطرف منــه وقد صح اتقوا النار ولو بشق تمــرة ، وصح أن الصدقة تقى مصارع السوء ، ومَن تصــدق فى يوم لا تناله نكبة ، وحكاية محمد بــن وضاح إمام الأندلس وعالمها شهيرة ، فروي أنه كان يوماً فــى مجلس تدريسه وأتاه رجل فقــال له يا أبا عبد الله إن ولدك مات قد دهكتــه العجلة فلم يلتفت لكلامه واشتغل بقراءته ، فأتاه آخر فقال لــه البشارة إن ولدك سلم ، قــال قد علمت ذلك ، قالوا له بم علمت ذلك ؟ قــال لهم حديث

النبي صـلى الله عليه وسلم وذكر ما تقدم ، وقد رأيته اليـوم تصدق بصدقة فعلمت أن العجلة لا تقتلـه أو كلاما هذا معناه ، فروي أنه لما أتت العجلـة دهكتْ ثيابه وتخطته لم تصبه هـ . قلت ابن وضاح المذكور ترجم له فى (الديباج) وذكر أن به وببقي بن مخلـد صارت الأندلس دار حديث ، ومن وقته اعتمد أهل الأندلس عـلى رواية ورش ، وقال فى (المعزى) ومـن عجب أمـر هذا الشيخ يعنى أبـا العباس السبتى أنه لما كان فى أمـوره رضي الله عنه ملامتي المذهب فلم تقبله النفوس ، فكـان المنتقد عليه أكثـر من المعتقد فيه وخصوصاً جماعة من الفقهاء ، فيحكى أنهـم عملوا له عقداً فيما ظهر لهـم والله أعلم بقصدهم ونيتهم شهد فيه جماعة أنـه زنديق ، فحملوه لملك المغرب فى عصـره يوسف بن عبد المومن الموحدى فلمـا رءاه السلطان زعموا أنه بعث للقاضى وإلى الشهود الذين شهدوا فى العقـد فقال القاضى ما عندى ما أقول فيهم يعنى أنهـم ذوو عدل مزكون ، فـروي أن السلطان بعث إلى الشيـخ أبى العباس فامتثل الأمر وطلع إليه فتصدق فى طريقه بربع دينار ، فلمـا دخل على السلطان قـام كل مَن فى المجلس تعظيماً للشيخ فسلم عليـه ، فقال للسلطان ما حاجتك ياأمير المومنين ؟ قـال ياسيدى هؤلاء الفقهاء كتبوا كتاباً وأردت أن يقرأ عليك وبحضرتـك لأن القاضي أجاز ما فيه ، فقال الشيخ عـلى بركة الله الذى كتبه هو يقـرأه ، فقرأه عـلى رؤوس الأشهاد والمجلس غاص بالناس ، وإذا فيـه كل ما كان مـن القبيح بزعمهم بدل بقدرة مَن يقول للشيء كنْ فيكون مليح ، وكـل كلمة باطلة انقلبت بضدها مثل الزنديق رجـع صديق ، والطالح صالح ، ووجدوا فيـه من الخير ما لا يصفه واصف ، فروي أن القاضي دخلـه خجل عظيـم ، وأدركت السلطان هيبتُه وعلم أنه محمي محفوظ ، وبقي مَن حضر وسمع الكتاب أولا ثم سمعه آخراً متعجباً ، وعلموا أنه آية من آيات الله ، وأنه لا سبيل إليـه ، فقال الشيخ حينئـذ ياأمير المومنين هؤلاء ذكـرونا بخير جزاهم الله عنا خيراً ، ثـم انفصل المجلس ، فلما كان الشيـخ فى أثناء الطريق التفت إلى الخديم المرافق لـه قال له كيف رأيت ربع دينار كـذب الجميـع ، وروى فى بعض هـذه الحكاية أن السلطان أدب الشهود وعزلهـم

عـن الشهادة وتاب القاضى واستغفر أنه لا يتعرض فـى أمر الشيخ أبداً ، وحاصل أمر أبى العباس فـى هذا المعنى كله عجيب ، وتأملْ فيما تقـدم أنه قال احكـم بالخاطر وكلما أردته كان والثانى قوله احكم فى السمـاء ، وقوله أولى وأعزل فمن أحببتـه وليته ، ومن كرهته عزلته ، ولما كـان ملامتيَّ المذهب كان أكثر الناس يبغضه حتى من أصحابه الذين يخدمونـه وهـو عالم بهم ويحلم ولا يكافيهم بل يسامحهم ويحسن إليهـم ، فكان من خواصِ أمره أن الذى يكرهه ويبغضه ويقذف فيـه يحسن إليه ، ثم قال بعد قضية التعرف المتقدمة : فعجائبه لا تتناهى ، ولكـن فى أحواله قلَّ من يصدقه فيها لكثرة ما يلبس بحاله حتى لا يصدقه إلا صديق فتح له ، فلذلك ظهرت بركاته وكراماته بعد مماته أكثر من حياته ، ثم قال ويحكى عنه رضي الله عنه أنه كان كثيراً ما يلهج بهذه الأبيات وهي معروفة فى زمن التابعين :

إن الزمان عدا عليَّ فزادنـــى ... علماً بأنك مالكى تحقيقـــا
ما مسَّنى ضرٌّ لأجل إساءتـــى ... إلا عبرت به إليك طريقـــا
فاقضِ القضاء مع الرضى منى به ... إنى وجدتُك فى البلاء رفيقـــا

انتهى كـلام (المعزى) وقد تقدم عن (التشوف) ذكـر الأبيات الثلاثة مع بيت آخر باختلاف قريب ، ونسبهـا لأبى عبد الله الفخار شيـخ أبى العباس .

ثم قال فى (المعزى) بعد قضية الليلة الممطرة التى غلب الشيـخ فى أولها البرد المتقدمة ما نصه : وكـان رضي الله عنه من عادته لا يتغذى ولا يتعشى إلا إذا لم يجد مـن يستحقُّ ذلك الطعام وإلا دفعه لـه وطوى هو أو يفتح الله من فضلـه ، وقال بعد قضية الاستسقاء الذى حضر فيـه ابن الجذع ما نصه : قلت وهذا معروف مـن علو هممهم رضي الله عنهم ، وصدق خواطرهم كما اتفق لامام الطائفة مع خيرون النسّاج وأبى يزيـد مع الذى قال لـه احتاجت الناس للمطر فقال للخـادم أصلح الميزاب فما استكمله حتى نزلت الأمطار ، وهمة أبى العباس شهيرة الى يومنا هـذا ، وأما قسمهم عـلى الله فكثير مما تواتر عنهم فى ذلك ، ثم قال لما وقـع بقوة

العزيمة صدق الخاطر بنزول المطر فألقى فى خلده علماً ضرورياً أن ذلك كائن الساعة ، فوجد العلامة والامارة ، فقال ما قال من غير اختيار منه وإلا فشأنهم كتمان الأسرار ، وأعلم أن هذا الشيخ فى همته وصدق خاطره وكثرت كراماته لا يحيط به الحصر ومع هذا كراماته بعد الموت أكثر ، قال أحمد ابن الخطيب (I) : سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بن عاشر الأندلسى بمدينة سلا عام ثلاث وستين وسبعمئة سأله أحد الفقراء فقال هل تنقطع الكرامة بموت الولي ؟ قال فأنكر عليه سؤاله ، قال لا تنقطع الكرامة بموت الولي ، ثم قال انظر السبتى ، قال أبو العباس ؟ يشير إلى الفقيه العالم المحقق أبى العباس السبتى المدفون بمراكش وما ظهر عند قبره من البركات فى قضاء الحاجات بعقيب الصدقات ، وقد أسلفنا عن ابن الخطيب أنه سمع يهودياً يلجأ ببركاته وينادى باسمه عند أمر أصابه من المسلمين ، فسألته عن ذلك فأخبر أنه وجد بركته فى غير ما موطن ، وتأمل بقية حكايته فيما سلف ، قال ابن الخطيب هذا ولقد وقفت على قبره مراراً وسألت الله فى أشياء يسَّر لى ذلك منها سألت أن أكون ممن يشتغل بالعلم ويوصف به ، وأن ييسر عليَّ فهم كتب عينتها ، فيسر الله عليَّ ذلك فى أقرب مدة ، وكان السبتى آية فى المناظرة وأوذي باللسان كثيراً جداً فكان يصفح ويتجاوز هـ . قال فى موضع آخر روضته الآن مائدة من موائد الحق تجتمع فيها الألف من الذهب ، قال فى (المعزى) تغير الحال فى ذلك اليوم وذهبت بقدرة الله منه البركة وان كانت بركة الشيخ فى ذلك ظاهرة ، والسبب أنه تولى أمرها من اشتدت شوكته من أرباب الدولة ، فصار يصرف فى ذلك على غير وجهه وفى غير محله ليلا ينزع من يده ، وما من شيء فسدت أصوله إلا ذهبت البركة من فروعه وان كان قائم العين ، ثم قال بعد قضية زوج بنت الشيخ فى موته قال بعض من تعرض لكرامات الشيخ إن ذلك الزوج مازال يعدو عليها ويضربها وتغضب إلى أبيها وتشتكى عليه فيردها إليه الى ذات يوم أتت إليه وشكت اليه على عادتها

I) أحمد بن الخطيب القسنطينى المعروف ايضا بابن قنفذ صاحب كتاب (انس الفقير وعز الحقير) ستأتى ترجمته فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

فبقي الشيــخُ يلاطفها فبكت وصاحت وقالت والله مــا بقي لى إلا أن أرمي نفسى فى هــذا البئر وأستريح ، وأما هذا الرجل لا يزول عــن فعله القبيح أبداً . ثم إن الزوج لما أتى الى المنزل سأل عنها فقيل له ذهبت فاستحيا وقال لا يليــق إلا أن أغيب رأسى حتى يذهب غيظ الشيــخ وأجد خاطره ، فروي أنه خرج للغابة لبعض أماكــن أحواز مراكش ، ولما قالت البنــتُ ما قالت ذهبت بسرعة إلى البئر قال لها ارجعى وصاح عليهــا ، فرجعت إليه حتى تسمــع كلامه ، فقال لها إذا كان عند العصر فاعتدّى عِدّة مَن مــات عنها زوجها ، فروي أنه خرجت عليه اللصوص فقتلوه فى وقت العصر الذى قال الشيــخ ، وذلك من قوة همتــه وصدق خاطره ، ثــم قال ويحكى عن الشيــخ أبى العباس أنه وردت قافلة مــن تنس ووهران (I) بتجــارة وافرة ، فأخذ منها عــلى عادة الملوك من الفوائــد ، فلما قضوا مرغوبهــم واشتروا ما هــو نافد فى بلادهم . قام بعض الظلمة يسعى بهــم إلى السلطان وقال لــه إنهم أخفوا الكثير من أموالهم ولم يظهروها ، فأمر عليهم أن يحبسوا حتى يــردوا وربما حبس بعض كبار القافلة فقيل لبعضهــم لو ذهبتم للشيخ أبى العباس لوجدت بركته ، فان همته عالية ، فذهب الرجلُ فسلم عليــه وسألــه فى الدعاء أن يخلصهم الله ، قــال له وأين الفتوح ؟ فأعطاه عشرة دنانير ، فرءا بعض المنتقدين على الشيخ فقال أخسرتم دراهمكم ، أعطيتموها لرجــل مهبول أو قال أحمق ، فأفسد عقائد بعضهــم ، وقال بعضهم نحن فعلنــا وقصدنا الله تعالى ثم انهم كلموه مراراً وهــو فى ذلك كله يسكت عليهم وقنطوه ولحقت الضيعــة دوابهم وتذكروا فيما بينهم كلام المنتقدين فــى الشيخ ، فقال لهم بعضُ المعتقدين كم دفعتم للشيخ ؟ قالــوا عشرة دنانير ، قال لهم انصرفوا ، فلما ذهبوا مشى وحده للشيخ فوجده نائمــاً تحت شجرة تيــن . وكان ذلك زمان الحر ، وكان وقت الظهر فجلس بازائه حتى استيقظ مــن نومه ، فلما رءاه قال له أنت الوهرانى ؟ قال له نعــم ، قال له مازلتم مــن عير سراح ؟ قال نعم ، لقــد والله ضعنا هاهنا ، قال لقد

I) فى الأصل تونس وذلك خطأ ، فان المدينة القريبة من وهران هى تنس بفتح الأول والثانى الواقعة على ساحل البحر المتوسط بينها وبين الجزائر .

زلتم من بالى وقــام وعليه سروال من صوف وسلهام صوف فى يده عصــا فوثب فــى الهواء وضرب بالعصا وقال الساعة تسرح أهل وهران ، فمــا كان إلا قليــل قدر ما يتوضأ الانسان واذا بمناد طبــق المدينة ياأهل وهران الذى بقي هنا إلى العصر تلحقه العقوبة الشديدة ، وروي أن سبب ذلك ان السلطان كــان نائماً فى قبته مع بعض نسائه واذا بالحائط قــد انشق ودخل عليه الشيخ وهو فى مئزر صوف فضرب بها على بطنه ، وقال له سرح أهل وهران ، وغاب فى أسرع من لمح البرق ، فأصابه وجع شديد لو دام عليه لقتله ، فبعث السلطــان فى الحين إلى حاجبه أن يسرح أهل وهران ولا يبقي منهم أحداً ، واعلم أن مثل هذه الهمم لهم كثير ، ولولا الاختصار لأتينا من ذلك بعجائبهم ومــا وقع موقع العيان كقصة ابن مرزوق مــع يغمراسن وأبى الحسن النورى سيدى علي ابن حرازم وغيرهم كثير ، وقال بعد قضية عــزل الكومى عن دار الاشراف قلت وهذه الهمة فى التولية والعــزل هي التى كانت شعاره ، حتى لقي الله بها ومازال اليوم يقصده الناس لمثل هــذه فيخلصون بمئاربهم كرامة من الله تعالى يختص برحمته مَن يشــاء ، وكنت مرة فى ضيق وشدة فأخذتنى سنة فرأيته واقفاً قدامى ، فأخذ بيدى ، فــاذا أنا واقف وغاب عــن بصرى فى أقل من طرفة عين وفرجت عنى تلك النكبــة فى الحين والساعة ، وكان بعض الثقات يحدثنى عن شيخنا سيدى عــلي البوزيدى (1) أنه عدا بعض رؤساء المملكة ممــن له السلطة الكاملة والكلمة النافذة عــلى بعض المنتمين لزاويته ، فلاطفه بكل وجه فلم يــزده ذلك الا فظاظة وجرأة ، وفعل الشيخ حضرة عظيمة فى محبة النبيّ صلى الله عليه وسلم ثــم ختم بأن استغاث بالشيــخ ، فقال فى بعض ذلك واصرختــك يابلعباس للضعيف ما أعجلهــا عوج عوج ياعز الفقراء ودعوتــك استجيب لهــا ، فنزلت بذلك الرئيس علة عظيمة أتت عليه ، ثم قال بعد قضية انفتاح الباب مــن غير فاتح واظلال السحابة ما نصه : وكــان شيخنا أبو العباس الدرعى (2) رحمــه الله تعالى يحدثنا أيام قراءتى للقرآن عليــه والرسالة

---

1) هو سيدى على بن ابراهيم البوزيدى راجع 24 من **الصفوة** (مؤلف) .

2) هو أحمد بن على الدرعى راجع 24 من **الصفوة** (مؤلف) .

وغير ذالـك أنه عزم مدة على الخروج مـن تعليمه الطلبة والصبيان قـال فرأيت رجالا لم يسمهم لنا أتوا وأنزلونى من الـدكان الذى كنت عليـه ، وإذا بأبى العباس عليهم واقف ، فانتهرهم وزجرهم وقـال لهم ما لكم وإياه نحن الذين وضعناه هنالك ، فلا سبيل لأحـد عليه ، ثم إنه قال لى اجلـس يابني هذا موضعك أو قـال هذا مقامك ، ومازال الشيـخ بقدرة الله يروم الخروج مـن الحضار مراراً فلم يساعده الحال حتى مات كما قال له الشيـخ حين قـال له هذا مقامك ، وكان رحمه الله مهما وقعت لـه ضيقة يقف عليه ويقول له المخـرج لك من تلك المسألة كذا وكذا ، ثم قال بعد قضية رفـع الصغير عمود الباب مـا نصه : وما أدرى كيف كان أمره ، ولكن تحقق عندى همة الشيـخ فى ذلك ، وكان رضي الله عنه ما جال فى خاطره شيء أو تهمـم إلا كان وتيسر فى الوقت كما أخبر بذلك عن نفسه ، وقـد قدمنا أن أحوال أبى العباس كلها عجـائب وأوصافه كلها غرائب إلا أنه أول أمره وآخـره مبني على الصدقة لا بد أن تقدم ، قلت والصدق والمحبة والتسليم لا بـد أن نمزج بالجميع مع دوام الاستقامة ولزوم الكتاب والسنة ، فمن صدق فى ذلـك تأتيه مادته عـلى كل حال بفضل الله وكرمه ، ثـم قال بعد نقل أصل الخير فى الدنيا والآخرة الاحسـان الخ ما تقدم ما نصه : ومن تأمـل كلامه بالمعيار وجده كله عـلى حقيقة مذهبه هـذا بلا إشكال ولا شك ولا ريب إلا مَن طبع الله على قلبه أو جاهل للحق متجاهل أو منحرف عن الحـق ارتكب الباطل ، ولما كان أمرهُ بُني على الصدقة وترك البخـل والشح وهما أصل هلاك ابـن آدم كما قال عليه الصـلاة والسلام دب إليكم داء الأمم قبلكـم الشح والبخل فهذا كان أصل مذهبه وقد أكمل الله فيه مرغوبـه فكان فى السخـاء لا يشق غباره ولا تجهل آثاره ، فمازال بذلك كما أخبر عـن نفسه ، وقد تقدم فكان يحكم بالخاطر ويولي ويعزل وكان تاجر الله بين خلقه ، ويحكى عنه أنـه كان ينادى على ذلك فى الأسواق ويجلس حيث أمكنه الجلـوس ولا يبالى بالسوق والأزقة ولا غير ذلك ولا عليه فى نفسه ولا يبـالى بمن تكلم فيه ، بل الغالب أنه يعاملهم بالعفو والصفـح حتى كأنه لا علم له بهم وهو يسمع فيهم بل ربما أحسن إليهم غاية الاحسان .

قال كاتبه عباس : قال العارف الحلفاوى فـى (شمس المعرفة)
قـال فى (لطائف المنن) لما أورد أحوالهم فى بساط مس ظلمهم وهم أربع
طبقات مـن دعا لما اثر منه الظلم والقرح اتقوا دعوة المظلوم ، وقسـم إلى
الله لجئوا فى طلب النصرة وتعجيل الاذاية مفوضين لـه ومَن يتوكل على الله ،
الثالث لـم يلجئوا ولم يدعوا وفوضوا الارادة . الـرابع وهم الطبقة العليـا
إذا ظلموا مَن ظلمهم ، ثـم إن النبيّ صلى الله عليه وسلم دعا عـلى عتبة
وغيره ، ودعا لقومه بعد أن كسروا رباعيته بقوله اللهم اغفر لقومى فـانهم
لا يعلمون ، وفوض يـوم الغار ، وعرض يوم بدر ، ثم قال فـى (المعزى)
ويحكى عنه أنه مر يوماً فـى وسط المدينة وهو ينادى أين مَن يعامـل الله ؟
الدينـار بعشرة ! والعشرة بمئة ! فكان أهـل مراكش إذا سمعوا ذلـك
يحمقونه وربما يسمونه بغيـر هذا كالطرمون وغير ذلك من الأسمـاء وهم
يتضاحكون منه ويتغامزون عليه وهو عنهم متغافل لصـدقه مع الله تعالى ،
فاجتاز يوماً فـى طريقه على حانوت خياط فقال له بعضُ الصناع ياسيدى
إن أعطيتك دينارا تعطينى عشرة ؟ قال له نعم ، فتكلم لـه الخياط فقال له
اليوم ما نحسبهم الا عندى ، قال لـه نعم وقت الظهر إن شاء الله يكـونوا
عندك ، فناولـه الخياط الدينار وذهب الشيخ فأعطاه لمستحقه ، فتكلـم
بعض المنتقدين فقال للخياط ما أنت أول مـن فعل به هذا ، فمازال به الى
أن ندم الخياط فى إعطائـه للشيخ الدينار ، ثم شرع يخاطب نفسه ويقول
أنا هـو المهبول الذى كان دينار بيدى وأعطيته لرجل مهبـول وغير ذلك
مـن القول ، وزاد عليه أصحابه حتى كاد يبكى ، فلمـا سمع أذان الظهر نزل
من الحانـوت وبقي متحيراً ولم يهن له أن يشتغل بصنعته ، فدخل بعض
ديار الوضـوء ليتوضأ فبينما هو يتفكر وهـو جالس على السنداس فنظر
فى الشقّ فرأى خيوطاً حمراً وصفراً وخضراً ، فمدّ يده لينظر ذلك حتى
تلوثت يـده ، فلما أخرجهم وجد فيهم خريطة فغسل يده والخريطة فتوضـأ
وخرج ففتحها فاذا فيهـا عشرة دنانير ذهباً ، ففرح فرحاً شديداً كـاد يذهب
عقله ، وصـلى صلاة الظهر وطلع للحانوت واجتمع أصحابه يسخرون منـه
ويضحكون ويقولون له قـد اتصلت بعشرة دنانير ، قال لهـم لا تقولوا إلا

خيرا ، فلما رأوها سلموا وصاروا يثنون على الشيخ ويقولون هو ولي الله ، وكل واحد ومايقول من كلام الاحسان ، ثم إن الشيخ اجتاز عليهم على عادته ينادى الدينار بعشرة والعشرة بمئة ، وفضل الله لا يحصَر فسمعه الخياط فنزل اليه وقال له ياسيدى ان أعطيتك عشرة دنانير أتعطينى مئة ؟ قال له نعم ، والضامن ثقة ، هو مولانا عز وجل (من جاء بالحسنة فله عشرُ أمثالها) ، وقال عز وجل (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) ، فالله عز وجل هو الذى يعطيك يابني ، وإنما أنا دلال خير وواسطة بين الخلق وخالقهم أدلهم على فضله واحسانه ، قال له ياسيدى أنا الذى أعطيتك بالأمس الدينار ، فقال له الشيخ وكيف رأيتَ فعل الله معك ، قال ياسيدى والله لقد أعطيت ذلك كما وعدتنى الا انى لم أتصل بها إلا بعد قذارة يدى وقذارتها ، قال له إنما ذلك من نجاسة يدك لما تلوثت ، ولو كانت نيتك طيبة لوجدتهم فى مكان طيب ، قال له الخياط ياسيدى أشهد الله وأشهد انى تائب لله تعالى ، ثم أعطاه العشرة دنانير واعتمد على الله وصدق فى توكله وانه هو المخلف كما قال مولانا وصدق بوعد الشيخ قال له ان شاء الله اذا كان وقت الظهر تعطى المئة دينار قبل الصلاة ، فانصرف الشيخ وصرف الدنانير على مستحقها واذا برجل من أكابر التجار كان مصاحبا لبعض القواد الظلمة وكان التاجر يعامله فوقعت شحنة وعداوة عظيمة فسعى به الظالم يريد حتفه وتلف أمواله فندم التاجر وخاف خوفه كله ، وكان يدبر كيف يكون أمره ومَن يكون واسطة بينهما حتى يصطلح ليلا يهلكه فدله بعض أصحابه أن يعطيه مئة دينار ويحملها إليه تكون صلحاً بينه وبين الظالم ، فعد مئة دينار وجعلها فى قرطاس بازائه ، فبينما هو كذلك ، واذا بهاتف مزعج فى قلبه يقول احمل المئة دينار وأعطها أول رجل يلقاك ، فخرج ووقف بالباب واذا بالخياط جائز ، فقال فى نفسه هذا خياط كأنه استحقره أن يكون أهلا للمئة دينار ، فلم يعطه فدخل لداره بالقرطاس وإذا بالهاتف قد تقوى عليه أعط المئة لأول مَن تلقاه ، فخرج أيضاً فرأى الخياط وعجب من ذلك وقد سمع الهاتف وهو يقول : أعطها لأول مَن يلقاك ، والله يكفيك ، ثم قال سبحان الله فنادى الخياط فأجابه

قال له أخبرني بقصتك ولا تكتم عني شيئا من أمرك ، فاني أراك طالع وهابط ولا هنأ لك قرار ، فقال له اتركني بالله ولا تسألني ، قال له سألتك بالله إلا ما أخبرتني وتقوى ظنه فيه أنه هو المخاطب باعطاء المئة ، قال له الخياط سألتني بالله وأنا أخبرك ، دفعت للشيخ أبي العباس عشرة دنانير قبل صلاة الظهر فأنا أمشي وأجيء في ميعاده ، فلما سمع التاجر مقالته وقال له صدقت ياأخي هات يدك فمد الخياط يده فأعطاه القرطاس ودخل التاجر فتوضأ ولبس ثيابه وخرج لصلاة الظهر ، فلما سلم الامام نادى المؤذن للصلاة على الجنازة فلما نظر إلى الجنازة رأى بعض غلمان ذلك القائد وقوفاً عند الجنازة ، فالتفت عن يمينه ورأى سيدي أبا العباس السبتي رضي الله عنه قال له أدفعت المئة دينار للخياط ؟ قال له نعم ياسيدي ، فزاد تعجبه ، فقال له شيع إذا جنازة صاحبك فان الله قد كفاك شره وحاق به مكره ، وقال بعد نقل قوله وباعطاء خمسة أسباع يستجاب له وتكون الكائنات طوع يده بقدرة العزيز العلي حتى لا يحب شيئا إلا كان ما نصه : قلت وهذا كان مقام الشيخ رضي الله عنه ، وقال بعد نقل الشيخ انتهى الى اعطاء تسعة أعشار والتمسك بالواحد قلت وهذا كان حقيقة مذهب الشيخ سيدي أبي يعزى في اعطائه تسعة أعشار من زرعه ، ويكتفي هو بالعشر ، كما قدمنا من رواية أبي عمران سيدي موسى ابن محمد بن معطى العبدوسي فكان لهذه السادات بما جاهدوا كمال التصرف في الكائنات ، وحاصل أمر هذين الشيخين أبي يعزى وأبي العباس أنهما من عجائب الزمان . ولنختصرها هنا ، إذ الشيخ لا تحصى عجائبه في كل وقت وزمان ، وقال في آخر الباب السادس : اعلم أن كرامات الشيخ سيدي أبي يعزى رضي الله عنه لا تحصى ، ومادته حياً وميتاً لا تنضبط ، وكذا سيدي أبو مدين رضي الله عنهما ، وأما الشيخ سيدي أبو العباس السبتي فلا تكفي فيه أسفار لكثرة كراماته بعد مماته أعظم من حياته كما قدمنا ، وإنما سقنا هذا النزر من كراماته لما بينه وبين الشيخ سيدي أبي يعزى من المواصلة كما قدمنا أنه يلتقي معه عند الشيخ سيدي أبي بكر بن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي الأندلسي ، وقال في الباب السابع في

ترجمة القطب سيدى عبد القادر الجيلانى رضي الله عنه ما نصه : وأما شهادة شيوخ العصر له والذين قبله والذين بعده فهذا مما تواترت به الأخبار عن الأكابر ولم يبلغ أحد فى الثناء مثل ما بلغ هذا الامام ، وكذا الشيخ سيدى أبو يعزى وعلى منوالهما سيدى أبو العباس السبتى كما تقدم ، ولهم أيضاً مواصلة من طريق أبى علي الصدفى فانه لقي حجة الاسلام ببغداد وأبو علي من شيوخ أبى الفضل وأبى العباس بن العريف ، وأبو الفضل كما تقدم أيضاً ممن أخذ عن الامام ابن العربى ، وأبو عبد الله بن الفخار من شيوخ الشيخ سيدى أبى العباس ، وهو قد قرأ على أبى الفضل وقد تقدم هذا مستوفى ، ثم قال وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضي عنه العامة إذا رأوا انساناً ينتسب إلى طريق الله تعالى جاء من البرارى والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم ، وكم من بدل وولي بين أظهرهم فلا يلفون إليه بالا ، وهو الذى يحمل أثقالهم ويدفع الأغيار عنهم ، فمثلهم فى ذلك كمثل حمار الوحش يدخل البلدة فيطوف به الناس يتعجبون بتخاطيط جلده وحسن صورته والحمر التى بين أيديهم مستقرة هي التى تحمل أثقالهم فلا يلتفت إليها ، والغالب على الولي أنه لا يعظمه أهل زمانه ، وإنما يعظم بعد مماته غالباً كما اتفق لأبى العباس السبتى إنما عظم بعد انقضاء أهل جيله كلهم .

انتهى ما ذكره صاحب (المعزى) فى أبى العباس السبتى رضي الله تعالى عنهما فى مواضع متفرقة فى الكتاب كله ، ولم أحذف منه الا كلام (التشوف) لتقدمه ، وقد ذيله بفوائد هي التى نقلناها عنه .

وقال فى (ابتهاج القلوب) ما نصه : ومن المحكى عن الشيخ سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله به أنه لما وشي به إلى يعقوب المنصور وتوضأ وصلى ثم اشترى رغيفاً فتصدق بنصفه وأطعم نصفه كلباً فبلغ ذلك الملك فزاد حنقاً ، فلما سأله قال أيهما أشد غضبك أو نار جهنم ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فأمر بأن يعطى الصحيفة التى كتب فيها عيوب نسبوها إليه افتراء عليه ، فاذا بها انقلبت

كلها خيراً ، فتاب القاضي وسلمه الله ، فانظر دقة هذا الأخذ وقوة هذا الايمان نفع الله بهم ما أعلمهم بالكتاب والسنة وأقواهم فهماً فيهما ، والحكاية مذكورة فى مناقب سيدى أبى العباس من دون ذكر للصدقة ، ولكن سمعت الشيخ الوالد يحكيها على نحو ما ذكرناه . هـ .

وقد علمت أن المناقب ذكرت فيها الصدقة كما تقدم عن تأليف المناقب والمعزى مبسوطاً وفى السابع والتسعين من الجزء الثانى من (نفح الطيب) فى ترجمة الشيخ تاج الدين بن حمويه السرخسي ما نصه : وذكر أنه أدرك الشيخ الولي العارف بالله سيدى أبا العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتى صاحب الحالات والكرامات الظاهرة والطريقة الغريبة والأحوال العجيبة . قال أدركته بمراكش سنة أربع وتسعين وخمسمئة وقد ناهز الثمانين ومهما حصل عنده مال فرقه فى الحال وتركته فى سنة ثمان وتسعين حياً يرزق ، وولي الله السبتى قد ذكرت فى غير هذا الموضع بعض أحواله فلتراجع فى الباب الثامن من ترجمة لسان الدين ابن الخطيب ، ومحله مقصود لقضاء الحاجات ، وقد زرته مراراً عديدة سنة IOIO .

وقال لسان الدين فى (نفاضة الجراب) عن السلطان الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر ونحن بفاس يخاطب الضريح المقصود المنهل المورود والمرعى المنتجع والخوان الذى يكفى الغرثى ويمرض المرضى ، ويقوت الزمنى ويتعداهم الى أهل الجدة زعموا والغنى ، قبر ولي الله سيدى أبى العباس السبتى نفعنا الله به وجبر حالنا وأعاد علينا النعم ودفع عنا النقم :

يا وليَّ الالاه أنت جواد	وقصدنا إلى حماك المنيع
راعنا الدهرُ بالخطوب فجئنا	نرتجى من نداك حسنَ الصنيع
فمددنا لك الأكفَّ نرجى	عودةَ العزِّ تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تربك الـزا	كى وزلفى إلى العليم السميع
كم غريب أسرى إليك فوافى	برضى عاجل وخير سريع

ياوليّ الله الذى جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات ، ورفع الأزمات ، وتصريفه باقياً بعد الممات ، وصدق نقول الحكايات ظهور الآيات ، نفعنى الله بنيتى فى بركة نربك ، وأظهر عليَّ توسلى بك إلى ربك ، مزق شملى ، وفرق بينى وبين أهلى ، وتعدّي علي ، وصرفت وجوه المكائد إلي ، حتى أخرجت من وطنى وبلدى ، ومالى وولدى ، ومحل جهادى ، وحقى الذى صار لى طوعاً عن آبائى وأجدادى ، عن بيعة لم يحل عقدتها الدين ، ولا نبوت جرحة تشمين ، وأنا قد قرعت باب الله سبحانه بتأميلك ، فالتمس لى قبولك ، وردنى إلى وطنى على أفضل حال ، وأظهر عليّ كرامتك التى تشد إليها ظهور الرحال ، فقد جعلت وسيلتى إليك رسول الحق إلى جميع الخلق ، والسلام عليك أيها الولي الكريم ، الذى يأمن به الخائف وينتصف الغريم ، ورحمة الله تعالى . وقول (نفح الطيب) فليراجع فى الباب الثامن الخ لعله تحريف من الناسخ ، فانه لم يذكرها فى الباب الثامن وإنما ذكرها فى الباب السابع بموحدة ، قال فيه فى صحيفة 354 من الجزء الرابع فى ترجمة ابن زمرك : وكان الغني بالله يعنى ابن الأحمر معتقدا فى الصالحين ، حتى أنه كتب وهو بفاس مخلوع إلى ضريح وليّ الله سيدى أبى العباس السبتي بمراكش من إنشاء وزيره لسان الدين على لسانه (ياوليَّ الالاه أنت مطاع) الأبيات والنثر بعدها ، وقد ذكرتهما فى الباب الخامس فراجعه ، وكان بفضل الله تعالى عنوان رجوعه إلى ملكه ، ونظم تلك الأماكن فى سلكه ، حتى حصل له من السعد ما لم يحصل لغيره حسبما يعلم ذلك من كلام لسان الدين ابن الخطيب وابن زمرك وغيرهما ، والسبتيُّ المذكور ، هو سيدى أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجى الوليُّ الصالح العالم العارف بالله القطب ذو الكرامات الشهيرة، والمناقب الكثيرة، والأحوال الباهرة ، والفضائل الظاهرة ، والأخلاق الطاهرة ، نزيل مراكش وبها توفي سنة إحدى وستمئة ، وولادته بسبتة عام أربع وعشرين وخمسمئة ، ودفن خارج مراكش ، وقبره مشهور مقصود باجابة الدعاء ، وقد زرته مراراً كثيرة ، فرأيت عليه من ازدحام الناس ما لا يوصف ، وهو ترياق مجرب .

قال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى كان سيدى أبو العباس السبتى رضي الله تعالى عنه مقصوداً فـي حياته مستغاثاً به فى الأزمات ، وحاله من أعظـم الآيات الخارقة للعادة ومبنى أمره عـلى انفعال العالم عن الجود وكونـه حكمة فى تأثير الوجود ، له فى ذلك أخبار ذائعة ، وأمثـال باهرة ، ولما توفي ظهر هذا الأثر على تربته ، وتشبث بلحده وانسحب على مكانه عادة حياته ، ووقع الاجتماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى النـاس مباشـرة قبره بالصدقة إلى بعثها له من أماكنهم عـلى بعد المدى وانقطاع الأماكن القصوى ، تحملهم أجنحة نياتهم فتهوى إليه بمقاصدهم من كل فج عميق ، فيجدون الثمرة المعروفة ، والكرامـة المشهورة وقال ابن الزيات الخ ثـم قال فى (نفح الطيب) ما نصه : وقـال ابن الخطيب القسمطينى فى رحلته : حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد أبى العباس أحمد بـن عاشر بمدينـة سلا وقد سأله بعض الفقراء عن كرامة الأولياء فقـال له لا تنقطـع الكرامة بالموت ، انظر إلى السبتى يشير الى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبى العبـاس السبتى المدفون بمراكش ، وما ظهر عند قبـره من البركات فى قضاء الحاجـات بعقب الصدقات ، سمعت يهودياً بـمراكش يلجأ لذكره وينادى باسمـه فى أمر أصابه مع المسلمين ، فسألته عـن سببه فأخبرنى أنه وجد بركته فى غير موطن ، فسألته عما بدا له فى وقت ، فقال لى وحق ما أنزل عـلى موسى بن عمران ما أذكر لك الا ما اتفق لى ، سريت ليلة مـع قافلة فى مفازة فعرجت دابتى فما شككت فى قتلى وسلـب مالى ، فجلست وبكيت وبينى وبين الناس بعد ، وقلت ياسيدى أبا العباس خاطرك قال لى والله ما أتممت الكـلام إلا والقافلة أصابهم سبب وقفـوا به ، وضربت دابتى وخف عرجها ثم زال واتصلت بالناس ، فقلت له ولم لا تُسلم ؟ فقال لى حتى يـريد الله تعالى وعجبت من كون ذلك اليهودى وهـذه شهادة من عدو الدين ، ولقـد وقفت على قبره مرات ، وسألت الله تعالى فـى أشياء يسر لى فيها سؤالى منها أن أكون ممـن يشتغل بالعلم ويوصف به ، وأن ييسر عليَّ فهمَ كتب عينتها ، فيسر الله تعالى علي ذلك فى أقرب مدة ، وكان السبتى آية فـى أحواله ما أدرك صحبته إلا الخواص من الناس ، وكان

أصل مذهبه الحض على الصدقة ، وكان أمره عجباً في إجابة الدعاء بنزول المطر واختصاصه بمكان دون آخر ، وقال لأصحابه أنا القطب ، وكان تفقه على أبي عبد الله الفخار ، ووقفت على قبره وله بركات وأنوار ، وكان السبتي آية في المناظرة وأوذي باللسان كثيراً جداً فصفح وتجاوز ، ورأى عبد الرحمان بن يوسف الحسني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يارسول الله ما تقول في السبتي ؟ قال وكنت سيء الاعتقاد فيه فقال لي بعد أن تبسم هو من السباق ، قال فقلت بين لي يارسول الله ؟ فقال هو ممن يمر على الصراط كالبرق ، قال فخرجت بعد الصبح فلقيني أبو العباس فقال لي ما رأيت وما سمعت والله لا تركتك حتى تعرفني ، فعرفته فصاح كلمة الصفا من المصطفى صلى الله عليه وسلم هـ . ببعض اختصار . وقال ابن الزيات الخ .

ثم نقل في (نفح الطيب) ما نصه : وقال ابن الخطيب وروضته بباب تاغزوت أحد أبواب مراكش غير حافلة البناء ربما يتبرع متبرع باحتفالها فلا تساعده الأقدار ، وزرتها فرأيت فيها أشياخاً من أهل التعفف والتصوف يسارقون خفية النظر إلى مساقط رحمات الله تعالى عليها لكثرة زائريها فيقحم ذو الحاجة بابها خالعاً نعله مستحضراً نيته ويقعد بازاء القبر ويخاطبه بحاجته ويعين بين يدي النجوى صدقة على قبره ويدسها في أواني في القبر معدة لذلك ، ومن عجز عن النقدين تصدق بالطعام ونحوه ، فاذا خف الزائر آخر النهار عمد القائم الى التربة الى ما أودع هناك في تلك الأواني وفرقه على المحاويج الحافين بالروضة ويحصون كل عشية ويعمهم الرزق المودع فيها وان قصر عنهم كملوه في غده ، قال ابن الخصيب لسان الدين وترافع خدام الروضة لقاضي البلد وتخاصموا في أمر ذلك الرزق المودع هناك فسألهم القاضي عن خرجه اليومي فقالوا يحصل في هذه الأيام في اليوم الواحد ثمانمئة مثقال ذهباً عيناً وربما وصل في بعض الأيام لألف دينار فما فوقها ، فروضة هذا الولي ديوان الله تعالى في المغرب لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته ، فالقبر يفيض ، واللجين يسيل ، وذو الحاجات كالطير تغدو خماصا وتروح بطاناً ، (يختص برحمته

مـن يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) وقال وانا ممن جرب المنقول عن القبر فاطرد القيـاس وتزيفت الشبهة وتعرفت من بدء زيارته ما تحققت من بركاته وشهد عـلى برهان دعوته هـ . وقال الشيخ أبو الحجاج التادلى الخ ثـم قال في (نفح الطيب) ما نصه : وحدث إبراهيم بن أبى يعمور أنه دخـل صحبة الشيخ سيدى أبى العباس السبتى الى الأمير السيد أبى سعيد عثمان يعوده فقـال له أدع الله لى أيها الشيخ ، فقال له ارجع الى الله تعالى حق الرجـوع بحيث تتحقق أنـه الممرض والمعافى واخرج عن بعض ما عندك مـن فضول الدنيا لأبناء الجنس لتكون ممن وقي شح نفسه فحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الـدعاء ثم التفت الى الحاضرين وقال فى المرض فوائد لا ينبغى أن تجهل الأولى معرفة قدر العافية، الثانية تمحيص بعض الذنوب ، الثالثة توقع الثواب، الرابعة تنقية الجسم مـن فضول الأخلاط ، الخامسة كثـرة ذكر الله تعالى والتضرع اليه ، السادسة حدوث الرقة والشفقة ، السابعة وهي العظمـى الصدقة والخروج عن رذيلة البخل هـ .

وحدثنا الكاتب أبو القاسم بن رضوان عـن أبى بكر بن منظور عن بعض أعيان مراكش إنه توفي وأوصى ابناً له كـان من أهل البطالة أن يعمد الي ألف دينار من متخلفه فيدفعهـا للشيخ سيدى أبى العباس السبتى وقال للشيـخ إن أبى توفي وأوصانى أن أدفـع لك هذه الألف دينار تضعها حيث شئت ، فقال له الشيخ قـد قبلتها وصرفتها إليك ، فقال له ياسيدى ومـا تأمرنى أن أفعل بها قال خدها قال فانصرفت من عنده وسؤت ظنـاً بقولـه ، ثم قلت وأنا أنفق مثل ذلك على عادتى فى الوجه الذى يَلذ لى ، فلأفعلن بها ما أفعل بغيرها ، فأخذتها فى محفظة وخرجت ألتمس الزنا فاذا امرأة عـلى دابة وغلام يقودها فـأشرت الى الغلام فقال لى نعم واتبعنى الى بستان لى ، فنزلت المرأة فأدخلتها إلى قبة كانـت فى البستان وأخذ الغلام الدابة وصار إلى ناحية وقال أغلق الباب ففعلت ثـم أقبلت الى القبة فـاذا المرأة تبكى بكاء شديداً حتى طال بكاؤها وبكيت لبكائهـا فقلت لها ما شأنك ؟ فقالـت إفعـل ما دعوتنى لأجله ودع عنك هذا ونحيبها يزيد ، فقلت لهـا إن المعنى الذى دعوتك لأجله لا يصلح معه البكاء ، بـل مع الأنس وانشراح الصـدر

وزوال الانقباض ورفع الخجل ، فقالت نترك البكاء ونرجع للأنس على ما
تحب ويوفي غرضك ، فقلت لا حتى أعلم سببَ بكائك وألححت عليها ،
فقالت أتعرف حاجب الملك الذى سجنه ؟ قلت نعم ، قالت فأنا ابنته ولم
يبق له أحد غيرى وقد سجنه الملك وأخذ أمواله فما زلت أبيع ما ترك أبى
وأنفقه عليه حتى لم يبق بيدى شيء ، فلما أعيتنى الحيلة فيما أنفقه ألجأت
نفسي ووقفت هذا الموقف وأنا بكر ما رأى لى أحد وجهاً قط ، فرميت
لها بالألف دينار وقلت لها والله لا قربت منك على هذا الوجه أبداً ، فأنفقى
الدنانير على والدك الى أن تنفد وابعثى لى غلامك أعلمه بمنزلى ولازمى دارك
واستمرى على صيانتك والا فضحتك ، وتريني والله ما أزال أبيع أملاكى
وانفقها على والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه ، ثم خرجت ألتمس
الغلام واذا بجماعة يطلبون البنت وقالوا إن الملك رضي عن والدها ورد عليه
ضياعه وأملاكه ووصله بعشرة آلاف دينار ، وقعد يلتمس بنته فلم توجد ،
فسقط فى يد الغلام الذى كان مع الدابة وظن أن الأمر على ما جرى بينى
وبين البنت ، فبادرنه وقلت له لا عليك فتجاهل فى خبرها حتى ينصرفوا،
ودخلت إلى البنت وقلت لها إن الملك قد رضي عن والدك ورد عليه ماله
ووصله ، فسيرى الى دارك فركبت دابتها وانصرفت فدخلت على والدها
فقال لها أين كنت ؟ وما الذى أخرجك عن دارك وهم بها ؟ فقالت له أخرج
عنى كلَّ مَن فى الدار ففعل ، فأخبرته أمرها مع الشاب من أوله الى آخره،
ورمت إليه بالألف دينار ، وقالت له هذا الذى أعطانى لأنفق عليك ، فقال
أبوها هذا والله الكبريت الأحمر ، والله لو كان أبوه كنافاً ما أنفت أن أزوجك
منه ، فوجه العبد الذى كان معها إلى الشاب ، وقال له إن سيدى يدعوك ،
قال فخفت أن يوضع عنده الأمر على غير وجهه ، ثم أقدمت إقدام مَن علم
براءة نفسه فدخلت عليه فقام علي وعانقنى وقد عرف لى مقامى ، فقال
أما الآن وأنت من أعيان الناس فقد قرتْ بك عينى ، وقال والله لو كان
أبوك كنافاً ما أنفت أن أزوجك منها ، فما قام من المجلس حتى وجه الى
العدول وأشهد على نفسه بأنه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب ونقدها عنه
الشطر الأول من العشرة آلاف دينار التى وصله بها الملك وأجل لها عنه

الشطر الثانى وأهدى لها من الحلي كذا وكذا ومن الثياب كذا وكذا حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقها على ذلك ، فحصل من إشارة الشيخ السبتى رضي الله عنه فى تلك الألف دينار أضعاف مضاعفة من الأموال وظفر ببنت صاحب الملك هـ . كلام (نفح الطيب)كله فى ترجمة الشيخ السبتى محذوفاً منه كلام (التشوف) لا غير .

وقال فى (كفاية المحتاج) : أحمد بن جعفر الخزرجى أبو العباس السبتى الولي الزاهد الغوث العارف بالله تعالى ، ذو الكرامات الظاهرة ، والأخلاق الطاهرة ، نزيل مراكش ، وبها توفي ، وقبره بها مجرب الاجابة والبركة ، زرته ما ينيف على خمسمئة مرة وجربت بركته مراراً هـ . نقل فى ترجمته عن ابن الخطيب وعن ابن الزيات وقد ترجم لنفسه فى آخر (الكفاية) وقال وقال بلدينا فى (الصفوة) ما نصه : فى ترجمة سيدى أحمد بابا السودانى بعد أن ذكر أنه رأى بخطه : رزته أي أبى العباس السبتى أزيد من خمسمئة مرة ، وكانت عنده بطاقة مختوم عليها اذا جاء للقبر يضعها عليها فيقول إنى أسألك ما فى هذه البراءة لأنه قد يحضر له بعض الملازمين ، وإذا كان يوم الجمعة لا تشاء أن تلقاه فى أي ناحية من المدينة إلا لقيته يطلب المزارات الكامنة ، واستخرج منها عدة من شدة اعتنائه ، وفى (نزهة الحادى) أن الشيخ الغوث سيدى أبا العباس السبتى رضي الله عنه رئي فى غزوة وادى المخازن جهاراً على فرس أنثى وهو يحض الناس على التقدم ، ولا يستنكر هذا فان الشهداء أحياء عند ربهم هـ .

وقال الشيخ زروق فى (عدة المريد) ثم بساط كل أحد فى ظهور كرامته على حسب حالته ، ومن ذلك انتفاع الناس بالسبتى رحمه الله فى باب العلل أكثر من غيره ، وجرت عادة الناس بالنذر لمقابر الصالحين ، وقد تكلم على ذلك الأيمة ، وظاهر كلام ابن عروفة جوازه . وقال فى (الصفوة) ما نصه : ومنهم الولي الشهير أبو عمران موسى بن علي المقعد المشهور على ألسنة العامة بالزحاف كان من الأفراد ومن سلمت بركته وثبتت كرامته ، وكان أصل أمره أنه نشأ وهو زمن وكانت له

أخت تحمله عـلى ظهرها الى موضع يتعرض فيه للسؤال ، فاذا جـن الليل حملته الى منزله فتركته ذات يوم اما ذهلت عنه وإما ملت من حمله ، فلما عسعس الليل مرَّ عليـه جماعة من الناس فظن أنهم من الأحياء فتعـرض لهم بالسؤال عـلى عادته فمروا ولم يلتفتوا لـه إلى أن قام رجل من أخرياتهم فقال لهم كيف أعرضتم عن هذا السائل ولـم تكترثوا به ؟ فقالوا لـه حين نبهتنا فأنت أولى مَن يقوم بواجبه ، فيقال إنه ثفل فى فيه ، وقيل انه أعطاه روحانيا وقال له هذا يتولى أمورك ، وقـال أنا أبو العباس السبتي فأصبـح أبو عمران وقـد خفقت على رأسه رايات الاشتهار وظهرت عـلى أسرته مخايل الأسرار ، وعـاد يحدث بكشوفات وأمور المغيبات فتظهر كفلق الصبـح ، فقصده الناس مـن كل جانب وازدحموا على زيارته من كل جهة ، وكراماته شهيرة توفي رحمه الله فـى عشرة السبعين ودفن داخل باب الدباغ بالباب الشرقي من مراكش ، ثـم قال ومنهم الفقيه المشارك أبو العباس أحمـد ابن الفقيه الموقت أبى عبد الله محمد الولتى المراكشى إمام أهل التعديـل والميقات فى وقته ، وكانـت له اليد الطولى فى علم الازياج والحدثان ، أخذ عن أبيه ، وكان عارفاً بهذا الشأن ومن المهرة فيه ، وكان أبـو العباس يحدث أن أباه حضر فى بعض الأندية يوماً فجرى ذكر علم الرصد والأحكام ، فقـال لهم ان الرجل اليـوم ليقدر أن يستعمل ما يتوصل به لابقاء الدول والمماليك إلى قيام الساعة ، فعزم على العناية بذلك ، فرأى فى نومه أنه حمل ليقطع رأسـه وهو ينادى هذا جزاء مَن يطلع عـلى حريم السلطان ، فلما كـان بالمجزرة المعدة للقتل اذا بالشيـخ أبى العباس رضي الله عنه جاء فقـال لهم اتركوا هذا الرجل عنكم فانه كان مدحني بقصيدة فخلوا سبيله فانتبه مرعوباً وكان قـد مدح قبل ذلك بسنين أبا العباس السبتى بقصيدة ، وكان صار صاحب الترجمة كأبيه موقتاً بجامع الحرة .

وقال العلامة سيدى محمد بـن موسى الناصرى فى كتابه (الـدرر المرصعة فى التعريف بصلحاء درعة) ما نصه : وله أي العلامـة الافرانى صاحب الصفوة أيضاً حسبما أنشدنيها بعض الطلبة يمدح القطب أبا العباس السبتى رضي الله عنه :

إن ترد نيل الأمانـــــي في سرور مع تهــــان
أو تكن في ضيق حـــال من ملمات الزمـــــان
زر أبا العباس تظفـــر دون شك بالامانــــــي
فهو غوث الناس طـــرا في عراق مع يمـــــان
وهو سر الله فينـــــا ما له في السر ثانـــــي
أعطِي التصريفَ حقــّاً في الورى انس وجـــان
وكساه الله عـــــزا عند قاصيهـــــم ودان
وله في الأرض صيـــت زاده تعظيم شــــــان
انما السبتيُّ ذخـــــر ومـــلاذ للمعانـــــي
انما السبتيُّ كنـــــز ليس بالانفاق فــــان
انما السبتيُّ بحـــــر ليس يفنى بالأوانــــي
يا أبا العباس جد لـــي واكفني ما قد عنانـــي
واقض حاجاتي وصنـــي من عدو قد رمانـــــي
يـــا وليَّ الله داوى علتي طال امتحانـــــي
للهوى أصبحت عبـــدا والهوى أصل الهـــوان
أطلب الدنيا وقلبـــي من هواها في افتتـــان
لا أنام الليل حزنـــا ان يضع لي درهمـــان
واذا من ديني شــــيء ضاع بات القلب هانـــي
كل طاعاتي ريـــــاء أو نفاق باللســـــان
يا وليَّ الله هـــــذي قصة العبد المهـــان
فاشفه مما اشتكـــاه دون بطء أو تـــوان
وصلاة الله تتــــرا دائماً في كــــل ءان
مع تحيات على مَـــن جاء بالسبع المثانـــي

وقال العلامة الهداجي في (الروض اليانع الفائح) ما نصه · ومن . بركاته يعني سيدي الصالح ما حدثني به سيدي المعطى أيضاً أدام الله وجوده عن الرجل المذكور اعلاه أيضاً وهو أخونا علي بن عامر قال يعني سيدي المعطى بقي الرجل يعني ابن عامر المذكور بجوارنا الى أن وقع

التكساب فرحـل لمراكش واستوطنها ثم لما أمر من لـه الأحكام بالمدينة المذكورة بالخدمة في الصهـريج الكبير ولحق أهل مراكش بسبب ذلك كلفة عظيمة ترك الرجل المذكـور أولاده بالمدينة المذكورة وقدم برأسه لأبـي الجعد فراراً من تلك الكلفة فبقي فيه نحو السنتين ، ثم أراد الرجوع لأولاده فقال للشيخ سيدنا الصالح ان كانت لـك معرفة بأحد هنالك أردت أن تكتب لي اليه وصيـة علي ، فقال له الشيخ نعم أكتب فلما عزم عـلى السفر كتب له كتاباً للشيخ الجليل العارف الكامل الأصيل سيدى أبى العبـاس السبتى نفعنا الله به ودفعه اليه وقـال له هذا الرجل ، وصل هذا الكتاب إليه ، قـال فلما وصلت للمدينة قبضني أهـل الخدمة بمجرد دخولي وأدخلوني السجـن الى أن دفعت لهـم الأربعة مثاقيل ، فقلت فـي نفسي هذه وصية الشيـخ علي ، ثـم لما خرجت من السجن وأنا سائر لداري ليلا فاذا برجل ينـادى علي يافلان ، فالتفت اليه فناولني صرة ولم أجده ففتحتها فاذا فيهـا العدة التى أعطيتها لأهل الخدمة من بركاته نفعنا الله بـه ، قلت وهذ مقامهم رضي الله عنهم في اخفاء السر وعدم افشائه ، فقد كان بعضهم يسأل ربه أن يبره ويكرمه ، فقام ليلة لاحيائها ، فنظر اليه بعض أصحابه فرأى فوق رأسه قنديلا معلقاً من النور بشعاع لناظريه فقال له في ذلك فقال :

ياصاحب السر إن السر قد ظهرا   ولا أريد حياة بعدما اشتهـــــرا

ثم سجد فقبض في سجوده رضي الله عنه ثم قال بعد ذلك بكراريس

ومـن كراماته نفعنا الله به ما حدثني به الفقيه الاجل الدين الخير الأمثـل محبنا فـي الله عز وجل سيدى أحمد الفتوح رحمه الله تعالى قال أخبرنـا الشيـخ سيدنا الصالح نفعنا الله به أنه رأى رؤياً في صغره وقصها عـلى والده الولي العارف الجليل سيدى محمد المعطى فـي حياته وذلك أنه قـال كنـت نائماً فرأيت الشيخ أبا العباس السبتى جـاء راكباً على فرس عال مع جماعة من الصالحين وهـو في وسطهم كالمنار من شدة علوه ، فقـال لى قل لوالدك يتكلم الى الملك وفتـح تكة السروال وأخذ يوسعها حتى صارت مقدار الدنيـا كلها وقال لى هنالك درجة لا تنال إلا بالبلاء ، فلما قصصتهـا عـلى والدى قال نعم ياولدى نتكلم الى الملك فأخذ في التجهيز وعـلى أهبة

السفر الى مراكش حرسها الله وأخذ كفنه معه فمات فى تلك السفرة رحمة الله عليه ودفن بباب الدباغ وقبره بها معروف وبدفع الاسقام مشهور مألوف، وقد كان رضي الله عنه بعث فى حياته للشيخ البركة المقتدى به فى السكون والحركة سيدى محمد بن ناصر الدرعى يسأله يبعث له كفناً سنياً لنفسه يعده ليوم حلوله فى رمسه فبعث له الشيخ ثوب احرامه مبالغة فى تعظيمه واكرامه ، وقال له رضي الله عنه كنت ادخرته لنفسى وأنا آثرتك به عليها وبه كفن رضي الله عنه ثم بعد وفاته ظهرت على ولده المذكور الأغر المبرور صاحب الرؤيا أعلاه أشرق الله فى سماء المعالى أقماره وسناه أسرار الخصوصية ومازال والحمد لله يترقى فى درجات المحبوبية الى أن ظهرت عليه إمارة العارف الكبير والعالم الشهير سيدى أبى العباس السبتى المذكور أولا فنزلت بجسمه الكريم علل كثيرة هي بفضل الله بنيل الدرجات كفيلة تزيد على الخمسين مع الصبر والرضى والتسليم لمن بيده الأمر والقضا ، هـ . واعلم أن هذه الرؤيا كررها فى الكتاب المذكور ثلاث مرات وذكرها أيضاً فى (يتيمة العقود الوسطى) وراجع قصائد فى (الروض اليانع الفائح) فيها ذكر التوسل بالشيخ أبى العباس السبتى وغيره من صلحاء مراكش كالقاضى عياض والامام السهيلى وغيرهما ، وقضية الطيور التى أعطاها شيخه للصبيان مع سكين وطير لكل صبي فذبحوا كلهم حيث لا يراهم أحد كما أمرهم الشيخ الا أبا العباس رضي الله عنه فانه رد الطير قائلا ما من موضع الا رأيت ربى فيه يرانى المتقدمة عن (المعزى) ذكرها أيضاً الشيخ سيدى أحمد بن مبارك فى (الابريز) ، وكذا الشيخ جسوس على (الرسالة) عند قولها وهو فى كل مكان بعلمه وان لم يعين الشيخ جسوس الصبي فقد عينه غيره .

وقال الفقيه سيدى محمد بن عبد الكريم العبدونى فى (يتيمة العقود الوسطى فى مناقب أبى عبد الله سيدى محمد المعطى ومناقب أبيه سيدى محمد الصالح الطيب الشيم والخطا ، ومناقب آبائهما وأجدادهما المشهورين صلحاء المغرب بالولاية والصلاح وكمال التصرف فى الأخذ والعطا) حاكياً عن الشيخ سيدى المعطى شيخه فيما قاله فيه ما نصه : وأنت معى

كالشيـخ أبي العباس السبتي مع سيدي مسعود هـ . وسيدي مسعود هـذا هـو خديم الشيخ أبي العباس المشهور على ألسنة الناس انه صاحب الدار المتقدمة عـن (المعزى) بإبهام اسمه .

وقال في (اليتيمة) أيضـاً وقد ذكر الشيخ الامام رئيس الأيمـة الاعلام سيدي الحسن بن مسعود اليوسي في بعض تآليفه يعني (المحاضرة) مَن لهم التصرف في المغرب بعد وفاتهم ثلاثة : الشيـخ أبو العباس السبتي والشيـخ عبد السلام بن مشيش بفتح الميم وفي روايـة بشيش بالباء ذكرها الشيخ أحمد زروق في شرح الصلاة المشيشية ، والشيـخ أبو يعزى يلنور ابن عبد الرحمان الهسكوري وفي رواية الفرجي ذكره سيدي أحمد بن قاسم الصومعي التـادلي في بعض تآليفه يعني (المعزى) ، أمـا الشيخ أبو العباس السبتي فله التصرف في أمور الدنيا والله أعلم ، وأما الشيخ عبد السـلام بن مشيش ففي أمور الآخرة ، وأما الشيـخ سيدي أبو يعزى ففي أمور الدنيا والآخرة ، ثم قـال بعد ذلك هذا في الغالب فقط هـ .

وقال في (اليتيمة) عـن الشيخ الأكبر سيدي المعطى صاحـب (الذخيرة) التي فـي نحو ستين مجلداً كما فيها ما نصه : وقد سمعت منـه بعض الأيام وهو جالس مع الفقهاء أنه قال للفقيه المحترم الوجيه المعظـم أبي العباس سيـدي أحمد بن محمد الشاوي الزراري في حال المباسطـة مسكين مسكين سيدي أحمد الشاوي يظنني أني مـن فقراء هذا الزمان وأنـا لست كذلك ، بـل أنا من أقران الشيخ أبي العباس السبتي والغزالي وأمثالهم ان حللت فمي يبقى فك حنكي الأسفل في الأرض ويصـل الأعلى الى السماء قلت والأولياء لا يمازحون ، بل كل ما قالوه حـق لأنهم على قدم النبوة ، والنبي صـلى الله عليه وسلم كان يمازح ولا يقول الا حقاً هـ . وقضية أهـل وهران المتقدمة عـن (المعزى) ذكرها في (اليتيمة) بمخالفـة يسيرة ونسبها لمن ألف في مناقب الشيخ أبي العباس رضي الله عنه .

وقال شيخنا العلامة، أبقاه الله بالسلامة (1) في (سلوة الأنفاس) في 55

---

1) يعني الشيخ محمد بن جعفر الكتاني صاحب سلوة الأنفاس .

من الجزء الثالث ما نصه : ومنهم الولى الصالح الأنصح، العارف الأفلح، ذو القدم الراسخ وجبل الفضل الشامخ ، سبتي زمانه ، وفريد عصره وأونه ، المسن البركة الواضح سيدى الصالح بن الحاج محمد ابن الطيب البنانى كان رحمه الله فاضلا صالحاً بركة واضحاً حلو الشمائل جليل الفضائل يركب على فرس أنثى ويدور فى الأسواق يسأل الأغنياء ويعطى الضعفاء والمساكين والفقراء ، وكان له فى الايثار والسماح والجود القدم الراسخ والمكان المحمود وظهرت له فى ذلك بركات وعجائب وكرامات حج رحمه الله مع الشيخ سيدى الحاج العربى الوزانى ويحكى عنه أنه لما وصل للمدينة المنورة طلب من الله أن يريه المصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة فاستجاب الله دعاءه وحصلت له الرؤية المذكورة ولما اجتمع به قال له يارسول الله أريد منك أن مَن خالطنى أو خالط ذريتى يعطى خير الدنيا والآخرة ، وقال له صلى الله عليه وسلم هكذا يكون إن شاء الله ويذكر أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بالقرويين بسارية هناك قريبة من الثريا الكبيرة نحواً من ثمانين مرة ما بين يقظة ونوم ، وكان يقول درهم سيدى أبى العباس السبتى بعشرة ، ودرهمى بألف ومَن جرب أصاب ، ومَن كذب خاب ، مفاتيح الرجال التجاريب ، ويقول مَن وقف على قبرى قضيت حاجته ويقول أيضاً أعطانى الله عز وجل التصرف حياً وميتاً وكثيراً ما كان أهله يصنعون الطعام فيجيء السائل فيخرجه إليه ويتركهم خالين بلاشيء ويرغبهم فى ذلك حتى تنشرح نفوسهم ، وكان الضعفاء والمساكين والفقراء يتواردون عليه منهم مَن يقول خصنى كذا ومنهم مَن يقول كذا فلا يرد أحداً منهم خائباً يعطى ما عنده ويسأل ما ليس عنده ويعطيه لمن طلبه منه ، كان الملوك يرسلون له بالعطايا الجزيلة ، ويفرقها ساعة وصولها بتمامها ، ولا يترك لنفسه ولا لأهله منها شيئاً مع احتياجهم ، والحكايات عنه فى هذا لا تنحصر كثرة ، توفي رحمه الله عن سن عالية بعد أن مضى له من العمر نحو من المئة عام وعشرة أعوام يوم الاثنين رابع وعشري شعبان الأبرك عام سبعين ومئتين ، ودفن قريباً من صاحب الترجمة قبله من ناحية باب قبته وقبره مزدج ليس عليه الآن بناء ولا غيره ، وحلف ولده سيدى عبد

القادر بناني فكانـت له أيضاً يد في الصدقة والمعروف ، وكان خيراً ديناً صالحاً يتهمه كثير بالخير والبركة وربما حدث بعضهم ببعض الكرامات عنه وكان يأوى الى مولانا ادريس رضي الله عنه ويتردد الى ضريحه لزيارته ، توفي رحمه الله سابع عشر رمضان المعظم عام ستة وثلاثمئة وألف ودفن قريباً من والده أمامه بينه وبينه نحو من قبر واحد وقبره أيضاً مزدج .

(تنبيه) :

أبو العباس السبتى المذكور هو الشيخ الفقيه الامام العلامة الهمام العارف المحقق الكامل المدقق أعجوبة زمانه وفريد عصره وأوانه ذو الكرامات البينات التى لا تحصى والآيات الباهرات التى لا تستقصى القطب الرباني والنور اللامع الساطع الايقانى أبو العباس سيدى أحمد بن جعفر الأنصارى الخزرجى السبتي الأصل المراكشي الوفاة ولد رحمه الله بسبتة سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، ثم انتقل منها لمراكش سنة أربعين وهو ابن ست عشرة سنة فقطن بها وكان آية فى أحواله له عجائب وغرائب فى إغاثة الملهوف ، وأعماله كلها مبنية على الفتوح والصدقة والحث عليها ، وكان مجاب الدعوة وظهر على يده من الكرامات ما لا يحصى ، وكان يقول لأصحابه أنا القطب ، تفقّه على يد أبى عبد الله الفخار السبتى تلميذ القاضى عياض وكان آية فى المناظرة وأوذي باللسان كثيراً جداً فكان يصفح ويتجاوز ، وشِي به عند المنصور فأرسل وراءه فلما كان فى الطريق اشترى رغيفاً وتصدق بشطره على انسان وبالشطر الآخر على كلب ، فلما وصل الى السلطان قال له ما الذى فعلت وكان قد أخبره بما فعل مَن كان معه ، فقال له أيهما أعظم ؟ غضبك أو غضب جهنم ؟ قال غضب جهنم ، قال فاذا كان غضب جهنم يتقى بشق تمرة فكيف بغضبك ، ورأى عبد الرحمان بن يوسف الحسنى من أهل البيت الكريم النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت يارسول الله ما تقول فى السبتى وكنت سيء الاعتقاد فيه إلى آخر القصة المتقدمة ثم قال وكراماته بعد وفاته مثلها فى حياته أو أكثر ر الدعاء عند قبره مستجاب وقضاء الحاجات لمن ينذر له شيئاً من الصدقات أمر مستفيض حتى

عند كثير من اليهـود والنصارى ، ومناقبه جمة وقد أفردت بالتـأليف رضي الله عنه ونفعنا به هـ . أفردها الناس بالتأليف من عصره إلى هلم جراً وممن أفردهـا بالتأليف العلامة البوجمعوى فى نحو خمسة عشر كراساً شحنهـا بقصائد الأمداح ، وقال القاضى أبو بكر فى تقييده ومناقبه وكراماتـه رضي الله عنه لا تحصى منها جملة فى (التشوف) وجملة وقفت عليها فـى تقاييد فقيدتها بيدى فى غير هذا فلا نطول بهـا ولو أفشيت ما وقع من كراماته فى خصوص نفسى لجعلت ذلك كراريس متعددة لكن الغرض من هذه العجالـة انما هو ذكر وفيات سبعة رجال فقط كما قدمنا أولا .

وقال فى (المجد الطارف) فاذا وصلت مقام الشيخ يعنى أبا العباس السبتى فانك تجد بالباب عن يمينك فى مصراعه هذا البيت مكتوباً بالتزليج:

على بابنا قف عند ضيق المناهـج   تفوز بأعلا القدر من ذى المعـارج

وفى المصراع الثانى على اليسار :

ألم تر أن الله أسبغ نعمـــــة   علينا وأولانا قضاء الحوائـــج

وقد ضمنت معنى هذين البيتين فى بيتين من قصيدة فائية امتدحته بها فقلت أخاطبه :

وعند ضيق مناهج ببابكـــم   مسطر شارح صدر الذى وقفـا
والله أسبغ نعماه عليـــك وأو   لاك الحوائج تعظيما بغير خفـا

ثم قال بعد كلام ولنا معه أمور باطنية ذكرناها فـى ترجمته يعنى السبتى رضي الله عنه من كتاب (الارتجال) .

قال مقيده عباس وقاه الله من كل بأس ذكر لى الشريف الوجيـه الفقيه النبيه المذاكر الثقة سيدى الحاج عبـد السلام اليعيشى أنه سمع من الفقيه العـلامة سيدى العربى بن عبـد الله الادريسى اليعيشى الـذى كان قاضياً ستين سنة عـلى بنى مسكين وتادلة والسراغنة أن شيخه الولـي

الصالح سيدى العربى بن الولي الكامل سيدى المعطى صـاحب (الذخيرة) قال لـه أنت صاحب السلطان وبين له أن المقصود به الشيخ أبـو العباس السبتي ، فصار سيدى العربى القاضى المذكور يزور أبـا العباس كل سنة ويجد قبته كديوان السلطان فيه أرباب الخطط ، مات القـاضى المذكور فى أوائل العشـرة الأخيرة من القرن الثالث عشر كما ذكر لى أنه أخرج لـه شاشية وقال انها للشيخ سيدى العربى أعطاها له وكـانت فى محل واحترق ولم تحترق هي وانه خاطبه فى بعض الأيام بلفظة القاضى ولم يكـن إذ ذاك قاضياً فقال له لا أراك الا قاضياً فكان كذلك ويذكر عن سيدى العربى بـن المعطى أنه رأى الشيخ أبا العباس السبتي ماداً يده للزائرين يقول أعطونى ، وفى مناقبه ألف حفيده الفقيه سيدى الحاج العربى بن داوود كتابه المسمى بـ (الفتح الوهبي ، فى مناقب الشيخ سيدى العربى) ، وقال سيدى العربى الشرقاوى المذكور نفعنا الله به :

حقـق الله ظـن حـب ودود	أجاد مدحه لنا وأطـالا
ظن انى من الذين أطاعـوا	والضد دابهم مقالا وحـالا
والبكا والدعاءُ فى الليل شـأن	لهم لم يزل سواه محـالا
غير أنى بحال نفسى عليـم	لست أطمع أن أنال محـالا
بل أنا عبدهم وانى محـب	بهم أرتجى أنال الكمـالا
حبهم مذهبى وفرضى ونفلـى	وهو فى القلب كامن لن يـزالا
حيثما خيموا فخديٌ نعـل	لهمُ وبذا أنال الوصـالا
سيما سبعة رجال كـرام	بمراكش قد أناخوا الرحـالا
قد حباهم إلاهُهم كلٌ فضـل	وكساهم بين الأنام جـلالا
صاحب الغار سيدى ابن علـي	يوسف من إلى المعالى استطـالا
وأبو المفضل من شفا بشفـاه	كل قلب الى المعارف مـالا
والشيخ أحمد الذى هو يدعـى	أبا العباس فى المواهب جـالا
والشريف الامام نجل سليمـا	ن الذى نوره هنا يتـلالا
والسيد التباع ذو الفضل والسؤ	دد الذى من علا منه نـالا
والغزواني ذو المفاخر والمجـ	ـد الذى فى الورى به قد صـالا

والسهيلي ذو المكارم والعلـــــ ـــم الذى عنه دائماً ما مـــــالا
نورهم طالع على كل أفـــــق يخجل البدر مشرقا والهـــلالا
انى وحقهم محب علاهـــــم وفى مدحهم أجيد المقـــالا
ليتنى كنت زائراً كل وقـــت لهم والسرور لى يتـــوالا
فلتجد أيها المحب علينـــا بالدعا عندهم وخل المطـــالا
والله يمنح الجميع رضاهـــم فرضاهم يزين الأحـــوالا
والله يختم الأمور بخيـــر للجميع ويذهب الأهـــوالا
بالنبيء الرسول خير البرايـــا مَن به ربنا العثار أقـــالا
وعليه من العبيد صـــلاة تمنح رحمة الالاه تعـالـــى

وهي أربعة وعشرون بيتاً قيدتها كما وجدتها بخطى منذ أزمـان ، وراجـع (كشف الظنون) فى الكلام على الزايرجة ومقدمة ابن خلدون فيهـا وصحيفة تسعة ومئتين من الجزء الأول من (الاستقصا) .

ثم اعلم أن من كرامات أبى العباس السبتى رضي الله عنه أن بعض مَن كـان يمد يده فى مال الربيعة رآه مناماً خرج من القبة فيلا عربياً وصـار يضربه عـلى بطنه ويستغيث به المضروب ويقول له إنى أعرفك خيـراً فلا يلتفت إلى كلامه ففى صباحه أصبح بطنه منتفخاً ومازال ينتفـخ الى أن مات بعـد نحو سبعة أيام بعد أن طولعت له (حياة الحيوان) ليعلم تعبير الرؤيا فرأى المطالع فيها ما يدل على موته وكتمه عنه ، ووقعت هذه القضية فـى شعبان عام 1316 أجارنا الله تعالى من مكره ، ثم إن الميت المذكور رءاه بعضهم بعد موته فى حالة حسنة والظن بالله تعالى جميل أن يعاملنـا بمحض فضله وكرمه ونص المقصود من (حياة الحيوان) ومن افترسه فيل نزلت به آفة من سلطان وان كان مريضاً مات هـ .

ورأيت بخط الفقيه ابن إدريس وزير أمير المومنين مولانا عبـد الرحمان رحمهما الله تعالى ما نصه :

الحمد لله ولكاتبه أيضاً عفا الله عنه على لسان أمير المومنين فى مدح قطب العارفين سيـدى أبى العباس السبتى واستمطار جدواه واستنشـاق نفحاته ورياه :

ذكر الالاه ذخيرة الأكيـــــاس ومطيب الخطرات والأنفـــاس
وتقى المهيمن خير' ما ادخر الفتى والعلم أفضل حلية ولبـــاس
ومحبة الصلحاء سر ظاهـــر ووسيلة للقرب والايـنـاس
حضراتهم قدسية وعلومهـــم وهبية من غير مـا دراس
وحماهم للملتجي والمرتجـــى أمن" ويمن" فى الندا والبـاس
أنسوا بأوصاف الحبيب وذكـره وأداروا خمر الصدق فـى أكواس
قد عتقت قبل الوجود وروقـت بالسر والاخلاص والقسطـاس
مَن ذاقها عاد الوجود باسـره فى أسره وغدا الجميع مـواس
ويروح شاربها فريد زمانـه فى العلم بالأصناف والأجنـاس
كم منتش رفض الوجود لأجلهـا وغدا بحضرته من الجــلاس
ومتيم قد أسكرته وسالـك نجته من هم ومن وسـواس
ملك الولاية لا يزول نعيمـه والأولياء وسيلة الأكيـاس
فاقصدهم' تنل السعادة والغنـى لاسيما الأرضى أبا العبـاس
سلطان مراكش ومظهر سرهـا وضياؤها المغنى عن النبـراس
مولى المناقب كالثواقب قد بـدت بسما المغارب دون ما إلبـاس
متصرف بالله فى قصـاده يعلي ويخفض مَن يشا ويواسـى
بحر لعمرى بالمكارم زاخـر تجرى عوارفه بغير قيـاس
غيث لأنواع البرية نافـع غوث لأصناف العلا بـل ءاس
بدر بآفاق الولاية كامـل جبل لعمرى بالمعـارف راس
ياسيداً قصاده فى رفعـة وكرامة ومجانب فى يـاس
خرق العوائد عند قصدك ظاهـر ونداك مورود بلا حـراس
ونزيل بابك بالمواهب فائـز والملتجى لك بالمفاخر كـاس
كم حاجة قضيتها وكرامـة أبديتها ومزية للنـاس
ولكم وضيع منكم نال العـلا وفقير قد نجيت من إفـلاس
وأغثت كم من ضارع وأعنت كـم من عاجز وألنت كم من قـاس
أيطيق حصر علاك مع إعجـازه قلم يخط النقس فى قرطـاس
لكنما هذى المدائح تحفـة تزهى الكريم وتوقظ المتنـاس

إنى قصدتك والرجا بك صـــادق ... ان تسعد الراجى لكم وتواســـى
وتنيلنا من فضل ربك نفحـــة ... تدنى القصيّ وتستلين القاســـى
وتمدنا بعناية ورعايـــة ... يهدى بها للرشد بعد شمـــاس
وأروم من ربى صلاح عبـــاده ... وهداهم للرشد والقسطـــاس
وبكم أنال توصلى بتوسلـــى ... فبجاهكم كل الأمانى تواســـى
فاقبل وذد وارفع ودافع واعتنـــى ... واعطف ووال المكرمـــات وواس
يارب وفق كل خلقك واهدهـــم ... وأزل حجاب الشك والاليـــاس
واجعل خلافتنا عليهم رحمـــة ... وسلامة وهداية للنـــاس
ثم الصلاة على النبيّ وآلـــه ... وصحابه أهل الندى والبـــاس
ما فاح زهر الحمد فى روض الثنا ... فزرى عبير نسيمه بـــالآس
وتنسمت روح القَبول مع الرضى ... أرواحنا حقاً بغير إيـــاس
وترنم الداعى بمدحة صـــادق ... ذكر الالاه ذخيرة الأكيـــاس

انتهت بحمد الله .

وله أيضاً رحمه الله :

إنى نزيلك ياأبا العبـــاس ... لا أبتغى بدلا بكم فى النـــاس
باب المهيمن أنتم مَن حلـــه ... لا يخش طول حياته من بـــاس
تفنى الدهور وفضلكم لا ينقضـــى ... للمعتفى من سائر الأجنـــاس
ثبتت إغاثتكم لملهوف ومـــن ... أزرى به مثلى الزمان القاســـى
جار لكم يبغى العوائد لم تـــزل ... معهودة بشهادة الاحســـاس
حاشى لمجد علاكم حرمان مَـــن ... بسط الأكف لما لكم فى الكـــاس
خلف أتى يروى على سلف مضـــى ... فضلا لكم لا ينتهى بقيـــاس
دارك بلطف ياأبا العباس مَـــن ... قد بات ساهر ليله العسعـــاس
ذابت حشاشته بمطل قد أتـــى ... منه على ضرب من الوســـواس
رفض الوسائط ما عداكم فى الورى ... اذ أنتم للكل منه الـــراس
زالت كروب المستغيث بجاهكـــم ... يانخبة الابدال والاجـــراس
طرز الولاية أنتم وعمادهـــا ... وضياؤها المغنى عن النبـــراس

ظني بكم حسن وقصدي ان أرى ... بمراد منكم طيب الأنفاس

كسب المعالي أروم يابحر الوفا ... وكشوفكم تغني عن القرطاس

لو لامني اللوام فيها أجبته ... بحكاية تعزى الى مدراس

غوثاً على عجل لمن قد جاءكم ... يبغي قضاء مراده الوعاس

مفتاح باب الحاج عندك حاضر ... فافتح لحاج قبل رجف إلياس

أنزلت سؤلي في فنائك أرتجي ... ما يرتجي مَن جاء للاكياس

قل هاك ياقوت الجمال ومثلكم ... يعطي اليواقت مع جلوس كراسي

مالي براح عنك ياغوث الورى ... حتى يغرق نيلكم مقياس

أنت المؤمل في المقاصد والذي ... أبني عليه في الأمور أساس

دارك بعطف مرتجي أندائكم ... حتى يئوب بقصده المتناس

فلطالما حركت أرحاماً غدت ... من بعد عطف كالحديد القاس

ولطالما قرعت يدي أبواب مَن ... أرجو شفاءه كالطبيب الآس

حتى يئست فجئت بابك قاصداً ... يامَن يقود القصد بعد شماس

فاقت مآثرك الرمال فمَن لها ... بالعد يحصي ياأبا العباس

جد جد بعطف كامل ومكمل ... حتى يشيع ثناؤها في الناس

واقبل مدائح مَن أناخ ببابكم ... قلق الفؤاد فأنت طود راس

هبت عليك من المهيمن رحمة ... يسري سناها لساكن الارماس

ما أم بابك مَن تعسر أمره ... فأتاه ريح النصر بالايناس

ثم الصلاة على النبي وآله ... وعلى الصحاب العاطر الأنفاس

وله أيضاً :

تخذتُ محبةَ الصلحاء حصناً ... فنلت بحبهم عزاً وأمنا

وألبسني سعودهم برودا ... من التوفيق نلت بهن يمنا

فانهم لفضل الله باب ... وبابهم لأهل الخير مغنى

ولاسيما أبا العباس من قد ... سما بين الورى حسا ومعنى

هو السبتي مشهور المزايا ... مواهبه على الصدقات تُبنَى

هو القطب الذي حاز المعالي ... ونال بربه عزاً وحسنى

هو الغوث المغيث لمَن دعاه ... وان بعدت منازله فحنا

هو البحر الزلال لوارديــــه | فلا يلقون تكديراً ومنــــا
له سر التصرف فى البرايــا | بقولة كن فكم أغنى وأقنــى
وكم ذى ذلة قد نال عــزا | وذى خفض غدا للرفع يبنــى
وكم صعب ييسره عـــلاه | وكم قاص من الآمال يدنــى
مقام ضريحه للناس أمــن | وروضته بها الآمال تجنــى
أبا العباس قد أنزلت رحلــى | حماك وقد تخذت علاك حصنــاً
أبا العباس أنا لكم ضيــوف | وأنت بحاجة الأضياف تعنــا
أبا العباس كيف يخاف عبــد | بجاهك قد تترس واستجنــا
أبا العباس أنت لنا مــلاذ | فهل نخشى وحصنك قد نزلنا ؟
أبا العباس أنت لنا معــاذ | فكن فى سائر الأحوال عونــا
بجاهك نرتجى نصراً وفتحــا | وتمكيناً وتوفيقاً وصونــا
وتيسيراً لاصلاح الرعايــا | وأرزاقاً ميسرة ويمنــا
وستراً شاملا دنيا وأخــرى | وعزاً كاملا وعلا وحسنــا
وكبت ذوى الدعارة والأعــادى | وأن يلقى ذوو الاسواء حينــا
وصلى وسلم المولى تعالــى | على خير الورى المبعوث أمنــا
وآله والصحابة ما تلونــا | تخذت محبة الصلحاء حصنــا

ورأيت للفقيه سيدى محمد بن دح أحد عشر بيتاً فى التوسل بأبى العباس ، وللفقيه ابن الصغير خمسة أبيات فى ذلك ، ولغيرهما هائية فى واحد وعشرين بيتاً وعينية فى خمسة عشر بيتاً ، تركت الجميع مخافة الطول واستغناء بما ذكرنا .

(تنبيه) :

ينشد بعض الناس اليوم هذه الأبيات هكذا :

ألا عرج على بابى فانــى | سخيٌ لا أخيب مَن أتانــى
وواصلنى إذا ما هال هــول | ترى الفرج الجليٌ بلا توانــى
ومرغ فى مقامى الخد وابشــر | بما تهواه من نيل التهانــى
أنا السبتى الذى قد طاب أصــلى | وقربنى المهيمن واجتبانــى

أنا الطود الذى قد بان فضـــلى ... وزال الران بى عمن رءانـــى
أنا الليث الهصور بغير شـــك ... أذود الروع عمن جاء جانـــى
أنا الروض الأريض هلم نحـــوى ... فما لى فى الندا والجود ثانـــى
أنا فخر الهُداة بكل قطـــر ... أنا العز المؤمل فى الهـــوان
فكم فرجت من كرب وهـــم ... وكم فككت بعد اليأس عـــان
وكم طهرت من قلب فاضحـــى ... بعيد البعد من مـــولاه دان
فحطّ الرحل وانزل فى مقامـــى ... همام عزّ بين الناس شأنـــى
وقد أولانى ما أهواه ربـــى ... ومن كأس الصفا أيضاً سقانـــى
فيا مَن رام أن يحظى بســؤل ... أنا مفتاح أبواب الأمانـــى
فلا يخطر ببالك غير أنـــى ... سخيٌّ لا أخيب مَن أتانـــى

أصل هذه القصيدة للولي الصالح القطب الواضح سيدى الصالح الشرقاوى فى جده سيدى محمد الشرقى الغوث الأكبر ، فبدل بعض الناس محل الشرقى بالسبتى ، ولما مدحه بهذه القصيدة رآه مناماً بعد عشر سنين وقال له كل ما مدحتنى به فى تلك القصيدة من الأوصاف أعطاكه الله وزادك مقاماً فوق ذلك فأخرجها سيدى صالح لأصحابه وحدثهم بذلك فصاروا يمدحونه بها ويطلبون منه ما قال فيها فكل مَن سأله شيئاً بها قضاه الله كما فى (يتيمة العقود الوسطى) وذكر هذه القصيدة ، أيضاً فى (المرقى) اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبحرمة أصحابه وحرمة أوليائك كلهم احشرنا فى زمرتهم ومُنَّ علينا بالعتق من النار وأسكنا معهم من غير مناقشة ولا حساب ولا توبيخ ولا عتاب وجد علينا بالعفو والعافية واللطف والستر فى هذه الدار وفى تلك الدار ياأكرم الأكرمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

(خاتمة) :

نقل فى (الارتجال) عن (الفتوحات المكية) فى خمسة مواضع أنه قال مؤلفها رضي الله عنه دخلت مراكش فوجدت أبا العباس السبتى يولى ويعزل ويخفض ويرفع ويعطى ويمنع فتمنيت هذا المقام فدخلته عند

الظهر وخرجت منه عنـد العصر هـ . وكتاب (الارتجال) المنقـول منه هنا ذكـر مؤلفه العلامة سيدى محمد الأمين بن عبـد الله الحجاجي الجعفـرى الحسنى أنه ألفه فـي وفيات رجال هذه الحضرة المراكشية التى برقم حلل كرامات أوليائها موشية وبسبب دعائهم قبل نشأتهـا صارت منشية ، كمـا أخبرنا به بعض أوليـاء الله تعالى من أهلها ثم قال وقد كان بعض طلبة العلـم المعاصرين صنع تاريخاً جديداً لم يصنه من شين الهجاء ، بـل صيره ميداناً لا ضاحك للسفهاء فمجته من هذا أهـل الذوق السليم ولسعته الحذاق بمـا هو أوجع من لذع السليم وجدير لمـن تعرض لهتك الأعراض بالاغـراض أن يرد عليه ويقمع بمعراض الاعتراض ، ثم قال وقد سميت هذا الكتاب بكتاب (الارتجال ، فى مناقب ومشاهد سبعة رجال ، وما اشتهـر فى مراكش أو دخلها مـن مشاهير صلحاء الرجال) وكل مشهد مشهور فى طريق زيـارة السبعة الشهيرة أو قريب من الطريق بحيث تأتيه طائفة الزوار أو تستفتح له حالـة مسامتتهم لمقامه ووعد بذكر طرف من خبر الملوك وتفسيـر اللغات الغريبة وانه يختم الكتاب بخاتمة سماها بالمنهج المختار والكوثر المـدرار فـى مناقب الشيخ المختار وأشياخه الأخيار الأبرار ثـم انه ترك تمام هـذا الكتاب واشتغـل بتأليف مقدمته التى أكثر فيها من الاستطراد ، وقـد نقلنا منها أيضاً وسبب تأليف تلك المقدمة سؤال صاحب (الاستقصا) له لمـا أطلع على ما خرجه من الارتجال عـن أولية سبعة رجال وسبب تسميتهم بهـذا العلم المشهور ووقت شهرتهم به فأجابه بما ذكره فـى تلك المقدمة ، وقـد بحثنا معـه بما بيناه فى مقدمة شرحنا هـذا وذكر فى الارتجال أنه قال له الولي سيدى عبد القادر العلمى إنه مكث بضعاً وعشرين سنة بمراكش وكل يوم يزور سبعة رجال أو يزور الأربعة المتقاربة من أبى العباس الى الغزوانى أو يقتصر على السبتى هـ . باختصار . وسمعت من بعض أشياخنا جـزى الله تعـالى جميعهم عنا خيراً أن الوليَّ سيـدى عبد القادر المذكور مكـث بالمصرية التى بباب الثلاثة فحول فى مجاورة ضريح الشيخ التباع بمراكش نحـو ثلاثة عشر عاماً ، وما تقدم عن (المعزى) عن بعضهم فـى كلام فى تعداد خصائص الأولياء المشهورين مـن أن همة أبى العباس السبتى لا تدرك

ومَن طلبهـا بعده ففد طلب الشيء في غير إبانه ، نقله العارف الحلفـاوى عن الشاطبى عن بعض السادات ، ثم اعلم أن صاحب (الكواكب السيارة ، في البحث والحث عـلى الزيارة) لما عرف بسبعة رجال بدأ أولا بأبى العباس السبتي ولم يزد في ترجمته على إيراد جملة كثيرة مما في (التشوف) في نحو سبعة أوراق غير أنه قال في أواخر الترجمة ولقد وقفت على قبره المرة بعد المرة ، ووجهنا حوائجنا عنـد ذلك الضريح فتقضى باذن الله وحوله وقوته فهو ترياق مجرب لا شك فيه أنه يتصرف اذ كثير مـن النوازل تنزل بذلك المكـان الشريف ونتكلم بها معهـى أسرارنا فيرحمنا الله هـ .

وفي هذه الأيام قلت في سنة تجديد الضريح الشريف ليكتب في بعض الأماكن فيه بعد طلب ذلك منى عام 1324 .

إن ترد نيل ما أنت رائـــــم	فالتجىء للامام ركن الدعائـــم
أحمد نجل جعفر ذى المزايـــا	والعطايا جلت وبحر المكـــارم
وقفنْ بالضريح وادع لديــــه	بدعاء يضم شمل المغانــــم
وقت تجديده البديع يـــؤرخ	حسنه رائق بديع المراســــم
دون طل تكامل الأمر فيــــه	أحمد الله رب كل العوالــــم

(تنبيه) :

تقدم أن أبا العباس السبتي لما جاء إلى مراكش وجدها في الحصار فأقام بگليز وهـو بالزاي وتصحف عـلى صاحب القاموس بالنون فجعلـه إيجلين وذكره في مادة و ج ل قال وإيجلين جبل مشرف عـلى مراكش هـ ، ويقال فيه جليز بحذف الألف والياء بعدها ويقال گليز والله أعلم .

ومن أدعيته رضي الله عنه اللهم أفضلت فعم أفضالك وأنعمت فتـم نوالك وغفرت الذنوب فتكامل احسانك وسترت العيوب فتواصل غفرانـك اللهم لك الحمد عـلى عقل ثقفته ولك الحمد على فهم وفقته ولك الحمد عـلى توفيق هديته جل جلالك وتعالى ، وانهل جودك وتوالى ، وجـرى رزقك حلالا وتعاليت في دنوك ، وتقربت في علوك ، فلا يدركك وهم ، ولا يحيط بك فهم ،

وتنزهت فــي أحديتك عن بداية ، وتعاظمت في إلاهيتك عــن نهاية ، أنت الواحد لا من عدد والباقي بعد الابد لك خضع من ركع كما ذل لك مــن سجد قــل هــو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لــه كفوًا أحد اللهم كيف يحيط بك علم خلقته أم كيف يدركك بصــر أنت شققته أم كيف يدنو منك فكــر أنت وفقته أم كيف يشكرك لسان أنت أنطقته إذا تلمحت البصائر عادت بنــور سلطانك كليلة واذا تجمعت عظائــم الجرائم كانت في جنب غفرانك قليلــة سبقت السبق فأنت الأول وخلقت الخلق فعليك المعــول وعدت إذ جدت ياخير مَن تطول ، عجباً لقلوب كيف استمرت على الانس بسواك ولأرواح كيف شكرت مــن لا يقدر على شيء لولاك ولنفوس سكرت مــن شراب جدواك ولأكف جمعت وقــد استقرضتها هلا جادت بــذاك كيف يناجيك في الصلوات مــن يعصيك في الخلوات أم كيف يدعوك للمهمات من ينساك للشهوات إلاهي كيف ختمت الألسن بالليل وقد قلت هــل من سائل وكيف كفت الأكف وسبيل الجود سائل وكيف سها عن خطابك من لا تعظــه الوسائل وكيف يبيع ما يبقى بما يفنى وإنمــا هي أيام قلائل ياروح القلوب أين طلابك يارب الأرباب أين أحبابك يانور السماوات والأرض أين قصادك ؟ يامسبب الأسباب أين عبادك؟من الذى عاملك بلبه(فلم)يربح؟ومن الذى جاءك بكربه فلم يفرح ؟ أي صدر صدر عن بابك الكريم فلم يشرح ؟ مَن ذا الذى لاذ بجنابك العلي فاشتهى أن يبرح ؟ واهاً لقلوب مالت إلى غيرك مــا أرادت ، ولنفوس تحب الراحة هلا طلبت منك واستفادت ولعزائم سعت الى مرضاتك مــن ذا الذى ردها فعادت هل تنقصت أموال اقترضتها وحقك بــل زادت سبقت أقدارك فبطلت الحيل وجرى مقدارك فلم ينفع العمل ، وتقدمت محبتك قبل خلقهم في الازل ، وغضبت على قوم فلم ينفع مطيعهم ما فعل ، فلا حول من عصيانك الا بارادتك ولا قوة عــلى طاعتك إلا باعانتك ولا ملجا ولا منجــا منك الا إليك ولا خير يرجى الا في يديك يامَن بيده القلوب اصلح قلوبنــا ويامَن قلت في حلمه الذنوب اغفــر ذنوبنا ويامصلح الأسرار صف أســرارنا ويامزيح الأكدار عــف أكدارنا قد أتيناك طالبين فــلا تردنا خائبين وجئناك تائبين فاجعلنا برضاك آمنين وحضرنا ببابــك سائلين فلا تجعلنا الى غيرك

مائلين واصلح كل قلب منا قسا فعسى أن يلين واسلك بنا منهاج المتقين وألبسنا خلع الايمان واليقين وحصنا بدروع الصدق فانهن يقين ولا تجعلنا ممن يعاهد على التوبة فيكذب ويمين وانقلنا من أهل الشمال الى أهل اليمين ياأرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد إمام المرسلين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العلمين .

انتهى ما ذكرته في (إظهار الكمال) حاذفاً منه ما لا تعلق بغرضه في هذه الترجمة .

وقال في كتاب (الطريفة والتالدة) ما نصه : ثم هو من يرد على المسلوب ما سلب منه بالعناية كما حُكِي عن بعض أكابر مشايخ هذه الطائفة حكى أنه لا يأتي ضريح سيدى أبى العباس السبتى مسلوب الا رد الله عليه ما سلب منه ونقل مثل ذلك عن سيدى أحمد البدوى هـ .

وقال في (الروضة المقصودة) ما نصه : وذكر في (الحلل المدودة) أن مولانا عبد السلام رضي الله عنه قيل إنه أخذ عن قطب الواصلين أبى العباس السبتى نفع الله به هـ .

وذكر في (المنح البادية) أن الشاذلى أخذ عن سيدى عبد السلام عن سيدى أبى العباس السبتى عن أبى محمد صالح عن أبى مدين وذكر شيخ شيوخنا القشاش أن سيدى عبد السلام أخذ عن أبى مدين بلا واسطة قال شيخنا أبو سالم والتاريخ يقبله هـ .

وقال في (الفتوحات) فيظهر صاحب هذا الشهود بصورة الملك فيظهر بالاسم الظاهر في عالم الكون بالتأثير والتصريف والحكم والدعوى العريضة والقوة الالاهية كعبد القادر الجيلى وكأبى العباس السبتى بمراكش لقيته وفاوضته أعطِي ميزان الجود ، وعبد القادر أعطِي الصولة والهمة ، فكان أتم من السبتى في شغله هـ .

وقال بعضهم فيه أيضاً :

إني إلتجأت بمَن نال العلا كرمـــا ... أبو المساكين غوث الخلق في الكرب
من التصرف بعد الموت أعطيـــه ... مثل الذى حازه حياً بلا كـــذب
لك الخصال التى العيون قد بهـرت ... من ذاك إنجاؤكم قدما من العطـب
إن عز بالجاه والترئيس من سمحت ... له بذاك دناه فهو فى عجـــب
فلي اعتزاز بشيخ كامل فاضـــل ... حامى الذمار وللجوار مرتقـــب
إليك أسندت ظهرى ياابن جعفر ال ... رضى ومثلك مَن ينجى من الرهب
لقد رمانى بنو الدهر بأسهمهـــم ... وليس لى ناصر سواك فى نصـب
وحاش مجدك ان أخشى الهوان وقد ... أويت للحرم السبتيّ فى هـــرب
بك اعتصمت وحسبي منك معتصما ... أنت الجواد الذى ترقى إلى الرتـب
أثبنى عزاً على رغم العدا حاصـــلا ... يشفى الغليل بلا هم ولا تعـــب
مستشفعاً لك بالمختار من هاشـم ... عين الوجود وخير العجم والعـرب
وبجميع صحابه الكرام ومـــــن ... قد حاذى حذوهم فى الجري والخبب
ثم الصلاة على المختار سيدنـــا ... هو الشفيع غدا فى جلوة الكـــرب
وآله السادة الغر الذين بهـــــم ... قد أظهر الله دينه بلا عجــــب

وقول (التشوف) فيما تقدم وسمع منشداً ينشد من أبيات ياأخى قـم ترى النسيم عليلا الخ هي ثلاثة أبيات للوزير أبى بكر بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسى ذكرهـا فى (القلائد) و (الاحاطة) وفى (نفح الطيب) وهي هذه :

ياأخى قم ترى النسيم عليـــلا ... باكر الرَّوض والمدام شمــــولا
فى رياض تعانَق الزهر فيهـــا ... مثلما عانق الخليل الخليــــلا
لا تنم واغتنم مسرة يــــــوم ... ان تحت التراب نوماً طويـــلا

وقد نقل فى (الابتهاج) أيضاً قضية موت ابنته فداء لبنت الملـك مختصرة ، وأحال على كتاب (المناقب) أيضاً ، وقول (التشوف) وكان أبو العبـاس يلهج فى حياته بهذه الأبيـات لشيخه أبى عبد الله الفخـار عقدت عليك مكمنات خواطرى الأبيات الأربعة وتقدم عن المعزى أن الأبيات الثلاثـة منها معروفة من زمن التابعين ، ثم وقفت فى ص 152 من ج 2 من (تلخيص معالم

الايمان) أنه أنشد عن عقال ابن غلبون الزاهد المتوفى بالحرم المكّى سنة 291 رحمه الله الأبيات الثلاثة الأولى المذكورة فى التشوف مع تبديل كرب بيوت وابدال البيت الرابع بهذا :

حسبي بأنك عالم بمصالحـــــى إذ كنت مأموناً علي شفيقـــــا

وما نقله فى (نفح الطيب) عن ابن الخطيب القسنطينى فى رحلته الـخ نحوه له فى (أنس الفقير وعز الحقير) وعنه نقله صاحب (البرهان الواضح الكسبى) ، وقال فى (الضوء اللامع) لدى ترجمة أبى زرعة أحمد بن محمـد البارنبارى المصرى الشافعى انـه يحكى عن جده لأمه وكـان من الصالحين ، أنـه سمعه يحكى عن أبيه عن جده عـن ولي الله أبى العباس السبتى أنه قال يصلى العشاء بجامع عمْرو فى مصر كل ليلة مئة رجل من رجال القيروان وقابس وبعرفات والصبح ثمانون منهم هـ صحيفة 160 ج 2 .

وقال بلدينا الافرانى فى (درر الحجال) ومن خطه نقلت ما نصه : وقد سأل شيخنا الفقيه الصالح بلدينا سيدى العربى بـن أبى القاسم الافرانى رحمـه الله الامام قاضيَ القضـاة شيخنا سيدى العربي بـن أحمد بردلـة رحمـه الله عن حكم تفريـق هذه الصدقات المـرفوعة لضريح الأوليـاء ، وقال له ياسيدى إننى أحمـل صدقة مثلا للشيخ أبى العباس السبتى فهـل أفرقها بيدى على المساكين ببابـه أو أجعلها فى الصندوق المعد عنـد رجله لجمـع الصدقات ؟ فاجابه بان قال له اجعلهـا فى الصندوق كما يجعل الناس ولا تفرقها أنت ، فقال له ياسيدى إن هذه الصدقات المجموعة فـى الصندوق شاهدناها تفرق عـلى كثير ممن لا يستحقها وممن يظن به انفاقها فـى ما لا يليق ، فقـال له اجعلها حيث جعلها الناس والشيخ نفع الله بـه هو أعرف بتفريقها لأن القـوم أحياء فى قبورهم ، فكان شيخنا بعد ذلـك اذا زار زج الصدقة فـى الصندوق ولا يسأل عما وراء ذلك ، وهكذا بلغنى عـن الامام اليوسى رحمه الله أنه كـان يفعل هـ .

وقال فى الفصل الثامن والعشرين منها ما نصه .

(فائدة) :

أخبرني صاحبنا الفقيه أبو سرحان المغاري رحمه الله أن بعض الأولياء اجتمع بالشيخ أبي العباس السبتي يقظة فقال له الشيخ إذا أتيت لضريحي بصدقة فاجعلها ذبيحة لأن الروحانيين من الجن ملازمون للضريح وهم ينتفعون بدم الذبيحة وظلفها دون غيرها فانه لا يحصل لهم منها كبير فائدة هـ .

وقال ابن عبد السلام الناصري في رحلته ما نصه : ومن أمثل الطلبة بهذه البلدة الفقيه النحرير المفتي أبو القاسم بن محمد بن عبد الملك التجمعتي ، ثم نقل عنه أن ابن الفخار شيخ أبي العباس السبتي هو مقرئ الصبيان وليس شيخ أبي العباس الا في القراءة ، فقلت له انه ابن الفخار الفقيه فقال لا الفقيه منهما معاصر لابن عتاب وابن مالك الفقيهين ، فقلت اما إذا كان معاصرا لهذين الامامين فهو من أهل القرن الخامس كهما وأبو العباس من أهل القرن السادس فلا يبعد أن يدركه اذ ليس بينهما من الزمان كثير فقد ذكر غير واحد ان الفخار توفي سنة 419 وان ابن عتاب ولد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة وتوفي سنة 462 هـ . قلت الصواب مع التجمعتي فان الشيخ أبا العباس لم يولد الا بعد موت ابن الفخار الفقيه بنحو مئة سنة وست سنين ، إذ ولادته كانت سنة 524 ثم قال ولنا ممن ينسب هذه النسبة ثالث من أهل القرن التاسع وأوقفني عليه في (نفح الطيب) هـ .

وفي الطرة هذا الذى بنفح الطيب هو الامام ابن الفخار النحوي وهو غير أبي عبد الله الفخار دفين تطوان شيخ أبي العباس وهو مختبر الصبيان بالطيور كما في (الابريز) وهناك ابن الفخار رابع ترجم له في (التشوف) وهو ابن كامل دفين داخل باب الدبغ هـ .

وستأتي في المحمدين ترجمة ابن الفخار الحافظ المتوفى سنة 590 .

88) **أبو العباس الشبلي** ، الشيخ المتصوف بمراكش ، أخذ عن أبي عبد الله البقروي ، والشيخ عبد الرحمان الهزميري ، وسمع من

الأخير أن الحوض بعد الميزان لما اختلفوا بمجلس الأول ، وذكره في (إثمد العينين) ، وحدث عمن يثق به عنه .

89) **أبو العباس الوراق** ، السيد الفقيه الأجل البليغ ، كان ينتصب لقراءة القرآن بين يدي الشيخ الكامل سيدى أبى عمرو المراكشى إلى العصر ، فاذا فرغ أصحابه من ورد العصر المعتاد سرد الوراق المذكور كتاب (الشفا) للامام القاضى عياض ، فاذا أكمل منه نبدة سرد بعده نبدة من كلام سيدى محمد بن عباد على (الحكم) ، وربما ذكر الشيخ في بعض الفصول ما يذهل العقول بكلام جلبة يطول ، عن همة عالية بعبارة نورانية وحكم روحانية ، فيعطى كل ذى حق حقه من النفحات الرحمانية .

ذكره الزروالى .

90) **أبوعزة بن أمير المومنين مولانا عبد الرحمان العلوى** ، وكان جليل القدر ، نبيه الذكر ، أديباً نبيلا جواداً مجالساً للعلماء مخالطاً لأهل الخير ، سالكاً للطريق المستقيم ، أخذ عن مؤدبيه وإخوته بمراكش ، منهم العلامة السيد علي المسفيوى ، والفقيه ابن عزوز ، ومولاي أحمد بوغربال ، والفقيه السيد أحمد بن مبارك ، وغيرهم ، استوطن مراكش وبها توفي آخر العشرة التاسعة بعد مئتين وألف رحمه الله .

91) **أبو علي الشريسي** : البكاء ، أصله من شريش ، قدم حضرة مراكش ، وكان من كبار الأولياء ، شديد الخوف من الله تعالى لا تكاد ترقأ له دمعة ، فاذا سمع آية من كتاب الله تعالى تهمل عيناه بالدموع :

يابرد هذا الجوى على كبدى	وزين هذا السقام فى جسدى
وحسن هذى الدموع ينبطها	أوار شوق من معدن الكبد
زد كبدى يامُذيبها حرقا	إن صحت مما أكن واكبدى

قال فى (التشوف) حدثنى محمد بن علي بن عبد الرحمان الهوارى قال كان أبو علي قد جال فى بلاد المشرق وحج نحو عشرين حجة ، وقدم

مراكش ثم خرج منها فنزل على علي بن حمود (1) بمدينة سلا وحضر جنازة الزاهد الفاضل عبد الله بن يوسف بن علي بن عشرة ، ثم انصرف إلى الدار التى نزل، بهـا فوجدته جالساً مع باب البيت فسلمت عليه فأمرنى بالدخول فدخلت البيت فقال لى ما اسمك ؟ فقلت له محمد بن علي ، فقال حمدك الله وأعلاك أو كلاماً معناه هذا ، ثم خطر بفكرى أن أنهض إلى مراكش فى حاجة لى ، فرفع رأسه إلي وقال لى لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يعطوك ما لم يقدر لك لم يقدروا، فجاءته امرأة فدعا لها، ثم جاءه رجل فدعا له، ثم جاءه رجل آخر فدعا له ، فقلت فى نفسى لعله يناله عجب من رغبة النـاس فى بركة دعائه ، فقـال لى يابني لعل الناس إنما ينتفعون بحسن نيتهم ، فكيف ينـال العجب أحداً ، فنظرت إلى تلامذته فاذا هـم نحو الخمسين تلميذاً ، فقلت فى نفسى هل يُصلى ورده بين تلامذته أو وحده ؟ فقال لى يابني إذا كان لك عمل من النوافل فلا يطلع عليك أحد الا الله تعالى، فانه أبعد من الرياء، فنظرنى وأنا أتعجب من شدة فراسته ، فقال لى يابني لا يعلم الغيب إلا الله ، ولكن هذه فراسة المومن، فانطلقت من عنده فذكرت ذلك لعلي بن جمود (2) فعجب من انبساطه معى، ثم قال لى أنا أحدثك بأغرب من هذا، بتنا معه ليلة فكان يحدثنا وكنت خلفه أفرك له رماناً فى طبق، وكان الرمان من موروث حلال ورثناه من ءابائنا ، فجاءه رجل يعرف بسير اللجام برمان غير حلال فاذا ناولته الطبق برماننا أكله ، وإذا ناولته من الرمان المختلط بذالك الرمان الحرام رده، واذا ناولته من ذلك الرمان الحرام وحده رده، وما كان ينظر إلينا وإنما كان وجهه إلى غيرنا وقد ولانا ظهره ، فعجبنا من ذالك فسألته بالنهار عن فعله ذالك معنا ولمَ يأخذ مرة ويرده أخرى ؟ فقال كان لى شيخ بالشام وكانت بينه وبين الله تعالى إمارة فى الحرام ، فاذا قدم إليه طعام حرام نبض عرق فى إبهام يده اليمنى فيَكف عن الأكل .

وقال فى نظم رجاله :

وهذا الشريشى خائف من ذنوبـه   لدوم من التفريط فى سالف العصر

---

1 ـ 2) فى التشوف : حمدون .

وقال في الاتحاف :

ومنهم الشيخ أبو علـــــــــي   يعرف بالبكاء ياولـــــــي
بالشريشي من قديم اشتهـــر   وكان ذا خوف من الله بتـــر
شيخ طريف عارف مرء بــــي   وذو كرامة بدت بعجـــب
مكاشفا بحالة القلـــــوب   يميز بين الحال والمشـــوب
وذاك سر لم يزل معروفـــا   ظل به عند النهي موصوفـــا
تكررت حجاته عشرينـــا   ومات في ثغر سلا يقينـــا
بُعَيْدَ خمسة القرون وجُهِـــل   في أي عقد قد تولى بجميـــل (1)

92) **أبو علي بـن صمّغ** : الفقيه الذى غسل يوسف بن علي المبتلى قال في (التشوف) سمعت علي بـن سحنون بن ميمون الهزرجي الشاهد يقول حضرت غسل يوسف بن علي وكان الفقيه أبو علي بـن صمغ يغسله فقال رأيته الآن وأنا أغسله يتبسم (2) .

93) **أبو علي بـن احمد المليانى** : كان والده كبير وقته علماً وديناً ورواية ، وكـان عالي السند في الحديث ، فرحل إليه الأعلام ، وأخذ عنه الأئمة ، وأوفت به الشهرة عـلى ثنايا السيادة ، فانتهت إليه رياسة بلده عـلى عهد يعقوب المنصور وبنيه ، ونشأ ابنه أبو علي في جو هذه العناية ، وكـان جموعاً للرياسة ، طامحاً للاستبداد ، وهو مع ذلك خلو من المغارم ، فلما هلك أبوه جرى في شأو الرياسة طلقاً ، ثم رأى ما بين مغراوة وبنى عبد الواحد من الفتنة فحدثته نفسه بالاستبداد ببلده ، فجمع لما جرى ، وقطع الدعاء للخليفة المستنصر سنة تسع وخمسين وستمئة ، وبلغ الخبر إلـى تونس فسرح الخليفة أخاه في عسكر مـن الموحدين في جملته دون الرنك ابن هرنده مـن ءال أذفوش ملوك الجلالقة كـان نازعاً إليه عن أبيه فـي طائفة من قومه ، فنازلوا مليانة أياماً ، وداخل السلطان طائفة من مشيخة

1) انظر التشوف ص 181 ع 70 .
2) انظر التشوف ص 309 .

البلد المنحرفين عن ابن المليانى فسرب إليهم جنوداً بالليل اقتحموها من بعض المداخل ، وفر أبو علي المليانى تحت الليل وخرج من بعض البلد فلحق بأحياء العرب ونزل على يعقوب بن موسى من آل العطاف من بطون زغبة فأجاره الى أن لحق بعدها بيعقوب بن عبد الحق ، فلما ملك يعقوب مراكش عقد لمُحمد بن علي بن محلى على أعمال مراكش فحارب إسحاق أخا المرتضى الموحدى فى تينمل ، فافتض عذرة الجبل فى ربيع من سنة أربع وسبعين واقتحمه عليهم عنوة بعد مطاولة النزال والحرب ، وهلك الوزير لدولة الموحدين ابن عطوش فى جوانب الملحمة ، وتقبض على خليفته المستضعف وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة بمراكش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم ، وكان فيمن قتل منهم كاتبه القبائلى وأولاده ، وعاثت العساكر فى جبل تينمل واكتسحت أمواله ونبشوا قبور خلفاء بنى عبد المومن واستخرج شلو يوسف وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤوسهم وتولى كبر ذلك أبو علي المليانى النازع إلى السلطان يعقوب المرينى ، وكان السلطان أقطعه بلد أغمات إكراماً لوفادته واستقر بها ، وحضر هذه الغزاة فى جملة العساكر ، ورأى ان قد شفى نفسه باخراج هؤلاء الخلائف من أرماسهم والعيث بأشلائهم لما نقم منه الموحدون وأزعجوه عن قراره ، فنكرها السلطان لجلاله ، وتجاوز عنها للمليانى تأنيساً لغربته وجواره ، وعدها من هناته ، وأرصد له المصامدة الغوائل لما كان منه فى ذلك ، ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جبال المصامدة فلم يضطلع بها وسعى به مشيختهم عند السلطان أنه احتجن المال لنفسه وحاسبوه فصدقوه السعاية ، فاعتقله السلطان وأقصاه وهلك سنة 686 فأخذ بثاره ابن أخيه أحمد بن علي كما سياتى فى ترجمته .

ذكره ابن خلدون فى مواضع ثلاثة مفرقة من تاريخه (1) .

94) **أبو عمر بن حجاج** : لما كان أبو بكر بن عبد الحق المرينى استولى على سجلماسة سنة خمس وخمسين وستمئة وتقبض على واليها

---

1) أنظر **كتاب العبر** (تاريخ بن خلدون) 6 : 656 و 657 و 7 : 401 و 479 .

عبد الحق ابن أصكو من مداخلة من خديم له يعرف بمحمد القطرانى بنواحى سـلا ، وكان القطرانى شرط على أبى بكر أن يكون والي سجلماسة فأمضى له شرطه وأنزل معه بها من رجالات بنى مرين حتى إذا هلك أبو بكر بن عبد الحق أخرجهم محمد القطرانى واستبد بأمر سجلماسة وراجع دعوة عمر بن اسحاق المرتضى الموحدى واعتذر إليه وشرط عليه الاستبداد فأمضى لـه شرطه إلا فى أحكام الشريعة ، وبعث أبا عمر بن حجاج قاضياً مـن حضرة مـراكش وبعض السادات للنظر فـى القضية وقائداً من النصارى بعسكـر للحماية . فاعمل ابن حجاج الحيلة فى قتل القطرانى وتولاه قائد النصارى واستبد السيد بأمر سجلماسة بدعوة المرتضى .

ذكره ابن خلدون .

95) **أبو عمر بن أبى خالد** : الوزير ، توفي بمراكش فـى شعبان سنة إحدى وسبعين وستمئة ذكره فى (الذخيرة السنية) (1) .

96) **أبو عمرو بن سيدى أحمد الأمين ابن أبى القاسم القسطلى** : المراكشي الدار والمنشأ والمدفن ، الغوث العارف بالله لسان النظر ، وامام الهمة والبصر ، ومهذب أهل البدو والحضر ، ولد رضي الله عنه عام 912 بحومة قاعة ابن ناهض من مراكش ، وتوفي يوم الجمعة منتصف شوال عام 974 عن اثنيـن وستين سنـة ، قال تأدب عمرنا مع عمر رسول الله صـلى الله عليه وسلم بسنة ، وكـان يوم وفاته يوماً مشهوداً ، ينتمى إلى الخليفة عثمـان رضي الله عنه وأرضـاه ، من حَضَـر مراكش وأعيانهم وذوى الحسب والأصالـة والوجاهة فيهم . صاحب الشيخ أبـا محمد عبد الكريم الفلاح وانتسب إليه وعول فى شأنه عليه ، ولقي أيضاً الشيخ أبا محمد الغزوانى ، كـان سيدى عبـد الكريم بن عمر الفلاح شيخه يقول أتـرك لكم الخلافة فى رجل أمي لا يفرق بين الراء والزاي ، فكان سيدى أبى عمْـرو لا يكتب ولو لمستشفـع بـه ، ويقول نحن لا نكتب ولا نحسب . وتغرب فى سلوكه عن أبناء جنسه ،

1) **الذخيرة السنية** ص 136 طبع دار المنصور .

وانقطع فى حضرة مولاه حتى دعي مجنوناً وانفرد بـذلك الحال نحو سبعة عشـر عاماً أو أزيد حتى كان من غيبته فى الله لا يفرق بيـن أولاده وأولاد سواه ، فقال له شيخه سيدى عبد الكريم يوماً ألا تطلق تلك المرأة وتبيع تلك الـدار ؟ فتغافل عنه ، ثـم أعاد عليه كلامه ، فقال له ياسيدى اعطس واطلع الرمـل ، فان كانت هذه السكرة تدوم لى فـلا علي إذا طلقت المرأة وبعت الدار ، وإن كانت لا تدوم فاترك لى زوجتى وداري ، فقال لـه الشيخ انظروا سيدى أبا عمْرو الذي تقولون إنه بهلول ، ثم قـال له أعطاك الله حالة أهل الجنة ، ثياب لا تبلى ، وطعام لا ينقطع ، فبقي على سكـوته نحو سبعة عشر عاماً ، وكان الناس يزدحمون عليه للطعام دائماً ، وكـانت الثياب عنده موفرة زائدة عـلى لباسه ، وكان اشتهر بذلك ، وكـان شيخه إذا أتـاه لحاجة ربما دله عليه ، وكـان صاحب الترجمة إذا طلب عنده أحـد حاجة نظر ، فان كانت لا تقضى صرفـه عنه ، وان رآها تقضى قال له كيـت وكيت فيعطيا ذلك فتقضى حاجته باذن الله ، وكان أهل دار الشيخ إذا طلبوا عنده حاجة يفعل معهم ما يفعل بغيرهم ، وسـرق سارق مرة سلهاماً من دار الشيخ فـذهب إليه ووجده يصبنه وقال له أربابه يحتاجونه بـلا غسل مكاشفة منه بحاله ، وكان شيخه سيدى عبد الكريم يعتنى به وينوه بقدره ، وأنه الخليفة بعده ووارث أسراره ، وكـان المترجم نشأ فى وسط الحضرة ، وجبـل على كمال الحقيقة من أول نظرة ، تصديقاً لقول شيخه سيدى عبد الكريم الفلاح نهايتنا هي بداية سيدى أبى عمرو رضي الله عنـه حامل راية عصره ورئيس حداة ركبـه ، غوث الأغوات وشمس الكون بعد ظلامه القطب الأشهر ، حمـل فى صغره إلى سيدى عبد العزيز الحرار زائراً عـلى سبيل التبرك ، فقيل للشيخ إن أم هذا الصبي تطلب بركتـك فيه ، فان الأولاد يعيشون بهـا ، فاستفهم الشيخ عـن اسمه فقيل له فقال نعمره ونثمره بفضـل الله تعالى ، فكان من أمـره ما كان ، ويروى أن سيدى أحمد الأمين والده لمـا أراد سيدى عبد العزيز الحرار سكنى القبابين وهب لـه بقعة وامتنع من أخذ ثمنها ، فدعا له أن يرزقه الله ولداً صالحاً ، فحملت أم الشيخ سيدى أبو عمرو بنُورة تلك الليلة ، ولمـا مات شيخه سيدى عبد الكـريم بقي متواصلَ الأحـزان ولا

ينبسط ولو ساعة من زمان ، تجافى جميع أولاده وأقرانه ، وأقبل على فضله وبيانه ، حتى وضعت السلسلة فى عنقه ممتداً إلى أبى يعزى يلاطف الروح بمصاحبة اللوح ، وسبب ذلك صبي صبر هناك نعت له حرف الراء والزاي وعجز عن الراء والزاي ، قال وحقرت نفسى وصرت مجتهداً فى القراءة نحواً من خمسة أعوام فى تعمير الأوقات بالقراءة والأوراد حتى استفدت وأفدت ، قال ورأيت فى تلك الأيام أنى راكب على فرس وأصعدته فوق صومعة أبى يعزى رضي الله عنه ، وتوجهت إلى مولانا إدريس لم تظهر لى قط صبوة ولا إنهاك ولا هفوة ولا ميل للدنيا ولا تتبع عثرة ، واشتغلت بالأهم فالأهم ، وفيما لا يعنينى لا أتكلم ، افتحت همتى على قراءة المختصر للشيخ خليل والنحو ما يزيد على أربعة أعوام ، وكان سبب قراءة مختصر الشيخ خليل أن رجلا سألنى عن مسألة فى الفرائض المهمة فعجزت عن الجواب ، فاحتقرت نفسى وصغرت فى عين همتى وانقطعت للقراءة بكليتى حتى رأيتم ما رأيتم من حالتى ، وقد كان رضي الله عنه أعجوبة فى درسه له وآية فى فهمه له .

وقال رضي الله عنه كنت ذات يوم فى بعض الخلوات بقرب فاس البالى منفرداً للدراس ، خالياً من الوسواس ، ولم أقتصر فيه على حد ولا قياس ، فبينما أنا أجول فى مسارح أقطار المؤلف وأتفهم فيما له فى ذلك من التكلف ، بأفضل عبار وأحسن التصرف ، إذ خرج علي رجلان واحد شبهته بسيدى عبد العزيز الحرار والآخر مثل الغزوانى لم أر أحسن منهما ، وقالا لى ما مرادك ياشاب من هذا الاجتهاد والتكلف ؟ فقلت لهما المراد الأصلي الحقيقي القيوم القديم الباقى وما يعرض علي من الخواطر المغبرة فى المقصد لا معول عليها ولا مستند عند جميع من تحقق وتجدد ، قال الشيخ رضي الله عنه فقبلنى أحدهما فوق عينى ، وبعد ذلك غابوا عنى وبقيت صورتهما فى عيني ، وكان يحضر مجالس العلماء العاملين ويقتصر على من توسم فيه أنه من الصالحين وله قوة ادراك فى العلوم ، شهد له بذلك أهل الرسوخ بعد أن تكرر عليهم سؤاله وامتحنوا أبحاثه وأحواله ، وتحققوا أن تدقيق الورع كثير أحواله ، فقال له أحدهم قلَّ مَن يسأل عن

هذه المباحث التى تسأل عنها وربما لا نجد لها نصاً ورأى فى عالم النــوم سيدى عبد العزيز الحرار يأمره بسلوك طريق أهل المعرفة والوصال ، لأن طريق الدليل ، غايتها معرفة الواجب والجائز والمستحيل ، فامتثل الاشارة ، وكانت له محبة عظيمة فى تلميذه الامام الزروالي ، كان المترجم رضي الله عنه ربما اجتمع عليه أولاده الصغار فى بعض الليالى فيجلس معهم حتى يؤذن بالصبح ويصــلي بهم ويستفتح لهم الأوراد حتى تطلع الشمس حتــى يذكرهم بالنصيحة ، وعند مقيل النهار يطوف بين أزقة الديار فمــن وجد من أولاده الصغــار يدخله الرباط المبارك ويلبسهم بمــا يحفظ به عقولهم ويحدثهــم بأحاديث فضل صلاة الجماعة وأنها أقرب للقَبول من أجل امتثال أمر الرسول ، وكــان ينهى أصحابه عن اللغو بفضول الكلام ، لأنه مــن شأن العوام الذين لا يعبأ الله بهم بين الأنام ، ويأمرهم بالصبر على إذاية المؤذى فيظهر انتقام الله فى الحين لمن يؤذيهم ويهلك فى الهالكين فى قضايا كثيرة إلا إذا أقلع وأناب ، وكــان دائم الحضور بين يدي مالكه لا يضطرب من إذاية الخلق لــه فى العرض والمال والبدن ، ورأى كثيراً مــن أهل الخير قرب ظهور هــذا السيد الجليل مرائي عديدة تــدل على خصوصيته ، ولمــا أذن له فى التصريف فتح باب زاويته فاستكثــر مقدمه فصار . . . . . وقال لاتبقــى خراجها بهذا الحال ، فأجابه بقوله إنما أمرناكم بالأسباب لا بتدقيق الحساب ، وأما زاويتنا فلا يستقيم حالها حتى يتوفى سيدى عبد الكريم الفلاح ونرث عنه سبب الفلاحة ويتوفى سيدى سعيد بن أبى بكر ونرث عنه الحــكم وسيدى سعيــد بن عبد النعيم ونرث عنه الحــكمة ويتوفى سيدى عبد الله بن ساسي ونرث عنــه المسكن ، ويتوفى سيدى عبد الله الــكوش ونرث عنه المائــدة ، ويتوفى سيــدى حمزة بن علي ونرث عنه الزهد ، ويتوفى سيــدي علي بن ابراهيم ، ومالذى نرث منــه ؟ ليس عنده إلا الحبة هي التى خرقتنا ، فصدق الله وعــده فى أكمل الحالات ، ونقل مــولاه السادات الى أعلى الدرجــات ، فاستقام الحال كما ذكر ، ولما آن وقت ظهور دعوته البالغة خرج لخدامه مع تلامذته المخصوصين فــى سادس عشر رجب عام اثنين وخمسين وتسعمئة ، ومشوا فــى الطريق نحواً من أربعة أيام ، فذكرهم وحضهم عــلى طاعة الله ،

ووصف لهم قال الأستاذ وقال مــن نديم يعاشرنا على هذا الطريق المستفاد بصــدق العزيمة وقوة التصديق والأوراد لعلنا نورده موارد التحقيــق والاسترشاد وإذا تحيل المفسدين من العرب فتكلم السيــد الفاضل سيدى علي الشربة الفاسى ان كان لك سيف تقهر به نفوسنا فان خيل المفســدين من العرب أرادت تنهبك وتنهب مَن معك ، فأخذ رضي الله عنه حفنة مــن التراب ورمى بهــا يميناً وبأخرى يساراً ، ثم بأخرى خلفاً ، فخرج من ذلــك التراب كالسيل من النحل ، فشردت منه خيل العرب حتى غابت عــن أعينهم ، فلما أصبحوا أتى العرب عــلى أرجلهم بالبقر والغنم والابل ونساؤهم وأولادهم يتبركون بالشيخ ويستعطفونــه ويشكون بضرر النحل ، لأنه عطب النــاس والبهائم فــى تلك النواحى ، وكانت العرب يأتون الركب فى الليــل فيجدون عليه سورا من حديد لا يقدر أحد عــلى صعوده ، فكل من سمعه فى ذلــك مــن الشيوخ والكهول والأطفال أجاب دعوته بالحال والمقال ، وخــرج فى الحين عن المال والأهل والبنين ، واتفق أن كانت أم المؤلف الزروالى فــى دار الشيخ فى ليلة فاضت فيها أنواره ، فوجهت عليه ، ولمــا وصل فتح له الباب ، وقال محمد الزروالى هذا ، فقال نعــم ، فقال أبشر بأفضل يــوم ولدتك أمك ، قال له الله يمدك بعنايته ظاهرا وباطناً ثلاثا .

ومن كراماته رضي الله عنه أن رجلا من تلامذته شغف بحب النســاء واشتكى عليه فى ذلك ، فقال إذهب وافعل ما شئت فان الله قادر ألا تفعــل ، ثــم جاء فى الغد مصفراً وقال ذهبت إلى امرأة لتبيت عندى فأتت فهممــت بمواقعتها فاذا هــو كالمفلوج لا يستطيع تحريك عضو من أعضائــه ، فبقي كذلك إلى أن طلع الفجر فسمع صوت الشيخ يقول أتتوب الى الله ياهذا ؟ فقال أنا تائب إلى الله ، فقال لــه قم الى صلاة الصبح فنهض فاذا هــو قائم كأنمــا نشط من عقال ، فلما دخل على الشيــخ قال ياصاحبنا ما فعلــت ؟ فقال ياسيدى مَن يكون فى رعاية مثلك لا يخشى عــلى نفسه غواية ، ولما غضب الوزير على مشورى من أصحابه احترم بزاوية الشيخ ، فبعث الوزير الى الشيخ بالأمان عليه فقال المشورى يقتلنى ، فقال يقتله الله إن قتلك ، فلما قتله سلط الله على الوزير أكلة فى جسمه فتمزق ، ومن ذلك الوقت احترم الناس

والسلطان زاويته غاية الاحترام ، وصار الأمراء يتحامون من احتمى بها خوفاً من العاهات ، وبشر رضي الله عنه زوجته الصالحة بولادة سيدى محمد الكامل ، وأنه سيكون خاتمة دائرة الأعيان ، فكان مولده يوم الاثنين قرب الاصفرار فى أواسط رمضان عام 1060 ستين وألف ، ولما ختم سورة (لم يكن) أمر الشيخ بالفتوح يكون ، وقال له كل ما أطلعنى الله عليه هو لك ولا غاب عنى إلا ما غاب فى ذات الحق ، فقال سيدى الكامل لما أعطى له على الولاية منثوراً ، وشاهد من فضل ربه ما كان سابقاً مسطوراً ، إن ما بلغت إذ ذاك لم يكن شيئاً مذكورا ، وهو عبارة عن فناء الفناء الذى هو عين البقاء .

وزار مرة شيخه سيدى عبد الكريم وحمل اليه ولده سيدى محمد الكامل ، فلما زار ونار خرج وقال ياولدى ما رأيت من أحق بالسفينة منك ، ووجده الشيخ يبكى فقال للحاضرين ارفدوه حتى يرفدكم . وقال له مرة لما رءاه حزناً حيث منعوه من لوحه اللوح لك وما ملكنى الحق هو لك ، وقد ملكنى من الفرش الى العرش ، ولما خرج مع إخوانه لبعض أجنتهم يوم الخميس غرس كل واحد منهم غرساً وعلمه ، فلما اطلع الشيخ على غرس ولده سيدى الكامل اقتلعه فلما دار يوم الخميس خرج الصبيان على عادتهم لغرسهم ، فكلٌ وجد غرسَه لم يتغيرْ غيرَه ، فأخبر بأن الشيخ فعل به ذلك، فضحك عليه إخوانه ، فلما رجعوا أخبر الشيخ بذالك وقال لأمه النظرْ إلى زينة الدنيا على ولدى محمد حرام فضلا عن التشاغل بها بين الخصوص والعوام ، فانى رفعت همته عن الولاية الصغرى ورسخته فى الغوثية الكبرى ، ودفنته فى أرض الخمول ، وغيبته عن كل فضول ، وسيرته سير الصحابة حتى يظهر الله شمسه فى سماء أهل الوصول ، وكان الشيخ مرة بين أصحابه فطلع عليهم سيدى الكامل فتهلل وجه الشيخ وقال رضي الله عنه أنا خاتم مختتم الأولياء المرفع عند الله بجميع الأصوات فى الأرض والسماوات ، شمس القرن العاشر الذى طال فى كل باع قاص وظهر من فضلنا كل خير باهر محمد الكامل المحفوظ من الصغائر ،

المعصوم مـن جميع الكبائر ، المرشح لتنوير البصائر ، الذى يكـل عند مشيه كل غائر وطائر . ولما كـان يوم عاشوراء واجتمع عنده العوائد جمعها في صرة وقال لأمه هذه الدراهم لسيدى ، وقولى لـه يدعو لى ، فقال لا إلاه الا الله ، سبحان الله ، هكذا وقع لى مع أبى .

وجمعـه الشيخ مرة مع إخوانـه الصغار وأجلس معهم وجلا مـن أصحابه الأخيار . فاستخبره عن أحوالهم ، فقال لم أر قابلية تامة الا فـى سيدى محمد الصغير. فقال له إنما سألتك عن حال إخوته، وأما هذاك فانى أدرى به ، وقال سيدى محمد بن الكبير ابن الشيخ أبى عمرو لما توفي أخونا سيدى قاسم الأكبر المشهور أنـه صاحب الخلافة بعد الشيخ سيدى أبى عمـرو فاجتمع الاخـوان وقال له ياسيدى كنا نظن أن سيدى قاسم الخليفة فـى الأصحاب ، فقال لو عاش قاسم يكون صالحاً عـلى قبيلته ، فزاد السائل نسـأل الله أن يجعل البركة في سيدى محمد الكبير . فأجابه الشيـخ بأن صاحبها هو موجود فى الحال ، ولا مطمع فيها لغيره من الأبطال ، ومـراده سيدى الكامل . وكان جلساء الشيخ اذ ذاك المؤلف الفقيه الأستاذ المريـد المهذب المشهور بين العباد والزهاد ، المحيط بالسنة بالعمل والاجتهاد ، سيدى محمد الزروالى ، والسيد العالم العامـل ، الزاهد الفاضل ، سيدى عباد المشهور بالفواضـل ، فعينه لهم سيدى عباد بأن المراد بـه سيدى الكامل وعينه الشيخ مرة بأن الخليفة بعده هـو الذى يلتقى بالولي الكامـل مـولاي عبد الله بن حسين فينزع الشيخ العمامة من عـلى رأسه ويكسيهـا للوارث بعده ، وكـان من عادة أولاد الشيـخ زيارة مولاي عبد الله بن حسين سوي سيدى الكامل لما كان عليه من الخمول . فلما دخل مرة عـلى الشيـخ سلم عليه فصعد فيه النظر وأزال العمامة عن رأسه وكساه إياها بيده ، ولما تلف مرة فسافر فى وقت عشاء قال ياسيدى أبا عمرو هذا الشهد لك ، وأنا عارى كله عليك . فما أتم كلامه حتى أغاثه وغطاه ببرنس ومعه ولده سيدى الكامـل وهو نحيف أصفر لطيف ، مما دل عـلى كونه خليفة حيث لم يفارقه حتى في وقت الاغاثة وبات فى أمان الله ، فلما دخل عليه قـال له أعطنى متاعى ودفع له الشهد ، ورأى بعض الأحباب فى منام سيدى الكامل يأكـل فداوش

بين يدي والده ، فأراد أن يأكل معه ، فصار علقاً يجرى بين يديه ، فأوله يكون له شأن ، ولما انتقل الشيخ لدار الخلود فى صبيحة يوم الجمعة منتصف شوال عام أربعة وسبعين وتسعمئة لم يُلف الا باكياً محزوناً ، أو ذاهلا عن حاله مفتوناً ، ولما زاره مولاي عبد الله السعدي بعد أن اقترح عليه أحد خواصه ما يقوم دليلا على ولايته وقال نقدم عليه غداً من غير إعلام ويقدم لنا من الطعام كذا وأنا أستظهر بالصيام ويمكن لى الشيخ خبزة أمامك ويقول لى أنت صائم فافطر على هذه ، فقدموا على الشيخ فجأة وقدم لهم الطعام بعينه وأعطى الخبزة للمقترح ، وقال خذ هذا من طعامنا لتفطر عليه ، وقال له أما يكفيك منى ؟ الى متى تقيسنى بحجارتك ؟ أما تخاف أن أضربك على قلبك ، فما تنقر منه ، فكان سبب توبته ، ووعد الشيخ الأمير بأنه يموت على فراشه بين أهله فى وسط فرحه وأنسه ، فصدق الله قوله ، وقدم ذات يوم بعد الاعلام فقدم لهم من الطعام ما كان يكون خارجاً عن صنع الأنام ، فلما تعجبوا من ذلك قال الشيخ لولا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخرج له من الجنة أنواع الطعام ، وقال الشيخ إذا رأيت الولي فى باب ملك من ملوك فاعلم أن كليهما من الأصفياء ، وتكررت زيارة هذا الملك إليه وقد حضر يوم موت الشيخ لدفنه مع خاصته وجنده ، وتقدم وصلى عليه ووقف على القبر وحث التراب بيده ودموعه مع ذلك تسيل ، ووجد عليه أهل مراكش ما لم يجدوا قبل على غيره كأنهم لم يُصابوا برزية قبل ذلك اليوم .

كان المترجم رضي الله عنه عظيم الحال باهر الخوارق كثير الكرامات ، بحيث عزت عن الحصر وملأت الوجود ، كثير المكاشف كثيرا ما يُخبر عن الشيء قبل أن يكون ، وكانت له الاغاثة فى البر والبحر والخطوة ، وكان يقف بعرفة ، وكان يجرى فى كلامه الأخبار عن اللوح المحفوظ ورؤية ما فيه كبير الشأن جليل القدر شهير الذكر فى سائر بلاد المغرب فياض المدد قوي الحال عريض فى مقامات الأولياء ، فكان يدعى أنه الغوث ، وأنه صاحب الوقت ، وله في معنى ذلك قصيدة تائية يقول فيها :

ومن معدن التحقيق كان نصيبنـا وجملة أنواع اليقين فى قبضتـى
وكل بحور العلم طراً ورثتهـا وأنواع أحكام الطريقة حرفتـى
وأقطاب أهل الأرض مادتهم منـا والأجراس والأوتاد تحت إمارتـى
والأبدال والأوتاد من حول بابنـا بذل وفقد واحتقار وفاقـة
فكل رجال الله نالوا بعزنـا وأظفرنا بأعلى كل ولايـة
أقروا بأنني وحيد زماننـا وقدوة كلهم وهم لى فتيتـى
بأرواحهم أعنى أقر بملكنـا وأعناقهم طراً أناخوا لرتبتـى
ولو بان بعض ما شهدت من عجائب لأقطاب وقتنا لذاقوا المنيـة
وشاهدت غيب الغيب عيناً وعينـه وأبصرت أنوار الجمال بنظـرة
وأبصرت ما يأتى وما كان قبلنـا بنور جلال الله نارت بصيرتـى
وعينى عينه وأمرى بأمـره وسرى سر خير كل البريـة
مريدى حيث كان شرقاً ومغربـاً وجوفاً وقبلة فى حرز حميتـى
وان أمّنى فى البعد كنت أمامـه وكنت له حصنا حصينا وجنتـى

قال سيدى عبد الجليل بن سيدى محمد الكبير بن سيدى أبى عمْرو قال صـلى جدى رضي الله عنه يوم الجمعة بجامع المنصور وإذا بالأميـر صلى وخرج ، وإذا بامرأة زغرتت عـلى السلطان أحمد الأعرج (السعـدى) وإذا بجدنا رضي الله عنه يقـول للمرأة زغرتى علي أنا سلطان الدنيا والآخـرة ، فاذا بالحراس تخاصموا مع أصحاب الشيخ ، وذهب الشيخ إلى السلطـان أبى العباس الأعرج فأغلظ له الشيخ وواجهه بما يكره ، فلما خرج من عنده لامـه بعض أقاربه وقال له ألا تخاف السلطان حيث تواجهه بما واجهته به ؟ فقال له أخاف من المذبوح ! والله لأرى الذبحة فى عنقه من الأذن إلى الأذن ، والله إن لم أرفـع أنا فريسته لم يرفعها أحـد ، فكان الأمر كذلك ، وكـان السلطان محمد الشيخ قتله جماعة من الأتراك كانت فى جنده فغدروه بموضع يقـال له أكلكل بازاء جبل درن عـلى طريق رودانة وهو قاصد إليها وحزوا رأسه وذهبوا به ، وقتل معه الفقيه مفتى مراكش علي بن أبى بكر السجناتى ، والكاتب أبو عمران الوجانى ، وذهب خدام السلطان المقتول فدخلوا عـلى أخيه أبى العباس الأعرج فى السجن وكان أخوه انتزع الملك منه وسجنـه

وذلك سنة ست وأربعين وتسعمئة فقتلوه هو ومن معه من أولاده مخافة أن يخرجه الناس فيبايعوه ، وكان ابن سيدهم عبد الله الغالب نائباً بفاس إذ كـان ولي عهد أبيه بها فلعل أولئك الذين كانوا في السجن بقوا بلا دفن لم يتجرأ أحـدهم على دفنهم حتى احتملهم سيدى أبـو عمْرو رضي الله عنه ودفنهم ، وأنكر عليه بعض الناس تقبيل اليـد فقال له أنت رأيتهم يقبلون يدى فالله يقطعها مئة قطعة بالنار ، فانهم ليسوا يدى يقبلون ، إنما يقبلون فضل الله ، والله لولا أن تنسب الناس أكثر مما انتسبوا لخرجت له قصبة من الحائط ومن قبلها قضى حاجة .

ومـن كرامات الشيخ أن رجلا عمـد الى عكازه فجعله فـى داخل حانوته فلما سأله عنه قال أحرقته النار فاحترقت حانوته فى تلك الليلة إلا عكاز الشيخ ثم تاب من ذلك فأخلف الله عليه .

وقال الشيخ رضي الله عنه من اهتدى بى فاز ، ومـن اهتدى بى سـار ، ومن استشفع بى جاز ، فانأولي الله قطعاً و لاأبالى فكل مـن رءانى ووصل مقامى حصل له بذلك مقام عالي ، فقد بعثنى الله فيكم لاقامة السنـة المحمدية الحنيفة فى كلام آخر ، فازدحم الناس عليه حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً ، فخرج من باب الرباط وهو يقول أنا أقتل باذن الله وأحيى فاذا برجل من أكـابر علماء الوقت مفتى مراكش وهـو علي السجتانى متمسك بالأمير وهو يتكلم مـع الشيخ بكلام قريب من العجمية وليس بعجمى وذكر فيـه ما أمكن ، فقال سيدى أسكت قال الله تبارك وتعالى (وما أرسلنا من رسـول إلا بلسان قومه) فانقطـع كلام الفقيه ، وقد كان يقلب بمثـل هذا ولا يغرب منه فأنف ووسع الأكمام مع من هـو على شاكلته ، وبلغ الخبر الى الأمير عبد الله الغالب وأمر بجمع علماء الوقت بجامع الكتبيين ومرت نحو أربعة أيام فاذا بأصحاب الأمير أتوا لـه بفرس فركبه والناس أمامه يردون عنه الخلـق ليفسح المسير الى قرب الجامع حتى غلقت الحوانيت وتعطلت الأسـواق والنـاس يهرولون ، ونادى بأعلى صوته ابن علي الشربة ، فقال لـه نعم سيدى ، فقال له إذهب إلى سخان الحمام وأتنى بـه عزماً ، فجاء بالسخان ،

فقال له الشيــخ أردناك تجاوب هؤلاء العلماء وتنوب عنا ، فأطـرق السخان وقال له ياسيدى ومولاي إنى لا أعرف الفاتحة فضلا عن جواب الموت والحياة والسلطان هناك فغلظ عليه الشيخ فانتفض وقال له عبدك بعناية الله ظاهراً وباطناً ، فلمــا دخلوا الى الجامع ودخلت الخلائق معهم كأنهم جراد منتشــر فصار السخان يفــور بالعلم ويتكلم مع العلماء ويجاوبهم بالشريعة ، فكلمــا قالوا له بالشريعة فتح عليه ويفرغها لهم بأربعمئة تأويل ، وكلما قالوا له بالحقيقة أكثر فأكثر فصار يفور بالعلم الذى لا حصر لــه لأنه نزه بذاتــه لا يقدر عــلى كتمه ، فاذا بالعلماء والسلطان خرست ألسنتهم وازدادوا هيبة وحياء ، فعلموا أن الاستسلام واجب ، فقبلوه وهــو يقول أنا ولي الله بــلا كذب ، فكثر البكاء والضجيج ، وجعلوا يتساقطون عــلى رجليه ، واستفتح الشيخ وصعد الى المنبر ، وأظهر هناك من العجائب ما يعجز عن وصفــه البشر ممن كان فى ذلك المجمع ، ثم قال الشيــخ يقول الله تعالى (أومَن كان ميتــاً فأحييناه وجعلنا له نوراً) الآية ، فهذا أحييناه بعناية الله ، وأنتم أمــوات بعناية الله ، هاتوا ما عندكــم ، فصمتوا كلهم فخرجوا من جميــع الأوصــاف البشرية واتصلوا بالحضرة المحمدية ،وشهدوا لــه بالتحقيق ، ثم قال الشيخ لولا حياء من رسول الله صــلى الله عليه وسلم لقلت لــكم هذا مومن وهذا كافر ، وهذا مذبوح ، ولكن توبوا الى ربكم ، ثــم وعدهم الشيخ بباب الرواح الذى يلي القبلــة ، فركب عــلى الفرس واستفتح خطبة أخرى .

وله رضي الله عنه كــلام كثير ، وله رضي الله عنه رسالة رشيقــة رصيفة أجاب بها رسالة الشيخ الخروبى أفاد فيها وأجاد ، وبيــن الطريق لمن أراد ، وقد أثبتها الزروالى فى تأليف مناقبه .

وكانت للشيخ رضي الله عنه همة رفيعة فى إطعام الطعام عــلى قدر طبقته، فسار الناس يأكلون خبز الشعير وما وجد من الفاكهة معها، وفى الصبح الدشيش ، وفى المســاء الكسكس ، ومن هو أعلى مرتبة خبز القمح وخالصه والتمــر والعسل ، ومَن هــو أعلى مرتبة يأكل اللحــم والدجاج والأفــراخ والثريد ، ومن هو أعلى قدراً من المذكورين يقرب لــه الحريرة المتخذة مــن

لباب الخبز الخالص مقصرة بفصوص البيض مفوهة بالقرفة والزعفران ولحم الضأن المطبوخ باللفت ، تقوم الآنية بنحو خمسين أوقية لكل آنية ، وأنواع الفواكه التى لا توجد فى خزائن الملوك ، ولقد قضى أرباب الملك العجب من جودة طعامه وكثرته بحيث لا يوجد له نظير ، ومَن يتأمل ذلك يعلم أنه لا يقدر أحد على تلك الكفاية الا مَن ينفق عليها بيوت الأموال أو تكون له مادة ملكوتية ، وكل واحدة من قدور مطبخه يطبخ فيها الثوران والجملان، ويذبح كل يوم البقر والغنم والابل ، وعنده بلاط يبرد فيه الكسكس بالألواح كما يفعل بصابة الزرع عند التذرية والتصفية ، والعجب أن له على كل نوع من أنواع الطعام وكيلا مخصوصاً ، فاذا قال علي بفلان يأتيه فى الحين بكل ما يكون من ذلك النوع أما مشوياً أو مطبوخاً أو فاكهة أو عسلا أو سكرا على جميع أنواع الطبخ ، وذلك فى كل وقت من ليل أو نهار على الدوام ، ولما حضرته الوفاة أوصى بنيه وقال لهم ابنوا باب الرباط ولا تتعرضوا لما كنت أنا متعرض له ، فذاك سر إلاهي لا يقدر عليه الا مَن أذن له فيه ، وقبره مزارة عظيمة عند أهل مراكش ، وعليه قبة فى غاية الاحتفال على مقربة من ضريح الشيخ سيدى محمد الجزولى بروض العروس رحمة الله عليه .

وكان رضي الله عنه ذا سمْت حسن ، وجهه تلوح عليه الأنوار يقول رائيه هذا ولي الله حقاً إذا تكلم تكاد الجراوات تستمع اليه لا يكاد يسقط لسامعه من كلامه حرف ، وله سلطنة وهيبة وقهرية يعطى كل ذى حق حقه يحضر زاويته العلماء والفقراء فيقول لهم هاتوا ما عندكم ويسأل كل واحد عما أشكل عليه فيجيبه ، وكان من صوفية الحقائق والأذواق لا من صوفية الرسوم والأوراق ،مشتغلا بالسنة فى جميع أموره ، مواظباً على الأوراد والأذكار وأنواع النوافل ولو فى المرض لا تكاد تراه الا مبتسماً يتكلم مع الناس فيما يتكلمون ويضحك مما يضحكون ، ولا يخالف ظاهره ظاهرهم ولا يواطن باطنه باطنهم لا يزيد فيه إقبال الخلق وتعظيمهم ولا ينقض منه إدبارهم ، تنزل به النوازل العظام ولا يظهر لها عليه أثر ، ترياق مجرب لأمراض القلوب وعللها .

وقال رضي الله لو أتاني كافر متغمس في كفره لوصلته الى الله من حينه وقال أولادى تطعمهم الطعام وتسيرهم في الظلام ونعبر لهم الأصنام أي أصنام الدنيا المرجفة أي تطلبهم حيث كانوا ولا يتعبون في طلبها ، وقال رضي الله عنه الدنيا حلفت لتعبث بأولاد الفقراء كما لعبت بها آباؤهم وبرت بيمينها الا أولادى فليس لها عليهم من سبيل ، وقال رضي الله عنه من تعلق بالأولين ضعفت نيته ، ومن تعلق انتظار الآخرين طال أمله ، ومن تعلق بأهل زمانه تنور ، وقال من زار ولياً ميتاً أحيى نفسه ومات قلبه ومن زار ولياً حيا أحيا قلبه وأمات نفسه ، وقال المريد مستمد من شيخه ومن أخيه مستعد ، وقلبه لربه منفرد ، وقال رضي الله عنه من نظر إليَّ نظرة فله بها أجر سبعين حجة وهي نظرة خاصة بخصوص ، وقد كثر مريدوه رضي الله عنه حتى عرف منهم نحو السبعة عشر ألفاً ، وقال رضي الله عنه عندنا من أولاد القلب مَن هو في عدوة النصارى ، وأصحابه لا يحصى لهم عدد كولده لصلبه الملقب بسيدى محمد الصغير ، ثم الكامل ، ظهرت له نفحة ربانية لو طال عمره ، ومن أعيان أصحاب الشيخ الولي المداح الزعري ثم الحفياني الدودى ، والسيد عزة الفشتالى ، وأحمد المزروعى ، والسيد عيسى ابن عبد الرزاق ، وأحمد بن منصور المعروف بالحداد ، والفقيه أحمد بن يحيى ، والفقيه أحمد بلقاسم ، والشيخ العارف المحب محمد الشرقى ، والعارف أبو بكر المجاطى ، والسيد حمامة ، وصاحب الكميل أبو يعقوب يوسف الأحمدي ، نهؤلاء سادات الأصحاب وأعيان الأحباب ، ومنهم الشيخ محمد بن عيسى ، ومن كلام الشيخ رضي الله عنه من أحبنا لدنياه فهو محجوب عنا ، ومن أحبنا في ذات ربنا نال الولاية من حينه على أيدينا القريبة إلينا ، من تقرب وسار بسيرنا وتخلق بأخلاقنا فهو منا ولو كان بيننا وبينه ألف سنة ، ولما وقع قحط بمراكش أتاه أهلها بمفاتيحهم وطلبوه بالمال فأخذه من عند السلطان عبد الله الغالب بالله ودفعه لهم على يد صاحبه سيدى علي الشربة ، وكتب على كل واحد بطاقة بذلك ، ثم وجه له أصحاب البطائق الأموال فردها عليهم مع البطائق وطالبه بالمال السلطان ، فقال له في موضعه ، فسأل خازن بيت المال هل وصله منه شيء فقال

لا ، فأعاد اليه الكتابة فاغتاظ الشيخ وقال للحراس قــولوا لسيدكم المــال فــى محله ، فقدم الأمير بنفسه لبيت المال فوجده مملوءاً وكان رضــي الله عنــه يشيع المرضى واذا التقى بأحد من الأمراء وأرباب الأموال يقول لــه اشتر منى وتكلم معى بكــذا فان فعل قال له كنت فى أمان وان لم يفعل قال له أنت معزول أو مقتول ، فيكون ذلك بقدرة الله .

وكراماته وكــلامه رضي الله عنه ونفعنا به كثيرة لا حصر لهــا ، وكــان رضي الله عنه من أهل الخطوة حضر جنازة ببغداد ورآه الامام الزروالى فــى الطواف مراراً حين جاور بمكة ، ولم يسافر الشيخ الى الحجاز قــط ، وحدث بعد رجوعه بذلك بمحضره فلا ينكر عليه بل . . . . بذلك .

وقد ألف فى مناقبة العلامة الزروالى تأليفاً فى مجلد رتبه على مقدمة وأربعــة أبواب وخاتمة ، المقدمة فى تمهيد أصول الكتاب وقواعده التــى تنبنى عليها جميع الأبــواب ، الباب الأول فى إثبات نسبته المرضية واسناد طريقته المروية وتسمية أشياخه واحداً عــن واحد الى خير البرية ، الباب الثانى فيما دل عــلى تخصيصه باشارة أشياخه وحسن سيرته ، الباب الثالث فى ظهور دعوته البالغة وبراهينه البازغة وحججه الدامغة ونفحاته السابغة ، والباب الــرابع فى شيء من كلامه المشكور وتفسير ما تيسر منه عــلى حسب الفتح والنور ، وكراماته الظاهــرة وخصائصه الباهرة ومحاسنه الزاهرة ، الخاتمة فــى ذكر وفاته وما ظهر على بعض خواص حضرته من فضل بركاته ، وقــد لخصت مقاصد هذا الكتاب فى هذه الأوراق ، وقد ذكــرنا حكاية تبشير شيخه بــه فى ترجمة سيدى عبد الله بن ناصر صاحب سيدى عبد الله بــن حسين فراجعها هناك ، وكذلك ذكرنا شيئاً من أحواله فــى ترجمة صاحبــه سيدى علي بن مهدى وسيدى محمد بن عبد الرحمان المراكشى ، وفى ترجمة القاضى عياض ، وسيــدى محمد أحمد الحلفاوى وأبى العباس الــوراق ، وفى مقدمة هذا الكتاب فى ذكر فضل مراكش ، وفى ترجمة سيدى سعيد ، وسيدى الحسن المداح ، وعبد الرحمان بن عبد الهادى السجلماسى، وسيدى عبد الله الطربلسى ، وسيدى مبارك بن تعلوت .

ومـــن تلاميذه رضى الله عنه سيـــدى عيسى بن محمد التلمسانـــى المشهور بأبى معدة كما في الرحلة العياشية والناصرية .

97) أبو عنان فارس بن أبى الحسن علي بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (I) .

لقبه المتوكل على الله .

أمه أم ولد رومية اسمها شمس الضحى .

مولده بفاس الجديد المدينة البيضاء في الثاني عشر لشهر ربيع الأول عام تسعة وعشرين وسبعمئة .

بويع بتلمسان في حيـــاة أبيه ، لأنه غدر أباه في الملك لما غـزا إفريقية ، يوم الثلاثاء منسلخ شهر ربيع الأول عام تسعة وأربعين وسبعمئة ، وكانت دولته تسعة أعوام وتسعة أشهر ، وهو الذى أحدث بمدينة فـاس العلم الأزرق في الصومعة .

صفته أبيض اللون تعلوه صفرة ، طويل القامة يشرف الناس بطوله . . . . . أعين أدعج جهوري الصوت في كلامه عجلة حتى لا تكاد تفهم ما يقول ، عظيم اللحية تملأ صدره أسودها ، واذا تمر به الرياح تتفرق بنصفين حتى يستبين موضع لحم السبلة ، وكان فارساً شجاعاً يقوم في الحرب مقام جنده، وكان فقيهاً يناظر في الفقه العلماء الأجلة ، وكان عارفاً بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من العربية والحساب ، وكان حافظاً للقرآن عارفاً بناسخه ومنسوخه حافظاً للحديث عارفاً برجاله فصيح القلم كاتباً بليغاً حسن التوقيع .

أولاده أبوزيان محمد وهو الذى ولي بعده .

كتابه أبو القاسم بن رضوان ، وأبو القاسم البرجى .

قضاته محمد المقري ، ومحمد بن أحمد الفشتالى ، وعبد الله بن محمد الأوربـــى .

I) ترجم المؤلف لأبى عنان في موضع اسمه فارس من حرف الفاء ، وقد آثرت اثبات ترجمته في مكان كنيته (أبى عنان) من حرف الألف ، لأنه لا يعرف الا بها .

ومن نظمه يتغزل :

يارامياً بالنبال من غنج | وطائلا بالنصال من دعج
وبادياً كالهلال فى سحب | وطافحاً من سلافة الفلج
وباسماً عن لئالىء سلفت | وناسماً كل عاطر أرج
رفقاً بقلبى فان فيه هوى | ولا تطل فى الملال والحرج

وله أيضاً فى الحكمة :

واذا تصدر للرياسة خامل | جرت الأمور على الطريق الأعوج

قال ابن الأحمر : كنت يوماً جالساً معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء من فاس العليا فدخل عليه رجل متصلح ، فلما نظر اليه قال بديهة :

تراهم فى ظواهرهم كراماً | ويخفون المكيدة والخداعا

قال ابن الأحمر فى (نثير الجمان) : أخبرنى الفقيه الامام المفتى المدرس قاضى الجماعة بفاس وقاضى الحضرة المرينية بالمدينة البيضاء محمد القرشى المقرى قال كنت يوماً عند أمير المومنين المتوكل على الله أبى عنان فقال لى ياأبا عبد الله كنت يوماً بقصرى وكانت فى يدى تفاحة فحضرتْنى جارية من جواري كنت أحبها حباً مبرحاً فرميتها بالتفاحة وقلت على البديهة :

خذها إليك هدية | من كف ملك مالك
يُبدى العطايا دائماً | ويُبيد شملَ الفاتك

وله أيضاً :

صباح سعد قربُك منى | يامشبه الغصن فى التثنى
أشبهت بدراً وفقت حسناً | وزدت فى الهجر والتجنّى
فامنُنْ بوصل ولا تُطلْه | فان بالبعد زاد حزنى
فأنت نَوْر وأنت نُور | وأنت بدر بدا بغصن

وله أيضاً :

ألف الفـرار فؤاديـــــــــا   فغـدا اشتياقـي ناميـــــا
وأطال لهـف تشوقـــــي   فبـدا اصطبـاري نائيـــا
وتوقدت نارُ الحشـــــا   فطلقت دمعاً هاميـــــا
بالله ياعرب النقـــــا   ردوا عليَّ سلاميـــــا

وله أيضاً :

ياعاذلى فى غـــرامــي   دعنـي وطـول المـــلام
دع مستهاماً كئيبـــاً   جفاهُ طيبُ المنـــام
وجسمه قد تمـــادى   عليه فـرطُ السقـــام
وحبـه لـن يحـــولا   مخلـداً للقيـــام

وله أيضاً :

جسمى أضرَّ به السقـــام   والجفن قـد عدم المنـــام
ياهاجـرى منـى عـــلى   أنوار غرتك السـلام

وله أيضاً :

ياظبية نفرت عنى ففارقنـــى   نومى فرقّى على مَن ليس ينساك
ملكتنـى ففـؤاد هائـم دنــف   وحزت رميا لما تحويـه عينــاك
مُنى علي بما أهوى فهـا كبـدى   تحن شوقاً وأشجانا لذكـــراك

وله أيضا :

خليليَّ هذا البين جار فلم يـدع   لدى اصطباراً أو فؤاداً ولا عقـلا
سألتُكما رقا لحالة وامـــق   ومهلا على أهل الهوى والنوى مهلا

ومن توقيعاته لبعض عماله . . . . (بياض) .

وفى أيامه قدم الامام ابن خلدون الى فاس فاستعمله أبو عنان على كتابته.

وفى كتاب (الحقائق والرقائق) ما نصه :

وقيقه اخبرنى أميـر المومنين المتوكـل أبو عنان أن جده أميـر المسلمين عثمان رحمهما الله تعالى سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عـن

تهادى أهل الحب التفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب المخبـر شديد الشبه بأخيه شديد تشبه الوجنات بـه لتوخيه ، فقال من عنـد مولانا فقال أرى ذلك لاشتمال التفاح عـلى الحب الذى يذكر بالحب ، والخوخ عـلى النوى الذى يكون اسمه صفر الهوى . انتهى كلام الكاتب المذكور .

قلت ومثل هـذا يقال فى قولهم وصل الحبيب أحـلى من الزبيب ، ولم يقولوا مـن التمر لما ذكر ، ولنكتة أخرى كالسجع ، وفى (الديبـاج) و (الجذوة) فى ترجمة ابـن مرزوق الجد نقلا عن ابن الخطيب قال : وحدثنى الثقة من خدام السلطان أبـى عنان مُخبراً عن نفسه يعنى السلطان وكـان أبو عنان قد غضب عليه يعنى على المترجم المذكور ثم أجاره مـن سخطه عليه قال رأيت النبي صـلى الله عليه وسلم فأمرنى بذلك وكفى بهذا جاهاً وحرمة .

ونقل فى (أزهار الرياض) من خط بعض الأعلام من تلامذة الشيخ ابن غازى رحمه الله ما نصه وقد تكرر السماع من علماء فاس ولا سيما مـن السيد القدوة محمد ابن غازى رحمهم الله أنهم قالوا رأى بعض صلحاء فـاس نفع الله بهم السلطان أبـا عنان وهو بحالة حسنة وثياب حسان ، فقال لـه ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى وأدخلنى الجنة ، فقال له وبم ذلك ؟ قال عـلى قراءة الشفا للقاضى عياض بمساجد فاس ، غفر الله لى وضمن عنى الحقوق وهنا رجاء عظيم وذلك قليل فى حق المصطفى صـلى الله عليه وسلم .

قلت رأيت بخط الفقيه القاضى الـكاتب الرحال إبراهيم بن الحاج النميرى رحمه الله فى تاريخ لـه بعد كلام ما نصه : ثم ولي بعده ابنه المتوكل على الله أبو عنان ، وهو الذى تميز بأمير المومنين مـن بنى مرين وحده ، وتلقب بالمتوكل عـلى الله ، وهو الجامع لكمالات الملوك ، المنفرد بما لـم ينفرد به أحد ، وكان مُحباً فى العلم وأهله يحصل لـه المسائل العلمية ويطالع الـكتب ليله أجمع لم تهزم له قط رايه ، وخلد آثاراً عظيمة ، وبنى بكل بلدة مـن بلاده زاوية لاطعام الطعام ، ولم يكـن له قصد الا فى تحصيل الأجور واكتساب المحامد والمعالى ، ورئي فى النـوم فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى وأدخلنى الجنة ، فقيل له بصدقاتك ؟ قال لا ، رجع كل شيء إلى أربابه وانما نفعتنى قراءة سورة الأنعام فى كل ليلة ، ورآه بعضهم

أيضا فقال له كيف حالتك ؟ فقال أنا فى أتم النعم وأكمل الخيرات بمحبتى فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يجمع بين هذه الأشياء بأن بجميعها حصلت له المغفرة ، وفضل الله واسع ، نسأله سبحانه أن يمن علينا بالرضوان ، ويقينا فى الدارين مسالك الذل والهوان بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

توفي مقتولا خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودى يوم السبت الثامن والعشرين لذى حجة مختتم عام تسعة وخمسين وسبعمئة (1 دجنبر سنة 1358 م) .

ترجمه فى (الحلل) و (الاحاطة) و (تاريخ الدولتين) و (الجذوة) و (درة السلوك) و (المونس) وذكر فيه الحافظ فى (الدرر الكامنة) سطرين ، وذكر أنه ولي السلطنة خمس سنين ، وهو خلاف ما تقدم .

ومن آثاره العظيمة بفاس المدرسة البوعنانية ، وخزانة كتب القرويين العلمية ، وخزانة المصاحف القرءانية ، وبسلا المدرسة التى صارت الآن فندقاً يسمى أسكور ، وكانت لدراسة الطب ، وبتلمسان مسجد سيدى الحلوى ، وراجع ص 318 من ج 1 من (نفح الطيب) .

فائدة :

قال فى (الكشف) **الدرة السنية ، والوسيلة النبوية** رسالة لأبى عنان ملك المغرب .

98) **أبو عسرية بن منصور** : الفقيه الناظم الناثر ، له منظومة فى المراحل الحوزية رائقة رشيقة طريفة وعظية جغرافية تاريخية ، نظمها وذكر دخوله لمراكش صحبة السلطان سيدى محمد بن عبد الله واغداقه عليه جزيل الاكرام منها :

وليس فى أيام ربى من أثــر	فى شيء ما فى حضر ولا سفــر
وانمــا المؤثــر الالاه	فلا تؤثر أحداً ســواه

عند الضحى خرجت من مكاننا … ونحن إذ ذاك أمام جدنا
سيدنا محمد بن منصور (1) … قطب العوالم الرضيُ المشهور
ضريحه جزيرة البسابس … بغربنا المذكور لا تلابس
من بعد ما له قرأنا الفاتحه … وربنا يُنيلنا مفاتحه
طلبت من إلاهنا الوهاب … سلامةَ الذهاب والاياب
على طريق السيد الموالى … سيدنا محمد الملالى
به طلبنا ربنا تعالى … بلوغ كل نعمة توالى
معى من الاخوان مَن يناسب … إعانة إن عدم المناسب
منه الى وصولنا وادى سبو … وماؤه أجل ما يناسب
عليه حلة بنى عطية (2) … أنالنا الله مُنَى العطية
منهم أتانا مخبر وناصح … قال اقطعوا على مجاز صالح
لأنه من أسهل المجاز … وربنا بمنه المجازى
به قطعنا مع بعض الناس … فما بدا لنا به من باس
وقصدنا محلة العبيد … بمشرع الرملة يامفيدى
فى موعد المحلة المسافرة … مع الشريف كي نرى مآثره
ورفقة معروفة الاحسان … يرعون حرمتى من الجيران
بتنا فى حفظ ربنا ذى الفضل … عند بنى فضل (3) من أهل الفضل
أجلهم فى وقتنا ادريس … ثم محمد الأخ الأنيس
قد أكرموا نزولنا وفرحوا … فوصلنا إليهم وذبحوا
وذلك الفرح أمره شهير … دل على أنهم أصل كبير
إذ كل فرع تابع لأصله … جزاهم الاهنا بفضله

---

1) **محمد بن منصور المصباحي** : أحد مشاهير صلحاء الغرب فى القرن العاشر ، صاحب الضريح الشهير بقبيلة المناصرة شمالى مدينة القنيطرة؛ توفى فى العشرة الثالثة من القرن العاشر ؛ واقبر بالمكان المعروف بالبسابس أو جزيرة البسابس من أرض أولاد جلون ، ورد فى بعض التقاييد أنه من ذرية سيدى عبد الله بن منصور الحسنى دفين قرية عين الحوت القريبة من تلمسان .

تنظر ترجمته فى **دوحة الناشر** ص 56 .

2) توجد هذه الحلة ببطن سفيان من قبيلة المناصرة .

3) توجد حلة بنى فضل اليوم ببطن التوازيت من قبيلة عامر السفلية باقليم القنيطرة .

وفي غد صباح يوم الأربعـا … ركب جمعنا بخير مسرعـا
جزنا على الولي نجل جدنـا … سيدنا يحيى بن منصور (I) دنـا
بطرف المحلة المذكـورة … قبته قائمة مشهـورة
بجاهه طلبت القلـوب … كل المنى وذلك المطلـوب
بقربه يعمر سوق الأربعـا … إليه تنسب فكن متبعـاً
وبينما نحن به إذا قبلـت … محلة الشريف ثم نزلـت
بقربه لها قباب وخبـا … لأجلها العدا تصير كالهبـا
ومعه القبائل المذكـوره … أقامها أمر الأمير سـوره
من بعد ما قد بُنيت وصلنـا … إلى مرادنا الذى قصدنـا
وهي المنا قائدنا المذكـور … ابن المفضل الرضى المشهـور
فأكثر الترحيب والتبجيـلا … وكان منى طلب التعجيـلا
فهيأ المسكن والمركوبـا … وحمل المأكول والمشروبـا
فلم أكلف سفرتي بـزاد … إذ كنت مثل واحـد الأولاد
وكمل المراد بالاحسـان … جزاه ربنا العظيم الشـان
من فضله أفضل ما يجـازى … به ذوو الاحسان إذ تجـازى
وذى المحلة التى وصلنـا … رسومها وأرضها حللنـا
هي من أحداث بديع الزمـن … بادت بأهلها كأن لم تكـن
وربما تعرف وضع أصلهـا … لكن إذا تشاء قل في وصفهـا
محلة ويالها محلـه … قد أخذت من دهرها محلـه
كانت ولاة أهلها على طـرب … وفـرح طاب لهـا كـل أرب
ساعدها الزمان والسلطـان … طاعت لها الجبال والأوطـان
كانت ملوكاً زيها زي الملـوك … قائمة بأمر مالك الملـوك
لها مع السلطان إسماعيـل … أشد صولة على ما قيـل
عزٌ وجاهٌ وجيوشٌ وافـرهٌ … بكل ما يريد منها ظافـره
فلو سمعت ذكرهم ممن حضـر … لقلت هذا الأمر مما يعتبـر

I) يوجد ضريحه بالقرية المنسوبة اليه الواقعة بقبيلة عامر السفلية على الطريق الرابط بين القنيطرة ومكناس عبر سهول الغرب .

لما تولت مدة السلطـــــــان ... صالوا بحال الظلم والطغيان
فأصبحت ديارهم بلاقــــــع ... ومـــا لأمر الله من مدافـــع
أبادهم عدم حمــــــد الله ... وشغلهم بكثرة الملاهـــــى
بقت آثارهم ديار خاليـــــة ... بها منازه مبان عاليــــــة
فيها أشد عبرة للمعتبـــــر ... تذكرة تقول هل من مذكـــر
فمن رآنى فليجد فى العمـــل ... ولا يغره هوى طـول الأمـــل
بها أقمنا بعد ذا يوميـــــن ... فى مأمن الالاه دون ميـــن

من المقرن الى سيدى عبد العزيز

ثم من الغد ارتحلنا فى الأحــد ... بغابة بها منى كل أحـــــد
بها من الوحوش ما لا يحصـــى ... عدده وأمره مستقصـــــى
رأيت فيها كثرة الأرانـــب ... تدور حولها من كل جانـــب
والذئب والخنزير فيما يذكــر ... من الوحوش أمرها مشتهـــر
على الحويمض إلى السمنطـو (1) ... ومشينا مع الطريق شـــرط
وهو وادٍ طوله مديـــــد ... أيام حمل ماؤه يزيـــــد
فيه وجدنا حُلَلَ الأعــــراب ... خيامهـــا مصونـة الأطنـــاب
سألنا مَنْ همْ قالوا العبابدة (2) ... ومعهم حلل قوم زائـــــدة
منها طلعنا فى فيافى وقفـــار ... واسعة الفضاء مشتهى النظـــر
مرت بنا الطرق على فنـزارة (3) ... خالية ليس بها عمـــــاره
كانت بها دور مصونة البنـــا ... أبادها أمر الالاه ربنـــــا
تدل ذا العقل على الرحيـــل ... من هذه الدنيا بلا مقيـــــل
لأنها كمَثَل الســـــراب ... عامرها يصير للخـــــراب

---

1) **السمنطو** : سهل واقع بين قرية سيدى يحيى الغرب وقرية سيدى علال البحراوى ، به وادى يسمى به ' وبه حلتان احداهما شمالية ببطن التوازيت من قبيلة عامر السفلية ؛ والثانية جنوبية ببطن المحاتميين من قبيلة آيت على بن الحسن الزمورية .

2) **العبابدة** : بطن من قبيلة عامر السفلية من اقليم القنيطرة .

3) **فنزارة** : اسم قبيلة بربرية قديمة كانت بطونها منتشرة فى السابق بين وادى بهت وغابة المعمورة ؛ ويظهر ان المكان موجود بين قرية سيدى علال البحراوى وقبيلة السهول .

سوقاً وجدنا خلفها قد عمـــرا ... قضى ذوو الأغراض منه وطـــرا

في قربه طلع ذيب من خـــلا ... تعرضت له خيول نبـــلا

فأخذوه مكرهاً لا طوعـــا ... وتركوه ميتاً وصرعـــى

منها وصلنا ولجةَ العـــودات ... بوادى المجاز ذى الثبـــات

عند صلاة الظهر ياخليـــل ... وكان فيه عندنا المقيـــل

ثَمَّ آثارُ الباشاة القسطالـــى ... رحمه الله الكريم العالـــى

كانت له العرصة بالأشجـــار ... يغشاها بالليل وبالنهـــار

يخرج في الصيف وفي الشتـــاء ... منزهاً في جري ذاك المـــاء

حتى إذا أتاه وارد الحِمـــام ... تركها ومرَّ عنها والســـلام

يامالكى المعروف بالاحســـان ... قابله بالرضى وبالغفـــران

وحلة السهول حول الـــوادى ... معهم البعض مـــن الأولاد

منه طلعنا مع غوط غـــوط ... طويل الامتداد عالي الشـــط

ثم طلعنا فهبطنا أيضـــاً ... مـع

وبتنا خلف سيدى عبد العزيـــز ... في حفظ ربنا وحصنه الحريـــز

من بعد ما أتى من الأخيـــار ... بعضهم بأحسن الثمـــار

قال لنا من عرصة الولـــيّ ... سيدنا العربيُّ التقـــيّ

نجل الذى سهامه لا تخطِـــى ... نحرَ أعاديه الامام المعطـــى

اخذها من بعض أهل البلـــد ... بالثمن المرضيّ لا تفنـــد

بها من الثمار أمر عجـــب ... ترضى الذى يبصرها وتعجـــب

أشار به الولي بما تيســـرا ... وربنا يفتح ما تعســـرا

طلبنا للولي ضيـــفَ الله ... ولا يخيب عائذاً بـــالله

من سيدى عبد العزيز الى مشروع المسناوى

ثم من الغد ارتحلنا بالســـلام ... لقصدنا وكان قصدنا أمـــام

في يوم الاثنين الذى يلى بـــلا ... تعطل مع سراة نبـــلا

منها قبضناها طريقاً واضحـــة ... من بعد ما له قرأنا فاتحـــة

به ســألنا ... سلامة الذهاب والايـــاب

سرنا مع الطريق في فيافـــي
واسعة الفضاء والأعطـــاف

كثيرة الشعاب والأشجـــار
فيها مُنى الأسماع والأبصـــار

كثيرة الوحوش للصيـــاد
فيها المنى وغاية المـــراد

وهذه البلاد تدعى بالبيـــان
على لسان أهلها بين الســـودان

. . . . قربنا مولانا إدريس (1)
على اليسارِ زره' ياأنيـــس

مياه أغبـــال (2)
مَن زاره له المنا والاقبـــال

زرنا ضريحه بحمـــد الله

وحوله بعض من السهـــول
خيامهم قائمة الأصـــول

بانت لنا أمامنا شعـــاب
عويصة ساكنها مهـــاب

فيها هبطنا مع شط الـــوادي
وادي برقراق (3) منى الأثمـــاد

ثم شعاب وجبال وشجـــر
كثيرة الوحوش مشتهي النظـــر

ثم سباع وذئاب ونمـــور
عادية إياك صاح والغـــرور

إن جئتها كن ضابطاً وحازمـــا
ذا أهبة ميقظاً وعازمـــا

عساك أن تفوز بالمـــراد
مع السلامة بلا نكـــاد

فكم جرى
وكم
وقليل" ما هم

كان مقيلنا بهذا الوادي فـــي
زوال يومنا بلا تكلـــف

وماؤه في غاية العذوبـــه'
فنال كل شارب مطلوبـــه

منه طلعنا لبلاد جامعـــه
ذات فجاج وفيافي واسعـــه

بلاد حرث وكلآ للماشيـــة
وكثرة الخيرات فيها فاشيـــة

---

1) **مولاي ادريس** : المراد بـه مولاي ادريس المدفون بالمكان المدعو أغبال ببطن المعايفة من قبيلة أولاد عزيز الزعرية بحوز الرباط . عليه ضريح مقصود ؛ وينعقد به كل أسبوع سوق يضاف الى اسمه .

2) **اغبـال** : المراد به هنا أغبال الموجود ببطن المعايفة من قبيلة أولاد عزيز الزعرية بناحية الرباط ؛ وبه ضريح مولاي ادريس المشار اليه في التعليق المتقدم .

3) **أبو رقراق** : نهر شهير بالمغرب ينبع من ناحية خنيفرة بالأطلس المتوسط ؛ ويسير متعرجاً في اتجاه شمالي غربي متضخماً بما ينضاف اليه من الروافد حتى يصب في المحيط الأطلسي بين الرباط وسلا ؛ ومن أسمائه القديمة وادي سمير ؛ ووادي الرمان .

فيها وجدنا حلة كبيرة   لها مواش نعم كثيرة

مثل حارث فقال لا نكير   أولاد ميمون (1) فريق من زعير (2)

وان تشأ نفسك خبر ما بغت   فهاذه بلادنا تلمَّغت

وذى طريق سوق بونجاجه   فاسلكْ سبيلنا وعى فجاجه

ثم لقيتنا الطريق من سلا   واضحة وقيتَ أنواع البلا

لما وصلنا السوق سلنا ماجرى   فجاءنا البشير قال خبرا

ان الأمير حط ليل البارحه   فج كرامة بقوم فارحه

واليوم صار عازماً ذا حاجه   يرجاكم (3) فى صخرة الدجاجة

فسرَّنا خبرُه اليقين   وصار فى القلب له التمكين

منه قصدنا مشرع المسناوى   وكل قاصد إليه ياوى

حطت به قبل اصفرار الشمس   هازمة وزال كل لبس

احدى مشارع وادى زبيدة   وكانت الجيوش مستعدة

خرج ثم القائد الجيلانى   للصيد والبعض من الأعيان

مصادفاً فى الحين عشر حجلات   فقسمت مع الشريف بالثبات

إذ لم تكن فى ليلة مثونه   ولا هناك حلة مصونه

فكان هذا الصيد من أحسن ما   يكون فى الوقت عشاء لهما

وبات فى أمان رب العالمين   جميعنا فهو الحفيظ والمتين

من مشرع المسناوى المذكور الى بلاد جدى المشهور

ثم من الغد ارتحلنا تابعين   إمامنا المقصود والله المعين

---

1) **اولاد ميمون** : قبيلة شهيرة من مجموعة زعير القبلية بناحية الرباط .

2) **زعير** : مجموعة قبلية كبيرة بناحية الرباط بالمغرب الأقصى ؛ تنقسم الى فرقتين كبيرتين : فرقة الكفيان ؛ وفرقة المزارعة ؛ فالفرقة الأولى تشتمل على القبائل التالية : الحلاليف؛ والنغامشة ؛ وأولاد عمران ؛ وأولاد دحو ؛ وأولاد موسى ؛ واولاد زيد ، والغوالم ، والرواشد ، والسلامنة ، والفرقة الثانية تشتمل على القبائل التالية : بنى عبيد ؛ أولاد كثير ؛ وأولاد ميمون ؛ والمراكشية ؛ والنجدة ؛ وأولاد على ؛ وأولاد عزيز ، واولاد خليفة ، وأولاد كثير ؛ وأولاد ميمون .

3) أى ينتظركم .

من بعد ما وصلنا الرقـــاس (1) … عبد الحفيظ قال يا أنـــاس
إن الأميرَ آمرٌ بخيـــر … وهو أن ترفَّقوا فى السيـــر
إلى المواضع التى يحلهـــا … تبادرون أنتم محلهـــا
جزنا على العوينة الحمـــراء … قرب المبيت صافياً المـــاء
فى قربها لقي بعض الطلبـــة … قائدنا والكل منهم طلبـــه
فما تيسر له أعطـــاه … والعبد لا يتركه مـــولاه
أتوا له بلوحة مصلصلـــه … وفيها قد كتب بعد البسملـــة
مع التعوذ الذى يوضـــح … (إنا فتحنا) مع (إن تستفتحوا)
فكان من أحسن فال حمـــدا … لقيه والفتح أمر قصـــدا
سرنا وفى تلمَّغت مهامـــه … فيها القطا تحار مَن لنا بـــه
فجاجها تفجى عن القلب الكـــرب … وتدفع الهمَّ وتجلب الطـــرب
لها تحركت ولاة الأمـــر … من قومنا والخيل عند الأمـــر
رابضة لها صهيل ونفيـــر … عند التحرك وأمرها شهيـــر
جمع كل علفة تكنـــه … والقائد الجيلانى ذاك فنـــه
أغار بالخيل على البيـــان … للقائد الهاشمى بن الحفيانـــى
إغارةَ الأعراس والأفـــراح … أو شارب مثقل بالـــراح
سار وربى ناصرٌ أعلامـــه … حتى تساقطت له العمامـــه
على جواد أدهم قد أدبـــه … فصار عند الأمر مهما ركبـــه
ثم أغار القائد الحفيانـــى … بخيله وقومه الأعيـــان
وهاكذا وجل ذاك اللعـــب … لغرض الخليفة المهـــذب
ساروا طويلا والبارود يُسمَـــع … له انين والبريق يلمـــع
حفظهم من ماكر غـــدار … إلاهُنا بالليل والنهـــار
بقت على يميننا الهراتـــك … بلاد كل صائل وفاتـــك
لا يدركون أهلها بحيلـــه … لانها حمت كم من قبيلـــه

---

1) **الرقـاص** : ناقل البريد من مكان الى مكان وموزعه فى الاصطلاح الادارى المغربى القديم ؛ ويطلق أيضاً فى العرف على من يخدم الناس وعلى كل انسان كثير الحركة ؛ يقال فلان يرقص علينا أى يخدمنا . وهو بالصاد لا بالسين .

ثم على يسارنا الجبال ... جبال بطنة فلا تنال
ساكنها ينال كل عز ... لأنها شهيمة فى حرز
بها جرت لقومنا وقائع ... فى مثلها يحار كل سامع
مع زعير مانعى المعروف ... قيد حياة الهاشمى المعروفى
فصار من أعيان قومنا كثير ... ومنهم لرحمة العلي الكبير
عساه يرحم

وشرحها فى أمره عبارة ... وانما جئت بذا اشارة
والفج ثم ظاهر بريز ... وكل ساكن بـه عزيز
ثم هبطنا لشعاب خاليه ... متصلات بجبال عاليه
على طريق كلها أحجار ... ثابتة وكلها أشجار
ملتفة على اليمين والشمال ... قاصمة ظهر أولائك الجبال
حتى لحقنا لغدير ماء ... كان به المقيل يامنائى
وهذه الجبال لا محاله ... تدعى بخيمة أبى خلاله
كان رئيساً قائماً فى وقته ... ذا رفعة حتى ثوى برمسه
رحمه الله الكريم المتعال ... بفضله إنه واسع النوال
وموضع الخيمة ثم ظاهر ... معلما لمن يراه باهر
يقول ياهذا الذى رءانى ... إياك أن تغتر بالزمان
أنظر لحالى واسمعن مقالى ... ما فاز غيرُ صالحى الأعمال
فاستعمل الجد وجد فى العمل ... ولا توخر صالحاً إلى الأمل
ثم ركبنا وقبضنا ذا الطريق ... وربنا خير حفيظ ورميتق
وهي رمال ذات أشجار طوال ... قد أخذت يميننا مع الشمال
منها خرجنا لبلاد عارية ... لا غابة بها تراها عالية
بقت على يسارنا الصفاف ... خلف عيون البل ياخواف
وهي ربا متصلات عالية ... تظهر عن بعد تراها خالية
مرت لها من هذه طريق ... واضحة يسلكها الرفيق
رغنا على طريقة اليمين ... أمننا الله فى كل حين
وكل هذه البلاد لزعير ... تعرف عند قومها بلا نكير

إلى مواضع بماء تعـــــرف … بدار برغوث كذاك توصـــــف
بتنا على بلاد جدى يافتـــــى … والله حافظ لكل من أتـــــى

من دخول بلاد جدى الى عين مازه

ثم ارتحلنا يوم الأربعـــــاء … ببلدة طيبة الهـــــواء
كثيرة الربا كثيرة الشنعـــــوب … قليلة الماء قليلة العشـــــوب
فما رأت عينى بها عمـــــاره … وكل باد يفهم الاشـــــارة
راحة كل بدوي فى كسبـــــه … وحيث لا رعي فلا ينزل بـــــه
ووقتنا هذا كذاك وجـــــدت … وقيل إنها سترضـــــى إن روت
وما ترى إلا غراب البيـــــن … يعوق فيما بينها وبينـــــى
وذى بلاد جدى إن تسائـــــل … هي الحدود ما بين القبائـــــل
تنزلها الحلل فى وقت الربيـــــع … لاسيما إن كان ذا غيث مريـــــع
تأتى زعير وزيان مع بنـــــى … مكيلد وغيرهم فاستبـــــق
تأتيه ورديغة كم من حلـــــة … وكل واحد يلى محلـــــه
لاغصابها الأنعـــــام … أعشابها تصلح للأدامـــــى
وأرضها تصلح للزراعـــــه … معروفة عندهم نفاعـــــه
كم حارث حرث حرثه القليـــــل … فجاءه الزرع الكثير يانبيـــــل
وهكذا أسرار فضـــــل الله … فى خلقه ليس لها تناهـــــى
سرناً وبعض الطرق تشتهيهـــــا … ذات رمال لا اعوجاج فيهـــــا
لها تحركت نفوس البعـــــض … من قومنا للبسط بعد القبـــــض
فصار يبدى علفة فى علفـــــة … وليس فى ذاك عليه كلفـــــه
على عواد أزرق مجمـــــوع … به ولوع غاية الولـــــوع
باروده يسمع من بعيـــــد … وما على ذلك من مزيـــــد
ونحن سائرون إذ وصلنـــــا … من كان خلفنا قريباً ودنـــــا
. . . . طريق الحجر المثقـــــوب … على اليسار فزت بالمطلـــــوب
سرنا قليلا فلقتنا ساقيـــــة … من ماؤه من الظماء وافيـــــه
قِلنا بها مقدار ما تنفســـــت … أرواحنا وخيلنا وشربـــــت

واجتمعت أعياننا جماعـــــه — وأكلوا بقدر الاستطاعـــــه
لما ركبنا داخلين يالبيـــــب — بلاد ورديغة فزت بالنصيـــــب
لقينا بعض من الفرســـــان — فقال ها محلة السلطـــــان
أمامكم روغوا يساراً واطلبـــوا — مبيتكم وفى غد تأهبـــوا
إلى لقا إمامنا الأميـــــر — فقد وصلتم' بلا نكيـــــر
رغنا وبتنا فى أمـــــان الله — بأعيُنٍ كثيرةِ الميـــــاه
وهم عيون مازة المذكـــورة — قبل ففى الْمواطن المشهـــورة
لكي تحدث اذا رجعـــــت — بكل ما رأيت أو سمعـــــت

من مازة الى صخرة الدجاجة ومُلاقاة السلطان فيها أعظم حاجه

يوم الخميس أصبح الصبـــاح — وربنا لا غيره الفتـــــاح
تحزمت مصونة خيولنـــــا — تيقظت ناشطة عقولنـــــا
وكل فارس على جـــــواد — يروضه لغاية المـــــراد
تصافقت خيولنا جميعـــــا — والكل كان سامعاً مطيعـــــا
تركبت وخفقت بنـــــود — على رؤسها لها صعـــــود
وءالة الحرب بأيدى القـــوم — صقيلة لمثل هذا اليـــــوم
ومَن يرد تأهبا يصـــــون — وجه اللقاء هكذا يكـــــون
هازمة ترهب من يراهـــــا — وأهلها وثيقة عراهـــــا
إذا أتى أوجهها الشريـــــف — خليفة الكل الرضى المنيـــــف
من بعد ما أدت له الخلافـــة — وليس يبغى أحد خـــلافـه
امامه أمرهم بالانصـــــراف — والكل طوع أمره دون خـــلاف
لأنه خليفة الامـــــام — فى جيشه وناصر الأعـــلام
ساروا كما أراد من ولاتهـــا — كل قبيلة على حدتهـــــا
إلى إمام الكل قاصدينـــــا — وللقاه' متأهبينـــــا
حتى إذا تقابل الجمعـــــان — وبان ظل مولانا السلطـــان
تصافقت تلك الجيوش كلهـــا — وعمرت ذاك الفضا خيولهـــا
جاء الخليفة إذاً أمامهـــــا — وخلفه قد نشرت أعلامهـــا

ما بين لون أبيض وأخضـــــر وأحمر قان وأصفـــــــــر

وأخرجوا زي الملوك حاضـــرون كما تشا والناس ثم حاضـــرون

وهي إذا قد عدها الذى حضـــر هازمة الأعادى تسعة عشـــــر

ثلاث مرات كما فى العـــــادة من غير ما نقص ولا زيـــــادة

لما انجلى أتت إلينا غائديـــــن رسلُ مولانا الأمير قائليـــــن

إن أميرنا يقول لكــــــــم قبيلة قبيلة تقدمــــــوا

ففهموا المعنى الذى قصــــده وامتثلوا الأمر الـــــذى أراده

لما رأى الذى محكم السلـــوك غيره إياك غيره الملـــــوك

فامتاز كل قائد بخيلـــــه عن غيره وضمها لأهلـــــه

وسار مولانا الشريـــــف أولا إلى الأمير قاصداً معجـــــلا

وبعده تتابعت مبايعـــــة من خلفه جيوشه وطائعـــــه

وأقبلت ولاتنا عليـــــــه والكل كان شائقاً إليـــــه

أول ما بدأ بالســــــلام منشرحاً للبسط والاكـــــرام

أدى جميعنا له الخلافـــــه والقلب منها آمن مخافـــــه

فقال مولانا لقد سبقتـــــم إلى هنا أجيب من يطيقكـــــم

إن الأمير آخذ بالجــــــد وحسبنا اتباعه للوعـــــد

وصلتموها آمنين فابشـــــروا ولتحمدوا الله عليها واشكـــروا

هذى مدينة الملوك الأقدميـــــن رحمة ربنا عليهم أجمعيـــــن

هذى مزارات قبور الصالحيـــن وذى آثار العلماء العامليـــــن

تأهبوا الى الدخول طالبيـــــن من ساكنيها أن تكونوا آمنيـــن

دنيا وأخرى من آفات الدهـــــر وكل ما هول وكل مكـــــر

فطلب الجميع ما هـــــواه والله لا يرد من دعـــــاه

سرنا على زاوية ابن ساســـــى وما بسيرنا بها من بـــــاس

وحطت الأثقال قبل العصـــــر بقرب قنطرة ذاك الجســـــر

طلبنا ضيف الله من أهل البلـــد فبتنا ءامنين فى العيش الرغـــد

من القنطرة المذكورة الى المدينة المشهورة

ثم غدا ياصاح بالبيـــــــان ... تاسع شهرنا جمادى الثانـــى
كان الرحيل يوم الأربعـــــاء ... بنية الدخول للحمـــــراء
أمرنا إمامنا الأميـــــــر ... من حيننا أمامه نسيـــــــر
والزي مازال وإلا أكثـــــرا ... محكماً لمن يراه مبهـــــرا
سرنا على أجنة الزيتــــون ... ذات غياض فوق ما مظنــــون
بها مررنا غابة مشهـــــورة ... كأنها من غابة المعمـــــوره
وكثرة النخيل كالعيـــــال ... تميلها الريح ولا تبـــالـــى
أزانها صاح ماءُ الخطاطـــر ... داخلُها بعمده مخاطـــــر
سرنا كذاك خارج المدينـــة ... بهيبة الوقار والسكينـــــة
وسار مولانا الأمير بالجنـــود ... خافقة على رؤوسها البنـــود
وهي إذا عقلت تهزم العـــدا ... وتقطع الشك الذى كان بـــدا
وكل مَن كان مُحبّاً يفـــرح ... بها ومن كان عدواً يقـــرح
والناس خلفه أمامه تقـــول ... ياأيها الأمير يانجل الرســول
نصرك الله على رغم العـــدا ... نصراً عزيزاً دائماً مؤبـــدا
كل يقول من أطاع أو أبـــى ... أهلا وسهلا سيدى ومرحبـــا
حتى إذا وصل دار الملـــك ... وزال كل قنط وشـــك
وجدها خالية قفْـــراء ... من بعد ما كانت ترى عـــدراء
وما بها من رائح أو غـــادى ... عدى لسان حالها ينـــادى
هذى مراسم أمير المومنيـــن ... رحمه الاله رب العالميـــن
سيدنا محمد بن عـــبـــد الله ... أناله اللهُ الرضى يوم لقـــاه
وهذه دياره المنشيـــة ... بها قباب ظهرت مشيـــة
وهذه هي عراصى النيـــل ... محكمة فى غاية التأويـــل
بها من الثمار ما تشـــاء ... وربنا يفعل ما يشـــاء
وذا القصير وهو الأخضـــر ... مصونا لمن يراه يبهـــر
وهذه قبته الستينيـــه ... أمامها الصهريج والخمسينيـــة
وهذا هو قصره المنصـــور ... وقبة الكتب يامغـــرور

وهذى هي قبة الصويرة ... وحولها الصهريج فيه عبرة
وذى البنائق وهذا المشور ... وكل مَن كان يراه يبهر
وذا البلتر فى جنان رضوان ... يارب أدخلنا جنان رضوان
وهذه ياسائلى دار البديع ... حافلة وكلُّ ما فيها بديع
وهذى هي داره البيضاء ... قبابها خالية فقراء
وهذى ياقاصدى دارُ الهناء ... تفاؤلا وما بدارنا هنا
توذن بالدنيا بأنها سراب ... وأنها وإن تطل دار خراب
وأنه ليس لمالك مُقام ... إلا لمن له البقاء والدوام
سبحانه أفنى القرون الماضية ... فأصبحوا والأرض منهم خاليه
دخلها متعظاً مفكراً ... فيما مضى من قبله معتبرا
دخلها على جنان العافية ... سائل ربنا الهنا والعافية
وخلف الجيوش خلف السور ... فى مأمن المهيمن الغفور
فنزلت فى حفظ رب العالمين

وأنزل العربى ... بقبة الكتب أشهى مطلب
ثم إلى عرصة مولانا إدريس ... أمره بالانتقال ياأنيس
فامتثل الأمير فى الذهاب ... لأنها واسعة الرحاب
نزلنا أضياف الأئمة الكرام ... أهل البلاد حاشا ضيفهم يضام
من عرفوا قدماً بسبعة رجال ... فزرهمُ صاحِ فانك تنال
قيل لنا كيفية الزيارة ... قد أخذوها عن ذوى الاشارة
تبدأها بيوسف نجل علي ... مَن زاره فاز بكل أمل
ثم أبى الفضل عياض اليحصبى ... ثم أبى العباس عالى المنصب
ثم الجزولى سيدى محمد ... نجل سليمان الرضي الأنجد
ثم الذى عرف بالتباع ... عبد العزيز وافر الأتباع
ثم أبى محمد الغزوانى ... مولاي عبد الله عالى الشان
ثم السهيلي سابع الأعلام ... أكرمْ بهم من سادة كرام
نقل أعلام الهدى وشهدوا ... كيفية تؤخذ عنهم تذكر
من زارهم كذا على الترتيب ... فاز بعالى الحظ والنصيب

ونال من مولاه ما يريـــد ... دنيـا وأخرى فزت يامريـد
لكن بشرط أن تكون ماشيـا ... ذا خشية ولا تكون لاهيـا
ولازم االأدب إن وصلـتَ ... مقامهم تنال ما طلبـتَ
وذى الزيارة تكون نسقـاً ... فى يومها ولا تكن مُفرقـا
وسل إذا وصلتهم فى عافيـة ... من الالاه عفوه والعافيـة
وكل ما تريد أو تشـاء ... فربنا يعطيك ما تشـاء
لما سمعنا هذه الروايـة ... من عند أهل العلم والدرايـة
زرناهم كذا واذ وصلنـا ... أبوابهم زاهية فقلنـا
ياربنا بجاه سبعة رجـال ... أئمة الهدى وأبحر الكمـال
عمارة المدينة الحمـراء ... إغاثة الشدة والرخـاء
أبى الجمال يوسف نجل علـي ... ذى الغارِ زرْ تفزْ بكل أمـل
ثم أبى الفضل عياض المقتفَـى ... بحر الشريعة مؤلف (الشفـا)
ثم أبى الندا أبى العبـاس ... مورده الشفا لكل بـاس
ثم أبى عبد الله الجزولـى ... نجل سليمان شفا المعلـول
ثم أبى فارس التبـاع ... عبد العزيز فضله نراعـى
ثم أبى محمد الغزوانـى ... مولاي عبد الله عالي الشـان
ثم السهيلي سابع الأعـلام ... بهم ننال غايةَ المـرام
وجاه الأقطاب حماة الديـن ... ادريس وابنه الرضى الأميـن
والقطب عبد القادر الجيلانـى ... مغنى الوفود سرحة اللهفـان
ثم الامام عابد السـلام ... نجل مشيش قدوة الاسـلام
ووارث السر الامام الشاذلـى ... ثم أبى سلهام فى السواحـل
وذى الجزيرة الامام المشهـور ... سيدنا محمد بن منصـور
ثم أبى عزة عالى الجـاه ... بحقهم عندك يا إلاهـى
ثم أبى شعيب يُدعَى الساريـة ... بفضله حدث كذا علانيـة
اجعل لنا من كل هم فرجـا ... واجعل لنا من كل ضيق مخرجـا
واسبل رداء سترك الجميـل ... علينا فى المقام والرحيـل

99) **أبو فارس الفقيه العمراني** ، قاضي مراكش أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ذكره في (القرطاس) ، وقدمه العبدري في رحلته قال فيها : فلو انتهت خطة القضاء إلى عليان أو ماني ، لم تكن في الشناعة كانتهائها إلى العمراني بحضرة مراكش كلأها الله ولا كلأ القاضي المذكور حياً وميتاً ، فانه منجنيق ظلم به ترمى قواعد الدين ، ونفط فساد يضرم قلوب المهتدين ، وقد وفق الله لخضد شوكته ، واخماد جمرته ، أمير المومنين أيده الله ، فأغمد من جوره سيفاً قاطعاً ، وعوض المسلمين من ظلامه ضياء لامعاً ، ومن بعض غرائبه التي شاهدتها أن قوماً ادعي عليهم القتل وأثبت المدعي دعواه بوثيقة عليها إعلامه بصحتها ، فاحتجوا بأن لهم مدفعاً ، فطلب المدعي تثقيفهم كما يجب شرعاً ، فقال له القاضي هؤلاء كبراء الناس وأعيانهم ومن لا يتغيب ، وهذه سنة إسرائيلية أحياها هذا اللعين لا حياه الله ولا صفح عنه ، فما أعظم جرأته على الله عز وجل (1) .

100) **أبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي المعروف بابن محشرة** من أهل بجاية ، الفقيه البارع ، كان رحمه الله من أهل العلم والفضل والدين والتقى والنبل في الكتابة والبلاغة في الترسيل ، كتب ليوسف بن عبد المومن ثم لولده المنصور ثم لحفيده الناصر ، ذكره في (القرطاس) وقال في (عنوان الدراية) ما نصه :

ومنهم الشيخ الفقيه الجليل ، العالم الصدر النبيل ، النبيه الذكي السني القدر ، الكاتب البارع أبو الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي من أهل بجاية ، وأصله قد اشتهر ، ويعرف بابن محشرة ، يكنى أبا الفضل وأبا العلى ، كان أبوه قاضياً ببجاية ، له علم متسع المدى ، وتخصص ووقار بما سبيله فيما يقتدى ، كان متمكن المعرفة ، حسن الشارة والصفة ، له الهمة السنية ، والأخلاق المرضية ، وكان وجيهاً مكرماً ، ومشرفاً معظماً . استدعاه الخليفة يوسف بن عبد المومن الى حضرتهم بمراكش ، فارتحل من بجاية وهو كاره لارتحاله ، مع علمه أنه استدعاه لمنصب يسمو به على أمثاله ، ولكن عزة العلم أغنته عن الناس ، وحصلت له من المزية في الأنفس أزيد مما يقاس .

---

1) **الرحلة المغربية** ص 12 طبع جامعة محمد الخامس .

أخبرنا شيخنا الفقيه عبد الحق بن ربيع (1) أن سبب استدعائه أن كاتب سر الخليفة فى ذلك الزمان توفي ، واهتم أمير المومنين لذلك غاية الاهتمام ، وكان مسعود بن سلطان الرياحى (2) المعروف بمسعود البلطى ، وفد على أمير المومنين من هذه البلاد ، وكانت له عنده مزية ، وكان يحضر معه أكثر الأوقات فى الخلوات . قال : فدخلت عليه يوماً فوجدته مغتماً وقد ظهر التغير فى وجهه ، فقلت له ياسيدنا ياأمير المومنين ما الذى أهمكم لا أهمكم الله ؟ فقال لى ان كاتب سرنا فلاناً قد مات ، وقد احتجنا الى من نقيمه مقامه وما وجدنا ، لأنه يحتاج فى كاتب السر أن يكون على صفة كذا وعلى نعت كذا . فقلت له بشراك ياسيدنا ياأمير المومنين ، هذا الرجل ببجاية أبو الفضل ابن محشرة ، ووصف له من صفاته ما وقع منه موقع القبول ، فكتب إليه أمير المومنين من حينه ، وأمر والي بجاية أن يحتفي به ويحمله خير محمل ، فلم يمكنه بعد وصول الأمر الا طاعة أمير المومنين ، ولم يمكنه التخلف ، ولما وصل الى حضرة مراكش ومثل بين يدي الخليفة رأى من حسن سمته وروائه ووقاره ما أغناه عن اختباره ، فأكرم نزله ، ورفع منزلته ومحله ، ولما وقع الاطلاع على ما عنده من فنون العلم علم أن الكتابة التى وقع الاستدعاء بسببها إنما هي بعض صفاته ، واحدى آلاته وأدواته ، وكان من عادته أنه اذا وجه اليه أمير المومنين ليأتي محله ، يتأنى ويتربص ، ويأتى على التؤدة والتأنى والوقار واصلاح الهيأة واستكمال الزينة ، ولم يزل ذلك دأبه الى أن وشي به عند الملك مَن غصَّ منه ، فقال انه لا يأتى الا على قعود عن الخليفة ، وقال ماشاء الله أن يقول ، فوقع فى نفس الملك من ذلك شيء ، فاستدعاه وأعجله ، فتأنى وجرى على عادته ، ولما حضر بين يديه عاتبه وقال له : يافقيه كثيراً ما تبطىء علينا اذا استدعيناك ، فما هذا منك ؟ فقال له : ياأمير المومنين ، أنت إمام المسلمين ، وما أحسب أن محل الامامة الا كمحل الصلاة ، فكما آتى الى

1) انظر ترجمته فى عنوان الدراية ع 7 ص 59 طبع بيروت .

2) هو مسعود بن سلطان بن زمام ؛ ابو سرحان ؛ أمير بنى رياح ؛ كان من الخارجين على ملوك الموحدين ؛ انظر عصر المرابطين والموحدين ج 1 ص 302 و ج 2 ص 107 و 156 .

الصـلاة آتي الى هذا المحل ، وقـد قال رسول الله صلى الله عليه وسلـم (اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها تمشون ، وعليكـم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) ، فاستحسن ذلك منه أميـر المومنين وزاد في تقريبه ، وتركه عـلى حاله ، وحاجة الخليفة كانت اليه أكثـر من حاجتـه ، ولـه رواية عـن أبي القاسم السهيلي رضي الله عنـه وعبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي وسمع منه ، قال أنشدني عبد الحـق لنفسـه :

قالـوا صف الموت ياهذا وشدتـه	فقلت وامتدَّ مني عندهـا الصوت
يكفيكم منه أن الناس لو وصفـوا	أمراً يروعهم قالوا هو المـــوت

توفي سنة ثمان وتسعين وخمسمئة . وولد سنة أربعين وخمسمئة أو قبلها بيسير .

ومن نثره البليغ ، وترسله الرفيع الرسالة التالية التي كتبها عـلى لسان مخدومه أمير المومنين الخليفة يوسف بن أمير المومنين عبد المومن بن علي إلى أهل قرطبة :

من أمير المومنين بن أمير المومنين ، أيده الله بنصره ، وأمده بمعونته ، إلى الطلبة والموحدين والشيوخ والأعيان والكافة بقرطبة ، أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأطلع عليهم وفود بشراه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فأنا نحمد إليكم الله الذي لا إلاه إلا هو ، ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلي على محمد نبيه ورسوله ، والحمد لله الذي جعل الأمر العزيز عقبى الدار ، وشرف الايراد والاصدار ، وأيده من نصره وجنده ، ومعونته وعضده ، بما يضمن له عادة الاعزاز والاظهار ، ويبوئه مبوأ الصدق من الاستيلاء والغلبة والاقتهار ، وختم لهذه الطائفة المباركة بأنهم المنصورون والمصيبون والمفتوح لهم وعداً يتمشى لهم انتجازه مع اتصال الأعصار ، وتظهر آيـات الله فيه لائحة لذوي الأبصار والاستبصار ، حتى ينقاد في زمامه مصحباً ذو الشراد والنفار ، ويأوي الى ذراه الأمين ، وربوته ذات القرار والمعين ، الصعب

الجامح في طلق الاباية والاستكبار ، ويدخل في الله مبادراً إلى رحماه من لم يكن ترجى منه إنابة البدار ، فتلتقى على الشهادة بأنه أمر الله ألسنة الناطقين بالاقرار ، وأحوال الصامتين التى هي أدل الدلالات عند ذوى اليقين والاسماع والابصار ، والصلاة على نبيه المصطفى محمد الصادق الأمين المختار ، المبتعث الى الأحمر والأسود آخذاً بحجزهم عن النار ، المبشر بأن ملك أمته يبلغ ما زوي له من مشارق الأرض ومغاربها من الانجاد والاغوار ، وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين الأبرار ، الذين كان لهم في تعزيزه وتوقيره ونصره واقامة أمره أزكى الأثر والآثار ، والرضا عن الامام المعصوم ، المهدى المعلوم ، القائم بأمر الله مجاهداً أهل الاعراض عنه والادبار ، المحيى سنة الله تعالى وقد اماتها أهل الجهل والجحد والانكار ، الداعى الى الله على بصيرة مؤيدة بأوضح الأنـوار المالىء الأرض قسطاً وعدلا وقد ألحد فيها أهل الكفر والاصرار ، وعن صاحبه وخليفته المنصور الناصر لدين الله سيدنا أمير المومنين مؤازره في القيام بأمر الله عند عدم المؤازرين له والانصار ، ومبلغ دعوته العالية الى منتهى أمدها من الانبساط على البسيطة والانتشار ، ووارث مقامه العظيم المخلد شرفه عالية باقياً حتى يرث الله أكلأ الأعمار .

وكتابنا اليكم – كتب الله لكم من أقسام السعادة ، والبشائر المعادة ، ما يخلص الى قلوبكم بطيب مسراه ويحييكم وافده بما يجيئكم به الله – من حضرة تونس – حرسها الله – والذى نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمـل بطاعتـه والاستعانة به والتوكل عليه والشكر له سبحانه أولا وآخراً على ما أولى أولياء أمره من معونة نهجت لهم في جميع محاولاتهم السبيل ، وعرفتهم فيها البركة والتسهيل ، والخيرة التى جمعت لهم النجاح الميسر الجميل ، والصنع الذى خرق العوائد وجاز الأمنية والتأميل ، والله سبحانه يوزعنا أن نشكر فضله الجزيل ، ويلهمنا من محامده الجامع البليغ الحفيل ، بمنه .

وقد انتهى إليكم – وفقكم الله – ما سنى في هذه الوجهة الميمونة من الأمور الشريفة والفتوح الجليلة التى جاوزت مدى الافهام وفاقت بمبالغ الظنون والأوهام ، وقامت أزكى شهيد على مراد الله في هذه الدعوة العزيزة

التى هي نظام الاسلام ، والحافظة شمل الخيرات على الأنام ، والسامية فى مرافى شرفها مدى الليالى والايام ، حتى تبلغ الأمة برحمة الله سبحانه الى دار السلام ، وأعلمناكم أيضاً ـ وفقكم الله ـ بما كان من صرف الموحدين ـ أعزهم الله ـ الى هذه الجهات الساحلية بعد الغزوة المباركة التى أعلى الله بها منار الاسلام والايمان ، وأخزى أهل الشقاق والنفاق والطغيان ، حرصاً على ازاحة نفوس أهل التوحيد من مشقات احتملوها فى طاعة الرحمان ، واجماماً للسيوف حتى تتبين مواقعها من رؤوس أهل المرود والعصيان . وخلال ذلك جمع أشياخ العرب وأعيانهم والمشار إليهم من رؤسائهم ووجوههم وكبرائهم من جميع قبائل رياح ـ وفقهم الله ـ فذكروا بحقوق هذا الأمر العظيم وآلائه الجزيلة ومننه الجسام ، ونبهوا على ما كان لسلفهم من العرب من كريم السوابق فى أول الاسلام ، وان الله قد وعد هذه الطائفة المنصورة أن تملك العرب كما بشر به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، وحرضوا على أن يكون لهم فى نصر هذا الدين ما كان لسلفهم القديم من الآثار الكرام ، وعرفوا ان الغرض فيهم إنما هو غزو الروم الذين بجزيرة الأندلس ـ مهدها الله ـ فقد طال استشراؤهم، واملى الله لهم فزاد عليه اجتراؤهم ، وندبوا الى أن ينفروا الى ذلك بقضهم وقضيضهم ، نفرة من انبت عن الوطن ، ونبذ علق المسكن والسكن ، وان كانت هذه البلاد هي التربة التى مست أولا جلودهم ، وقضوا فيها من الشباب عهودهم ، فالذى ينتقلون اليه من الرباط فى سبيل الله يجمع لهم الخير فى الدين والدنيا ، والشرف بالكون فى عداد كلمة الله العليا ، وبين لهم أنهم إذا استقبلوا هذا الغزو السعيد ، والغرض الحميد ، بنيات متجردة ، وعزائم فيه متجددة ، ونفروا اليه بجملتهم من غير استثناء ، واستصحبوا معهم من تتعلق به الخواطر من أهل وابناء ونعم وشاء ، وجعلوا ذلك كله وراءهم حيث ما يرسم لهم من بلاد الأندلس ـ مهدها الله ـ ثم صمدوا لعدوهم ، وتفرغوا لرواحهم فى سبيل الله وغدوهم ، كانت خواطرهم لغزو أعدائهم أفرغ ، ومصاعهم لأقرانهم أصدق ، ووطأتهم على أهل الشرك أثقل ، وطيرانهم لكل هيعة يسمعون أسرع ، واقدامهم فى كل موطن يقظ للكفار أثبت .

وذاكرنا الجماعة المذكورة فى ذلك ذكرى أفضت الى قلوبهم ، وخلصت الى نفوسهم ، وتقلقلت فى بواطنهم ، فتحركت الى ذلك حفائظهم ، وثارت لنصر دين الله عزائمهم ، وسعت بهم الى هذا القصد الميمون نياتهم وخواطرهم ، وتلقى جميعهم ذلك من البدار اليه ، والسرور به والوعد بالتشمير فيه ، بما يرجى ان الله تعالى سيحقق أملنا وأملهم فى نصر دينه ، وإعزاز كلمته ، وجهاد أعدائه ، وأخذ من حاد الله ورسوله معرضاً عن أمره ، وناصب الايمان باشراكه وكفره . ولم يبق من جموع رياح كلها ، على اختلاف قبائلها ، وتعدد عشائرها واتساع افخاذها وعمائرها ، الى من حضر ذلك من أعيانهم ، وذوى حلومهم وأسنانهم ، وكل أظهر من جميل البدار ، وكريم الاهطاع ، والتأثر لهذا الغرض الجميل الذى يعود عليكم بكرم المآل وجزيل الثواب ما أقر العيون ، وشرح الصدور ، وملأ بالبشرى القلوب ، ووقع جميعهم على الأخذ فى الحركة على هذه الصفة المباركة من التفويض بالرحيل والتسليم لهذا الأمر العظيم ، والرضا بهذا الغرض الجميل ، وان يكون رباطهم فى سبيل الله عوضاً عن عشواء فى الفتنة خبطوها ، وعمياء فى الضلالة ركبوها ، وآثار فى الفساد والعناد آثروها وارتكبوها .

وقد أخذوا فى الحركة بعون الله على طرق شتى بعضها بالصحارى وبعضها بالسواحل ، كل قبيل منهم اختار أقرب الطرق الى الموضع الذى منه مبدأ انتقاله ، وارفقها بنفسه وأهله وماله ، واعودها عليه باليسر والسعة فى أحوال ترحاله ، ورأينا أن ذلك لهم أوفق ، وبهم أرفق ، حتى لا يزدحموا فى المسير ، ولا يتضايقوا مع اتساع هذا الفضاء الحامل منهم للجماء الغفير ، وقد اصحبوا من الطلبة والحفاظ — أكرمهم الله — من يقيم منآدهم ، ويحفظ اعدادهم ، والله يكرم مقصدهم ، ويجعل التقوى زادهم ، وقد سالت بهم الأباطح ، وامتلأت بجموعهم المواهى الفسائح ، وأخذوا فى النقلة على ما تحتمله المذاهب وتحمله المناسك ، وان جموعهم — وفقهم الله وأكرمكم جميعاً بتقواه — لتكاثر الحصا ومعاد الدبى ، وتملأ الغيطان والربى ، وسيصل منهم على تلكم الجهات ما يرد الطرف حسيراً ، ولا تنتهى اليه الخواطر والأذهان تحصيلا وتقديراً ، بحول الله تعالى وهو المستعان .

وكان ممن حضر لهذا المجتمع السعيد ، والخير الجديد ، والذكر المحفوظ بالتوفيق والتسديد ، الشيخ أبو سرحان مسعود بن سلطان ابن زمام - أكرمه الله - فظهر منه في هذه المشاهد الكريمة ، والمذاكرات المباركة ، والمحاضر الشريفة ، التي هي كلها من جملة أعمال الايمان ، وطاعات الرحمان ، من جميل الأقوال والأفعال ، التي تنبيء عن صادق العزم في جميع الأحوال ، ما شكر فيه منابه ، وصدق فيه احتسابه ، ثم أخذ كما أخذ سائر الأشياخ من العرب في الرحيل بنفسه وأهله وولده وجملة من تعلق به ، واتصل بسببه ، من جماعته وقبيله وذوي نسبه ، ومن كان توقف بتوقفه وتأخر بتأخره ، وتقدم من ذلك تقدم الموفق السعيد ، والمبارك الرشيد ، وسار في الرعيل الأول مبادراً الى السعادة ، مسارعاً الى الامتثال والطاعة ، والجد نصب عينيه واستبصاره ، والجهاد في سبيل الله شغل خواطره وأفكاره ، وكل من كان من هؤلاء العرب قد اساء الظن بما ركب قبل من جرم ، واكتسب من اثم ، وتوقف على داعي الله وقد دعاه الى ما يحييه على بصيرة وعلم ، فقد بادر الآن بالامتثال ، وفوض للانتقال ، ورجا أن يخيم عمله بالرباط في تلك الجزيرة محتسباً على الله بنفسه ، باذلا في طاعة مولاه جهده ، مبايعاً بذلك ربه حتى يمحو ما سلف ، ويستقبل من هذا الخير ما ائتنف ، ويستبشرون ببيعتهم التي بايعوا بها من لا يضيع أجر المؤمنين ، ويرى الله عملهم والمؤمنون ، ومن استخلفه الله على المؤمنيـن .

وليس يبقى بعد هذه الغزوة المؤيدة ، والنية المجردة ، بهذه البلاد كلها من العرب من يتطلع بعد الى استجلابه ، ولا يتشوف الى وصوله الى البلاد الغربية واقترابه ، فقد وعبوا في التخلي عن هذه الأوطان ، وتركوها لمن كان فيها من القطان ، سوى من سكن من قبائل سليم بجهات طرابلس وما وراءها مشرقاً ومصحراً الى برقة والاسكندرية ، وقد وصل منهم قبل هذا جمع ظاهر من أشياخهم وأعيانهم وذوكروا فيما ذوكرت فيه قبائل رياح اخوانهم ، ووعدوا في ذلك بعدات أعطوا فيها صفقة ايمانهم ، وقد خوطبوا ، وكوتبوا ، وبشروا ، وانذروا ، وان سمعهم النذير ، وكفاهم ما وعـوه من التأنيس والتبشير ، والتخويف والتحذير ، ووفوا بما عاهدوا عليه الله ، فسيحمدون لسواهم ،

ويتلقون مشافهة بشراهم ، ويدخلون مدخل اخوانهم ، ويصلون حبـل الله بايمانهم ، ويفوزون بتصحيح عقائدهم وأديانهم ، ويزدادون بالجهاد فى سبيل الله ايماناً مع ايمانهم ، والا فمن وراءهم طالب مدرك ، وآخذ من جند الله مهلك ، ولعل الله سيصلحهم ويهديهم ، ويعصمهم مما يرديهم ، ويحشرهم الى مقـام يطهر قلوبهم من سالف اعتدائهم وتعديهم ، بحول الله .

ولو لم يكن فى هذه الحركة ، السعيدة المباركة ــ وفقكم الله ــ الا ما كان الآن من أمر العرب وكف ايديهم عن هذه البلاد ، وصرفهم الى ما استنفروا اليه من الجهاد ، واجابتهم جميعاً بنفوس على الطاعة مقبلة ، ووجوه ببشرى المتاب متهللة ، وقلوب على الخير مصفقة ، ونيات على اجابة داعى الله متفقة ، لكبر بذلك دليلا على ان هذا الأمر العزيز لا ترتقى الى فهمه العقول ، ولا تنتهى اليه الخواطر والظنون ، وانه مؤيد من الله بنور ينور به قلب من وفقه لرضاه ، ويسره ليسراه ، فقد كانت العرب أولا وآخراً لا تنقاد لقائد ، ولا تلين فى يد قاهر ، ذهاباً بنفوسها وطاعة لانفتها ، واستكباراً على خالقها ، وابابة عما تظنه انه يضع من شرفها ، فألان قلوبهم الآن لهذا الأمر العظيم ، حتى ألقت إليه مقاليد التفويض والتسليم ، من الانهاء لرسوله ــ عليه الصلاة والتسليم ، حتى ذلت له صعابهم ، وخضعت له رقابهم ، فنصروا دين الله حتى استقر فى نصابه ، وضربوا على الباطل والكفر من لم يات الحق من بابه ، وانقادوا مع أمر الله ورسوله وكتابه ، ثم ضربوا المبطلين على تأويله حتى دمغوا الباطل فزهق ، وارهقوا عسراً من كان رهق ، ونرجو أن الله يستشرح صدور هؤلاء بنور هذا الأمر العزيز حتى ينصروه حديثاً كما نصروه قديماً ، ويتمموا بذلك شرفهم تتميماً ، (ومَن اوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجراً عظيماً) .

وعجلنا اليكم ــ وفقكم الله وأكرمكم بتقواه ــ هذه البشرى ، لتعلموا انكم لم تعموا عن الخواطر والأفكار ، وان جهاتكم لا يشغل عنها شيء من شواغل هذه الأقطار ، وانكم معتمدون أبداً من العناية ، والرعاية ، بما يعود عليكم بتبليغ الأوطار ، فبثوها ــ وفقكم الله ــ فى أصقاعكم ، واجعلوا حديثها فى قلوبكم واسماعكم ، واعقدوا بشكر الله على ما منح بها معاقـد أنديتكـم

واجتماعكم ، والله يونيكم من رحمته ونعمته ، ما يعم به ملأكم ، ويكرم به متبوأكم ، بمنه ، لا رب غيره وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب منتصف شهر شوال سنة ست وسبعين وخمسمئة (1) .

101) أبو الفضل بن السلطان أبى الحسن علي المرينى : عقد له والده أبو الحسن على تونس لما ركب البحر من تونس إلى المغرب ، ولما أقلع عنها ثار أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق بأبيه فكان معه الى أن هلك وخلص الأمر الى السلطان أبى عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم ، ففكر أبو عنان فى أمرهما وخشي عاقبة ترشيحهما فأشخصهما الى الأندلس ليكونا مع الغزاة والقرابة فى إيالة السلطان يوسف ابن الأحمر ثم ندم على ذلك ، ولما استولى على تلمسان والمغرب الأوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أنفذ الرسل الى ابن الأحمر فى أن يشخصهما اليه ، لأن مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف ما إذا غابا عن حضرته ، وخشي يوسف بن الأحمر غائلته عليهما فأبى من إسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته ولا يسيء جوار المسلمين المجاهدين لديه ، فغضب السلطان أبو عنان لذلك وقام وقعد ، وأمر حاجبه ابن أبى عمرو أن يكتب اليه ويبالغ فى التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور .

قال ابن خلدون وقد أوقفنى الحاجب على ذلك الكتاب ببجاية فقضيت العجب من فصوله واغراضه ، ولما قرأه يوسف بن الأحمر دس الى أبى الفضل وكان أكبر الأخوين باللحاق بالطاغية ، وكانت بينهما ولاية ومخالصة ، فنزع اليه أبو الفضل وجهز الطاغية له أسطولا أركبه فيه وأنزله بساحل السوس من أرض المغرب ، ونذر السلطان أبو عنان بذلك فأوعز الى قائد

---

1) هذه الرسالة ليست فى الأصل ؛ وانما الحقناها بترجمة منشئها منقولة من (مجموع رسائل موحدية) المطبوع بالرباط سنة 1941 وانظر فى هذا المجموع رسائل اخرى من انشاء ابن محشرة .

أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع بـه ، وكتب ابن الأحمر أثناء ذلك كتاباً الى السلطان أبى عنان يعتذر عن أمر أبى الفضل من إنشاء وزيره لسان الدين بن الخطيب ونصه :

المقام الذى شهد الليل والنهار باصالة سعادته ، وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته ، وتعود الظفر بمن يناوئه فاطرد والحمد لله جريانُ عادته ، فوليه متحقق لافادته ، وعدوه مرتقب لابادته ، وحلل الصنائع الالهية تضفو على اعطاف مجادته ، مقام محل أخينا الذى سهم سعده صائب ، وأمل كل مَن كاده خاسر خائب ، وسير الفلك المدار فى مرضاته دائب ، وصنائع الله تعالى له تصحبها الألطاف العجائب ، فسيان شاهد منه فى عصمة وغائب ، السلطان الكذا بن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ، ماضيَ العزم ، تجلُ سعوده عن تصور الوهم ، ولازال مرهوب الحد ممتثل الرسم ، موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم ، فائزاً بفلج الخصام عند لَددِ الخصم ، معظم قدره ، وملتزم بره ، المبتهج بما يُسببه الله تعالى له من إعزاز نصره ، وإظهار أمره ، فلان ، سلام كريم ، طيب بر عميم ، يخص مقامكم الأعلى ، ومثابتكم الفضلى ، التى حازت فى الفخر الأمد البعيد ، وفازت من التأييد والنصر بالحظ السعيد ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى العز مدى ، وعرفه عوارف الائه وعوائد النصر على أعدائه يوماً وغداً ، وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه ، (فمَن يستمع الآن يجدْ له شهاباً رصدا) ، وجعل نجح أعماله وحسن مثاله قياساً مطرداً :

فرب مريد ضره ضر نفسه   وهادٍ إليه الجيشَ أهدى وما هدى

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نوراً وهدى ، وأحيى مراسم الحق وقد صارت طرائق قدداً ، أعلى الأنام يداً ، وأشرفهم محتداً ، الذى بجاهه نلبس

أثواب السعادة جددا ، ونظفر بالنعيم الذى لا ينقطـع أبداً ، والرضى عـن آله وأصحابه الذين رفعوا لسماء سنته عمـدا ، وأوضحوا لسبيل اتبـاعه مقصداً ، وتقبلـوا شيمه الطاهرة ركعا وسجداً ، سيوفا عـلى مَن اعتدى ، ونجوماً لمن اهتدى ، حتـى علت فروع ملته صعدا ، وأصبح بناؤها مديـداً مخلدا ، والدعاء لمقامكم الأسنى بالنصر الـذى يتوالى مثنى وموحدا ، كمـا جمع لملككم ما تفرق من الألقاب ، على توالى الأحقاب ، فجعل سيفكم سفاحاً وعلمكم منصوراً ورأيكم رشيداً وعزمكم مؤيداً ، فانا كتبناه اليكـم كتب الله تعالى لكـم صنعاً يشرح للاسلام خلداً ، ونصراً يقيم للدين الحنيف.أوداً ، وعزماً يملأ أفئدة الكفر كمداً ، وجعلكم ممن هيأ له من أمـره رشداً ، ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعد فى كتابه العزيز والله أصدق موعداً ، مـن حمراء غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم فى آفاق العناية ، واعتقاد جميـل صنع الله فى البداية والنهاية ، والعلم بأن ملككم تحدى مـن الظهور على أعدائه بثاية ، وأجرى جيـاد السعد فى ميدان لا يحـد بغاية ، وخرق حجاب المعتاد بـما لم يظهر الا لأصحاب الـكرامة والولاية ، ونحن عـلى ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفـاً ويسدل عليه من العصمة سجفا ، نقاسمه الارتياح لمواقع نعم الله نصفاً ونصفا ، ونعقد بين أنباء مسرته وبين الشكر لله حلفاً ، ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله زلفى، ونومل من امداده ، ونرتقب من جهاده ، وقتاً يكفل به الدين ويكفى، وتروى غلل النفوس وتشفى .

والى هـذا وصل الله سعدكـم ، ووالى نصركـم وعضدكـم ، فانا من لـدن صدر عـن أخيكـم أبى الفضل مـا صـدر من الانقيـاد لخـدع الآمـال ، والاغترار بموارد الآل ، وفال رأيه فى اقتحام الأهوال ، وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الأحوال ، وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ، ومن ذا يزاحم الأطواد ويزحزح الجبال ؟ وأخلف الظن منا فى وفائه ، وأضمر عملا استأثر عنا باخفائـه ، واستعان من عدو الدين بمعين فلا وري لمن استنصر به زند ، ولا خفق لمن تولاه بالنصر بند ، وان الطاغية أعانه وأنجده ، ورأى أنه سهم على المسلمين

سدده ، وعضب للفتنة جرده ، فسخر له الفلك ، وأمل بان يستخدمه بسبب ذلك الملك ، فأورده الهلك ، والظلم الحلك ، علمنا أن طرف سعادته كاب ، وسحائب آماله غير ذات انسكاب ، وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غزر ركاب ، فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها ، وغايات الأمور تظهر فى بداياتها ، وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل ، ومن غالب أمر الله خاب منه المعول ، فبينما نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة ، وخمود تلك الشعلة الموقودة ، وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الأخبار ، ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ، ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار ، عن الود الواضح وضوح النهار ، والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه عالم الأسرار ، فأعاد فى الافادة وأبدا ، وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى ، فعلم منه مآل مَن رام أن يقدح زند الشتات من بعد الالتئام ، ويثير عجاجة المنازعة من بعد ركود القتام ، هيهات تلك قلادة الله تعالى التى ما كان ليتركها بغير نظام ، ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حبالة لا يفلتها قنيص ، وسددتم له من السعد سهماً ما له عنه من محيص ، بما كان من ارسال جوارح الأسطول السعيد فى مطاره ، حائلا بينه وبين أوطاره ، فما كان الا التسمية والارسال ، ثم الامساك والقتال ، ثم الاقتيات والاستعمال ، فيا له من زجر استنطق لسان الوجود فجدله ، واستنصر البحر فخذله ، وصارع القدر فجدله لما جد له ، وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ، ومنتسب الى نصبة غير سعيدة ، وشانىء غمرته من الكفار ، خدام الماء وأولياء النار ، تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور الشفار ، وتحصل منهم من تخطاه الحمام فى قبضة الاسار ، فعجبنا من تيسير هذا المرام ، واخماد الله لهذا الضرام ، وقلنا تكييف لا يحصل فى الأوهام ، وتسديد لا تستطيع إصابته السهام ، كلما قدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته ، أو أظهر الشتات ألماً أبرأ يمن طائركم علته ، ما ذاك الا لنية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى وصحت ، واسترسلت بركتها وسحت ، وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت ، واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التى أهمت ،

فنحن نهنيكم بمنح الله ومننه ، ونسأله أن يلبسكم مـن اعانته أوقى جننه ، فأملنا أن تطرد آمالكم ، وتنجح فـي مرضاة الله أعمالكم ، فمقامكم هـو العمدة التي يدافع العدو بسلاحها ، وتنبلج ظلماته بصفاحها ، وكيف لا نهنيكم بصنع على جهتنا يعود ، وبأفقنا تطلع منه السعود ، فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه قد استقلت واكتفت ، وديمه بساحة الود قد وكفت ،. والله عز وجل يجعـل لكم الفتوح عادة ، ولا يعدمكم عناية وسعادة ، وهـو سبحانه يعلى مقامكم ، وينصر أعلامكم ، ويهنى الاسلام أيامكم ، والسلام الكريم يخصكـم ورحمة الله وبركاته (I) .

ولما نزل ابو الفضل بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيـوى صاحب الجبل المنسوب إليه ودعا لنفسه ، وكان ذلك أثر مقدم الحاجب ابن أبى عمرو مـن فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعمئة ، فجهـز السلطان أبو عنان إليه عسكره من تلمسان وعقد عـلى حرب السكسيوى وأبى الفضـل لوزيره فارس بن ميمون بن وردار ، فسار حتى نـزل على جبل السكسيوى وأحـاط به وأخذ بمخنقه واختط مدينة لمعسكره وتجمير كتائبه بسفـح ذلك الجبـل سماها القاهرة ، ولما اشتد الحصار عـلى السكسيوى بعث الى الوزيـر يسأله الرجوع الى طاعته المعروفة ، وأن ينبذ العهد الى أبى الفضل ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ودخل الوزير فارس أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد أكنافها ، وسارت الألوية والجيوش فـي جهاتهـا ، ورتب المسائح فى ثغورها وأمصارها ، وسار أبو الفضل ينتقل فى جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة ، وألقى بنفسه على ابن الحميدى منهم مما يلى بـلاد درعة ، فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى مـن مشيخة بنى عبد الواد كان السلطان أبـو الحسن رحمه الله قد اصطعنه أيام فتحـه لتلمسان ،. فاستقر فـي دولتهم واندمج فى صنائعهم ، فأخـذ بمخنق ابن الحميدى وأرهبـه بوصول العساكر والوزراء اليه وداخله فـي التقبض عـلى أبى الفضل وأن يبذل له من الأموال فى ذلك ما أحب ، فأجاب

I) أنظر الرسالة فى نفح الطيب 4 : 420 — 424 .

ولاطف عبد الله بن مسلم الأمير أبا الفضل ووعده من نفسه الدخول في الأمر وطلب لقاءه ، فركب اليه أبو الفضل ، ولما استمكن منه ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميرى ما اشترط له من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين وسبعمئة فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله لليال يسيرة من اعتقاله خنقاً بمحبسه (1) .

102) **أبو الفضل بن السلطان أبى سالم المرينى** ، أمير مراكش ، نصبه عامر بن محمد الهنتاتي صورة واستوزر له ، وتمكن سلطانه وعلا ذكره ، وصارت مراكش وأحوازها كأنها دولة مستقلة حيث اتفق عامر وعمر بن عبد الله الوزير على الحلف على مقاسمة المغرب شق . . . . ولما فتك السلطان عبد العزيز بالوزير عمر سولت لأبى الفضل نفسه مثلها فى عامر لاستبداده عليه ، وأغراه بذلك بطانته، فأحس عمر بالشر فتمارض بداره من مراكش، ثم استأذنه فى الصعود الى معتصمه من الجبل ليمرضه هنالك حرمه وأقاربه ، فارتحل بجملته ، واحتل بحصنه ، وكان أعز من الأبلق الفرد ، فيئس أبو الفضل من الاستمكان منه ، ثم أغرته بطانته اذ فاتهم عامر بالفتك بعبد المومن بن علي وكان قد انضاف اليه بعد إجفاله عن سجلماسة ، فسكر أبو الفضل ذات يوم وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المومن بمكان معتقله من قصبة مراكش ، فجاء برأسه إليه ، وطار الخبر الى عامر فارتاع ، وحمد الله إذ خلص من غائلته ، وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز وأغراه بأبى الفضل ورغبه فى ملك مراكش ووعده بالمظاهرة ، فأجمع السلطان أمره على النهوض الى مراكش ونادى فى الناس بالعطاء وقضى أسباب حركته وارتحل من فاس سنة تسع وستين ، واستبد أبو الفضل من بعد مهلك عبد المومن واستوزر طلحة النورى وجعل علامته لمحمد بن محمد بن منديل الكنانى . وجعل شواره لمبارك بن ابراهيم بن عطية الخلطى ، ثم أشخص طلحة النورى لسعاية الكنانى

---

1) هذا كله منقول بالحرف من الاستقصا انظر ص 186 — 191 من ج 3 طبع الدار البيضاء .

وبعد هاذه الترجمة ترجم المؤلف لأبى الفضل بن محمد العقاد المكى ، ثم ترجمه مرة أخرى فى باب المحمدين ترجمة أوسع فارتأينا أن نرجىء ترجمته الى مكان اسمه من حرف الميم .

فقتله واعتمد منازلة عامر ، ولما فصل لذلك من مراكش جاءه الخبر بحركة السلطان عبد العزيز إليه ، فانفض معسكره ولحق بتادلة ليعتصم بها فى معقل بنى جابر ، وعاج السلطان بعساكره عن مراكش إليها فنازله وأخذ بمخنقه وقاتله فلّ عسكره ، وداخله بعض بنى جابر فى الاخلال بمصافه يوم الحرب على مال يعطيه لهم ففعلوا ، وانهزمت عساكر أبى الفضل وجموعه وتقبض على أشياعه وسيق مبارك بن إبراهيم الى السلطان فاعتقله الى أن قتله مع عامر عند مهلكه كما نذكره ، وفر الكنانى الى حيث لم يعلم مسقطه ، ثم لحق بعامر بن محمد ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة من ورائهم، وداخلهم أشياع السلطان من بنى جابر ، وبذلوا لهم المال الدثر فى إسلامه فأسلموه ، وبعث السلطان إليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيراً وأحضره السلطان فوبخه وقرعه واعتقله بفسطاط جواره ، ثم غط من الليل وكان مهلكه فى رمضان من سنة تسع وستين وسبعمئة لثمان سنين من إمارته على مراكش .

103) **أبو الفضل بن الفقيه السري الماجد الفاضل الخير الأوحد أبى محمد بن أبى مدين العثمانى** الفقيه الحبيب ، كان من سراة الفضلاء وكبار الحسباء وقد قدمت ذكره وولايته للعلامة .

ذكره ابن مرزوق فى (المسند الصحيح الحسن) .

104) **أبو الفضل الشهير بالبحيرى** : الفقيه العدل الأرضى ، حدث عنه فى (إثمد العينين) سبب ورود والده على مراكش حيث التقى بسبع عشرة مسألة من الأصول والفقه والفرائض وغيرها ليبحث عنها عبد الرحمان الهزميرى فلقي بمراكش أبا العباس ابن البنا وذهب معه لزيارة الهزميرى فأجاب عنها مسألة مسألة .

105) **أبو القاسم ابن الجد** المعروف بالأحدب ، أحد رجال البلاغة ، وأحد كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الذى كان من أول إمارته يستدعى أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته لذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك كما فى III من (المعجب) .

106) أبو القاسم بن عبد الرحمان بن سعيد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الرحمان بن علي بن علي بن ادريس بن علي الناصر بن حمود بن ميمون بن أحمد ابن علي بن عبد الله بن حمزة بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب الولي الصالح الامام الفقيه ، أخذ عنه السيد عبد الرحمان الشريف بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن سعيد الشريف ، وهو ابن عمه ، قرأ عليه (الأحكام الصغرى) بمراكش ، وسمع من الشيخ الامام أبى الحسن ابن القطان الحديث والقراءة ، وأجاز له عام اثنين وثمانين وستمئة .

ذكره ابن السكاك فى القسم الخامس من (نصح ملوك الاسلام) الأوسط وحلاه فى (الدر النفيس) بالقاضى ، وراجع ما ياتى فى ترجمة ابن عمه عبد الرحمان المذكور عن (الدر النفيس) .

107) أبو القاسم بن أبى محمد قاسم بن محمد بن أبى القاسم بن سودة المرى الغرناطى ، الشيخ الامام ، الأوحد الهمام ، الصدر الشهير ، الأستاذ الكبير ، ذو الشيم المرضية ، والسير المحمودة الزكية ، العالم النوازلى المتقن القاضى الأعدل ، قاضى مراكش .

كان رحمه الله عارفاً بالفقه والمنطق والأصول ، ولي القضاء بمراكش فى ثالث رمضان عام ثلاثة بعد الألف ، فمرض فى تلك الأيام ثم من العام القابل فى تاسع شوال منه بعثه السلطان أحمد المنصور المعروف بالذهبى إلى فاس بلده ، فبلغها يوم الأحد موفى عشرين من شوال عام أربعة وألف ، فاستمر مرضه إلى أن توفي لخمس وعشرين مضت من ذلك الشهر رحمة الله عليه ، وكان قبل ذلك ولي قضاء تازة حاضرة بلاد مكناسة من بلاد وادى ملويـة ، وقضاء بلاد زمور وقبائل بنى حسن من عمل مكناسة الزيتون ، وحمدت سيرته فى القضاء مع التعفف والنسك وحسن الأحوال ، وكان سكناه بالدرب المسمى الآن بدرب القاضى من عدوة فاس القرويين ، وإليه إضافته وبقي أولاده من بعده الى الآن .

أخذ عن سيدى رضوان الجنوى ، والقاضي الحميدى وغيرهما ، وأخذ عنه خلق لا يحصون بفاس ، من أجلهم أحمد بن يوسف الفاسي ، وكذلك أخذ عنه جماعة بمكناسة الزيتون ومراكش وتازة وغيرها من بلاد المغرب .

توفي رحمه الله بفاس في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شوال عام أربعة وألف ، ودفن بجوار سيدى عبد الرحمان الهزميرى .

قال في (الصفوة) قال . . . . . أبو محمد عبد الله الفاسي رحمه الله وقد وقفت على ظهير من إنشاء عبد العزيز الفشتالى عن إذن المنصور إلى ولده زيدان وكان إذ ذاك خليفة أبيه على مكناسة ونصه بعد الصدر : أما بعد فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العالية مراكش حاطها الله ، والذى أوجبه أسعدكم الله أنه لما جاء خبر وفاة قاضي مكناسة أعملنا النظر فيمن يليق تقلده هذا المنصب من أهل العلم والدين والجارى على سنن المهتدين ، فلم يقع اختيارنا إلا على الفقيهين العالمين المحصلين المختصين خديمي إيالتنا العالية ، وصنيعي دولتنا الامامية الأحمدية ، المتخرجين بكريم عنايتنا والمتشبثين بجزيل نعمتنا ، القاضيين أبى القاسم بن أبى النعيم ، وأبى القاسم ابن سودة ، لما قام بهما من أوصاف زائدة على وصف العلم ، وهي الانتماء بصريح الخدمة وصحيح المحبة إلى جانبنا العالى الامامي ، وإعمال رحلة الشتاء والصيف سنين عديدة إلى بابنا الكريم السامي ، حتى انتظما بذلك في سلك مَن شملته عنايتنـا واخنصته بالايثار ، وتنبيه المقدار ، فلم يتعداهما لذلك الى الغير اختيارنا ، ولا يتجاوزهما لمن سواهما إيثارنا ، وبحسب هذا ومن أجله قلدنا أحدهم ولاية قضاء تلك الحضرة المحروسة مكناسة ، لأنها عندنا من حواضرنا الشريفة ومن عظم الأمصار التى لها الخطر والبال ، ولنا بها في كل حال شديد الاعتناء والاهتبال ، وقد شفعنا لهما هذا الأمر الجسيم بابقاء جميع ما كان لنظرهما ولاية القضاء بالبوادى وغيرها ، وما بأيديهما من الأحباس والدروس ، اسباغاً للنعمه ومجازاة على جميل الخدمة ، وعرفناكم هذا أسعدكم الله لتعاملوهما بمقتضى ما لهما بهذا المقام العالى من جميل الرعي والايثار ، وتتلقوهما بما ألفوه من كريم جنابنا من البر الذى يشملهما في حالة الايراد والاصدار ،

وأنتم بحول الله ممن لا يحتاج الى مزيد الايصاء ، فيمن تمحض لوصف الانتماء الى إيالتنا العالية ، وامتاز بسمة الاخلاص والمحبة لدولتنا الكريمة السنية ، وبه وجب الكتاب إليكم ، والله يصل رعايتكم ، ويوالى حمايتكم بمنه والسلام .

ترجمه فى (المطمح) ، و (الصفوة) ، و (النشر) ، و (التقاط الدرر) ، و (الروضة المقصودة) ، و (السلوة) ، وغيرها .

وقال فى (النشر) أيضاً :

ووقفت على ظهير آخر من إنشاء الكاتب أبى عبد الله الفشتالى نصه بعد الصدر بيد الفقيه الأرضى الأثير الأحظى المرعى النبيه الوجيه الأخلص الأصفى الأنصح الأوفى الأحب الأفضل الانجب الاكمل العالم العلامة المدرس الفهامة أبى القاسم ابن سودة لما كان سدده الله ممن انتخبته مقدمة الاختيار ، وخلص خلوص التبر على النار ، وصرفت أفعاله المحمودة فلم يتطرق إليها اعتلال ، ورجعت فى المسيرة الحسنة أخباره على حالها فأنصب الآن على تلك الحال ، وممن شهد لتقدمه التحرير والتربية ، ورسم الاختبار بصحة اشهادها فى باب التزكية ، فقضى حاكم النظر باستحقاقه التولية ، وممن خب فى جنان مرضاة الجنان الهامى وأوضع ، وأوعى عن عرفانها وأوسع ، وسابق فى ميدان فضائلها مجلى ، وفاز من أقداح اختصاصها وايثارها بالمعلى ، وجمع فى أسباب مرضاتها جمعاً سالما ، اقتضت الهمة الامامية أعلى الله منارها ، وأعظم آثارها ، أن نعصب جبينه بتاج الرعاية ، وتُضفيَ عليه برود العناية ، بولاية تبع فيها سليم الاختيار صحيح الاختيار ، محبتها برهانية نشأت عن مقامات يقينية ، فبنى أيده الله حماته وانصاره وأيد عزازته وأنصاره فولاه أبقى الله جلاله وأسعد غدوه وآصاله ، قضاء بنى حسن وبنى علي على ما كان بيد صاحبه الفقيه أبى القاسم ابن أبى النعيم تولية أمد يده على قضاء بلده تازة وعلى حاله من حبس الاقراء بالحضرة الفاسية حاطها الله ومثار هذه الزيادة أنه لما قصر مصرف الأحكام الشرعية بالحضرة المكناسية حماها الله انتقى النظر الامامى المنصورى أيده الله لمنصبه الفقيهين النجيبين الأعرفين الأخلصين المثليين المدرسين العلامتين القاسمين ابن سودة وابن أبى النعيم ، فاختص الفقيه بن أبى النعيم

بالمنصب المذكور ، وتولى قرنه ابن سودة المذكور قضاء القبيلتين المذكورتين وأنعم أيد الله أمره ، وأعز نصره ، بابقاء ما بأيديهما على الاقراء من الأحباس بحاضرة فاس مأذوناً للفقيه ابن سودة فى النيابة عن صاحبه المذكور فيما يتأتى فيه نيابة من درسه وما لا فليستنب ، فليمض لهذا الوظيف الدينى الذى ألقى أيده الله عصابته على جبينه ، وجعل زمام عهدته بيد علمه ودينه ، والتوفيق بفضل الله رفيقه ، والاستيضاء بمصباح مشورة الأئمة الأعلام فى غياهب مشكلات النوازل والأحكام فصليته التى تؤيه وفريقه ، عارفا قدر النعمة ومسديها ، مستفرغاً وسعه فى القيام بحق معيد الولاية ومبديها ، وعهد أبقاه الله سعيد الأيام ، مظفر الولاية والاعلام ، لجملة القبائل المذكورة بالكون عند نظره والانقياد لأحكامه والجري على العوائد المطردة فى أجرة قضائه ، والله ولي التوفيق ، لا رب غيره ، والسلام .

وممن أخذ عنه أحمد ابن يوسف الفاسى . ﻫ نصه فى (المطمح) .

قال فى (النشر) بعده : قلت وقد اشتمل الظهيران على أنواع من فنون البلاغة والبراعة ، وجودة الانشاء وكمال اليراعة ، سيما ما فى ثانيهما من التوريات النحوية والفقهية والمنطقية وغير ذلك من محاسن هذه الصناعة ، فهو من أجل ما به يلفظ ، ويكنز فى ذخائر الطروس ويحفظ ، ومع ذلك فلولا ما فيها من الثناء على صاحب الترجمة ومن معها وبيان حالها ما ألممت بشيء من مقالهما لطولهما وبعد محصولهما مع ما فى الظهير الأول من العلو والاغراق والاطراء فى المخلوق بما هو من صفة الخلاق ، والتصريح بما ينفر طبعاً من قبض أجرة القضاء منهم الذى هو ممنوع شرعاً سامحنا الله وإياه، وعاملنا بفضله ورضاه ، وفى الظهيرين وحال أصحابه أعظم عبرة وأجل تنبيه للمغتر بالرياسة على موانع الحسرة ، فقد انقضى الوليان ومموليهما وأحواله ، وفرغت شهادة الكل وأهواله ، وبقيت عهدة الولاية وأوحالها ، وعز فراغ ملامتها وترحالها ، فسبحان الملك الخلاق ، المنفرد بالدوام الفاعل ما يشاء على الاطلاق .

رجع لصاحب الترجمة .

قال فى (التنبيه) لما مات الشيخ المنجور ليلة الاثنين سادس عشر ذى القعدة عام خمسة وتسعين وتسعمئة أي بمثناه فيهما كان سيدى أبو القاسم ابن أبى النعيم وسيدى أبو القاسم ابن سودة وسيدى أبو القاسم القصرى غائبين بمراكش ، فنفذ ابن أبى النعيم وابن سودة جميع أحباس المنجور بكتاب السلطان ، فلما قدما لفاس وجدا سيدى يحيى السراج نفذ كرسي التفسير لزيادة فائده على الكرسي الذى بيده ، فتولى سيدى أبو القاسم ابن أبى النعيم الكرسي الذى كان بيد سيدى يحيى ، وتولى سيدى عبد الواحد كرسي مُسلم بين المغرب والعشاء، وتولى سيدى أبو القاسم بن سودة الكرسي الكائن تحت السبع عن يمين الخارج من باب جامع الجنائز كان يقرأ بين الظهر والعصر عليه ابن الحاجب وصغرى الشيخ السنوسى ، وتولى سيدى ابن أبى النعيم كرسي الرسالة والصغرى بين المغرب والعشاء على المستودع الكائن عن يمين الداخل من باب الحفاة لصحن القرويين وقراءة نظم ابن زكرى عليه يوم الخميس والجمعة فقط .

قلت وخلف صاحب الترجمة هذا ولده العالم المدرس سيدى محمد ، وهذا ولده القاضى الجليل العلامة الأثيل سيدى محمد ، وتأتى ترجمة كل منهما وكان سكناه بموضع من عدوة فاس القرويين وهو المسمى الآن بدرب القاضى ، واليه إضافته وأولاده الآن بدار سكناه منه رحم الله الجميع بمنه .

وسيأتى (1) ذكر جده أبى القاسم محمد ابن سودة ، والمترجم جد القاضى أبى عبد الله ابن سودة المشار له فى قول العمل (وحلف ابن سودة الشهودا) .

وسيأتى (2) ذكر عصري المترجم أحمد بن الحاج علي بن الحاج قاسم ابن سودة كما يأتى ذكر أحمد بن التاودى ابن سودة ويأتى ذكر والده ويأتى ذكر أحمد بن الطالب بن سودة وذكر أخيه سيدى المهدى فى حرف الميم .

---

1) فى الأصل وتقدم اعتباراً لتقديم الأحمدين والمحمدين فى الأصل .

2) فى الأصل وتقدم اعتباراً لتقديم الأحمدين والمحمدين فى الأصل .

108) أبو القاسم بن محمد الزعرى بن عمر بن حم بن مهدى بن حمامة بن سعيد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سليمان بن سمير ابن يعقوب بن فاضل بن عمر بن موسى بن أحمد بن محمد بن مرداس بن هلال ابن عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هكذا وجدت نسبة المترجم بخط حفيده الفقيه النبيه سيدى محمد التونسى بن سيدى محمد الشرقى بن أبى القاسم المذكور المكنى أبا محمد ، ونظمه الأديب الفاضل الحاج أحمد بن فتوح التازى فى مقصورة له وزاد عمر بين عبد الملك وعبد العزيز ، وجعل يحيى فى موضع سمير ، وزاد مسعود بين عمر وموسى ، ونقل فى (اليتيمة) فى نسبهم عن تاريخ ابن جزى المختصر من تاريخ سيدى عبد الله بن خلدون ؟ وعن العلامة سيدى عبد الرحمان القيرواني فى كتابه المسمى بـ (روضة الأزهار ، فى نسب آل النبي المختار ، وصحابته السراة الأطهار ، مثل سيدنا أبى بكر ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا علي وغيرهم من الأحبة الأبرار) .

كان أبو القاسم المذكور من الشيوخ المعتمدين والأولياء البالغين ممن لهم القدم الراسخ فى الطريق وممن نفع الله بهم خلقه وهداهم به إلـى سواء الطريق ، ممن اشتهر صيته ، وبانت خصوصيته ، أخـذ عن الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق المعروف بالتباع المراكشي ، وكان ظاهر الخصوصية ذا زهد تام وانزواء عن الدنيا ، وكان مؤآخياً فى الله لسيدى سعيد المسناوى (أمسناو) ومتعاهداً لزيارته ، وقيل إنه من أصحاب الشيخ عبد الله الغزوانى ، والمعروف الأول كما فى (الممتع) ، وكانت حرفة صاحب الترجمة فى ابتداء أمره رعاية الغنم ، وكانت له جبة من الصوف يلبسها للعبادة رضي الله عنه ولزهده فى المفانى . وكان رضي الله عنه من الأبدال وتواترت عنه كرامات ، وظهرت على يده علامات ، مما يدل على ولايته وكمال معرفته ورسوخ قدمه .

قال فى (المرقى) حدثنى بعض الفضلاء عن سيدى يعنى الشيخ سيدى صالح بن المعطى الشرقى أن الشيخ سيدى أبا القاسم كان ذات يوم يسير مع أصحابه فى فلاة من الأرض فأراد أن يتوضأ فأتوه بالماء فتنحى عنهم

بموضع قريب منهم فافتقدوه وبقوا ساعة وهم يرجونه ولا يدرون أين هو ، فبينما هم جالسون إذ ظهر معهم فسألوه أين كان ، فذكر أن رجلا من الصالحين مات فذهب لينظروا من يجعلون في موضعه ، وقال لهم لما مات بقيت الأرض تهتز فجعلت هذه الأصبع في مكانه وأشار لأصبع من أصابعه حتى استخلفنا في مكانه رجلا .

ومن كراماته الظاهرة الدالة على ولايته ما حدثني به بعض إخواننا أن الشيخ سيدي أبا عمرو المراكشي رضي الله عنه ونفعنا به تزوج من بلاد تادلة امرأة من قبيلة بني ملال المعروفة بها ، فلما وصل وقت تجهيزها واشتغل أهلها بذلك وفعلوا ما هو العادة أن يفعله أهل العروس بها وكان سيدي أبو القاسم جالساً مع جماعة من أصحابه فسمع حسن ذلك ، فقال لهم ماذا قالوا ياسيدي زوجة سيدي أبي عمرو ابنة أبي الليل وهو اسم أبيها أرادوا أن يبعثوها إليه ، فقال لهم هي زوجة محمد الشرقي ولدي ، ثم قال لهم ولولا التأدب مع الله لقلت يتزوجها محمد الشرقي ويلد معها هاؤلاء ، وأشار إلى أصابعه وقبض على ثلاثة منها ، فلما وصلت لسيدي أبي عمرو وقع لها النشوز ونفرت منه ، وقالوا لما أراد أن يقرب منها قالت ياسيدي بحرمة الشيب الذي بوجهك إلا ما خليت سبيلي وتركتني ، فقال لها إذهبي يتزوجك الزلال الذي يطلي الحنا في الرزة يعني به سيدي محمد الشرقي ، فرجعت إلى بلادها تادلة ، وقدر الله أن يتزوجها سيدي محمد الشرقي فتزوجها وولد معها ثلاثة أولاد ، أحدهم سيدي عبد السلام الولي الصالح المشهور ، والباقيان أختان له ، فكان الأمر كما أخبر سيدي أبو القاسم نفعنا الله به ءامين .

وحدثني بعض الناس أن صاحب الترجمة ذهب لزيارة شيخه سيدي عبد العزيز التباع كلما اذا وصل مفصل الشتاء يقول لأولاده سيقدم عليكم أبو القاسم ان شاء ببقرات الحليب ، فيقدم هو بذلك عليهم رضي الله عنهم .

وبالجملة فالشيخ سيدي أبو القاسم رضي الله عنه اشتهرت ولايته ، وظهرت علامته ، وبانت خصوصيته ، وبانت على يده الخوارق العظام ، والمزايا الجسام ، ولاحت عليه أمارات من الهدى والرشد ، ووصل المرتبة العالية في

الزهد ، والأوصاف الحميدة ، والأخلاق الرفيعة ، وشهرته تغنى عن التعريف به ، وقبره مزارة عظيمة للناس ، عليه قبة عظيمة بضفة وادى أم الربيع نفعنا الله به ، وكان والده سيدى محمد الملقب بالزعرى من أولياء الله الصالحين العامنين ، وزوجة أبى القاسم السيدة رحمة بنت حمزة والدة سيدى محمد الشرقى كانت أيضاً من الصالحات ، وكانت تقدم مع زوجها لزيارة سيدى أبى عثمان وشيخها وأعطت مرة لأهله ما عليها من الحلي والحلل لما رأينها لابسة لذلك وتغيرن .

ثم قال فى (المرقى) حدثنى بعض الثقات أن الشيخ سيدى عبد العزيز التباع أرسل يوماً إنساناً بالأجرة فى مدينة مراكش فى المساجد والأسواق ينذر الناس ويجمعهم ليغنموا فضل الشيخ ويسقوا من فيضه ويقول إن سيدى عبد العزيز يقول هلموا الي لتغنموا فضلى فاجتمعوا إليه ولم يحضر سيدى أبو القاسم فى ذلك الوقت ، ثم حضر بعد ذلك ، فقال للشيخ ياسيدى سمعت وأنك فعلت وفعلت يذكر ما سلف فما أعطيتنى أنا وأين حقى ؟ فقال له أعطيتك درهماً ينفق منه أهل المشرق والمغرب يعنى به وجود سيدي محمد الشرقى .

وممن أخذ عن المترجم ولده سيدى محمد الشرقى كما فى (المرءاة) و (الممتع) و (المرقى) و (الصفوة) و (نشر المثانى) ، وقد نبه فى الأخير على أن لصاحب الممتع تقييداً فى المترجم ، ونقل منه ونصه لدى ترجمة ولده سيدى محمد الشرقى : وفى تقييد لمؤلف (الممتع) فى والد صاحب الترجمة هو من بنى جابر ثم من ورديغة ثم من الرثمة ثم من أولاد بحر ، ثم من أولاد سمير ، وكلهم ينسبون إلى سيدنا عمر بن الخطاب ، قلت وذكر ابن حزم فى ترجمة العمريين بالمغرب فقال ومنهم قوم سكنوا بصرة المغرب وقد بادوا ورحل منهم الى فاس وأوطنها ادريس بن عامر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن أبى بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر ، وذكر آخرين منهم فانظره ، ولم نعلم الآن من ينتسب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال المسناوى فى تقييد له ما نصه الزعرى اسم لوالد أبى القاسم وعلم عليه كما هو معلوم عند أهله ، وقوله فى (المرآة) فى أبى القاسم المعروف بالزعرى يقتضى أنه لقب لا اسم السيد وليس كذلك ، وأنت ترى أن اسم والد أبى القاسم محمد وأن الزعرى لقب له ، وراجع ما تقدم فى ترجمة عبد الله الغزوانى .

109) أبو القاسم بن محمد بن أبى النعيم ، الغسانى الغرناطى الأندلسى
نسبأ الفاسي ولادة ومنشأ ووفاة ، من رهط أبى علي الغسانى ، الشيخ الامام الشهير ، العالم العلامة الكبير ، الفهامة الفقيه المشارك المتفنن ، الدراكة المحقق المتقن ، قاضى الجماعة بفاس وخطيب حضرتها العلية .

كان رحمه الله من كبار الشيوخ بفاس الذين لهم الشهرة والصيت فى العلم بها ، وكان متضلعاً فى الفنون ماهراً فى المعقول والبيان والتفسير والكلام ، وولي القضاء بفاس فحمدت سيرته ، وكان خطيباً بليغاً .

وفى (الصفوة) نقلا عن صاحب كتاب (بذل المناصحة) قال بلغنى عن سيدى أحمد بابا السودانى أنه كان يعيب عليه وعلى غيره من الخطباء اعتناءهم بالأحاديث الموضوعة فى الخطب ، فان الموضوع تحرم روايته إلا مبيناً كما نص عليه علماء الحديث .

أخذ رحمه الله عن المنجور وهو عمدته ، وأبى القاسم ابن إبراهيم ، وابن مجبر المسارى ، وأبى العباس القدوى ، ويحيى السراج ، وعبد الواحد الحميدى ، وغيرهم ، وأخذ عنه جماعة من أعيان فاس كالحافظ المقْرى ، وابن عاشر ، وسيدى العربى ، وسيدى أحمد وعلي السوسى ، وسيدى عبد القادر الفاسى ، والشيخ ميارة الأكبر ، وأضرابهم ، قال الشيخ ميارة فى (معين القارىء) ولا أذكر الآن له تاليفاً لاشتغاله بخطة القضاء بل والفتوى فى غالب الأوقات . انتهى .

وفى (درة الحجال) أبو القاسم بن محمد بن أبى النعيم الغسانى ، أديب مشارك متفنن ، وهو قاضى قبيلة زمور ، أخذ عن أحمد بن علي المنجور ،

وعن غيره كيحيى السراج ، وعبد الواحد الحميدى ، وله نظم ، وهو أحد القواسم بفاس ، إلا أنه أفضلهم فى الدراية والمنطق والعروض والأصلين ، وفهمه جيد ، ثم قال ولد أبو القاسم بن محمد المذكور صاحب الترجمة فى شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وتسعمئة ، ولم يذكر وفاته لكونه كان حياً زمن تأليفه ، بل تأخرت وفاة صاحب الترجمة عنه ، وقد ذكروا أنه رحمه الله كان فظاً غليظاً على أهل الفساد يفضحهم ويسبهم فتوسموا فيه أنه يريد كسر شوكتهم وانقراض دولتهم ، فتمالأوا على قتله ظلماً على سعة علمه وكبر سنه ، فرموه ببندقية بطالعة فاس قيل بالزربطانة وقيل بباب مدرسة أبى عنان وقيل بين باب درب الحرة وباب سويقة ابن أبى صافى ، وذالك إثر رجوعه من صلاته بالسلطان صلاة الجمعة خامس القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين وألف ، وثار قتال بفاس بين الأندلسيين واللمطيين بسبب موته ، ودام أحد عشر شهراً لارادة الأخذ بثاره ، قال بعضهم فى تأليف له : ولما رمي سقط الى الأرض فحمل لداره التى بأسفل سوق الشراطين من فاس القرويين ، ومات بها من حينه ، وجهز فى غده وصلي عليه ودفن بالكغادين بروضة بنى عمه أولاد الوزير الغسانيين رهط أبى القاسم المشهور الآن بالوزير وقديماً بالغسانى ، وهي المشتركة مع بنى الأرجبى الأندلسى ، وبني على ضريحه منها قوس فى الجدار المجاور للطريق الممرور عليها لوادى الزيتون وهو معروف إلى الآن يزار .

وممن ترجمه تلميذه الشيخ ميارة فى كبيره على المرشد وفى معين القارى ، وصاحب الصفوة ، والنشر ، والتقاط الدرر ، إلا أنهم لم يعينوا موضع دفنه وعينه بعضهم كما ذكرناه والله أعلم .

وقال الشيخ أحمد بابا السودانى فى عد من حضر عليه ما نصه : ولازمونى بالاقراء على قضاتها كقاضى الجماعة بفاس العلامة أبى القاسم بن أبى النعيم الغسانى وهو كبير ينيف على ستين : وقال فى ص 13 من ج 1 من النشر فيمن توفي عام 1025 ومنهم محمد بن أبى القاسم أبى النعيم أظنه والد القاضى الآتى ذكره : وهو كذلك راجع (درة الحجال) :

110) **أبو القاسم القصرى** ، كان مع أبى القاسم بن أبى النعيم وأبى القاسم ابن سودة غائبين بمراكش كما تقدم فى ترجمة أبى القاسم ابن سودة .

111) **أبو القاسم بن سعيد العميرى الجابرى التادلى** ، قاضى مكناسة الزيتون ، كان مولده بفاس القرويين فى يوم الخميس لخمس بقين من شعبان عام ثلاثة ومئة وألف ، ثم انتقل به والده لمكناسة الزيتون فنشأ فى عزة أهل ورفاهية واحترام ، ولم تكن له راحة إلا فى المكتب ، وان والده كان له اتصال بمولانا إسماعيل ، وذلك سبب انتقاله لمكناسة ، وكان فى بدايته يستقضيه فى عساكره ، ولقي المترجم سيدى أحمد بن عبد القادر التساوتى ، واستقضي على مكناسة وأخر عن قضائها عام تسعة وأربعين ومئة وألف ، وسافر لنواحى الريف ، ولقي هناك قاضي غمارة ، وواحد تلك العمارة ، الفقيه الزكي الألمعى النزيه السيد أحمد المدعو أبو سلام الحميدى ورجع منها ولقي العلامة أبا مدين الفـاسـى .

قرأ المترجم على والده سعيد من التفسير جملة وافرة وصحيح البخارى وشفاء عياض وشمائل الترمذى والربع من صحيح مسلم وجملة من كبرى الشيخ السنوسى ومن مختصره ومن شامل ابن عرفة ، ومن شرح المقصور والممدود لابن مالك ، ومن مختصر خليل ، وقرأ عليه ألفية ابن مالك وشرح الألفية لابن هشام وجملة من لامية الأفعال وسلم الأخضرى ولامية الزقاق وشرحها لميارة ، وطلب من سيد الكبير السرغينى أن يتحفه بأسانيد الكتب فاعتذر له بأنه ليس عنده منها إلا سند البخارى والمرشد المعين ، وطلب من العلامة السيد أحمد بن عبد الله الغربى الرباطى مثله واستجازه لكونه ارتحل للمشرق فأجازه عام 1166 ستة وستين ومئة وألف ، وتملك نسخة من السعد على العضد من تركة والده وفى آخرها بخط ابن مرزوق أنه أجاز من كتب له ذلك الكتاب وأجاز ذريته وكل من نظره وطالعه وتملكه إجازة ، وأنه قرأ مختصر خليل على العلامة سيدى أحمد بن أحمد الشدادى من أوله الى آخره ، وقرأ على الفقيه العالم البركة سيدى البهلول البوعصامى الضرير ألفية ابن مالك وصدراً من شرح المرادى عليها ، ومن السلم ، وعلى سيدى الحسن بن رحال وسيدى محمد بن أحمد المسناوى

والعالم سيدى علي التدغي وسيدى عبد القادر بن شقرون وسيدى المعطى صاحب الذخيرة وكتب له أنه أخذ الطريقة الخضرية عن والده عن جد والده عن سيدى محمد بن ابراهيم قائلا وقد زرت قبره رحمه الله بباب أغمات أحد أبواب مراكش حرسها الله والحمد لله وهو أخذها عن سيدنا الخضر عليه السلام مشافهة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

انتهى ما لخصته من فهرسة المترجم .

ورحل لأداء فريضة الحج في رفقة السيدة خناثة بنت بكار المغافرية ، وأخذ عن علماء تلك الديار ولم يستجز واحداً منهم لأنه كان لا يعتني بالرواية حتى فاته استجازة كثير من أهل المغرب ، وترجمه في (نشر المثاني) و (التقاط الدرر) وله فتاوي مذكورة في المعيار الجديد ، وقال في النشر الفقيه أوحد الأول وأعدل قضاة هذا الزمان شرح العمل الفاسي شرحاً فريداً وأقبل الناس في هذه الأزمنة على الشرح ، والمشروح ، واتضح النفع به غاية الوضوح ، وقال في محل ءاخر انه أمر بمنع الناس من الخروج من مكناسة حين وقوع الزلزلة بها .

توفي المترجم عام ثمانية وسبعين ومئة وألف رحمه الله ، ودفن بمكناس بضريح سيدى أحمد بن خضراء عن خمس وسبعين سنة في يوم الجمعة تاسع وعشري جمادى الثانية ، وحلاه الشيخ التاودى في فتوى له بالقاضي أفضل أهل زمانه العلامة ، وراجع ص 59 من ج 9 من (المعيار الجديد) ومن تأليفه (الورد الندي ، في ترتيب ما تضمنه التسميط المحمدى) في مجلد ضخم من القالب الكبير فرغ منه عام 1144 اختصر به (صلة السمط وسمة المرط) لمحمد بن علي المصرى لقباً ابن الشاط ، شرح تخميسه للقصيدة الشقراطية في نحو أربعة أسفار كبار ، والشارح المذكور توفي في يوم السبت 11 ربيع الثاني سنة 681 ودفن في مدينة توزر ، وقبره مزار معروف الى اليوم ، والشقراطيسى اسمه عبد الله بن مجبر بن علي المتوفى في يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة 466 وشرحها ناظمها ، وغلط صاحب (كشف الظنون) حيث جعل اسمه محمد بن عبد الله ، ولها شروح عدة وتخميسات كما في (رحلة العبدرى) ، ولسيدى العربي الفاسي شرح

عليها وخمسها أيضاً الفقيه الفاضل الأديب القاضي عثمان بن عتيق المعروف بابن عرية ، والفقيه الأديب الفاضل الأوحد أبو بكر بن محمد بن الحسن بن يوسف بن حبيش وكرر تخميسها ثلاث مرات وسماها (القرب الثلاب) .

112) **أبو القاسم بن احمد بن علي بن ابراهيم الزياني** المؤرخ الرحال الأديب الكاتب الجماع المعمَّر وزير الدولة المغربية وسفيرها ، وقفت على تحليته بخط تلميذه ابن رحمون بالعلامة المؤرخ الصدر المشارك سيدى بلقاسم بن الخير الناسك السيد الحاج أحمد بن علي بن ابراهيم الصياني . وحلاه عصريه المسند محمد بن محمد الصادق ابن ريسون فى أول فهرسته بالفقيه العلامة النحرير الفهامة الكاتب البارع ، الجامع المانع ، المشتغل بما ينفعه دنيا وأخرى وملكته عليه قاصرة من نشر العلم وتأليفه وتدوينه على أسلوب حسن واصطلاح مستحسن لم يسبق إليه ، ولم يعرج من قبله عليه ، فتئاليفه كلها حسنة رفيعة ، نفيسة بديعة ، يستحسنها كل من رءاهـا ، ويغتبط بها كل من يقرءونها ، وذلك دليل سعادته وحسن نيته وجميل طويته، الشيخ الأشهر والعلم الأطهر ، الضابط للألفاظ ، المحقق للمعانى ، سيدى أبو القاسم قاسم بن أحمد الزيانى .

وهي أي (فهرسة محمد ابن ريسون) فهرسة عجيبة على نسق بديع وتحبير غريب فى عدة كراريس ، وقد اختصرها تلميذه المذكور المسند ابن رحمون ، وانظر ما سياتى فى سليمان من حرف السين .

والزيانى المذكور هو أبو القاسم بن أحمد بن الأستاذ علي بـن ابراهيم الزيانى، ولد بفاس سنة 1147 وأخذ بها عن أحمد بن الطاهر الشرقى، وابن الطيب القـادرى صاحب (النشر) ، والقـاضى بوخريص ، وعمـر الفاسى ، والتاودى ابن سودة ، وبنانى ، ونسخ حاشيته على (ز) ، ورحل إلى الحجاز عام 1169 صحبة والده ، ثم رحل ثانياً إلى الأستانة سفيراً عن السلطان سيدى محمد بن عبد الله عام 1200 ثم سنة 16 أيضاً، ولقي باسطنبول الشيخ كمال الدين أحمد بن ركن الدين مصطفى ابن خير الدين ، واختصر تئاليفه فى التاريخ ، وأجازه به وبمؤلفاته ، ولقي بمصر الشيخ سليمان

الفيومــي ، والمؤرخ عبد الرحمان الجبرتى ، وإسماعيــل العباسى المؤرخ بدمشق سعد الدين حفيد الشيخ عبد الغنى النابلسى وكمال الدين الغزى وغيرهما ، وروى إجازة عن السلطان سيدى محمد ابن عبد الله حديث أبى ذر الطويل عن ابن عبد السلام بنانى من طريق ابن غازى كما فى فهرسته ، وألف فى التاريخ رحلته الكبرى فى مجلد ، و (الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب) فى مجلد ضخم ، و (الروضة السليمانية ، فى الدولة الاسماعيلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية) والثلاثة عندى ، و (البستان الظريف ، فى دولة أولاد مولاي علي الشريف) فى مجلد كبير ، و (ألفية السنوك ، فى وفيات الملوك) ، و (تحفة الحادى المطرب ، فى ذكر شرفاء المغرب) ، وهو أحد التصانيف التى سماها صاحب (السلوة) ءاخرها ، ولم يعرف مصنفها ، وهي للمترجم وقد ادرجها فى تأليفه (البستان الظريف) و (رسالة السلوك ، فيما يجب على الملوك) و (الدرة السنية الفائقة ، فى كشف مذاهب أهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة والزنادقة) ، و (رحلة الحذاق ، لمشاهدة البلدان والآفاق) و (جوهرة التيجان ، وفهرسة اللؤلؤ والياقوت والمرجان ، فى الملوك العلويين وأشياخ مولانا سليمان) ، وهي هذه ، و (التاج والاكليل ، فى مآثر السلطان الجليل) و (تحفة النبهاء فى التفرقة بين الفقهاء والسفهاء) ، وقد أدرج هذا فى الذى قبله وهو عجيب ، و (إباحة الأدباء والنحاة ، فى الجمع بين الأخوات الثلاث) ، وهي رحلتــه الثالثه ، و (تحفة الاخوان والأولياء ، فى صنعة السيمياء) و (كشف أسرار المحتالين الأشقياء ، الذين يزعمون علم الكمياء) .

مات بفاس عصر يوم الأربعاء 4 رجب عام 1249 (17 نونبر سنة 1833) عن نحو مئة سنة وخمس سنوات كما قيده بذلك القاضى أبو الفتح ابن الحاج ، ودفن بالزاوية الناصرية بفاس .

وقد أجاز الزيانى للسلطان سليمان بن محمد العلوى ، وللمسند ابن رحمون مختصر فهرسته هذه ، ولقاضى فاس مولاي عبد الهادى بن عبد الله العلوى ، وقفت على استدعائه منه بخطه يتصل به من طريق ولده العالم الفاضل

الناسك المعمر إدريس عن أبيه عنه ، وابن رحمون المذكور هو محمد التهامى بن المكى بن عبد السلام ابن رحمون الفاسى .

ذكره السيد أبو الاسعاد .

113) **أبو القاسم السجلماسى** ، الولى الصالح ذو العرف الناسم البركة كان رضوان الله عنه من أفاضل أهل الله وأكابر المحبين فى جانب مولانا رسول الله، ذا نسك وعبادة وصلاح وزهادة، ظاهر البركات، مصحوباً بالعناية فى السكنات والحركات ، وكان أستاذاً لأهل (دلائل الخيرات) ، يجتمعون عليه ويقرأونه بين يديه ، وكانوا يتنافسون فى أخذه عنه رضي الله عنه ، وهو من أهل الصدق والمتسمين بقول الحق ، إنه ذهب لزيارة شيخ المشايخ وقطب الأقطاب سيدى محمد بن سليمان الجزولى رضي الله عنه أوان طلبه لحفظ (الدلائل) ، فلما وصل حضرة مراكش سكن بضريحه رضي الله عنه مشتغلا بالذكر وقراءة الدلائل ، قال فأخذته عينه فى بعض الليالى فى ضريحه الأنور رضي الله عنه ، فوقف عليه الشيخ وأمره بقراءة (الدلائل) فاستحسنه و صار يسرده وينسخه رضي الله عنه مصغ اليه فأخطأ فى ضبط بعض الكلمات فرده الشيخ إلى الصواب ، وقال هكذا قرأه علي حبيبى صلى الله عليه وسلم ، ولما فرغ من القراءة أذن له الشيخ بالانصراف ، فمن الغد خرج قاصداً لهذه الحضرة الادريسية وقد أشرقت عليه أنوار العناية ، ولاحت له شموس الهداية ، وقد انتفع به خلق كثير ، فقد أخذ الله كريمتيه فى ءاخر عمره رضي الله عنه .

توفي رحمه الله فى 11 جمادى الأولى عام 1296 ودفن بسيدى علي المصالى رضي الله عنه .

ذكره القاضى الصقلى فى تقييده .

114) **أبو القاسم بن عبد العزيز المدعو الشاهد** . المراكشى داراً ومنشئاً الأندلسى أصلا ، وقفت على كراسة فيها إجازة أشياخه له لما أراد السفر إلى الحج المبارك عام 1217 فيهم سيدى محمد بن عبد السلام الشرقاوى الآتية ترجمته قال وأذن للفقيه المبجل ، الوجيه الأفضل ، فى كل ما تحرك

من الرقية والكتابة وغير ذلك إذناً مباركاً مؤبداً ، وختم إذنه بقوله أسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليه بالسعادة والغفران ، وكذا الوصول لتأوله الى درجة الأخبار ءامين ءامين ءامين ، وكتب في التاسع عشر من جمادى الأولى عام 1217 عبد ربه تعالى محمد بن عبد السلام الشرقاوي ، ومنهم سيدى محمد المعطى ابن أحمد الطيب بن محمد اير الأندلسى أجازه فى مفتتح جمادى الثانية من العام المذكور قائلا أجزنا الفقيه الأجل المشارك الأحفل سيدى أبا القاسم المذكور فى كل ما سمعه علينا من علمي الحساب والميقات وبعض الأزياج وبعض الآلات التوقيتية كربع الجيوب وربع المقنطرات والشكازية والزرقالية على الشرط المعتبر ، ولقيه سيدى محمد الذى مر عليه بقصد زيارة مولانا إدريس الأكبر وحلاه بالفقيه الأجل الخير الأمثل السميذع المنيف والنحرير وانه على أكمل الأحوال من الدين والنسك والمكانة العالية من العلم الخ، ومنهم سيدى عبد الودود الحسنى وحلاه بالفقيه العالم العلامة الأحظى النحرير المدرس المشارك اللوذعى ، مَن العلمُ حشو ثيابه ، والآداب ملء إهابه ، الذى ورد عليه بالزاوية الوزانية قائلا وكنت أعرفه قبل ذلك من الحضرة المولوية قاعدة الملك بالمغرب ودار الأمراء ثم مدينة مراكش وموطن العلماء ، ثم سماه وقال التعريف لى به وبباعه فى العلم وإجازته ، وذكر أنه أجازه سيدى محمد الورزيرى العلامة المشارك المرحوم حاج بيت الله الحرام الذى كان مستقراً بتطوان المتوفى بالوباء عام 1214 إجازة عامة بعد أن قرأ عليه صدراً من الموطأ وشيئــاً من صحيح البخارى ومن تفسير ابن عطية من سورة الأعراف عن الامام الكردى ، وبفهرسة سيدى عبد القادر الفاسى وسيدى عبد الرحمان العارف وسيدى عبد الله عياش ، وسيدى الحسن بن مسعود ، وقال سيدى عبد الودود المذكور وأنا أقول مثل ما قال ، ومنهم عبد السلام الحلو قائلا أجزنا الفقيه المشارك سيدى أبا القاسم بن سيدى عبد العزيز فى كل ما سمعه منا من حساب وغيره على الشرط المعتبر فى الاجازة ، ومنهم العلامة سيدى محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران وحلاه بالفقيه الأجل العلامة الأحفل وأجازه إجازة عامــة ، وممن لقيه العلامة سيدى عبد القادر الكوهن وحلاه بالفقيه والبحر الزاخر اللوذعى وأوصاه بوصية نافعة ، وممن لقيه إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد

النور الطرابلسى داراً وقراراً اليزليتنى منشئاً وحلاه بالشيخ الفاضل والنحرير الكامل الذى تستخرج به الفوائد ، وتستنتج به الفرائد ، المولى الأسعـد واللوذعي الأمجد ، فى فاتح رمضان من العام المذكور ، وأجازه إجازة عامة على قاعدة رواية الأكابر عن الأصاغر من أشياخه عمه شقيق والده سيدى عبد النور ، وان سيدى علي بن عبد الصادر جده للأم وعمه يروى عن أخيه والده عن الشيخ سيدى عبد الله معروف عن سيدى محمد النعاس التاجورى وأخذ المجيز عن سيدى محمد العربى الشريف وسيدى محمد السكلاشى ومنهم بمصر سيدى عبد الطحلاوى المالكى ، ومنهم سيدى خليل المصرى مولـداً التونسي الأصل ، ومنهم سيدى محمد بن الطيب الفاسى ، وأجازه فى الشمائل والبخارى عن شيخه المسناوى عن شيخه سيدى عبد القادر الفاسى ، ومنهم سيدى أحمد الأسكندرى الصباغ ، وسيدى محمد البليدى ، وسيدى عبد الله الشبراوى ، وممن لقي المترجم خديم الفقراء أحمد بن محمد بن الحـايف العريب والطرابلسى وحلاه بنادرة الزمان ، وفكاهة الاخوان ، الذهب الابريز أخونا فى الله سيدى قاسم الخ ذكر أنه طلب منه أن يرسم له بأنامله بعض أدعية شاذلية وأذكار دسوقية وان يأذن له فى ذلك ، كما تلقى عن عدة مشايخ وقد روينا عنهمبالسند التوصية بحفظ حزب البحر والحفيظة فأذن له فى قراءة جميع أحزاب سيدى أبى الحسن الشاذلى فى أي وقت شاء إذا لم يرد التوظيف والا فحزب البحر بعد صلاة العصر وحزب البر بعد صلاة الصبح ، ومنهم السيد أحمد بن السيد خليل الحضرمى الشافعى الرشيدى الأشعرى الخلوتى نزيل القطب السيد علي المحلى برشيد فى 7 من شوال عام 1217 وحلاه بالعلامة الفاضل المهذب الكامل أبو القاسم بن عبد العزيز الخ ، وأجازه إجازة عامة فى الحديث والتفسير وسمى له من أشياخه العـارف بالله محمد بن سالـم الحنفاوى الشافعى ونور الدين علي الصعيدى العدوى المالكى الأول عن شيخه محمد بن محمد البديرى ، والثانى عن سيدى محمد عقيلة ثم أسند له صحيح البخارى وبقية كتب الحديث وغيرها عن الحفناوى عن البديرى عن العارف إبراهيم الكردى ، عن المعمر عبد الله بن المولى سعد الله اللهورى عن القطب محمد النهروانى عن والده أحمد عن نور الدين أبى الفتح أحمد الطاووسى عن المعمر

بابا بوسف الهروى عن محمد الفرغانى عن يحيى بن عمارة الحتلانى عـن الفربرى عن البخارى ، ومنهم الشيخ عبد الله الشرقاوى قائلا وقد أجزت حبيبى اللبيب الفاضل والنحيب الكامل العلامة الفهامة ، وله فى كل فن علامة ، سيدى القاسم بن عبد العزيز الشاهد المراكشى فى كل ما تجوز لى وعنى روايته الخ .
وممن لقيه السيد محمد الشافعى من ذرية مولانا عثمان بن عفان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم القاطن بفريانة من أولاد الشيخ سيدى أحمد التليلى نفعنا الله به ، ومهم أبو القاسم بن علي بن عبد الجبار نسباً الفرشيشى موطناً بالدغرة فرقة بالقصارين راوية التليلى .

115) **أبو القاسم بن راشد القيسى** كان انقطع الى سكنى مراكش كما فى (الذيل والتكملة) فى ترجمة أبى الحسن ابن قطرال .

116) **أبو سعيد الشريف التلمسانى** ، من ذرية أبى عبد الله الشريف شارح (الجمل) خطيب جامع الكتبيين .

توفي بمراكش ليلة السبت سابع عشر رمضان عام ألف .

ذكره فى (لقط الفرائد) .

117) **أبو سهل القرشي** ، وصل من بلاد المشرق فدخل المغرب ونزل برباط تاسماط من عمل مراكش فمات به ، قال فى التشوف وقبره معروف يتبرك به إلى الآن ، ونقل الخلف عن السلف أنه جاء من المشرق على قدميه وعلى عاتقه مخلاته التى جعل فيها كتبه ، فمشى يوماً إلى أن كلمه جمل بازائه فقال له ياأبا سهل اجعل عليّ مخلاتك لتستريح منها :

دع المطايا تنسب الجنوبـــــــا ... إن لهـا لنبـأ عجيبـــــــــــا
حنينهـا وما شكت لغـوبـــــا ... يشهد أن قد فارقت حبيبـــــا
تـروح إما أشرفت كئيبـــــا ... يسر مما أعلنت نحيبـــــــا
يمشى إذا حنت لهـا مجيبـــــا ... يطر بها اذا انتشت طروبـــــا
إن الحنين يبعث النسيبـــــا ... لو غادر الشوق لهم قلوبـــــا

إذاً لآثرن بهـا اللبيبـــــــا　　　إن الغريب يسعد الغريبـــــــا

وقال فى نظم رجاله :

عليك أبا سهل ليسهل كل مـــا　　　تريد فورق الجود من كفه يجـرى

قال فى الشرح عليك بمعنى اِلزم أبا سهل .

118) أبو شعيب (مولاي بوشعيب) : أيوب بن سعيـد الصنهاجى

من أهل بلد أزمور ، ومـن أشياخ أبى يعزى ، ويقال إنه من الأبـدال ، قـدم مراكش بعد عام واحد وأربعين وخمسمئة ومات ببلد أزمور يوم الثلاثـاء العاشر من ربيع الثانى عام واحد وستين وخمسمئة ، وكـان فى ابتداء أمره معلماً للقرآن بقرية يليكساون من بلد دكالة ، فكان يتوكأ على عصاه واقفاً لا يقعد إلى وقت انصراف الصبيان من المكتب، ثم خاف ألا يكون وفـّى بما عليه من الحقـوق فتصدق بجميع ما اكتسبه فى تعليم الصبيان ، ورأى يوماً بقرة لـه أهوت بفيها فى فدان جاره فجرى اليها وأدخل يده فى فيها فأخرج منه النبات وأمر أن ترد إلى داره ويجمع لها الحشيش ولا تترك تخرج الى المرعى ثلاثة أيـام وأن يتصدق بلبنها فى تلك الأيـام الثلاثة ، وزاره عبـد الخالق بن ياسين من سبت بنى دغوغ من بلد أيلان وهو بأزمور وحمل معه إليه حمل زبيب فقال له أبو شعيب مـن أين لك هذا الزبيب ؟ فقال هـو من جنتى ، فقال له بماذا تسقيها ؟ فقال له مـن ماء الساقية المشتركة ، فقال له رد زبيبـك الى دارك ، فانى لا آكل زبيباً يسقى بالماء المشترك ، فرجع عبـد الخالق الى بلده وأنفق فى ساقية انفردت بها جنته مئة ريال ، فكان يسقى بها جنته .

قال فـى (التشوف) وحدثنى أحمد بن إبراهيم عـن عيسى بن عبد العزيز قـال أراد والى أزمور قتل جماعة من أهـل بلده فجاءه أبو شعيب شفيعا فيهم ، وكان أسمر اللون ، فلما رآه الوالى انتهره ، فلما ولـّى عنه أبو شعيب أصابه وجـع شديد ، فقيل له ان الرجل الذى رددت هـو أبو شعيب ، وهو من الأولياء ويخشى عليك من رده ، فأمر أن يؤتـى به وشفعه فى أولائك الذين أمـر بقتلهم فارتفع عنه الوجع ، فـكان ذلك الوالى اذا عزم

علـى قتل قوم ورآه مقبلا اليه يصرفهم قبل وصول أبى شعيب فأمر الوالى يوماً باحضار جماعة للقتل ففـزع الناس الى أبى شعيب فأخـذ فى البكاء وقال لهم والله ما ابتنيتم بهذا الأمـر الا من أجلى ، ولو مت لاسترحتم ممـا نزل بكـم .

وحدثنى أحمد بـن عبد الله ، قال حدثنى ابـن صاحب الصلاة أن أهله أسروا بأيدى الـروم من جزيرة الأندلس ، قال فقدمت مراكش لأنظـر فى فكّهم من الأسر ، ثـم نهضنا إلى بلد أزمور فدخلت مسجد أبى شعيب فوجدته جالساً ورأسه تحته فصليت بازائه ، فسمعت على الحصير كصوت وقع المطر فرفع رأسه فاذا دموعـه كانت تقطر على الحصير ، فذكرت لـه أسر أهـلى فدعا لهم بالسراح ، فوالله ما كمـل العام حتى جمع الله بينـى وبين مَنْ أسر من أهلى بمراكش ، وأجاب الله دعوته فيهم .

وحدثنى اسماعيل بـن عبد العزيز بن ياسين عن محرز بن عبـد الخالق بن ياسين قال رأيت أبا شعيب بمسجد أغمات يأتيه المؤذن إذا أقيمت الصلاة فيصيح فى أذنه يؤذنه بالصلاة ، وكان ذلك المؤذن خاصّاً به ليـلا يصلي الناس عنه وهو لا يشعربهم لغيبته فى صلاته عن الاحساس بالناس ، وكان اذا وقف فى صلاته يطيل القيام ، فبذلك سمي أيوب السارية .

وحدثنا عبد الرحمان بن يوسف بن أبى حفص قال قلت لمحمد بن أبى شعيب أخبرنى بـما رأيت لأبيك من الكرامات ، فقال صـلى صلاة عيد الأضحى بأغمات وجاءنا بأزمور اثر انصراف النـاس من صلاة العيد وكنـا عزمنا أن نذبح كبشاً لأضحيته فقال لنـا اذبحوا هذا الكبش الآخر .

وحدثنى هارون بن عبد الحليم قال حدثنى خالى يحيى بن ابن ينور ، قال جاءنى أبو شعيب فى يوم عيد بقرية يليسكاون ليسلم على أبى ، وكان من أشياخه . فاستأذنا له فأذن له الشيخ بالدخول ، فلما سلم عليه قلت لـه الا تنزل عندنا لتصيب من أضحيتنا ؟ فاعتذر وفهمت عنه أنه يريد أن يذبح أضحيته بأزمور ، فتقدم ومشيت فى أثره ثلاث خطوات فلم أدركه فغاب عنى .

وحدثنى إسماعيل بن عبد العزيز بن ياسين عن عمه عبد الخالق ابن ياسين حدثه قال ذهبت الى زيارة أبى شعيب فوجدته بقرية واوزكارت فدخلت عليه وتحدثت معه فسمعت زئير الأسد وهو قريب منا ، فقلت له إن هذا الأسد يزأر على دوابنا ، وما جاء إلا اليها فانقطع عنا صوت الأسد من ساعته ومر عنا .

وحدثنى عمر بن يحيى ، قال حدثنى إبراهيم بن يعقوب ، قال جلسنا مع أبى شعيب يوماً الى أن قال لنا ان الله تعالى يعطى الدنيا كما يعطى الآخرة ، فمن كانت له حاجة من حاجات دنياه فليذكرها لنسأل الله تعالى فى قضاء حاجته ، فقام رجل من الحاضرين فقال أدعُ الله أن يوسع علي الدنيا فانى فقير كثير العيال ، فدعا له فلم نفترق من ذلك المجلس الى أن وقف علينا سائل فقال أنا رجل فقير ناقه من مرض ولى عيال فانظروا فى أمرى ، فقال أبو شعيب أين الرجل الذى سأل أن يوسع عليه فقام إليه فقال له أبو شعيب قم مع هذا وادفع اليه الخمسة الدنانير التى عندك ، فقام معه الى الوادى فدفع له ثلاثة دنانير فقط ، فانصرف السائل فرحاً وعاد الرجل الى مجلسه فقعد معنا ، فوقف علينا رجل تاجر من الأندلس ، وقال ياأبا شعيب أنا من تجار مالقة وصلت بتجارتى الى هذا البلد فمرضت ولا أطيق السفر فى البحر ولا المسير فى البر ، وعندى خمسمئة دينار فدلنى على ثقة اقارضه بها إلى أن أستقل من مرضى ، فقال أبو شعيب أين ذلك الرجل الذى سأل أن يوسع الله عليه ؟ فقام اليه ، فقال له ادفع ذلك المال الى هذا الرجل ، فلما قبضه قال له أبو شعيب إِذهب إلى المرسى واشتر السلعة التى تجدها هنالك وسافر بها ، فذهب الى المرسى فوجد به قمحاً فاشتراه وحمله فى المركب فتوجه الى مالقة فباعه فاشترى بثمنه تيناً وغيره من السلع ، فلما توسط البحر هال البحر واضطرب فخفف أهل المركب مما عندهم ورموا فى البحر كثيراً مما عندهم ، ثم طاب البحر الى أن حطوا بمرسى أزمور ، فباع ما كان عنده بألف ومئة دينار ، وجاء بالمال الى أبى شعيب فبعث إلى صاحب المال فسأل أبو شعيب ذلك الرجل عن تجارته وما جرى له فى سفره ، فأخبره بكل شيء ، وأن جملة الربح ستمئة دينار ،

فتغير وجه أبى شعيب وقــال له لعلك لم تدفع للسائل جميع خمسة دنانير التى أمرتك أن تدفعها اليه ، فقال انما دفعت له ثلاثة دنانير وقلت أمسك الدينارين لعيالى فانه لم يكن عندى غيرهما ، فقال له أبو شعيب ما أضعفك بيقين ، لو دفعت اليه خمسة دنانير كلها لحصل لك فى ربحك خاصة خمسمئة دينار ، ولكنك نقصت فنقص لك ، فدفع الى التاجر فى رأس ماله خمسمئة دينار وأخذ الربح الذى هــو ستمئة دينار فقسمه بينهما بالسوية وأعطى كل واحد منهما ثلاثمئة دينار .

وحدثنى عبد الرحمان بن علي الصنهاجى قال حدثنى علي بن أبى عبد الخالق عبد العظيم بن أبى عبد الله ابن أمغار عن أبيه قال دخل أبو شعيب على أبى وأنا حاضر ، وكانت عادته إذا دخل بمكان ألا يقعد حتى يركع ركعتيــن ، وكانت عندنا حُصُر" كثيرة ، فلم يسألنا عن الحصير الطاهر منها ، فمد يده الى حصير فبسطه وصلى عليه ، فقال أبى انظروا الى فراسة أبى شعيب كيف اهتدى الى الحصير الطاهر منها ولم يحتج الى سؤال .

وحدثنى عبــد الرحمان بن يوسف ابن أبى حفص عن أبيه أن أبــا حفص ذهب مــع أبى شعيب فى حاجة لأبى عبد الله بن أمغــار ووصلا الى عدوة وادى أزمور ثم رجعا ، فقال أبو حفص لأبى شعيب أرانا لم نعبر الوادي فى ذهابنا ولا فى رجوعنا ، فقال له أبو شعيب ما دعاك الى السؤال عن هذا ؟ اذا انتهى أحد الى حاجته فلا فائدة فى السؤال ، قال أبو حفص وخرجت ليلة لأتوضأ فى الوادى وكــان البرد شديداً فسمعت كلاماً عــلى بعد فأصخت فاذا برجل يتهدد ويوبخ ، فدنوت منه ، فاذا أنا بأبى شعيب قد رمى بنفسه فى الوادى ، واذا به كان يعاتب نفسه إذ نازعته فى استعمال الماء البارد ، فحملته الى منزلى وأوقدت النار ، فلما زال عنه ألم البرد سألته عن فعله فقال دعنى فانها نفس خبيثة :

أقلل ما بى فيك وهو كثيــــــر ... وأزجر دمعى فيك وهو غزيــــــر
وعندى دموع لو بكيت ببعضهــــا ... لفاضت بحور بعدهن بحـــــــور

قبور الورى تحت التراب وللهوى   رجال لهم تحت الثياب قبــــور
سأبكى بأجفان عليك قريحــــة   وأرنو بالحاظ إليك تشيــر (I)

وممن عرف به صاحب (المعزى) قال : قدم مراكش عام واحـد وأربعين وخمسمئة ، أشخصه عبد المومن بن علي ، فلما رآه شاحب اللون أشفـق عليه ، ثم أراد أن يناظره فهابه لما رآه من بعض مكاشفاته ، فصرف مناظرته الى بعض المتجـرين أصحاب الامام المهدى ، فسأله عن حقائـق التوحيد المصطلح عليها عندهم ، فأجابه بجواب السلف مـن الآية القرآنية ، وروي أنه لما سأله قال له أبو شعيب الله لا الاه الا هو ، الحي القيوم ، الآيـة فقال له واسنار ماهذا هو التوحيد ، قال له أبو شعيب لا أماته الله عليـه ، فتطير منها عبـد المومن وعلم أنه لابد أن تصيبه دعوته ، ثـم سأله بعـد ساعة فقال ما التوحيد أيها الشيخ ؟ فقال له (شهد الله انه لا إلاه إلا هـو والملائكة وأولو العلم) الى العزيز الحكيم ، فكرر عليه الشيخ الدعاء والعياذ بالله ، ثم بعـد ساعة قال ما التوحيد أيها الشيخ ؟ فقال له قال الله تعـالى عز رجل : قـل هو الله أحد ، الله الصمد ، الى آخر السورة ، فكرر عليـه الجواب الأول ، فكرر عليه الشيخ الدعاء ، واذا بهرة عظيمة وقعت في القصر الذى لعبـد المومن ، فتغير من ذلك وعلم أنه ما أصيب الا من جهـة الشيخ ، فعظمه وأمر بزيارته وقضاء مآربه ، فقال لا حاجة لى بشيء الا أن تشفعنى فى نساء علي بن يوسف ونســاء أولاده وتسرحهم حيث شاءوا ، ثـم انتقم الله من وسنار فى قصـة غريبة أضربنا عنها اختصاراً ونشر والعيـاذ بالمنشار وهـو يقول ياويلاه حتى مات على تلك الحالة ، وصـرف الشيخ لبلاده أزمور مكرماً عزيزاً بالله تعالى .

وله كرامات لا تحصى ، كان يصـلى بأغمات عند سيدى عبد الجليل ابن ويجلان وأبى محمد المليجى رحمهما الله ، وذكر السمعانى فـى (الذيل) له أنه هو الذى صلى على حجة الاسلام سيدى الغزالى وذلك أنه قال لهم اذا أنا مت فكفنونى وضعونى عـلى سريرى على شفير القبر حتى يجيء رجـل

I) ما تقدم كله منقول بالحرف عن التشوف انظر الترجمة ع 62 ص 166 منه .

بدوي لا يُعرف هـو الذى يصلى علي فذكروا أنهم امتثلوا ، فبينما هـم ينتظرون وعد الشيخ واذا برجل أسمـر عليه عباءه فلما لحق بهم قال السلام عليكم ثـم تقدم فكبر فكبر الناس ، فلما سلم ذهب مـن حيث جاء ولـم يتجاسر أحد أن يسأله ، كـذا ذكره ابن الزيات فى صدر كتابه .

ومن أشياخ أبى شعيب أبو النور عبد الجليل بن وركيس الدكالـى المشنزائى ، وأبـو محمد عبد الجليل بـن ويحلان الآتية ترجمته ان شـاء الله شيخ أبى النور المذكور أيضاً ، وقد تقدم عـن (التشوف) التصريـح بأن سيدى بنور من أشياخ أبى شعيب ، وسيأتى فـى ترجمة أبى يعزى أن من أشياخ أبى شعيب أيضاً أبا عبد الله بن أمغار وقـد تقدم ذكر زيارته لـه وخدمته عن (التشوف) ، وقد ذكر كثيراً من أخبار أبى شعيب فى تاليـف مناقب بنى أمغار ، ومن أشياخ أبى شعيب أيضاً أبو علي المنصور بن ابراهيم المسطاطى كبير الشأن من أهل العلم والعمل ، مات بأزمور عام أربعيـن وخمسمئة ، وكان أبو شعيب اذا وقف عـلى قبره يقول أي رجل دفن هاهنا ما رأيت مثله ، ذكره فى (التشوف) أيضاً ، ومـن أقرانه أبو عيسى ورجيج ابن ولدون الصنهاجى مـن أهل أغيور ببلد أزمـور من أهل العلم والعمل ، قال فى ترجمته مـن (التشوف) حدثنى عبد الرحمان بـن يوسف بن عمر قال حدثنى سليمان بن عبد النور قال رأيت طائفة مـن متصوفة المشرق وصلوا الى بلـد أزمور لزيارة أبى عبد الله بـن أمغار وأبى شعيب وأبـى عيسى فوجدوهم قد ماتوا فزاروا قبورهم فقيل لهم من أيـن وصلتم ، فقالوا وصلنا من بلاد اليمن ، فقيل لهم مالذى أوصلكم ؟ فقالوا نـام بعضنا فرأى الجنة فى منامه ، ورأى فيها قصوراً فقال لمن هذه القصور ؟ فقيل لقوم مـن صنهاجة أزمور ، وهـم ابن أمغار ، وأبو شعيب ، وابو عيسى وقد ذكر هذه القصة فى كتاب (مناقب بنى أمغار) أيضاً .

وقال فى نظم رجال (التشوف) :

طلبنا أبا عيسى بن ولدون نصرة ... ومن جاءه يوماً تدرع بالنصـر
أأيوب أن تطرد عبيداً ببابكـم ... فمن بعدكم يدنيه من مربح التجر

قال فى الشرح فى أبـى عيسى : من أهل ايغيور عن قرب من بلاد أزمـور .

وقال فى (الاستقصاء) ما نصه : قال مؤلفهعفا الله عنه قلت زرت ضريح هذا الشيخ سنة ثمانين ومئتين وألف ومدحته بقصيدة سلكت فيها مسلك الأدباء من النسيب وغيرهم وأنشدتها عند ضريحه ، فرأيت لها بركة والحمد لله فأحببت أن أذكرها هنا وهي هذه :

لله ياربع ما هجيت من شجـــن ... على الفؤاد ومن ضنى على البـــدن
وقفت فيك ركاباً طالما وقفــت ... على القصور على الأطلال والدمــن
أيام فيك حسان ما أشبههـــا ... بالشمس حسناً ولا فى اللين بالغصن
وفيك أسد من الملوك عادتهــا ... بذل النضار وصون البيض والحصن
يحمون منك عراصاً كنت أعهدهـا ... مأوى السرور فعادت موقف الحزن
عاثت يدُ الدهر فيهم منذ أزمنـة ... كأن بأسهم المحذور لم يكـــن
قوم عرفت نداهم قبل معرفتـــى ... نفسى وفاجأنى فى المهد بالمنــن
ومذ ترعرعت لم أعلق بغيرهـــم ... حتى كأنى رضعت الحب فى اللبن
قضيت حق الشباب فى منازلهـم ... أيام عيش لنا أحلا من الوســن
منظن بالدهر خيراً فهو منخـدع ... فوده هدنة تبنى على دخـــن
لا أنتحى منهلا إلا شرقت بـــه ... ولا أحل مكاناً ليس بالخشـــن
ولا أصاحب من هذا الورى بشراً ... الا حصلت على زق من الأحـــن
حتى توهمت أننى جنيتُ لهـــم ... حرب البسوس وأننى أبو الفتـن
وما لذى الفضل من ذنب يلام بـه ... سوا فضيلته فى دهره الـــزمن
فعد ياقلبى عن شكوى أضيق بها ... ذرعا فشكواك لى ضرب من الوهن
ولست أحسب هذا الدهر مرعويا ... ولو تعلقت منه بابن ذى يـــزن
كلا لقد علقت يدى بمن علقـــت ... أيدى العفاة به فى الشام واليمن
بأعظم الناس منزلا ومنزلـــة ... وأسمح الناس كفاً بالندى الهتـن
وأشمخ الناس قدراً فى الورى وعلا ... وأحكم الناس للفروض والسنــن
ذاك الولي الذى كل الأنام غــدا ... يتلو مناقبه فى السر والعلـــن
أبو شعيب الذى من بحره انشعبت ... جداول اليمن فى الأحياء والمـدن

بدر غدا فى سماء المجد مكتمـلا به علا ذكر آزمور فى الوطـــن

أرض اذا الضرع المحروم يممهـا ألفى بها بدل الأهلين والسكـــن

أود من أجل ثاويها حجارتهـــا واجعل الترب لى مسكاً بلا ثمـــن

وكيف لا تطبى قلبى منازل مَـــن به أكون من الأحداث فى جُنـــن

مجلى الغياهب مبذول المواهب مقـ ـفو المذاهب بالجنيد والقرنـــى

بحر الحقيقة والغوث الذى لهجـت به القبائل فى المقام والطعـــن

مازال يرقى الذرى من كل صالحة حتى اكتسى شهرة النيران فى القُنن

ياخير من أمه العافى ولاذ بـــه أهل الجرائم والأوزار والمحـــن

انى خدمتك فى شعر عنيت بـــه وليس لولا حلاك الزهر بالحسـن

أشكو اليك سقاماً أنت مبرئــــه ولست أرجو سواك منه ينعشنـــى

وشد أزرى فانى كنت معتقـــدا إذا بلغتك قدت الدهر بالرســـن

وانظر بفضلك مـن وافاك معتفيـا فان نظرتَ فكل الخير يشملنـــى

وأعظم السؤل منك النفس تصلحها وطهر القلب م الأمراض والــدرن

وامنحه نوراً وتوفيقاً ومعرفـــة أرى بها عملى والبر فى قـــرن

فجد بما رمت من جدواك يا أملـى فبحر جودك عذب ليس بالأجـــن

سقى ضريحك غيث مايزال بـــه بستان أنسك وهو مورق الفنـــن

بجاه أفضل خلق الله كلهـــــم محمد ذى المزايا الغر والمنـــن

عليه أزكى صلاة الله ما تليـــت صحف وما نسج القريض ذو لسن

والآل والصحب والأزواج قاطبـــة ومن قفا نهجهم فى كل ما زمـــن

واعلـم أن التعلق بأولياء الله رضي الله عنهم يجب أن يكون مـع استحضار أن الله تعالى هو المطلوب عـلى الحقيقة والفاعل للأشياء كلهـا لا معبود غيره ولا مرجو سواه ، وانما التمسك بأهل الله لأجل التبرك بهـم والاستشفاع بهم الى الله تعالى لأنهم أبواب الله والدالون عليه ، نفعنا الله بهم وأفاض علينا من مددهم آمين (I) .

I) انظر الاستقصا 2 : 207 .

119) أبو شعيب بن محمد بن زيد الدكالي الزبوجي المراكشي نزيلها ، ورد اليها عام واحد وسبعين ومئتين وألف ، كان رحمه الله فقيهاً عدلا مرضياً مفتياً ذا حزم وانقباض وجد ، كان ينوب في القضاء من حدود العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر ، توفي رحمه الله عام 1312 اثنى عشر وثلاثمئة وألف ، وقد وقفت على عدة فتاوى بامضاء صلح الناظر عن الأحباس بعد تشعب الدعوى والطعن في حجج الأحباس والمفتون هم السادة محمد بن أحمد كنسوس ، والمترجم ، وسعيد جيمي ، والسباعي ، وعبد الوهاب ، ومحمد بن عبد الله ، وعمر بن عبد الواحد الدويري ، والطيب ابن عمير الشرقي ، وحكم في القضية عن إذن المولى الحسن في خلافته الصغرى عام خمسة وثمانين ومئتين وألف أول المفتين والسيد المطيع ، والقاضي ابن عبد الواحد الدويري .

120) أبو بكر بن جلداسن الصنهاجي (1) كان بسجلماسة، قدم مراكش فمات بها في حدود التسعين وخمسمئة ، وكان عبداً صالحاً ، قال في (التشوف) حدثني محمد بن أبي القاسم عن أبيه قال بعث أبو بكر الصنهاجي إلى يحيى بن عمر المعتصم وكان خاصاً بهم أن يبعث تمراً من التمر الميواري فبعث به إليه ، فلما سيق إليه امتنع من أكله ، فقلت له لِمَ امتنعت من أكله ؟ فقال لي إنه اقتطفته امرأة حائض فكرهت أكله ، قال أبو القاسم فبعث إلى أبي زكرياء أن يبعث لي من ذلك التمر فبعث لي شيئاً منه في طبق ، فأكل منه أبوبكر ، فقال أما هذا فاقتطفه ولده علي ، قال أبو القاسم فقمت من فوري الى دار أبي زكرياء فسألته عن التمر الأول والثاني ، فقال لي أما الأول فاقتطفته امرأة ، وأما الثاني فاقتطفه ولدي علي ، وسمعت ابن أبي القاسم يقول كان أبو بكر يأوي إلى أبي فاقترح عليه ألا يصنع له الطعام الذي يأكله غير أختي الصغرى ميمونة ، فكانت تصنع له عصيدة الشعير دون إدام ، فحملتها الخادم

---

1) هذا المترجم والثلاثة الذين يلونه كان من حقهم ان يذكروا مع من اسمه ابو بكر ، ولكن المؤلف ذكرهم بكناهم (أبو يحيى) في حرف الياء من آخر الجزء العاشر ، فآثرنا ان نذكرهم بأسمائهم الحقيقية (أبو بكر) ونلحقهم بآخر هذا الجزء ولو في غير الموضع الذى يجب لهم من الترتيب ، لأننا لم نتفطن لذلك الا بعد استيعاب الكتاب بالمراجعة بعد طبع الملازم الأولى من هذا الجزء .

إليه يوماً وقالت في نفسها ما لهذا الشيخ لا يأكل إلا ما تصنعه ميمونة ، فلآكلن منه حتى أرى هل يعلم ذلك أم لا ، فأخذت من وسطه باطراف أصابعها ، فلما وضعت الطعام بين يديه أكل من أطراف الصحفة ولم يأكل من وسطها ، فقال له أبي أراك تركت من طعامك ، فقال له إن الخادم قالت في نفسها لآكلنّ من طعام هذا الشيخ حتى أرى هل يعلم بذلك أم لا ؟ فأكلت منه فتركت الموضع الذي مسته ، وحدثني ابن أبي القاسم قال دفع محمد بن البوني وكان رجلا صالحاً لأبي بكر دراهم ، وقال له ابعث بها إلى أمك فتركها وديعة عند أبي القاسم فجعلها في صدع حائط ، ثم إن أبا بكر طلبها من أبي القاسم فطلبها أبو القاسم في الصدع الذي كان قد جعلها فيه فلم يجدها ، فقال له أبو بكر لا تتعبْ في طلبها ، فان ابنك عبد الله جاء يطلب الأقلام في هذا الصدع فوجدها فيه فطلبها عند ابنه عبد الله فوجدها وأعطاها لأبي بكر (1) .

121) أبو بكر بن محيو الصنهاجي المعروف بأبي يحيى السائح قال في (التشوف) رأيته بمراكش ، وكان قد رحل الى بلاد المشرق وغيرها ومات بأغمات وريكة عام خمسة وستمئة ، وكان لا يعرف أصله ولا يحدث أحداً بذلك ، وكان عبداً صالحاً زاهداً في الدنيا لم يتلبس منها بشيء ولا ركن لشيء من الدنيا إلى أن لقي الله تعالى ، وأقام بمصر أحد عشر عاماً ثم ساح في بلاد جزولة ثم نهض الى نون لمطة وجاز إلى بلاد دكالة ودخل جزائر بحر المغرب الأقصى ونفع الله به خلقاً كثيراً ، حدثنا أحمد بن محمد بن اسماعيل الهواري قال سمعت أبا بكر السائح يقول وجدت في جزائر بحر المغرب أقواماً لا يعرفون الاسلام فعلمت الرجال والنساء الاسلام والشرائع ولم أفارقهم حتى كانوا يصلون صلاة التسبيح ، ثم دخلت بلاد السودان فرغب إليهم ملكهم أن أقيم عندهم ويسلم لي أمره :

قالوا نراك كثير السير مجتهدا	في الأرض تنزلها طوراً وترتحل
فقلت لو لم تكن في السير فائدة	ما كانت الشمس في الأبراج تنتقل (1)

1) انظر التشوف ع 152 والسعادة الأبدية 2 : 114 .

2) انظر التشوف ع 232 .

122) **أبو بكر بن مساعد اللمطى** ، كان خاصاً بأبى العباس السبتى رضي الله عنه ولازمه مدة طويلة ولقيه صاحب (التشوف) وحدث عنه بأحواله وشاهد كثيراً من كراماته .

123) **أبوبكر بن القاضى أبى عمران بن حماد الصنهاجي** ، ممن لقي الشيخ أبا العباس السبتى وشاهد بعض أحواله وحدث فى (التشوف) عن يوسف بن عبد الله بن سليمان عن المترجم وستأتى ترجمة والده قاضى مراكش .

124) **أبويَعَزّى (مولاي بوعزة) يلنور بن ميمون** ، وقيل بن عبد الله وقيل بن ميمون بن عبد الله وقيل ابن عبد الله ابن ميمون بن عبد الرحمان بن أبى بكر ، وقيل إنه أبو يعزى عبد الله بن عبد الرحمان بن ميمون الدكالى الهزميرى ، قال قوم إنه من هزميرة إيروجان ، وقيل من بنى صبيح من هسكورة ، وقيل غير ذلك .

ويلنّور بتشديد النون المضمومة أي صاحب النور بالعربية ، وأبو يَعَزّى بفتح العين وتشديد الزاي ، وسكون العين وتخفيف الزاي (يَعْزَى) ، ويقال باسقاط الياء أوله مع التشديد (أبوعزة) ، مات بالطاعون شهيداً ، وقد أناف على مئة سنة بنحو الثلاثين سنة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل أحدى وستين ، ودفن بقرية تاغيا وبنيت عليه قبة عظيمة وقبره هناك مزارة مشهورة معروفة عند الخاصة والعامة ، وهو مزار يتبرك به إلى الآن ، وكان قطب عصره وأعجوبة دهره .

قال فى (التشوف) سمعت أبا علي الصواف يقول سمعت أبامدين يقول رأيت أخبار الصالحين من زمن أويس القرنى إلى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبى يعزى ، قال ونظرت فى كتب التصوف فما رأيت مثل الاحياء للغزالى .

وسمعت أحمد بن إبراهيم الأزدى يقول سمعت محمد ابن الكتانى يقول نقلت كرامات أبى يعزى نقل تواتر وذكره الشيخ أيوب (أبو الصبر)

بن عبد الله الفهرى قال لقيت الشيخ الفاضل الزاهد الرفيع ، ءاية وقته ، أبا يعزى يلنور ، وكان أعجوبة فى الزمان وعدة للايمان وبلغ من مقامات اليقين مبلغاً لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين ، واشتهر عنه من الكرامات ما وقع موقع العيان وشهد بشهرته الكافة والأعيان ، ولولا خيفة إنكار البطالين المنكرين والغافلين المدبرين لأوردنا من بعض ما شاهدنا منه من الكرامات ما يعرفه المحققون ، ويرتاح لسماعه المتقون .

وسمعت أحمد بن إبراهيم الأزدى يقول سمعت أبو يعزى يقول ما لهؤلاء المنكرين لكرامات الأولياء ؟ والله لو كنت قريباً من البحر لأريتهم المشي على الماء عياناً .

قال أيوب (أبو الصبر) حضرت عنده فرأيت رجلا جاءه فسلم عليه ، فقال له أبو يعزى لِمَ تخونُ أخاك وتأتى زوجه وهو غائب ؟ فقال له الرجل أتوب إلى الله تعالى من ذلك ، قال وجاءه يوماً كتاب من أبى شعيب من أزمور يقول له فيه استر عباد الله ولا تفضحهم ! فقال له والله لولا أنى مأمور بهذا ما فضحت أحداً ، ولسترت على الخلق ، وقيل له إن فقهاء فاس أنكروا عليك لمس صدور النساء والنظر إليهن ، فقال أليس يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع ويراها للضرورة فهلا عدونى واحداً من أطبائهم ؟ وأنا إنما ألمس ذوات العاهات للتداوى بذلك .

وكان أبو يعزى يقول خدمت نحواً من أربعين ولياً لله تعالى ، منهم من ساح فى الأرض ، ومنهم من أقام بين الناس إلى أن مات .

وحدثنى محمد بن أحمد الزناتى قال حدثنى أبو علي مالك بن تامجورت قال كنت أحمل إلى أبى يعزى حملا من زبيب ، كل عام من نفيس إلى جبل ايروجان ، فمشيت إليه فى بعض الأعوام بحمل زبيب ، فدفعته إلى مؤذنه ففرغه فى بيت وقعدت أتحدث معه ، فقال لى عسى أن تكلم الشيخ أبا يعزى أن يستر الناس لا يفضحهم ، فان الرجل جاهل لا علم عنده ، فيقول للواصلين إليه سرقت ياهذا وزينت ياهذا وفعلت ياهذا كذا فيذكر

لكل واحد فعله، ثم انقطع كلامه ، فرأيته وقد منع من الكلام وكلمته فلم يجبني، فبينما أنا معه كذلك إذ أقبل أبو يعزى وعصاه في يده فسلم علي وسالني عن الحال والأهل ، وجاء إلى مؤذنه ومد يده الى حلقه يمسح عليه ويقول له يابني صدقت فانى جاهل لا أعلم إلا ما علمنى مولاي ، ثم طارت علقة دم من حلقه فتكلم وهو يقول أتوب إلى الله تعالى ، وأبو يعزى يقول له ولِمَ تتوب وأنت قلت الحق ؟ فانى جاهل لا أعرف إلا ما عرفنى مولاي .

وحدثنى غير واحد أن أبا يعزى قدم مراكش بعد عام واحد وأربعين وخمسمئة فحبس فى صومعة الجامع أياماً ثم خلي سبيله ، وكانت معه أقراص من دقيق البلوط فكان يجعل معها أوراق اللبلاب يعنى الخبيزة ويطحنها فاذا صلى المغرب أخذ قدر نصف رطل فاقتات به وما كان يأكل إلا من نبات الأرض ولا يشارك الناس فى شيء من معاشهم ويطعم الواصلين إليه العسل والضأن ولحم الدجاج .

وذكروا أنه كان فى ابتداء أمره راعياً ، وكان يصنع له كل واحد من أرباب المواشى التى يرعاها رغيفين كل يوم ، فكان يأكل رغيفاً واحداً ويوثر بالرغيف الثانى رجلا منقطعاً فى المسجد لقراءة القرآن ، فانقطع فى المسجد رجل ءاخر لقراءة القرآن فدفع له الرغيف الثانى وجعل يأكل من نبات الأرض ، فلما رأى أنه يكفيه النبات عن الطعام قال ما أصنع بأكل الطعام ونبات الأرض يغنينى عنه ؟

سمعت محمد بن علي يقول سمعت أبا عبد الله الباجى يقول رأيت الشيخ أبا يعزى يجمع له الخبازى فيطبخ ويجفف ويرفع فاذا أراد أن يأكل منه جعله فى القدر فيأكل منه لقمة أو لقمتين فيأكلها وهو يزأر كالقاهـر لنفسه ويقول لها ليس لك عنده إلا هذا .

قال ومررت به يوماً وهو يأكل قلوب الدفلى فناولنيها فأكلتها فوجدتها حلوة ، وكان لباسه برنوساً أسود مرقعاً إلى أسفل ركبتيه ، وجبة من تليس مطرف وشاشية من عزف، وكان طويلاً رقيقاً أسود اللون، وكان إذا جنه الليل

دخل فى شعراء كثيرة السباع فيصعد فى أعلا الجبل فيأتى آخر الليل إلى مسجده والناس يصلون في مسجده النافلة بامام ، فاذا قرب الفجر قال لهم أوجزوا فقد قرب الفجر ، فاذا طلع الفجر أعلمهم بطلوعه وهو معهم فى المسجد فيخرجون فيتأملون الفجر فاذا هو قد طلع ، حتى ظنّ بعض الحاضرين أنه يرى طلوعه من كوة أمامه في المسجد فنظر الجدار وليس به كوة ، فسأل عن ذلك فقيل له هذه عادته منذ أزمان يخبر بطلوع الفجر وقت طلوعه .

وحدثنى يوسف بن سليمان قال حدثنى إبراهيم بن ولجوط قال حدثنى ميمون بن وابور الباروطى قال زرتُ الشيخ أبا يعزى فأقمت عنده ، فجاءت اليه جماعة من المنكرين عليه من أهل فاس فخرج مع جماعة إلى لقائهم بالغابة ، فلما رأوه نزلوا عن دوابهم ليسلموا عليه ، فخرج من الشعراء أسد فوثب على دابة أحدهم فصاح عليه أبو يعزى ودنا منه إلى أن أخذ باذنيه ونحن ننظر إليه فقال لأصحابه اركبوه ! فهابوا ركوبه ، قال ميمون فوثبت على ظهره وركبته وأجريته مرات والواصلون للانكار على أبى يعزى ينظرون إلي على ظهره ، وكنت أحس وبره قد نفذ من ثوبى الى جلدى ، فأقمت ساعة كذلك ثم نزلت عنه فذهب .

وحدثنى موسى بن وركون الخطابى قال حدثنى عبد العزيز بن مسرى الهسكورى تلميذ أبى يعزى قال سمعت أبا يعزى يقول اقمت عشرين سنة فى الجبال المشرفة على تينمل وليس لى بها إلا إسم أبو وجرتيل ومعناه بالعربية صاحب الحصير ، ثم انحدرت الى السواحل فاقمت بها ثمانية عشر عاماً لا اسم لى بها الا أبو ونلكوط وهو نبات معروف يأكله ، فمررت فى سياحتى بالسواحل بجارية وهي تستغيث من وجع عينيها فمددت يدى إلى عينيها فمسحتهما وذهبت ، فسمعتها تقول مَن مسح على عينى ؟ فقد استراحتا ! وأنا أجد فى السير حتى انقطع عنى سماع كلامها .

وحدثنى عبد الرحمان بن محمد بن عبد الخالق ابن خنوسة قال سمعت محمد بن عبد الكريم الوراق يقول كنت عند أبى يعزى فى جماعة فدخل

علينا يوماً وقال اخرجوا لتعاينوا عجباً، فقمنا معه فرأينا الحمر راقدة والسباع قريبة منها فلم تنفر الحمر من السباع ولا وثبت السباع على الحمر ، وكانت تلك الحمر للواصلين لزيارته .

قال وحدثنى محمد بن عبد الكريم أنه ذهب معه يوماً إلى المسجد الجامع يوم جمعة فى عام جدب ، فلما صلى الناس الجمعة خرج من المسجد فتبعته جماعة وشكوا إليه احتباس المطر عنهم ، فرمى شاشية العزف عن رأسه وبقي رأسه أبيض كانه تغامة وتجرد من برنوسه وأرسل عينيه بالبكاء وقال كلاماً معناه بالعربية يامولاي هؤلاء السادة يرغبون من هذا العبد أن يستسقي لهم ، وما قدرى أنا حتى يطلب منى هذا ؟ وما زال يبكى ويتضرع إلى أن غيمت السماء وهملت بالأمطار حتى نزعت نعلى من رجلى ومشيت حافياً من كثرة المطر ، وقد أجاب الله دعوته .

وحدثنى محمد بن خالص الأنصارى قال سمعت الشيخ أبا الحسن يحيى بن محمد الأنصارى المعروف بابن الصائغ يقول : زرت أبا يعزى فلماكان وقت غروب الشمس خرجت إلى الوضوء مع جماعة فبعدنا عن القرية فحال الأسد بيننا وبين القرية ، فقيل لأبى يعزى حال الأسد بين أصحابك وبين القرية ، فأخذ أبو يعزى عصاه فى يده وجعل يضرب بها الأسد إلى أن فر وقربنا منه ، فجعل يأكل عيون الدفلى فقال لترجمانه قل لأبى الحسن ما تقولون أنتم معشر الفقهاء فيمن أكل عيون الدفلى ؟ فقلت له قل له من أكل عيون الدفلى طرد الأسد فأعلمه الترجمان بقولى فرأيته يتبسم .

وحدثنى أحمد بن ابراهيم الأزدى قال حدثنى غير واحد عن الحاج ابن عاصم قال زرت أبا يعزى فلما أردت الانصراف من عنده قال لى ضحيتك عندى من غنمى فقلت له من يوصلها إليّ من هاهنا الى سبتة وفى توصيلها تعب ؟ فقال لى ما عليك تعب ، فأخذ حمارى وحك فم الكبش الذى عيَّن لى فى عرقوب حمارى ، فركب الحمار والكبش يتبعه كالولد خلفَ أمه ، فاذا لقي قطيعاً من الغنم وقف يرمقه بنظره ساعة ثم يجرى إلى أن يصل الى الحمار فيتبعه إلى أن وصلت إلى مدينة سبتة .

وحدثني موسى بن وركون الهسكورى قال حدثني برباط شاكر أبو علي مالك بن تماجورت قال تزوج صاحب من أصحاب أبى يعزى فطلبت منه زوجته مملوكة ولم تكن عنده ، فقال لى أبو يعزى أنا أنوب مناب المملوكة ، وكان أسود لا شعر بوجهه فتزيا بزي مملوكة واقام يخدمه وزوجته عاماً كاملا فيطحن ويعجن ويخبز ويسقى الماء بالليل ويتفرغ بالنهار للعبادة فى المسجد ، فلما كمل العام قالت الزوجة لزوجها ما رأيت كهذه المملوكة تعمل بالليل جميع ما يعمل بالنهار ولا تظهر بالنهار، فاعرض عنها وتغافل عن جوابها ، فما زالت تسأله فقال لها ما خدمك إلا أبو ونلكوط ، وليس بمملوكة ، فعلمت أنه أبو يعزى فقالت والله لاخدمني بعد هذا أبداً ولأخدمنّ نفسى ، فجعلت تخدم نفسها من حينئذ .

وحدثني غير واحد أن ذلك الصاحب الذى خدمه أبو يعزى على أنه مملوكة هو الشيخ أبو شعيب أيوب السارية ، وأنه لما أخبر زوجته بخدمة أبى يعزى لهما دخل المسجد على أبى يعزى وهو يتبسم ، فقال له أبو يعزى ومالك تتبسم ؟ فأخبره بما كان بينه وبين زوجته ، فقال له أبو يعزى فهلا تركتنى أخدمكما كما كنت .

حدثني أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد قال سمعت عبد الله بن عثمان يقول : ذهبت الى زيارة أبى يعزى مع صاحب من أصحابى من أهل فاس فدخلنا فى بيت اجتمع فيه الواصلون اليه الى أن جاءنا أبو يعزى فرأينا رجلا طويلا أسود فانكب على رؤوس زائريه يقبلها واحداً بعد واحد فقال لى صاحبى هذا أسود ممخرق ، فقلت له احفظ لسانك ولا تتكلم فى ولي من الأولياء ولم يسمع كلامه غيرى ، فلما انتهى أبو يعزى إلي قبل رأسى ولم يقبل رأس صاحبى ومسح بيده علىصدره وقال أما هذا فلن أقبل رأسه حتى يذهب من قلبه ما فيه فعجب صاحبى من ذلك وقال لى تبت الى الله تعالى مما كنت فيه ولا أعود فأمر لنا أبو يعزى أن نكون فى بيت نتفرد فيه عن الناس وقال أنتم لا تحتملون أن تكونوا مع الجموع فحملنا الى بيت نظيف خال فانفردنا فيه فأتانا بعض خدمته بطعام الشعير وعليه الخبازى فى صحفة فقال لى صاحبى ما سقتنا إلا لأكل الشعير وبقل البرارى ، فقلت له ألم تتب إلى الله تعالى من

أمثال هذا ؟ فاذا نحن بالشيخ أبى يعزى قد أقبل إلينا بطبق فيه رغيفـان وصحفة فيها لحم مشوى من لحوم الضأن ، فقال لى قل لصاحبك لو أقام عندى شهراً ما أطعمته إلا هذا الطعام فعلامَ يغيرك وإنما غلط الخديم فجاءكم بذلك الطعام قبل أن آمره بما يأتيكم به من الطعام ، فاشتد عجب صاحبى من ذلك وقال والله لاعدت لمثل هذا أبداً .

وحدثنى عبد الرحمان بن محمد بن عبد الخالق قال حدثنى الحاج ابن هارون وكان خديماً لأبى يعزى قال رأيت أبا يعزى يوماً وقد أتته صبية بها علة لتستشفي بمسه ، فأدخل يده الى جسدها ليمسح عليه فوجدت من ذلك فى قلبى شيئاً فكرهت المقام عنده فاستأذنته فى الانصراف ، فقال لى لا تنصرف حتى آمرك ، فانصرفت قبل أن يأذن لى فضللت الطريق وكنت به عارفاً وأخذت فى طرق متعبة خرجت منها الى مكناسة الزيتون وقد أجهدنى التعب والجوع وكان الناس حينئذ يقتلون على ترك الصلاة فى أوقاتها قال فقبض على جماعة كنت فيهم ، فحملنا لنقتل ، فلما كان فى تلك الساعة قال أبو يعزى لأصحابه ارفعوا أيديكم الى الله تعالى وادعوا أن يخلص صاحبكـم من المحنة التى أصابته فلما قدمت للقتل رءانى رجل كان يعرفنى فقال للوالى ليس هذا ممن يترك الصلاة ولو لم يصل أحد لصلى هذا وحده ومن شأنه كذا وكذا فأمر الوالى باطلاقى ، فانطلقت ورجعت فوراً إلى أبى يعزى ، فلما أبصرنى قال لى أبيت أن يزول ما فى قلبك الا بعد المحنة فقلت له تبت الى الله تعـالى .

وحدثنى يحيى بن محمد الزناتى قال سمعت أبا جعفر محمد بـن يوسف الذى كان بتاغزوت من بلد تادلة يقول قلت يوماً فى نفسى : ماهذا الذى يصدر من أبى يعزى ؟ فلأفعلن فعلا لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى حتى أعلم حقيقة ذلك ، وكنت أشاطره فى كل ما استفيده ، فجمعت دراهمى وقسمتها وأنا فى بستان وحدى ، ثم نظرت إلى عنقود من عنب فوق شجرة مرتفعة وددت انه أكله الشيخ أبو يعزى ثم مر بى حنش فقلت والله ان عدت إلي لأقتلنك ، فخرجت فجاءتنى إمرأة فدفعت لى خمسة دراهم وقالت لى اعطها لمن يأتيك من المريدين

فأخذت من دراهم أبى يعزى خمسة دراهم وجعلت تلك الدراهم التى أعطتنى تلك المرأة فيها عوضاً عما أخرجته منها ، فتوجهت من تاغزوت إلى جبل ايروجان فدخلت دار أبى يعزى فوجدته يصلى فى بيته فلما سلم قال لى يامحمد بن ورقا أتغتابنى ؟ فقلت له وما ذلك ؟ فقال لى ألم تقل فى نفسك ما هذا الذى يصدر من أبى يعزى ثم نظرت إلى عنقود العنب فقلت وددت أنه أكله الشيخ أبو يعزى ثم مر بك حنش وتوعدته وظننت أنه حنش وهو من مومنى الجن، فناولته الدراهم فأخرج منها خمسة دراهم وقال لى هذه دراهم فلانة قال وكنت عوجت أطرافها بأسنانى فاذا هي باعيانها قد رماها فعلمت من حينئذ ان الذى يصدر منه إنما هو على فراسة صادقة وتبت الى الله تعالى من سوء الظن به .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الأزدي قــال سمعت أيوب (أبا الصبر) يقول زرت أبا يعزى على حمارى فنزلت فقيل لى إن حمارك أكل من شعير أبى يعزى فاشرف على الموت فقلت لأبى يعزى أكل حمارى من شعيرك وها هو يموت من أجل ذلك ، فقال لى أنا وشعيرى متاعك ولن يموت حمارك ، فجاءنى الخبر وقال لى إن حمارك قد أشرف على الموت ، فأعلمته فقال لى لن يموت فقلت له يموت حمارى وانت تقول لن يموت فقام معى إلى الحمار فوجدناه لاصقاً بالأرض فأخذ بمشفريه وفتح فاه فبصق فيه فقام الحمار من ساعته فركبت عليه .

قال أبو الصبر وكنت يوماً جالساً مع أبى يعزى ونحن نتحدث إذ قام عنى فسمعته وهو يضرب دابة بعود ثم بعد عنى فسمعت لغطاً كثيراً فبقي ساعــة فجــاء وهــو يقــول من أين دخــل الحرام فى كسبى ؟ ثم جعــل يحدثنى ويقول دخل الأسد فى ماشيتى فلم أزل أضربه إلى ان فر فسألت أهل المكان فقالوا كان بنو فلان قد أغاروا على ماشيتنا فذهبنا إليهم فأخذنا من مواشيهم مثل ما أخذوا لنا فجبرنا منها ما نقص من ماشيتك فأمرتهم أن يخرجوا من ماشيتى ما أدخلوا فيها من تلك المواشى .

وحدثنى غير واحد أن الناس كانوا يأتون إلى أبى يعزى من كل بلد فيطعمهم من عنده ويعلف دوابهم ، وان الفتوح كانت تأتيه من إخوانه فى الله تعالى فينفقها على زائريه وان أهل القرى كانوا يضيفون الواصلين لزيارة أبى

يعزى ويتبركون به ، فلما مات أبو يعزى رئي فى النوم وهو يطير فى الهواء فقيل له بما نلت ما نلت ؟ قال باطعام الطعام .

وأخبار أبى يعزى كثيرة عجيبة اختصرت منها هذا القدر الذى أوردته فى هذا الباب (1) .

وقد صنف فى أخبار أبى يعزى رضي الله عنه جماعة من أهل العلم منهم المختصر والمطول وزبدتها هو ما تقدم عن التشوف منهم الامام أبو العباس العزفى وصاحب النجم الثاقب ترجم له فى حرف الياء هكذا عبد النور ابن عبد الله الهزميرى سيدى أبو يعزى كذا قرأت نسبه بخط الامام القاضى أبى عبد الله ابن عبد الملك فلا نطول بالخلاف الواقع فيه بين علماء المغرب .

وممن عرف به الامام ابن قنفذ فى (أنس الفقير) ، وشراح الباديسية وصاحب بهجة الأسرار ، وصاحب قلائد الجواهر ، وصاحب لواقى الأنوار ، وصاحب نظم بهجة الأسرار ، ورجال التشوف ، وصاحب الجذوة ، ونقل عن الكتانى عن الشيخ رضي الله عنه أن الشيخ قطع رجله ومنهم أبو العباس الصومعى صنف فيه كتابه الذى سماه (المعزى فى أخبار أبى يعزى) ينحصر فى سبعة أبواب وخاتمة ، الأول فى نسبه ومجاهدته وما لقي فى ذلك من التعب ، والثانى فى الأشياخ الذين لقي وخدم وانتفع ببركة خدمتهم ، وتأدب بآدابهم ، وسلسلة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتعريف ببعضهم بما أمكن من أوصافهم السديدة وما لهم من علي المقام ، والثالث فى بعض ما له من الكرامات وما أظهر الله على يده من الخوارق وكرائمه إلى هلم جرا ظاهرة ، والرابع فى بعض من أخذ عنه من المشايخ وما فتح عليه ببركاته ومازال بقدرة الله الفتوح على يديه إلى اليوم حتى قيل ان مادته لا تنقطع إلى يوم القيامة ، والخامس فى إخوانه الذين شهدوا له بالرتبة العالية وأكابر الصديقين الذين عاصروه والذين بعدهم من الكبراء ، والسادس فى آداب زيارته وزيارة غيره من الأحياء والأموات ، والسابع فى اتصال نسبته بهذا الامام إلى النبي صلى

1) جميع ماتقدم منقول بالحرف من التشوف ص 195 عدد 77 .

الله عليه وسلم ، وكذا سيدى عبد القادر الجيلانى لما كان بينهما من المحبة والخاتمة فيما ينبغى من التسليم للمنتسبين ، والمحبة والتعظيم ، وبذلك يكون الانتفاع .

قال فى الباب الأول :

وحدثنى الثقات عنه من وجوه شتى مختلفة الألفاظ متفقة المعنى أن السلطان عبد المومن بن علي بعث له عام أحد وأربعين وخمسمئة فورد عليه راكباً على حمار فحبس فى صومعة الجامع اعنى جامع الكتبيين فى الصومعة السفلى التى كانت للمتونيين إذ هم الذين بنوها واما الكبرى إنما بنيت فى ءاخر أيام يعقوب المنصور فى حدود أربع وتسعين من القرن السادس ثم خلى سبيله لما اتفق لعبد المومن معه فقال لأصحابه اتركوه ولا سبيــل لكــم عليه ، وقال فى الباب الثالث قد روى أبو العباس ابن مرزوق رضي الله عنه : أبو يعزى كراماته بعد مماته كمثل حياته ثم ذكر ان أبا يعزى كان لا يحسن اللسان العربى وإنما يترجم عنه المترجم ، وقال فى الباب الرابع بعد نقل كلام صاحب حذر الاتقياء إن أبا يعزى أخذ عن أبى بكر ابن العربى المعافرى ما نصه قلت ظاهر كلام هذا الشيخ ، إن الشيخ سيدى أبا يعزى أخذ عن الامام ابن العربى ومن تلامذة أبى يعزى أبو محمد يسكر الجورائى التــادلى الفاسى كان وحيد زمانه علماً وعملا ، ومنهم الولي الصالح أبو زكرياء يحيى بن محمد بن صالح المزطاوى الهسكورى والولي الصالح أبو يلبخت ياللتبــن الأسود المتقدمة ترجمته ، ومنهم الولي الصالح أبو يحلو الصديقى التادلى ، ومنهم أبو الصبر أيوب الفهرى السبتى المتقدمة ترجمته ، ومنهم أبو علــي مالك بن تماجورت المتقدم الترجمة أيضاً ، ومنهم الولي الصالح أبو جعفر محمود بن يوسف الصنهاجى التادلى الساكن بتاغزوت ، ومنهم ولده الولي الصالح أبو علي يعزى الآتية ترجمته إن شاء الله ، ومنهم الشيخ الامام الحجة أبو عبد الله محمد بن يعلى التاودى الفاسى ، ومنهم الشيخ أبو الامان عبد الحق بن عبد الصمد الهسكورى ، وذكر فى الباب الخامس ان ممن شهد للشيخ أبى يعزى بعلو المقام وانه حاز قصب السبق فى هذه الطريق على التمام وقطع

المقامـات وسلك المعـالى من الرتب علي ابن حـرزهم الآتية ترجمتـه ، وسيدى عبد القادر الجيلانى ، وأبا عمران موسى العبدوسى ، وأبا محمد يسكر، وسيدى أبامدين ، وقال فى الباب السابع قال الأسكندرى ويقال انه يعنى أبا يعزى من ذرية لقمان الحكيم ، نقل المعزى وقال ابن الوزبيدى فى شرحه على النفحات القدسية ، وصاحب النجم الثاقب والعزفى ان السلطان عبد المومن بن علي بعد ان صرفه عام أحد وأربعين تواترت اليه عند كثرة الجموع فقال له هذه الجموع يخشى على الدولة منها فيحكى عنه أنه خرج بمحلته يرحل وينزل حتى عمل بينه نصف مرحلة فبعث إليه ليأتيه فأتاه راكباً على حمار، فلما لحقه كلّمه بأشياء تعجّب منها ، ثم قال للترجمان ، زيد من المكاشفة شيئاً ، فشاهده بالعيان قال إن حمارى يأكله الأسد الليلة ، فقال عبد المومن ايتوا لى بحماره واجعلوه فى وسط مربط خلينا وبيت الحرس عليه إلى طلوع الفجر، ففعلوا ذلك وباتوا يحرسونه إلى الفجر، فتفرقوا، وإذا بالأسد قد افترس الحمار وبقي هناك رابضاً ، فلما طلع النهار عرف الخليفة بما كان ، فأمرهم أن يعرفوا الشيخ بذلك ، فقال أريد أن أقف عليه فسار حتى وقف عليه ووجد السبع رابضاً، فتقدم إليه فضربه بعصاه ضربة خر بها ميتاً، فنقل ذلك للخليفة فقال لجلسائه اعتبروا بهذه القصة وإن كانت عجباً فانه ما ضربها لكم إلا مثلا ، وجعلها لكم تأديباً كانه يقول أنا رب الحمار ، فقتله الأسد فسلطت عليه فقتلته وأنا عبد ربى فان قتلتمونى غضب لى ربى فيفعل بكم ذلك أو أشد لمن قتلنى .

قال أبو العباس العزفى هذا من الشيخ اعتبار عجيب وخاطر من الفراسة يـصيـب .

وممن كان يصلى التراويح برمضان بأبى يعزى أبو الصبر أيوب الفهرى المتقدمة الترجمة .

وقال فى المعزى قبيل الباب الرابع واعلم أن الشيخ أبا يعزى رضي الله عنه ما من سنة إلا وتظهر له كرامة وكرامات ، وقد قدمنا كلام أبى العباس زروق إن كراماته فى مماته كحياته ، وقال مرة أخرى أكثر منها فى حياته وهذا باب لا يخص .

وجعل فى المعزى فى الباب الأول الشيخ أبا شعيب السارية من أشياخ أبى يعزى ، وقد تقدم عن التشوف ان أبا شعيب من أصحاب أبى يعزى ، وقد حكى كلام التشوف المذكور فى المعزى أيضاً ثم قال : وقد لقي أيضا غير أبى شعيب كأبى عبد الله بن أمغار وأبى موسى عيسى ايغور وغيرهم كثير كما تقدم يعنى ما حكاه صاحب التشوف انه خدم أربعين ولياً لله تعالى .

وقال مؤلف مناقب بنى أمغار أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن الشريف بن امغار هو شيخ المشايخ فى عصره وهو شيخ الولي الصالح أبى شعيب أيوب السارية وأبو شعيب شيخ الولي الشهير أبى يعزى وأبو يعزى شيخ الولي الذى بانت فضائله واستقرت كرامته أبى مدين التلمسانى ، وأبومدين شيخ الولي الصالح أبى محمد صالح الماجرى ثم الدكالى .

وذكر فى التشوف فى ترجمة أبى شعيب السارية انه شيخ أبى يعزى ، قلت فتحصل من هذا ان تعبير صاحب التشوف نقلا عن غيره انه من أصحاب أبى يعزى ليس المراد المعنى المصطلح عليه فى الصاحب انه التلميذ لتصريحه فى محل آخر بأنه شيخه فاعلم ذلك والله الموفق .

وما أحسن قول ابن باديس فى سينيته التى نظم بها رجال الروض الناضر فى مناقب الشيخ سيدى عبد القادر فى رجال الأربعين الذين اثنوا على جنابه العالى :

واما أبو يعـزى فشيـخ شعيبهـم　　　وبالغرب حـلا للافـادة والحـرس
وحالهما قد عم الأقطار نورهـــا　　　فمقتصد فى وصفه معجـز النفس

ولم يزد شارحها أبو العباس الورنيدى المعروف بابن الحاج فى شرحه (أنس الجليس، فى جلْو الحناديس ، عن سينية ابن باديس) ، على ذكر بعض ما فى (بهجة الأسرار) فى ترجمتها قال فى شرح البيت الثانى يعنى ان أحوال هذين الشيخين وفضائلهما قد شملت جوانب الأرض ، وطبقت ءافاتها فـى الطول والعرض وسمع بها البادى والحاضر والبر والفاجر ونال بركاتهما

العامي والمطيع ، والعاجز والمستطيع ، وأقر بها المحب والحسود ، والسيد والمسود ، وتوسل بهما القوي والضعيف ، والدنيء والشريف ، حتى لو أراد أحد أن يكتب أقلها لأفنى بحار المداد كلها ، ولو رام نصفها لما بلـغ نصفها .

وقال فى (بهجة الأسرار) الشيخ أبو يعزى المغربى هذا الشيخ من أعيان المشايخ وصدور الأولياء ، له الكرامات الخارقة والتصريف النافذ ، والمقامات السنية ، والأوصاف العلية ، والأحوال الجليلة ، وهو أحد أوتاد المغرب ، واجلاء العارفين وعظماء الزهاد المحققين بها ، واحد أركان هذه الطريقة وأعلام العلماء ، له القدم الراسخ فى المعالى والتمكين ، والنظر الخارق ، والكشف الصادق ، الحلى من المغيبات والمهابة الشديدة فى القلوب والوضاءة الظاهرة فى الأبصار ، ومقصود لزيارات من بلاد المشرق والمغرب ، وكان دائم المراقبة ، شديد المناقشة لنفسه ، قوياً على المجاهدة ، بصيراً بادواء الباطن فيما يحل مشكلات فتوحات السالكين ، وإليه انتهت تربية الصادقين بالمغرب ، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها منهم الشيخ أبومدين رضي الله عنه وغيره ، وقال بارادته خلق لا يحصون كثرة من أصحاب الأحوال ، وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون، ويرجعون إليه فى المعضلات فتنكشف ، وكان له كلام عال في المعارف ثم أورد بعضه وجملة من كراماته الباهرة كتكليم الجمادات وأمرها ونهيها فتطيع وإجابة دعائه فى الاستسقاء على الوجه الذى يطلب وتحضيض على زيارة الشيخ الامام سيدى عبد القادر الجيلانى وان علمه ونسبه قد ميزاه على الأولياء تمييزاً واضحاً كثيراً ونحوه فى قلائد الجواهر وطبقات الشعرانى الكبرى فراجع الجميع تستفد .

وقال أبو العباس التاستاوتى فى نظم رجال بهجة الأسرار ولم يطلع إلا على مختصرها :

وبالمغرب الأقصى إمـام معظـم ... وقطب أبو يعزى وغوث بشـدة
فضائله مشهـورة تمـلأ الفضـا ... وفى كل عـصر للـورى قد تبـدت
وها أنا قد ألزمت نفسى ببـابـه ... وقوفـاً لعـلى أن أفوزَ بنفحـة

قال فى الشرح وهو كذلك رضي الله عنه ما من قرن منذ مات إلى الآن إلا والناس تتحدث عنه بالعجائب والغرائب ، وقد شاع على ألسنة العامة والخاصة أنه من أهل التصرف بعد مماته رضي الله عنه .

وقال أيضاً فى نظم رجال التصوف :

بشيخ الشيوخ العارفين ومن إذا
جرى ذكره يغنيك فى الفضل عن غيرى
مددت يدى أرجوا النجاة بجاهه
واسأل تخفيفاً من الله عن ظهرى
كان جميع الصالحين بوقته
طيور وهذا الشيخ يظهر كالصقر
لجأت أبا يعزى لبابك راغباً
ألا ليت شعرى هل أعامل بالستر

وايروجان بكسر الهمزة وضم الراء وتشديد القاف المعقودة كما فى ابتهاج القلوب ، قال فيه وقد ذكر الحاتمى فى الفتوحات المكية ان هذه كانت حالة الشيخ أبى يعزى دائماً وإنه كان يتبرقع لما به من النور الذى غشي طلعته فمن وقع بصره عليه عمي .

ذكره بعد ان حكى قصة عمى أبى مدين لما زاره وبقي بالجوع ثلاثة ثم مسح بثوب الشيخ على وجهه فابصر ثم قال فى ترجمة الشيخ الصالح سيدى محمد بن مخلوف الضريسى انه كان يزور الشيخ أبا يعزى فى كل سنة مرة يمشى إليه حافياً من مكناسة إلى قبره بتاغيا ، وكان يقول من زار هذا الشيخ ويسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة فى كل زيارة فانها تقضى له على القطع ، توفي بمكناسة الزيتون سنة اثنتين وأربعين وتسعمئة ، ودفن خارج باب عيسى منها ، وراجع اتحاف الخل الواطىء عند ترجمة أبى عبد الله بن طاهر الهوارى بعد أن ذكر هناك أن مَن لم تمكنه زيارته فليكتب له أبيات الشيخ سيدى عبد القادر الجيلانى الرائية ويوجهها لتوضع فى تابوته مع بيان الحاجة فانها تقضى بحول الله عز وجل .

ترجمه التادلى فى (التشوف) والعزفى ، وصاحب بهجة الأسرار ، وابن قنفذ فى أنس الفقير وشراح الباديسية ، وصاحب لواقح الأنوار ، وصاحب قلائد الجواهر ، وصاحب النجم الثاقب ، وصاحب الذيل والتكملة ، وصاحب المعزى والجذوة والمناوى فى طبقاته ، وصاحب نظم رجال التشوف ، ورجال بهجة الأسرار .

وجرى ذكره فى كفاية المحتاج ، والمنح البادية ، والدوحة ، وترجمه فى درة الحجال بعد ترجمة تلميذه أبى عصفور شيخ سيدى يوسف ابن علي وغيرهم .

ومن أحفاده رضي الله عنه يحيى بن يعزى المتوفى سنة 891 قاضى فاس الجديد أو سنة 889 .

ثم منَّ الله علي بزيارة الشيخ المترجم رضي الله عنه في يوم الجمعة منتصف ذى قعدة الحرام عام 1344 أكتريت سيارة خاصة من وادى زم فقطعت بنا المسافة فى نحو ساعتين ونصف ذهاباً ، وصلينا الجمعة فى مسجده ودعوت عند قبره بما أرجو من الله قبوله .



فهرس

تقديم

صحيفة

صحيفة

صحيفـة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

